مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم على سابغ نعمائك، وضافى آلائك، وأصلى وأسلم على صفوة أنبيائك، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار.

وبعد: فقد كنت عند اختتام «جمهرة خطب العرب»، قطعتُ على نفسى عهداً بإتلائها بصِنوٍ لها فى الرسائل، وقد يسَّر لى القدير المنان السبيل إلى إنجاز عدتى، فهأنذا أصدر:

جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهرة

حاوية ما وسعه اطلاعى من رسائل أبناء العربية فى عصور البلاغة، فى أجزاء أربعة:

الجزء الأول: ويحوى الرسائل فى العصر الجاهلى، وعصر صدر الإسلام.

» الثانى: ويحوى الرسائل فى العصر الأموى.

» الثالث: ويحوى الرسائل فى العصر العباسى الأوّل.

» الرابع: ويحوى رسائل الأندلسيين.

ولم أورد فى الجزء الأول ، ممـا أورده الشريف الرضى فى نهج البلاغة من رسائل الإمام علىّ كرم الله وجهه ، إلاما اقتضاه المقام : ممـا كان حلْقة مكملة لسلسلة مكاتبات ، أو رسالة مختصرة عثرت على تتمتها فى مصدرآخر، أو ماشا كل ذلك .

وقد أخرجت هذه الجمهرة على غرار سابقتها ، ونهجت فيها منهجها ، فدأبت على التوفيق بين الروايات المختلفة للرسالة الواحدة ، وصغت منها صورة كاملة تؤلف بين أشتاتها ، وعنيت بضبط المشكل من ألفاظها ، وتصحيح المحرف، وتحقيق المشوّه منها، ورده إلى أصله ، وشفعتها بنبذة تاريخية توضح المقام الذى كتبت فيه ، وذيلتها بشرح مسهب يجلى للقارئ فحواها . ولست أغلو إن قلت إن ذلك الشرح بمـا حـواه من فوائد لغوية ، وفرائد أدبية ، وطرائف تاريخية ، حرىّ أن يعد كتابا قائمًا بذاته .

وإخالنى بإصدار هاتين الجمهرتين قد عبّدت طريق النثر القديم : الخطابى والكتابى : للمتأدبين ، ووطأت لهم مهاده ، ويسرت لمؤرخى الأدب العربى أن يتصفحوا خطب كل عصر ورسائله مجتمعة الشمل ، قريبة المأخذ، سائغة التناول ، ووفّرت عليهم مايضطرهم إليه البحث من بذل مجهود شاق، وإضاعة وقت طويل ، فى التنقيب عنها ، وما تتطلبه من التحقيق والتعليق .

كما أرانى قد حببت إلى شبابنا المتعلمين أن يجتنوا من ثمر الأدب العربى الشهى ، وينهلوا من مناهله العذبة ، ويلفوا فيه من فصاحة اللسان ، ورصانة البيان ، مايؤمنون معه بثراء لغتهم ، وعلو كعبها ، وسمو مكانتها ؛ بين لغات الأمم ، أجل لقد كان من أكبر البواعث التى حدت بى إلى تأليف

تينكم الجمهرتين ، مارأيته فى طلابنا المتأدبين من عزوف عن كتب الأدب العربىّ القديم وصدوف عنها ، لأنها عطل من الضبط ، خلو من التعليق والشرح ، فضلا عما أفعمت به من التحريف الشائن ، والتشويه الشنيع ، فهم إذا ما تاقت نفوسهم إلى مطالعتها لم يعتموا أن يمسهم الضيق والضجر ، ويستحوذ عليهم السأم والملل ، لوعورة مسلكها ، وصعوبة مرتقاها ، فسرعان ما يطوونها ، ويلقون بها دون أن يفيدوا منها ما ينشدون .

وإنى لا أستطيع أن أصور للقراء مبلغ ما عانيت من نصب فى هذا السبيل الذى يبدو لأول وهلة لاحِباً سهل المسلك ، وحسبى أن يطلعوا على عملى فيلمسوا بأيديهم مابذلته فيه من جهد مضن ، وكدّ ممضّ ، ضحيت فيه بالكثير من وقتى وراحتى ، وبالنفيس من صحتى وقوتى ، لا أبتغى بذلك مالا ولا صيتاً ، ولا ألتمس فيه جزاء إلا من العدل القدير ، وإنما هو واجب البر بهذه اللغة الشريفة ، والإخلاص فى خدمتها والوفاء لها ، حفزنى أن أضع حجراً فى بنيان نهضتها ، وأنظم خرزة فى عقد زينتها .

اللهم سدد إلى طريق الخير خطانا ، ووفقنا إلى ما تطيب به ذكرانا ، وتحمد به عقبانا ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا ؟

أحمد زكى صفوت

وحرر بالقاهرة فى { المحرم ١٣٥٦
إبريل ١٩٣٧ }

فهرس

مآخذ الرسائل فى هذا الجزء

أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لعز الدين بن الأثير.	: الجزء الأول ـ الثانى ـ الثالث ـ الرابع
الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى	: الجزء الثالث ـ السادس
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : للمقريزى	: « الأول
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : للسيوطى	: « الأول
معجم البلدان : لياقوت الحموى	: « الثانى ـ الثالث ـ الرابع ـ الخامس
تهذيب تاريخ ابن عساكر	: الجزء الأول ـ الثانى ـ الثالث
الروض الأنف : للسهيلى	: « الثانى
البيان والتبيين : للجاحظ	: « الثانى
نهج البلاغة : للشريف الرضى	: « الثانى
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد	: المجلد الأول ـ الثانى ـ الثالث ـ الرابع
زهر الآداب : لأبى إسحق الحصرى	: الجزء الأول
الكامل : للمبرد	: « الأول ـ الثانى
لسان العرب : لابن منظور	: الجزء السادس ـ السابع
أشهر مشاهير الإسلام: لرفيق بك العظم	: « الثالث ـ الرابع
الإمامة والسياسة : لابن قتيبة	: « الأول

الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الثانى
مروج الذهب : للمسعودى : « الأول ـ الثانى
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « السابع
عيون الأخبار : لابن قتيبة المجلد الثانى
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : الجزء الأول
لابن تغرى بردى . :
المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر :
لضياء الدين بن الأثير . :
الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى :
الله عليه وسلم : للقاضى عياض . :
خاص الخاص للثعالبى :
الخراج : لأبى يوسف :
فتـــوح الشام : لأبى إسمعيل محمد :
ابن عبد الله الأزدى البصرى . :
ثمرات الأوراق : لابن حجة الحموى :
إعجاز القرآن : لأبى بكر الباقلانى :
فتوح البلدان : للبلاذرى :
تاريخ آداب اللغة العربية : للأستاذ :
حسن توفيق . :
مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

فهـــرس الرسائل

الباب الأول

الرسائل فى العصر الجاهلى

الباب الثانى

الرسائل فى عصر صدر الإسلام

كتب سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتصل بها

خلافة الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

ق

ك

م

ن

تم فهرس الكتاب

فهـــرس

بعض ماورد فى الهـامش من الفوائد التى قد يحتاج القارئ إلى مراجعتها

فهـــرس

الأمثال التى ورد شرحها فى الهـامش (عدا أمثال أكثم بن صيفى الواردة فى رسالتيه من ص ١٩ إلى ص ٢٤)



جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٦	١٤ [illegible]	عيسى بن موسى (١)	موسى بن عبسى
١٩	الأخير هامش	لدبات	الديات
٣٧	٧	ولا متناصرين	ولا متناصَر
٤٢	الأخير هامش	للقسلانى	للقسطلانى
٤٣	١١	و تبتم	وآتبتم
٤٦	٦	جعفر	جيفر
٥١	٧	ود ْيَة	ودِحْيَة
٥٨	١١	أى نها	أى أنها
٥٨	٢٢	بالحر نه	بالجزية
٦٠	١	لا مْقوّره	لا مُقْوَرَة
٦٨	١١	و توُا	وآتوُا
١٠١	١٣	وخصّة	وخصّه
١٠١	١٥	بدا	بدا
١٣٩	٧	الرّساتيق	الرّسايق
١٤٣	٥	من عباده	من عبادِهِ

(١) ورد ى هامش هده الصمحه : « أقول · والأمير المذكور هو عدى ں موسى . انتهى وهو سهو مى ، والصواب موسى ں عسى كما ورد ى حد ث الطرى ــ وكاں موسى والٓا على الــكوىة ى عهد الرشد ــ ا طر ىارىخ الطرى ١٠ : ١١٣

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
سعدِ هذيم	سعدُ هذيم	١٢	١٤٣
ولا تصبِرُ	ولا تصبِرْ	٥	١٤٥
وجاءهم	وجا هم	٥	١٥٥
الجرّاح	الجراح	١٥	١٥٨
نُذَكِّرْكَ	نَذَكُّرِك	٦	١٥٩
مؤنةَ	مؤنةً	٦	١٧٠
وقسيسيهم	وقسيسهم	١٥	١٨٢
أعطَوُا الذى	أعطَوْا الذى	١٥	١٩٣
ونصُّه	ونصَّه	٥	١٩٤
أُريد	أَريد	٢	٢٠١
امْرأ	امرا	١	٢٠٢
آمن	من	٢	٢٠٨
أهل	أُهل	٦	٢١٠
والثياب	واليياب	٩	٢١٤
يُحريك	يَحْريك	الأخير	٢١٤
شبعت أنت ومن معك ، أن	شبعت أنت ، ومن معك أن	١١	٢١٥
وأعجبَهم	وأعجبْهم	١	٢١٧
ولا مال لى	ولا مالى لى	١٦	٢٢٣
غزارا	غرارا	١٨ في ح	٢٢٨

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٧٩	١	أهل لأرمينية	لأهل أرمينية
٢٨١	٦	لمن لا خُلَق	لمن لا خَلَق
٣٠٨	١٠	أ كـ ٓ ه	أكَلَه
٣١٩	١	وما قومَ	وما قومُ
٣٣٠	٢٥	فضرست	فضربت
٣٣٠	٢٦	سغيا	سغبا
٣٣٦	٥	الممل	العمل
٣٤٢	٢	دلك	ذلك
٣٧٦	١١	خرجتَ	خرجتُ
٣٨٣	٥	حتى عليه	عليه حتى
٣٩٠	١٠	أتخذّ	أتخذَ
٤١٢	١٨ ه ر	الخوّاص	الخواصّ
٤٢٦	٤	قَـ ْ ًّا	قَهْرًا
٤٢٧	٦	مما كسبوا	مما كسبوا
٤٥٠	٢٤	ابن الحديد	ابن أبي الحديد
٤٥٠	٢٩	مخروم	مخزوم
٤٥٤	١٣	ظاعر	ظاهر
٤٦٢	١٠	فيَرَدّ	فيُرَدّ
٤٦٧	٣	بابن	يابْنَ

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٧٣	٥	القسطنطيبيةِ	القسطنطينيةَ
٤٨٣	١	عبر	عير
٤٩١	١٥	رشعه	وشيعنه
٤٩٢	٨	فى	نوّقى
٥١٢	١٠	وابسُ	وابسْ
٥٣٠	٢	فلمَ	فلمْ
٥٣٨	١٥	مُستَطىرا	مُستَطىرا
٥٥٠	١٣	آسِى	آسى
٥٥٤	١١	ما تهَوَىان	ما تهْوَىان
٥٨٢	٧	رداه	رداءه
٥٩١	١٨	لفوا	افوا
٥٩٥	١٧	طغاتهم	طعامهم
٥٩٧	٢	وإياكَ	وإياكِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسائل

فى

العصر الجاهلى

لسنا نَعْرِض فى هذا المقام للكلام على نشأة الكتابة العربية وتاريخها فى العصر الجاهلى ، وإنما يعنينا هنا أن نقول : إن جمهرة العرب فى ذلك العصر كانت مُتبَدِّيَة[1] ، فلم تكن الكتابة فيهم فاشية ، ولذا كانوا يعتمدون فى تراسُلهم على المشافهة ، فيبعثون برسالاتهم شفهيَّةً مع أُمَناء ينتجبونهم[2] لإبلاغها ، وكانوا يحفظون بآثارهم الأدبية فيستظهِرونها فى الصدور ، ويتناقلونها على الألسن ، ولم يزاولوا من العلوم والفنون ما يقضى عليهم أن يدوِّنوه ويقيدوه فى سِجِلّ يَدْرَأ عنه عادِيَةَ الضياع والامِّحاء .

أما أهل الحاضرة منهم فقد ألمّوا بالحضارة بعض الإلمام ، وكانوا يمارسون الكتابة ، ويتبادلون الرسائل المكتوبة ، ولكنهم لتقادُم العهد لم يُؤْثَر عنهم إلا رسائلُ قلائل معدودة ، سنُوردها لك بعدُ ، وهى لنُزُورتِها[3] لا تَقِفُنا على صورة صحيحة تامة لكتابة الرسائل فى ذلك العهد .

---

(١) تبدّى . أقام بالبادية . (٢) انتجبه : اختاره .
(٣) نزر الشىء . ككرم نزراً ونزارة (بالفتح) ونزورة ونزورا (بالضم) : قلّ .

١ — كتاب المنذر الأكبر إلى أنوشروان

روى أن المنذر الأكبر(١) أهدى إلى أنُوشِرْوانَ جارية، كان أصابها إذ أغار على الحَرِث الأكبر بن أبى شَمِر الغَسّانى(٢)، فكتب إلى أنوشروان بصفتها، فقال :

« إنى قد وجَّهْتُ إلى الملك جاريةً معتدلةَ الخَلْق، نقيّةَ اللونِ والثَّغر بيضاءَ قَمْراء، وَطْفَاءَ كَحْلاء، دَعْجاء حَوْراء عَيْناء، قَنْواء شَمّاء، بَرْجّاء زَجّاء(٣)،

---

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس اللخمى ملك الحيرة ، وقد اشتهر بأمه ، فقيل له : المنذر ابن ماء السماء (سميت بذلك لحسنها وجمالها ، واسمها ماوية) وهو جد النعمان بن المنذر صاحب النابغة الديانى ، وقد ولى إمارة الحيرة من سنة ٥١٤ إلى سنة ٥٦٣ م ماعدا فترة طرده فيها قباذ ملك الفرس ، وقتل فى حربه مع الحرث بن أبى شمر الغسانى يوم أباغ (وأباغ كغراب : موضع بين الكوفة والرّقة) ، وكانت إمارة الحيرة (وهى على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف) يليها المناذرة من قبل ملوك الفرس . ومعنى أنو شروان : صاحب العقل الراجح .

(٢) هو الحرث الأعرج بن أبى شمر جبلة الغسانى أحد ملوك الغساسنة ، ويلقبه مؤرخو العرب بالأكبر كما ترى ، وقد رجعت إلى سلسلة ملوك الغساسنة فى الجدول الذى وضعه الأستاذ برسيفال فى كتابه « العرب قبل الإسلام » . فوجدت أن الحرث الملقب بالأكبر هو أبو شمر جبلة ، وهو الحرث الرابع الذى ولى من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٩ م ، وأن من يلقبه مؤرخو العرب بالأكبر هو ابنه الحرث الأعرج هذا ، وهو الحرث الخامس الأوسط الذى ولى من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٧٢ م . ولعلهم لقبوه بالأكبر لقوة سلطانه وعظم شأنه ، وكانت إمارة الغساسنة بالشام يليها ملوك غسان من قبل الدولة الرومانية الشرقية ، وقد عين الحرث بن أبى شمر من قبل العاهل الرومانى جوستنيان (الذى حكم من سنة ٥٢٧ إلى سنة ٥٦٥ م) .

قال المسعودى فى مروج الذهب ج ١ : ص ٢٩٩ « وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان وغيرها من غوطة دمشق وأعمالها ، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام » . وقد نشبت بين المناذرة والغساسنة حروب شديدة امتلأت بها كتب التاريخ .

(٣) الثغر : الأسنان . ووجه أقمر : مشبه بالقمر ، وقال ابن قتيبة « الأقمر : الأبيض الشديد البياض ، والأنثى قمراء » . ووطفاء : وصف من الوطف بالتحريك ، وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين والأشفار مع استرخاء وطول . وكحلاء : وصف من الكحل بالتحريك ، وهو سواد يعلو الجفون خلقة . والدعج بالتحريك والدعجة بالضم : شدة سواد العين مع سعتها . والحور بالتحريك : شدة سواد المقلة فى شدة بياضها فى شدة بياض الجسد . والعين بالتحريك ، والعينة بالكسر : عظم سواد العين فى سعة . وقنا الأنف : ارتفاع أعلاه ، واحديداب وسطه ، وسبوغ طرفه ، وهو أقنى ، وهى قنواء . والشمم =

أسيلة الخدّ، شَهِيّة المُقبَّل ، جَثْلة الشعر ، عَظيمة الهامة[1] ، بَعِيدة مَهْوى القُرْط ، عَيْطَاء عريضة الصدر ، كاعِبَ الثّدْى ، ضَخْمة مُشاش المَنكِب والعَضُد ، حَسَنَة المِعْصَم ، لطيفةَ الـكفّ، سَبطة البَنان ، ضامرة البطن، خَمِيصة الخَصْر[2]، غَرْثَى الوِشاح ، رَدَاحَ الأَقْبَال، رابيةَ الـكَفَل، لَفَّاء الفَخِذين ، رَيَّا الرّوادِف ، ضَخْمة المأْكَمَتَيْن ، عظيمة الرُكبة ، مُفْعَمة الساق ، مُشْبَعَة الخَلْخال[3]، لطيفة الـكَعْب والقَدَم ، قَطُوفَ المَشْى ، مِكسال الضُّحَى بَضَّة المُتجَرَّدِ[4] ، سَمُوعًا للسَّيِّد ، ليست بخَنْساء ولا سَفْعاء ، رقيقة الأنف ،

بالتحريك: ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة ، وهو أشم، وهى شماء . والبرج بالتحريك : تباعد ما بين الحاجبين ، وقيل هو سعة العين فى شدة بياض صاحبها ، وقيل سعة بياض العين وعظم المقلة وحسن الحدقة ، وقيل أن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله . والزجج بالتحريك : دقة الحاجبين فى طول .

(١) الخد الأسيل : الطويل المسترسل ، وفعله كـكرم . وفى الطبرى وابن الأثير . « شهية القد » محل قوله « شهية المقبل » والشعر الجثل : الكثير الملتف ، وفعله كسمع وكرم ، والهامة : الرأس .

(٢) بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق ، قال الشاعر :

أكات دما إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

والعيط محركة: طول العنق والعنط أيضاً محركة : طول العنق وحسنه ، أو الطول عامة . وكعب الثدى ، كضرب ونصر : نهد . والمشاش جمع مشاشة : وهى ما أشرف من عظم المنكب . والمعصم : موضع السوار (أواليد) . وسبطة : طويلة ، وفى الطبرى وابن الأثير « الطامة على البطن » . بدل قوله « ضامرة البطن » . وخميصة : ضامرة .

(٣) الغرث بالتحريك : الجوع ، وهو غرثان وهى غرثى . والوشاح بالضم والكسر : أديم عريض يرصع بالجوهر، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، ويقولون امرأة غرثى الوشاح : أى خميصة البطن دقيقة الخصر ، ووشاح غرثان: لا يملؤه الحصر ، فكأنه غرثان . وامرأة رداح : عجزاء، ثقيلة الأوراك، تامة الخلق . والأقبال بالفتح : ما استقبلك من مشرف ، جمع قبل بالتحريك ، والمعنى : أنها رابية الوركين مشرفتهما ، أو هو الإقبال بالكسر : أى ممتلىء ما تقبل به من ساقيها ووركيها . وفى الطبرى وابن الأثير « رداح القبل » . والكفل : العجز . واللفاء : الضخمة الفخذين . وريا : ممتلئة ، مؤنث ريان . والردف بالكسر : الكفل والعجز ، وخص بعضهم به عجيزة المرأة ، والجمع أرداف ، والروادف : الأعجاز ، قال ابن سيده : ولا أدرى أهو جمع ردف نادر أم هو جمع رادفة . والمأكمة وتكسر كافه : لحمة على رأس الورك . ومفعمة . ممتلئة . وأراد بالخلخال المخلخل : أى موضعه من الساق .

(٤) القطوف من الدواب : المتقارب الخطو البطيء ، وقد يستعمل فى الأناسى ، وفعله كضرب . ومكسال الضحى: كناية عن التنعم ، وهو كقول امرئ القيس « نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل »

عزيزة النفس(١)، لم تُغْذَ في بؤس، حَيِيَّة حَصِينة رَزِينة، حليمة رَكِينة(٢)، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فَصِيلتها، وتستغنى بفَصِيلتها دون جِماع قبيلتها. قد أحكمَتْها الأمورُ في الأدب، فرأيُها رَأْىُ أهل الشرف، وعَمَلُها عَمَلُ أهل الحاجة، صَناع الكفَّين، قطيعة اللسان(٣)، رَهْوَة الصوت ساكِنَته، تَزِين الوَلِيّ(٤)، وتَشِين العدوّ، إن أردْتَها اشتهَتْ، وإن تركتَها انتهت، تُحَمْلِق(٥) عيناها، وتحمَرُّ وَجْنَتاها، وتَذَبْذَبُ شفتاها، وتبادِرُك الوَثْبَةَ إذا قمتَ، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست».

(الأغانى ج ٢ : ص ٢٨، وتاريخ الطبرى ج ٢ : ص ١٥٠، وتاريخ الكامل لابن الأثير ج ١ : ص ٢١٨)

٢ — كتاب عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين
«صحيفة المتلمس»

وروى أن طَرَفَة بن العَبْد وخالَه المُتَلَمِّسَ — واسمه جَرِير بن عبد المَسِيح(٦) — كانا ينادمان عَمْرو بن هِنْد(٧) ملك الحِيرة، فهَجَواه، فكتب لهما إلى

= والبضة : الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة. والمتجرد إن كسرت راؤه، فهو الجسم : أى الجسم المتجرد، وإن فتحت فهو مصدر ميمى : أى بضة عند التجرد.

(١) الخنس بالتحريك : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة، وهو أخنس وهى خنساء. والسفع بالتحريك، والسفعة بالضم : فى الوجه سواد فى خدى المرأة الشاحبة، وفى الطبرى وابن الأثير : «ذليلة الأنف، عزيزة النفر» وعليه، فمعنى ذليلة الأنف أنها طيعة سلسة القياد.

(٢) الحصينة : العفيفة. والركينة : الرزينة. (٣) امرأة صناع اليدين : ماهرة حاذقة. وقطيعة : مقطوعة، والمعنى أنها تكف لسانها، ابست بكثيرة الكلام ولا بذيئة.

(٤) الرهو : الساكن، والرهو : المكان المنخفض (والمرتفع أيضاً)، والمعنى : ساكنة الصوت منخفضته، وفى الطبرى وابن الأثير : «تزين البيت» محل قوله «تزين الولى».

(٥) حملق : فتح عينيه ونظر شديدا، والمراد تحملق لبعلها.

(٦) كذا فى الأغانى، وفى الشعر والشعراء أيضا؛ وفى مجمع الأمثال «عبد المسيح بن جرير».

(٧) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء، آل إليه الملك بعد قتل أبيه فى يوم عين أباغ، ويعرف باسم أمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث (الشاعر المشهور)، وكان يلقب بمضرط الحجارة لشدته وقسوته، وقد ولى إمارة الحيرة من سنة ٥٦٣ إلى سنة ٥٧٨ م.

المُكَعْبَر عامله على البَحْرين كتابين ، أو همهما أنه أمر لهما بجائزة ، وكتب إليه يأمره بقتلهما ، فخرجا فلقيا غلاما من أهل الحيرة ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففكّ صحيفته ، ودفعها إليه ، فإذا فيها :

« بِاسْمِكَ اللهمّ[1] ، من عمرو بن هند إلى المُكَعْبَر . أما بعدُ فإذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، وادفنْه حَيًّا » .

---

(١) كانت قريش قبل البعثة تكتب فى أول كتبها « باسمك اللهم » وقد روى الرواة فى تعليل ذلك قصة سنوردها على علاّتها ، وللقارىء حكمه عليها ، وهى « ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس ، وأخبار من سلف ، كابن دأب والهيثم بن عدى وأبى مخنف لوط بن يحيى ومحمد بن السائب الكلبي : أن السبب فى كتابة قريش واستفتاحها فى أوائل كتبها باسمك اللهم هو أن أمية بن أبى الصلت الثقفى خرج إلى الشام فى نفر من ثقيف وقريش فى عير لهم . فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم ، إذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم ، فحصبها بعضهم بحجر فى وجهها فرجعت ، فشدوا على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصاً لها ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا رحيمة ، (وفى رواية : رحيبة ، وفى أخرى : رجيمة) الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشية ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قالت : أم العوام ، أرملت منذ أعوام ، أما ورب العباد ، لتفترقن فى البلاد ، ثم ضربت بعصاها الأرض ، وأثارت بها الرمل ، وقالت : أطيلى إيابهم ، ونفرى ركابهم . فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير منها شيطانا ، ما يملكون منها شيئا ، حتى افترقت فى البوادى ، فجمعوها من آخر النهار إلى غدوة ، فلما أناخوا الرواحل ، طلعت عليهم العجوز ، وفعلت مثل فعلتها الأولى ، فتفرقت الإبل ، فجمعوها من غد ، فلما أناخوها ليرحلوها فعات العجوز مثل فعلها فى اليوم لأول والثانى ، فنفرت الإبل ، وأمسوا فى ليلة مقمرة ويئسوا من ظهورهم ، فقالوا لأمية ابن أبى الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك وعلمك ؟ فقال : اذهبوا أنتم فى طلب الإبل ودعونى ، فتوجه الى ذلك الكثيب الذى كانت تأتى منه العجوز حتى هبط من ثنيته الأخرى ، ثم صعد كثيبا آخر حتى هبط منه ، ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل ، فإذا رجل مضطجع معترض على بابها ، وإذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية ، قال أمية : فلما وقفت عليه ، رفع رأسه إلىّ وقال : إنك لمتبوع ؟ قلت : أجل ! قال : فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قلت : من أذنى اليسرى ، قال : فبأى الثياب يأمرك ؟ قلت : بالسواد ، قال : هذا خطيب الجن ، كدت والله أن تكونه ولم تفعل ! ان صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى ، فيأمره بلباس البياض ، فما حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز ، فقال : صدقت ، وليست بصادقة ، هى امرأة يهودية ، هلك زوجها منذ أعوام وإنها لن تزال تفعل بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت ، قال أمية : قلت فما الحيلة ؟ قال : اجمعوا ظهوركم ، فإذا جاءتكم وفعلت ما كانت تفعل ، فقولوا لها : سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل « باسمك اللهم » . فإنها لن تضركم ، فرجع أمية إلى أصحابه فأخبرهم بما قيل له ، وجاءتهم العجوز ففعلت كما كانت تفعل ، فقالوا : سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل « باسمك اللهم » فلم تضرهم ، فلما رأت الإبل لا تتحرك ، قالت : قد علمكم صاحبكم ، ليبيضن الله أعلاه ، =

فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك يقرؤها ، ففيها واللهِ ما في صحيفتي ! فقال طرفة : كلا ! لم يكن ليجترئَ عليّ ، فقذف المتلمس صحيفته في نهر الحيرة ، وأخذ نحو الشأم ، وأخذ طَرفةُ نحو البحرين ، فأتى المكعبَر ، فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا .

(الأغاني ج ٢١ : ص ١٢٧ ، ومجمع الأمثال للميداني ج ١ : ص ٢٧١)

٣ — كتاب عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي إلى قومه

وروى الطبري أن عبد العُزّى بن امرئ القيس الكَلْبيّ أهدى أفراساً إلى الحٰرِث بن مارِيَة الغسانيّ[1] ، ووفد إليه ، فأعجبتْه وأُعجِبَ بعبد العُزّى وحديثه ، وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم بن عوف من بني عبد وُدّ من كلب ، فنهشته حية ، فظن الملك أنهم أُغتالوه ، فقال لعبد العزّى : جئني بهؤلاء القوم ، فقال هم قوم أحرار ، وليس لي عليهم فضلٌ في نسب ولا فَعال[2] ، فقال : لتأْتِيَنِّي بهم ، أو لأَفعلَنّ ولأفعلن . . . فقال : رجونا من حِبائك[3] أمرًا حال دونه عِقابُك ، ودعا ابنيه شَراحِيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه :

= وليسودن أسفله ! وساروا فلما أدركهم الصبح نظروا إلى أمية قد برص في عذاريه ورفبته وصدره واسودّ أسفله ، فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث ، فكتبت قريش في أول كتبها « باسمك اللهم » . فكان أول ما كتبها أهل مكة ، وفي رواية : وكان أمية أول من كتب « باسمك اللهم » . إلى أن جاء الإسلام فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » . انظر مروج الذهب ج ١ : ص ٤٢ . والأغاني ج ٣ : ص ١٨١ . وصبح الأعشى ج ٦ : ص ٢١٧ .

(١) هو الحرث السادس الأصغر ابن الحرث الخامس الأعرج ابن أبي شمر الغساني ولي من سنة ٥٧٢ إلى سنة ٥٨٧ م ، ومارية أمه ، وهي مارية بنت ظالم بن وهب الكندي ، قال حسان بن ثابت :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل

وكان لها قرطان فيهما درتان كبيضتي الحمام لم ير الناس مثلهما ، وبهما ضرب المثل فقيل : « خذه ولو بقرطي مارية » يضرب في الشيء الثمين . أي لا يفوتنك بأي ثمن يكون .

(٢) الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم (أو يكون في الخير والشر) . (٣) الحباء : العطاء .

جزانى (جزاه ألله شرَّ جَزائه) جَزاء سِنِمّارٍ وما كان ذا ذنب[1]
سوى رَصِّه البُنْيانَ عشرين حِجَّةً يَعِلُّ عليه بالقَرَامِيدِ والسَّكْبِ[2]
فلمّا رأى البنيانَ تَمَّ سُحُوقُه وآضَ كَمِثل الطَّودِ ذِى البَاذِخِ الصَّعْبِ[3]
فأَتْهمَهَ من بعد حَرْسٍ وحِقْبَةٍ وقد هدَّه أهلُ المَشارِقِ والغَرْبِ[4]

---

(١) من أمثال العرب « جزاء سنمار » . أى جزانى جزاء سنمار ، وهو رجل رومى بنى قصر الخورنق بظهر الحيرة للنعمان بن امرئ القيس ، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخرّ ميتا ، وإنما فعل ذلك لئلا يبنى مثله لغيره ، فضربت العرب به المثل لمن يجزى بالإحسان الإساءة ، وورد فى تاريخ الطبرى ج ٢ : س ٧٢ « أنه لما مات امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى فى عهد يزدجرد ملك الفرس ، استخلف يزدجرد مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس ، قال وهو صاحب الخورنق ، وكان سبب بنائه الخورنق فيما ذكر أن يزدجرد كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل برى مرىء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكنا له وأنزله إياه ، وأمره بإخراجه إلى بوادى العرب ، وكان الذى بنى الخورنق رجلا يقال له سنمار ، فلما فرغ من بنائه تعجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم توفونى أجرى وتصنعون بى ما أنا أهله بنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنك لتقدر على أن تبنى ما هو أفضل منه ثم لم تبنه ! فأمر به فطرح من رأس الخورنق » .

وقال الميدانى فى مجمع الأمثال ج ١ : ص ١٠٧ « ويقال إن سنمار هو الذى بنى أطم أحيحة ابن الجلاح (والأطم بضمة وضمتين : القصر) ، فلما فرغ منه قال له أحيحة : لقد أحكمته ، قال : إنى لأعرف فيه حجراً لو نزع لتقوض من عند آخره (كذا) فسأله عن الحجر فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم فخر ميتا » وأورد صاحب القاموس هذا الخبر ، وقال كان سنمار غلاما لأحيحة .

(٢) الحجة : السنة . والقرمد بالفتح والقرميد بالكسر : الآجر ، وحجارة لها خروق يوقد عليها حتى إذا نضجت بنى بها ، قال ابن دريد : هو رومى تكلمت به العرب قديما . والسكب : النحاس أو الرصاص ويحرك . والعلل بالتحريك : الشرب بعد الشرب تباعا ، علّه يعله كضرب ونصر ، وعل الضارب المضروب : إذا تابع عليه الضرب ، ومعنى يعل عليه هنا : يتابع رفع البنيان ويواليه ، وربما كان الأصل « يعلى » . (٣) سحق النخل ككرم : طال ، ونخلة سحوق كصبور : طويلة (وسمق النخل أيضاً كنصر سمقا وسموقا : ارتفع وعلا وطال ، فهو سامق وسميق) وآض : صار . والطود : الجبل العظيم . والباذخ : العالى . والصعب : أى الصعب المرتقى .

(٤) اتهم الرجل وأتهمه وأوهمه : أدخل عليه التهمة أى ما يتهم عليه . والحرس : وقت من الدهر والحقبة : مدة من الدهر أيضاً . ويقال : فلان يهد بالبناء للمجهول : إذا أثنى عليه بالجلد والقوة ، ويقال : لهدّ الرجل (برفع الرجل) أى ما أجلده ، وفى الأصل « وقد هره » وهو تحريف (وهره : كرهه) وربما كان « وقد هزه » من هز الحادى الإبل : أى نشطها بحدائه ، والمعنى : أثنوا عليه .

وظنَّ سِنِمَّار به كلَّ حَبْرَةٍ ... وفاز لديه بالمَوَدَّة والقُرْب[1]
فقال اقذِفوا بالعِلْج من فوق بُرْجه ... فهذا لَعَمْرُ اللهِ من أعجب الخَطْب![2]
وما كان لى عند ابن جَفْنَةَ فاعلموا ... من الذنب ما آلى يمينا على كَلْب[3]
لِيَلْتَمِسَنْ بالخيل عُقْرَ بلادهم ... تَحَلَّلْ (أَبَيْتَ اللَّعنَ) من قولك المُزْبى[4]
ودون الذى مَنَّى ابنُ جَفْنَةَ نفسَه ... رجالٌ يَرُدُّون الظَّلُومَ عن الشَّغْب
وقد رامَنا مِن قبلك المرءِ حارثٌ ... فغُودِرَ مَسْلولاً لَدَى الأَكَمِ الصُّهْب[5]

(تاريخ الطبرى ٢ : ٧٣)

٤ — كتاب عدىّ بن زيد العبادى إلى أخيه أُبَىّ

ولما مات المُنْذر[6] بن المنذر بن ماء السماء ، ولَّى كسرى أَبْرَوَيز ابن هُرْمُز ملك الفرس ابنَه النُّعْمانَ بن المنذر على الحِيرة ، وكان عَدِيٌّ

---

(١) الحبرة : السرور . (٢) العلج : الرجل السديد الضخم ، والعلج : الرجل من كفار العلج ، والمراد به هنا سنمار وهو رومى كما تقدم لك . والخطب : الشأن والأمر .

(٣) ابن حفنة : يعنى به الحرث الأصغر المذكور ، وجفنة أحد أجداده ، وهو جفنه الأول ابن عمرو مزيقياء أول ملوك الغساسنة ، ولى من سنة ٢٠٥ إلى سنة ٢٤٨ م . وآلى : أقسم .

(٤) عقر الدار بالضم وبفتح : وسطها . وتحال من يمينه : إذا خرج منها بكفارة . وأبيت اللعن : من تحايا الملوك فى الجاهلية والدعاء لهم ، معناه : أبيت أن تأتى من الأمور ما تلعن عليه وتذم بسببه . والمزبى : المزعج ، جاء فى اللسان : « ... فقلت له كلمة أزبيه بها : أى أزعجه وأقلقه ، من قولهم أزبيت الشيء إذا حملته ، ويقال فيه زبيته ، لأن الشيء إذا حمل أزعج وأزيل عن مكانه » .

(٥) الأكم كسبب ، وعتق ، وأجبل ، وجبال ، وأجبال جمع أكمة كرقبة : وهى دون الجبل . والصهب جمع أصهب ، والأصهب من الإبل : الذى يخالط بياضه حمرة .

(٦) ولى من سنة ٥٨٢ إلى سنة ٥٨٥ م ، قيل إنه قتل يوم مرج حليمة فى حربه مع الحرث الأعرج الغسانى ، وكان قد سار إليه للطلب بثأر أبيه عنده ، وقيل إنه لم يقتل ، وولى ابنه النعمان ابن المنذر من سنة ٥٨٥ إلى سنة ٦١٣ م . وكسرى أبرويز هو الذى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، قال الزرقانى فى شرحه على المواهب ج ٣ : ص ٣٨٩ « بفتح الواو وكسرها ، ومعناه بالعربية المظفر » .

ابن زيد العِبادىّ وإخوته فى كتاب كسرى يترجمون له(١) ، وكان لعدى يَدٌ فى فوز النعمان بالإمارة ، إذ احتال له حتى آثَرَه بها كسرى دون إخوته(٢) ، فجعل أعداء عدىٍّ يكيدون له عند النعمان ، وَوَشَوا إليه أنه يقول : إن الملك « يعنى النعمان » عامِلُه ، وإنه هو وَلَّاه ماولاه ، فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، فأرسل إليه : عزَمتُ عليك إلاَّ زُرتنى ، فإنى قد اشتقت إلى رؤيتك ، وعدىٌّ يومئذ عند كسرى ، فاستأذن كسرى فأذِنَ له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه فى مَحْبِس لايدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدىّ يقول الشعر وهو فى السجن(٣) ، وكان كلما قال شعرا بلغ النعمانَ وسَمِعه ، فندم على حبسه إياه ،

(١) كان قابوس بن المنذر الأكبر (عم النعمان) بعث إلى كسرى أبرويز بن هرمز بعدىّ بن زيد وإخوته فكانوا من تراجمته ، وكان عدى شاعرا خطيبا ، وقد قرأ كتب العرب والفرس ، والعبادى نسبة إلى العباد بالكسر : وهم قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة ، فأنفوا أن يسموا بالعبيد وقالوا نحن العباد .

(٢) كان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان فى حجر عدى بن زيد فهم الذين أرضعوه وربوه ، وكان للمنذر ثلاثة عشر ولدا ، وكان يقال لهم الأشاهب من جمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً ، فلما مات المنذر دعا كسرى عدى بن زيد ، فقال له : من بقى من آل المنذر ، وهل فيهم أحد فيه خير ؟ قال : نعم ، إن فى ولد المنذر لبقية ، وفيهم كلهم خير ، قال : ابعث إليهم . فكتب فيهم ، فقدموا عليه ، فأنزلهم على عدى بن زيد ، فقال عدى للنعمان : لست أملك غيرك ، فلا يوحشنك ما أفضل به إخوتك عليك من الكرامة . فإنى إنما أغترهم بذلك ، ثم كان يفضل إخوته جميعاً عليه فى النزل والاكرام والملازمة ، ويريهم تنقصا للنعمان ، وجعل يخلو بهم رجلا رجلا ، فيقول لهم : إن سألكم الملك : أتكفوننى العرب ؟ فقولوا : نكفيكهم إلا النعمان ، وقال للنعمان : إن يسألك الملك عن إخوتك ، فقل له : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . وفى رواية الأغانى : (وجعل يخلو بهم رجلا رجلا : فيقول : إذا أدخلتكم على الملك ، فقال لكم : أتكفوننىالعرب فقولوا : نعم ! فاذا قال لكم : فان شذ أحدكم عن الطاعة وأفسد ، أتكفوننيه ؟ فقولوا : لا إن بعضنا لايقدر على بعض ، ليهابكم ولا يطمع فى تفرقكم ، ويعلم أن للعرب منعة وبأسا ، فقبلوا منه ، وخلا بالنعمان فقال له : إذا سألك هل تكفينى العرب ؟ فقل نعم ! فإذا قال لك : فمن لى باخوتك ؟ فقل له : إن عجزت عنهم فإنى عن غيرهم لأعجز !) ففعلوا جميعاً ما أمرهم به عدى ، فملك كسرى النعمان وكساه وألبسه تاجا.

(٣) أورد صاحب الأغانى فى هذا الخبر عدة مختارات من قصائد مطولة قالها فى سجنه ، ثم عقب عليها بقوله : « هذه رواية الكلبى فى قصائد كثيرة كان يقولها فيه ، ويكتب بها إليه ، فلا تغنى عنده شيئاً » فارجع إليها إن شئت .

وجعل يُرسل إليه ويَعِده ويُمَنّيه ، ويَفْرَقُ أن يُرسله فيَبْغِيَه الغوائلَ . فلما طال سَجْن عدى كتب إلى أخيه أُبَىّ وهو مع كسرى بشعر فقال :

أَبلِغْ أُبَيًّا على نأيه (وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ)[1]
بأنّ أخاكَ شَقيقَ الفؤا د كنت به واثقاً ماسَلِمْ[2]
لَدَى مَلِكٍ ، مُوثَقٌ بالحديد ، إمَّا بِحَقٍّ وإما ظُلِمْ
فلا أَعرِفَنْك كذاتِ الغُلا مِ مالم تَجِدْ عَارِمًا تَعْتَرِمْ[3]
فَأَرْضَكَ أَرْضَكَ إنْ تأتِنا تَنَمْ نَوْمةً ليس فيها حُلُمْ[4]

٥ — رد أخيه أُبَىّ عليه

فكتب إليه أخوه :

إن يكن خانك الزّمانُ ، فلا عا جِزُ بَاغٍ ، ولا أَلَفٌ ضعيفُ[5]

---

(١) هذا البيت دخله الخرم . (٢) فى الطبرى «كنت به والهاً».

(٣) ورد هذا البيت فى الأغانى والطبرى :

فلا أعرفنك كدأب الغلا م مالم يجد عارما يعترم

وهو تحريف ، والصواب ما ذكرنا ، والتصحيح عن لسان العرب ، وإليك ماجاء فيه « عرم الصبي» أمه (كنصر) : رضعها ، واعترم ثديها : مصه ، واعترمت هى : تبغّت من يعرمها . قال :

ولا تلفين كأم الغـلا م إن لم تجد عارما تعترم

يقول : إن لم تجد من ترضعه درت هى ، خلبت ثديها ، وربما رضعته ثم مجته من فيها ، وقال ابن الأعرابى : إنما يقال هذا المتكاف ما ليس من شأنه ، أراد بذات الغلام : الأم المرضع إن لم تجد من يمص ثديها مصته هى ، قال الأزهرى : ومعناه لا تكن كمن يهجو نفسه إذا لم يجد من يهجوه » . وعلق عليه مصححه ، فقال : « قوله : أراد بذات الغلام ... الخ هذه عبارة الأزهرى لانشاده له : « كذات الغلام » وأنشده فى المحكم « كأم الغلام » . (٤) فى الأغانى : « تنم ليلة » .

(٥) الألف : الرجل الثقيل البطىء ، واللفف فى الكلام (بالتحريك) ثقل وعى مع ضعف ، رجل ألف : أى عيى بطىء الكلام إذا تكلم ملأ لسانه فمه ، وفى الأغانى : « باغ » ، وهو تصحيف .

وَيَمِينِ الإِلٰهِ ! لو أَنَّ جَأْوَا ءَ طَحُونًا تُضِيءُ فيها السيوفُ(١)
ذاتَ رِزٍّ مُجْتَابَةً غَمْرَةَ المو تِ صحيحٌ سِرْبَالُها مكفوفُ(٢)
كنتَ فى حَمْيِها ، لجئتُك أسعَى فاعلَمَنْ لو سمعتُ ، إذ تستضيفُ(٣)
أو بمالٍ سُئِلْتُ دونك لمْ يُمْـ ـنع تِلادٌ لحاجـــة أوطَرِيفُ(٤)
أو بأرضٍ أسْطِيعُ آتِيكَ فيها لم يَهُلْنى بَعِيدُها أو مَخُوفُ(٥)
فى الأعادى وأنت منى بعيد عَزَّ هـــذا الزمانُ والتعنيفُ(٦)
إن تَفُتْنِى واللهِ إلفًا فَجُوعًا لا يُعَقِّبْك مايَصُوبُ الخريفُ(٧)
فَلَعَمْرِى لَئن جَزِعْتُ عليه لَجَزُوعٌ على الصديق أَسُوفُ(٨)

---

(١) جأى الشىء كسعى جأيا وجأوا : ستره وغطاه ، وكتيبة جأواء : بينة الجأى ، وهى التى يعلوها لون السواد لكثرة الدروع . والطحون : الكتيبة ذات الشوكة والكثرة تطحن ما لقيت .
(٢) الرز : الصوت تسمعه من بعيد أو أعم ، أوصوت الرعد . مجتابة : أى مقتحمة مخترقة ، جاب واجتاب : قطع وخرق . والغمرة : الشدة . والسربال : الدرع ، أو كل ما لبس . وكف الثوب : خاط حاشيته ، وهى الخياطة الثانية بعد الشل ، ومنه قولهم : « عيبة مكفوفة » : أى مشرجة مشدودة على ما فيها ، وستأتى فى كتاب صلح الحديبية .
(٣) حميت النار كرضى حما وحموا : اشتد حرها . واستضاف : استغاث . (٤) التلاد والتليد والتالد والمتلد : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك . والطارف والطريف : المال المستحدث .
(٥) هاله الأمر : أفزعه ، وفى الأغانى : « بعد بها » .
(٦) فى الطبرى « والتعريف » وأراه محرفا والصواب « والتعنيف » كما فى الأغانى والمعنى : ليس يجدى تعنيفنا الزمان ولومنا إياه وعتبنا عليه فيما رمانا به من خطوبه وملماته ، وهو كقول القائل :

أخلاى لوغـــير الحمام أصابكم عتبت ، ولكن ما على الدهر معتب

أو عزّ بمعنى غلب (عزه كمدّه : غلبه) والتعنيف بمعنى الإيلام ، أى غلبنا الزمان على أمرنا وقهرنا بمؤلماته وفواجعه .
(٧) إلفا حال من فاعل تفتنى . وفجوعا مبالغة من فاجع . لايعقبك : لايخلفك . والخريف : المطر فى فصل الخريف ، وأول المطر فى أول الشتاء . وصاب المطر صوبا : نزل ، وكنى بصوب الخريف عن الخير والنعمة ، والمعنى : إن تذهب عنى وتفجعنى بعدك ، فإن ما ألقاه بعدك من نعمة — وإن جلت — لن تكون خلفا عنك ، ولن أرى فيها بديلا منك ، وفى الأغانى : « إن يعنى والله إلف فجوع لا يعنيك ... » ، وهو تحريف . (٨) الأسوف والأسيف : الحزين .

ولَعَمْرِى لئن ملكتُ عَزَائِى   لَقليلٌ شَرْواكَ فيما أُطوفُ[١]

فلما قرأ أُبَىٌّ كتاب عَدِىّ قام إلى كسرى فكلمه فى أمره وعرّفه خبره ، فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، ولكن النعمان اغتاله ، وتقدَّم إلى رسول كسرى أن ينبئه بأنَّ عديا قد مات قبل أن يَقْدَم عليه[٢] .

(تاريخ الطبرى ٢ : ١٤٩ ، والأغانى ٢ : ٢٦)

٦ — كتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى

وندم النعمان على قتل عَدِىّ . وعَرَف أنه احتيل عليه فى أمره ، واجترأ أعداء عدِىّ على النعمان ، وهابهم هَيْبةً شديدة ، ثم إنه خرج الى صيده ذات يوم فلقِىَ ابنا لعدى يقال له زيد ، فلما رآه عرَف شبهه فقال له : من أنت ؟ فقال: أنا زيد بن عدى بن زيد، فكلَّمه فإذاغلام ظريف،ففرح به فرحاشديداً،وقرَّبه وأعطاه ووَصَله ، واعتذر إليه من أمر أبيه وجهَّزه ، ثم كتب إلى كسرى :

---

(١) الشروى : المثل .

(٢) وذلك أن أبيا كان قد تقدم إلى رسول كسرى ورشاه وأمره أن يبدأ بعدىّ ، وقال له : ادخل عليه فانظر ما يأمرك به ، فدخل لرسول على عدى ، فقال : إنى قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندى الذى تحب ، ووعده عدة سنية ، وقال له : لاتخرجن من عندى ، وأعطنى الكتاب حتى أرسله إليه ، فإنك والله إن خرجت من عندى لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله إليه ، فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى قد دخل على عدى وهو ذاهب به ، وإن فعل لم يستبق منا أحداً أنت ولا غيرك ، فبعث إليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه ، ودخل الرسول على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهبا وجارية حسناء ، وقال له إذا أصبحت فادخل عليه فأخرجه أنت بنفسك ، فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأعلمه الحارس أنه قد مات منذ أيام ، فلم نجترئ على أن نخبر الملك للفرق منه وقد علمنا كراهته لموته : فرجع إلى النعمان فقال: إنى قد دخلت عليه وهو حى ! فقال له النعمان ، أيبعث بك الملك إلىّ فتدخل إليه قبلى ؟ كذبت ! ولكنك أردت الرشوة والخبث ، فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمه ، واستوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول إلى كسرى فقال : إنه قد مت قبل أن أدخل عليه .

« إن عديا كان ممن أُعِينَ به الملك فى نُصحه ولُبِّه ، فأصابه مالا بُدَّ منه ، وانقطعت مُدّته ، وانقضى أجلُه ، ولم يُصَبْ به أحد أشدَّ من مصيبتى ، وأمّا الملِكُ فلم يكن لِيَفقِدَ رجلا إلا جعل الله له منه خَلَفا ، لِمَا عظَّم الله من ملكه وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلح لخدمة الملك فسرَّحْته إليه ، فإن رَأَى الملك أن يجعله مكان أبيه فلْيَفْعَلْ ، وليصرِفْ عَمّه عن ذلك إلى عمل آخر » .

فلما قَدِم الغلام على كسرى ، جعله مكان أبيه ، وصرف عمه إلى عمل آخر، فكان هو الذى يلى المكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب فى أمورها ، وفى خواصّ أمور الملك . (تاريخ الطبرى ٢ : ١٥٠ ، والأغانى ٢ : ٢٧)

٧ — كتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى

وروى صاحب العقد الفريد أن النعمان بن المنذر قَدِم على كسرى ، وعنده وفودُ الروم والهند والصين ، فذَكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الأمم ، لايستثنى فارِسَ ولا غيرها ، فانبَرَى كسرى يعدِّد مآثِرَ الأمم ومَفاخِرها ، ثم تنقَّص العرب ، وهجَّن[1] أمرهم وامتهنهم ، فردَّ عليه النعمان مُفنِّدًا قوله ، مُباهياً بمَناقِب العرب ومحاسنها .

فلما رجع إلى الحِيرة ، وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، بعث إلى بعض وجوه العرب[2] ، فاقتصَّ عليهم مقالاتِ كسرى ، وما ردَّ

(١) هجنه : قبحه . (٢) بعث إلى أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة التميميين ، وإلى الحرث ابن عباد ، وقيس بن مسعود البكريين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمى ، وإلى عمرو بن معديكرب الزبيدى ، والحرث بن ظالم المرى وقد أتيت على خطبهم ، وما ردّ به كسرى عليهم فى كتابى « جمهرة خطب العرب ج ١ : ص ١٥ »

عليه ، وقال لهم : الرأى أن تسيروا بجماعتكم أيُّها الرَّهْطُ ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطَقَ كل رجل منكم بما حَضَرَه ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدَّثَتْه نفسه ، ثم جَهَزَّهم وكتب معهم كتابا وهو :

« أما بعدُ ، فإن الملك أَلْقَى إلىّ من أمر العرب ما قد عَلِمَ ، وأجبْتُه بما قد فهِم ، مما أحببتُ أن يكون منه على عِلْم ، ولا يتلجلج فى نفسه أن أمة من الأمم التى احْتَجَزَتْ دونه بمملكتها ، وحَمَتْ ما يليها بفضل قوتها ، تبلُغها فى شىء من الأمور التى يتعزَّز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكِيدة ، وقد أوفدتُ أيها الملك رَهْطًا من العرب ، لهم فضلٌ فى أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فليَسْمع الملك ، وليُغْمِضْ عن جَفاء إن ظهر من مَنْطِقْهم ، وليُكْرمنى بإكرامهم وتعجيل سَراحهم ، وقد نسبْتُهم فى أسفل كتابى هذا إلى عشائرهم » . (العقد الفريد ١ : ١٠٣)

٨ — كتاب عبد المطلب بن هاشم إلى أخواله بيثرب

وروى الطَّبَرى أن هاشم بن عبد مَناف كان شخَصَ فى تجارة له إلى الشام ، فسَلَك طريق المدينة إليها ، فلما قدِمَ المدينة نزل على عَمْرو بن زيد الخَزْرَجى ، من بنى عَدِىّ بن النجار فخطب إليه ابنَته سَلْمَى ، فأنكحه إياها ، وشَرَط عليه ألاّ تَلِد ولداً إلا فى أهلها ، ثم مضى هاشم لوِجْهته قبل أن يَبْنِىَ بها ، ثم انصرف راجعاً من الشام ، فبنَى بها فى أهلها بيَثْرِب فحَمَلَتْ منه ، ثم ارتحل إلى مكة وحَمَلها معه ، فلما أثْقَلَتْ ردّها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فمات بها بغَزَّة ، فولدت له سامى عبد المطلب ـ وكان اسمه شَيْبَة ـ فمكث بيثرب سبع سنين أو ثمانى سنين .

ثم إن عمّه المطَّلِب بن عبد مناف خرج إلى المدينة ليأتى بابن أخيه ، فأقبل به إلى مكة قد أردفه ، فإذا لَقِيه اللّاقى وقال : من هذا وراءك يا مطَّلبُ ؟ قال : عبدٌ لى ، فسمِّى عبد المطلب .

فلما قَدِم مكةَ وقفَه على ملْك أبيه وسلَّمه إليه ، فعرَض له عمُّه نَوفَلُ ابن عبد مناف فى رُكْحٍ[1] له ، فاغتصبه إياه ، فمشى عبد المطلب إلى رجالات قومه ، فسألهم النُّصْرةَ عَلَى عمه ، فقالوا : لسنا بداخلين بينك وبين عمك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخوالِه يَصِف لهم حالَ نوفل ، وكتب فى كتابِهِ :

أبلِغْ بنى النَّجَّار إن جِئْتَهُمْ ... أنِّىَ منهمْ وابْنُهُمْ والحَمِيسْ[2]

رأيْتُهمْ قوما إذا جئْتُهمْ ... هَوُوا لِقائى وأحبُّوا حَسِيسْ[3]

فإن عمِّى نَوْفلا قد أَبَى ... إلاَّ التى يُغْضِى عليها الخَسِيسْ

فخرج أبو أسعد بن عُدَس النجَّارى فى ثمانين راكباً حتى أتى الأَبْطَحَ[4] ، فتلقاه عبد المطلب ، وكان نوفل جالساً فى الحِجْر[5] فى مشايخ قريش ، فأقبل أبو أسعد حتى وقف على رأسه ، ثم استلَّ سيفه ، ثم قال : ورَبِّ هذه البَنِيَّة[6] لَتَرُدَّنَّ على ابن أختنا رُكحه ، أو لأملأنَّ منك السيفَ ، قال : فإنى وربِّ هذه البنية أرُدُّ ركحه ، فأشهَدَ عليه من حضر[7] . (تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٨)

---

(١) ركح الدار : ساحتها وفناؤها . (٢) رجل حمس كفرح وحميس وأحمس : شجاع ، وفى الأصل : « والخميس » وهو تصحيف . « والخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة » . (٣) هويه كرضيه : أحبه والحسيس والحس (بالكسر) الصوت .

(٤) أى أبطح مكة ، والأبطح والبطحاء : بطن الوادى — مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

(٥) الحجر : حجر الكعبه ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالكعبه من جانب الشمال .

(٦) البنية : الكعبة .

(٧) ورد فى الطبرى بعد ذلك : « قال محمد بن أبى بكر الأنصارى ، فحدثت بهذا الحديث موسى ابن عيسى ، فقال : يا بن أبى بكر ، هذا شىء ترويه الأنصار تقربا إلينا إذ صير الله الدولة فينا ، =

٩ — كتاب عبد المطلب إلى أخواله

وروى الطبرى أيضاً حديثاً فى أمر عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف ، قال : كان سبب بَدْء الحِلْف[١] الذى كان بين بنى هاشم وخُزَاعَة الذى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه مكة[٢] ، أن نَوْفَلَ بن عبد مناف — وكان آخِر من بقى من بنى عبد مَناف — ظَلَم عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف على أركاح له — وهى الساحات — وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النَّجارية من الخَزْرَج ، فتنصَّفَ[٣] عبدُ المطلب عمَّه فلم يُنصِفْه ، فكتبَ إلى أخواله :

يا طُولَ لَيْلِي لِأَحزانِي وأَشْغَالِي ... هل من رسول إلى النَّجَّار أخوالى ؟

= عبد المطلب كان أعز فى قومه من أن يحتاج إلى أن يركب بنو النجار من المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ، قد احتاج إلى نصرهم من كان خيراً من عبد المطلب ، قال : وكان متوكئاً فجلس مغضباً ، وقال : من خير من عبد المطلب ؟ قلت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت وعاد إلى مكانه وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبى بكر » .

أقول : والأمير المذكور هو عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وهو ابن أخى المنصور ، وكان واليا له على الكوفة . انظر المحبر ص ١٥٤ ، وتاريخ الطبرى ٩ . ٢٦٦ — وليس هو موسى بن عيسى كما ورد فى الطبرى ، وإنما هو خطأ من الناسخ .

(١) الحلف : العهد بين القوم ، والصداقة .

(٢) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عقد مع قريش صلح الحديبية (سنة ٦ هـ) كان من شروط الصلح وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة ، فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، كما سيأتى ، وكان بين خزاعة وبكر دماء فى الجاهلية كفت نارها ظهور الإسلام ، فلما كانت الهدنة ، وقف رجل بكرى يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعى ، فضربه الخزاعى ، فحرك ذلك كامن الأحقاد ، ووثب بنو بكر لثأر من أعدائهم ، واستعانوا أولياءهم من قريش ، فأعانوهم سرا بالعدة والرجال ، ثم قصدوا بنى خزاعة وهم آمنون ، فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ، فبعث خزاعة وفدا منهم إلى رسول الله يخبره بما عدا عليهم بنو بكر وقريش ، فقال لهم : والله لأمنعنكم مما أمنع منه نفسى ، وكان ذلك سبب فتح مكة .

(٣) تنصفه : سأله أن ينصفه .

يُنْبِي «عَدِيًّا» و « دِيناراً » و «مازِنَها»
و «مالِكا» عِصْمَةَ الجِيرانِ ، عن حالى ..
قد كنتُ فيكم ولا أخْشَى ظُلامةَ ذى
ظُلْمٍ عزيزاً مَنِيعاً نَاعِمَ الْبـــالِ(١)

حتى ارتحلتُ إلى قومى وأزْعَجَنِي عن ذاك «مُطَّلِبٌ» عمِّى بتَرحالِي
وكنتُ ـ ما كان حيًّا ـ ناعِماً جَذِلا أَمْشِي العِرَضْنَةَ سَحَّابًا لأذيالى(٢)
فغاب « مُطَّلِبٌ » فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ وقام نَوْفَلُ كى يَعْدُو على مالى(٣)
أأَنْ رَأَى رجلا غابت عُمُومَتُهُ وغاب أخوالُهُ عنه بلا وَالِي
أَنْحَى عليه ولم يحفظ له رَحِماً ما أَمْنَعَ المَرْءَ بين العَمِّ والخالِ !
فاستنفِرُوا وامْنَعوا ضَيْمَ ابنِ أُخْتِكُمُ لا تَخْذُلوه وما أنتمْ بِخُذَّالِ(٤)
ما مِثْلُكُمْ فى بَنِي قَحْطانَ قاطِبةً حَيٌّ لِجَارٍ وإنعامٍ وإفضالِ(٥)
أنتم لِيانٌ لمن لانت عَرِيكتُه سِلْمٌ لَكُمْ وسِمَامُ الأَبْلَخِ الغالِي(٦)

فقَدِم عليه منهم ثمانون راكبا ، فأناخوا بِفِناء الكعبة ، فلما رآهم نوفل

(١) الظلامة : ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذه منك . (٢) من قولهم : فلان يمشى العرضنة والعرضنى بالقصر : أى فى مشيته بغى من نشاطه . (٣) عدا عليه : ظلمه . منع نوفل من الصرف لضرورة الشعر .

(٤) استنفره : دعاه أن ينفر معه ، ونفر للحرب كضرب : أسرع إليها . (٥) قاطبة : جميعاً .

(٦) ليان : إما بفتح اللام مصدر لان كاللين ، فهو على تقدير مضاف أى ذوو لين ، أو بكسر اللام مصدر لاين كالملاينة ، فهو على تقدير مضاف أيضاً ، أو جمع لين بالتشديد كجيد وجياد وعيل وعيال . والعريكة : الطبيعة ، وفلان لين العريكة : سلس الخلق . والسلم : المسالم . أى أنتم ليان لمن هو سلم لكم . وسمام بالكسر (وسموم بالضم) جمع سم مثلث السين ، وهو السم القاتل . والأبلخ : المتكبر ، وصف من البلخ بالتحريك وهو التكبر ، أى وأنتم سموم المتكبر الطاغى المتجاوز الحد .

ابن عبد مناف . قال لهم : أنعِمُوا(١) صباحًا ، فقالوا له : لا نعِم صباحُكَ أيها الرجل ! أنصِفْ ابن أختنا من ظلامته ، قال : أفعلُ بالحُبِّ لكم والكرامة ، فرد عليه الأركاحَ وأنصفه ، فانصرفوا عنه إلى بلادهم .

فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحِلْف ، فدعا عبد المطلب بُسْرَ بن عمرو ووَرْقاء بن فلان ورجالا من رجالات خُزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابا .

(تاريخ الطبرى ج ٢ : ص ١٧٩)

١٠ — كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين خزاعة

« باسمك اللهمَّ ، هذا ما تَحالَفَ عليه عبد المُطَّلب بن هاشم ورجالاتُ عمرو بن ربيعة من خُزاعةَ(٢) : تحالَفُوا على التناصُر والمواساة ، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً(٣) ، حِلْفا جامعاً غيرَ مُفَرَّق ، الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاقدوا أوْكَدَ عَهْدٍ وأوثق عَقْدٍ ، لا يَنْتَقِضُ ولا يُنْكث ، ما أشرَقَتْ شمسٌ على ثَبِير(٤) ، وحَنَّ بفلاةٍ بعيرٌ ، وما أقام الأخْشَبَانِ(٥) ، واعتَمَرَ بمكةَ إنسان ، حِلْفَ أبَدٍ ، لطول أمَدٍ ، يَزِيده طلوعُ الشمس شَدًّا ، وظلامُ الليل مَدًّا ، وأن عبد المطلب وولده ومن معهم

---

(١) من تحية العرب فى الجاهلية « عم صباحا » بكسر العين ، وفى كتب اللغة « كأنه محذوف من نعم ينعم بكسر العين فيهما ، كما تقول كل من أكل يأكل ، فحذف منه الألف والنون تخفيفا » . ويقولون أيضاً : أنعم الله صباحك ، من النعومة .

(٢) خزاعة : حى من الأزد ، وهم بنو عمرو بن ربيعة قيل سموا بهذا الاسم لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فانتهوا إلى مكة تخزعوا عنهم (أى تخلفوا) وأقاموا وسار الآخرون إلى الشام .

(٣) جاء فى اللسان « وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحدته صوفة ، ومن الأبديات قولهم : لا آتيك مَا بلَّ بَحْرٌ صُوفة . وحكى اللحيانى : ما بل البحر صوفة » والمفهوم من صوف البحر أنه الإسفنج (٤) ثبير : جبل بقرب مكة . والفلاة : البادية .

(٥) الأخشبان : جبلا مكة ، أبوقبيس والأحمر .

ورجال خزاعة متكافِئون متظاهرون(١) متعاوِنون ، فعلى عبد المطلب النُّصْرَة لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى خُزاعةَ النُّصْرَة لعبد المطلب وولده ومَن معهم على جميع العرب فى شرْق أوغرب ، أو حَزْن(٢) أوسَهْلٍ ، وجعلوا اللهَ على ذلك كفيلا ، وكفى باللهِ جميلا » .

وروى هكذا :

« باسمك اللهم : هذا حِلْفُ عبد المطلب بن هاشم لخزاعةَ إذ قَدِم عليه سَرَواتُهم(٣) وأهلُ الرأى منهم ، غائبُهم يُقِرّ مما قاضى عليه شاهدُهم : إن بيننا وبينكم عُهودَ الله وميثاقَه ومالا يُنْسَى أبداً ، اليَدُ واحدة ، والنصر واحد ، ما أشرف ثبير ، وثبت حِرَاء(٤) بمكانه ، وما بَلّ بَحْرٌ صُوفَةً » .

(مفتاح الأفكار ص ٣١)

١١ — كتاب أكثم بن صيفى إلى طيئ

وروى أبو الفضل المَيْدَانى فى مجمع الأمثال أن أكثم بن صَيْفِيّ كَتَبَ إلى طيِّئ بوصية ، وهى :

« أُوصِيكم بِتَقْوَى اللهِ وصِلَةِ الرَّحِمِ ، وإياكم ونكاحَ الْحَمْقاء ، فإن نكاحها غَرَرٌ(٥) ، وَوَلَدَها ضَياع ، وعليكم بالخيل فأَكرِموها ، فإنها حُصُونُ العرب ، ولا تَضَعوا رِقَابَ الإبل فى غير حقِّها ، فإن فيها ثَمَنَ الكريمة(٦) ، ورَقُوءَ الدم(٧) ، وبألبانها يُتْحف الكبير(٨) ، ويُغْذَى الصغير ،

(١) تظاهروا : تعاونوا . (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض . (٣) السرو بالفتح : المروءة فى شرف، سرو فهو سرىّ ، واسم الجمع سراة بالفتح ، وجمعها سروات . (٤) حراء : جبل بمكة.
(٥) الغرر : الخطر ، غرّر بنفسه تغريراً : عرّضها للهلكة ، والاسم الغرر . (٦) يريد مهرها
(٧) رقأ الدم : جف وسكن . والرقوء كصبور : ما يوضع على الدم ليرقئه . والمعنى أنها تعطى فى الديات فتحقن بها الدماء . (٨) التحفة : البر واللطف (بالتحريك) والطرفة (بالضم) وقد أتحفته تحفة .

ولو أن الإبل كُلِّفَتِ الطَّحْنَ لَطَحَنَتْ ، ولن يَهْلِكَ امرؤ عَرَفَ قَدْرَه ، والعُدْمُ[١] عُدْمُ العقل لا عدم المال ، ولَرَجلٌ خير من ألف رجل ، ومن عَتَب على الدهر طالت معتبَتُهُ ، ومن رَضِيَ بالقَسْم[٢] طابت معيشتُهُ ، وآفةُ الرأى الهوى ، والعادةُ أَمْلَكُ[٣] ، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغِنَى ، والدنيا دُوَل : فما كان لك أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تَدْفَعه بقوتك ، والحسد داء ليس له دواء ، والشماتةُ تُعْقِبُ ، ومن يَرَ يوما يُرَ بِه . قَبْلَ الرِّماء تُمْلأُ الكَنائِنُ[٤] . الندامة مع السفاهة . دِعامة العقل الحِلْمُ . خير الأمور مَغَبَّةً الصبْرُ . بقاء المودّة عَدْلُ[٥] التعاهُدِ . من يَزُرْ غِبًّا يزدَدْ حبًّا . التغرير مِفْتاح البؤس . من التوانى والعجز نُتِجَتِ[٦] الهَلَكَةُ . لكل شيء ضَرَاوةٌ[٧] ، فضَرِّ لسانك بالخير . عِيُّ الصَّمْت أحسن من عِيِّ المنطق . الحزم حِفظُ مَا كُلِّفْتَ وتركُ ما كُفِيتَ . كثيرُ التَّنَصُّح يَهْجُم على كثير الظِّنَّة[٨] . من أَلْحَفَ[٩] فى المسألة ثَقُل . من سأل فوق قدره استحق الحِرْمَانَ . الرِّفْقُ يُمْنٌ ، والخُرْق شؤم . خير السَّخاء ما وافق الحاجة . خير العفو ما كان بعد القدرة » . (مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص: ٨٧)

---

(١) العدم بالضم وبضمتين وبالتحريك : الفقدان ، وغلب على فقدان المال (٢) القسم : القدر

(٣) وفى رواية : « العادة أملك من الأدب » . (٤) الرماء مصدر رامى كالمراماة . والكنائن جمع كنانة (بالكسر) ، وهى جعبة (بالفتح) السهام ، وهو مثل معناه : يؤخذ للأمر أهبته قبل وقوعه . ومثله قولهم : « قبل الرمى يراش السهم » أى يوضع له الريش .

(٥) العدل : الاستقامة . أى بقاء المودة فى استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه .

(٦) ويروى « نتجت الفاقة » . (٧) يقال : ضرى الكلب بالصيد كفرح ضراوة : أى تعوّد ، وكلب ضار . وأضراه صاحبه : عوّده . وأضراه به : أغراه . وضرّاه أيضاً تضرية .

(٨) أى التهمة . (٩) ألح .

١٢ — كتاب أكثم بن صيفى إلى النعمان بن خميصة البارقى

وروى أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال قال :

كتب النعمان بن خَمِيصةَ البارقىّ إلى أكثم بن صيفى[١] : « مثل لنا مثالا تأخذ به » ، فقال :

« قَدْ حَلَبْتُ الدهرَ أَشْطُرَه[٢] فعرفْتُ حُلوَه ومُرَّه ، عينٌ عَرَفَت فَذَرَفت[٣] ، إن أَمَامِى مالا أُسَامِى[٤] ، رُبَّ سامعٍ بخبرى لم يسمع بعُذْرى ، كلُّ زمان لِمَنْ فيه ، فى كل يوم ما يُكْرَه ، كل ذى نُصْرَةٍ سيُخْذَل ، تبارُّوا فإن الْبِرَّ يَنْمِي[٥] عليه الْعَدَدُ ، كُفُّوا ألسنتكم ، فإن مَقْتَلَ الرجل بين فكّيه ، إن قول الحق لَمْ يَدَعْ لى صديقا ، الصدق مَنْجاة ، لاينفع مع الجَزَع التَّبَقِّى ، ولا ينفع مما هو واقعٌ التوقِّى ، ستُسَاقُ إلى ما أنت لاقٍ ، فى طلب المَعَالِى يكون العَنَاء[٦] ، الاقتصاد فى السعى أبقى للجَمَام[٧] ، من لم يَأْسَ على ما فاته ودُعَ بَدَنُهُ ، ومن قنِعَ بما هو فيه قَرَّتْ عينهُ ، التقدُّم قبل التندُّم[٨] ، أُصبحُ

(١) هكذا روى أبو هلال ، وذكر الميدانى أن أكثم وصى بهذه الوصية بنيه حين جمعهم ، ورواية أبى هلال أطول بكثير من رواية الميدانى ، وقد جمعت بين الروايتين ، وليتنبه إلى أنه قد ورد فى هذا الكتاب بعض ماورد فى الكتاب السالف . (٢) للناقة شطران : قادمان وآخران ، فكل خلفين من أخلافها شطر بالفتح (والخلف بالكسر لها كالضرع للبقرة) وأشطره بدل من الدهر . والمعنى أنه اختبر شطرى الدهر خيره وشره ، فعرف ما فيه ، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر .

(٣) ذرفت عينه كضرب: سال دمعها، وذرفت العين دمعها : أسالته ، وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته . (٤) ساماه : باراه فى السمو . (٥) يزيد ، وفى مجمع الأمثال « يبقى » (٦) فى جمهرة الأمثال « يكون العز » . (٧) أى أبقى للقوة ، من جم الفرس جماما (بالفتح) : ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وجم الماء يجم بضم الجيم وكسرها جموما : كثر واجتمع ، والبئر : تراجع ماؤها ، والجمام بالفتح أيضاً : الراحة . ولم يأس : لم يحزن .

(٨) أى فكر فى التقدم قبل أن تندم .

عند رأس الأمر أحبُّ إليّ من أن أُصْبِحَ عند ذنَبه . لم يَهْلِكْ من مالك ما وَعَظَك . ويلٌ لِعَالِمِ أمرٍ مِن جاهِلِهِ ، يتشابه الأمر إذا أقبل فإذا أدْبَرَ عَرَفه الكَيِّسُ والأحمق . الوحشة ذَهَابُ الأعلام(١) . البَطَر عند الرخاء حُمْقٌ ، والعجز عند البَلاء أَفَنٌ(٢) . لا تغضَبوا من اليسير فربّما جَنَى الكثيرَ . لا تُجيبوا فيما لم تُسْأَلوا عنه ، ولا تضحَكوا ممـا لا يُضْحَك منه . حِيلَةُ مَن لا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ ، كونوا جميعاً فإن الجَمْع غالب ، تَثَبَّتُوا ولا تُسَارِعوا فإنّ أحزَم الفريقين الرَّكين . رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً(٣) . ادَّرِعُوا الليل واتَّخِذُوه جَمَلا ، فإن الليل أخْفَى للوَيْل ، ولا جماعةَ لمن اختلف . تناءوا فى الديار ولا تباغَضوا ، فإنه من يجتمِعْ يتَقَعْقَعْ(٤) عَمَدُه . ألْزِمُوا النساءَ المهابةَ(٥) ، نِعْمَ لَهْوُ الغُرَّةِ المِغْزَل . إن تَعِشْ تَرَ مالم تَرَهُ ، قد أقرّ صامِتٌ ، المِكثارُ كحاطب(٦) لَيْل ، من أكثر أَسْقَطَ(٧) . لا تجعلوا سِرًّا إلى أَمَةٍ . لا تفرّقوا فى القَبائل ، فإن الغريب بكل مكان مظلومٌ . عاقِدُوا الثَّرْوَة(٨) ، وإياكم والوشائظَ(٩) ، فإن مع القلة الذِّلّةَ ، لو سُئِلَت العاريّة قالت : أَبغى لأهلى ذُلاّ . الرسول مُبلِّغ غير مَلُوم . من فَسَدَتْ بطانته غَصّ بالمَاء . أساءَ سَمْعا فأساءَ جَابَةً(١٠) ، الدّالُّ على

---

(١) الأعلام جمع علم بالتحريك ، وهو سيد القوم . (٢) الأفن : ضعف الرأى والعقل . وفى الأصل « أمن » : وهو تحريف . (٣) الركين : الرزين . والريث : الإبطاء .

(٤) تقعقع : اضطرب وتحرك . وفى الأصل : «عنده» بدل « عمده » ، وهو تحريف ، وهذا مثل معناه : لابد من الافتراق بعد الاجتماع ، أو معناه : إذا اجتمع القوم وتقاربوا وقع بينهم الشر فتفرقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو بعرض الزوال والانتشار .

(٥) أى أن يهبنكم ويوقرنكم ، وفى الأصل : « المهانة » وهو تصحيف . والغرة : الشريفة .

(٦) الحاطب : الذى يجمع الحطب ، وهو حاطب ليل : أى يخلط فى كلامه .

(٧) أسقط كلة ، وأسقط فى كلة : أخطأ . (٨) عاقدوا : حالفوا . والثروة : كثرة العدد من الناس . (٩) يقال : هم وشيظة فى قومهم : أى حشو فيهم .

(١٠) جبة بمعنى إجابة : اسم وضع موضع المصدر . ومثلها الطاعة والطاقة والغارة والعارة قال=

الخير كفاعله . إن المسألة من أضعف المَسْكَنة ، قد تجوع الحرّة ولا تأكلُ بثدْيَيها[1] ، لم يَجُرْ سَالِكُ القَصْدِ ، ولم يَعْمَ قَاصِدُ الحقّ . مَن شدّد نَفّرَ ، ومن تَرَاخَى تألّفَ . الشّرَفُ التغافلُ . أَوْفَى القول أوجَزُهُ . أصوبُ الأمور تَرْكُ الفُضُول . التغريرُ مفتاح البؤس . التوانى والعجز يُنْتجان الهَلَـكَة . لـكل شيء ضَرَاوة . أحوجُ الناس إلى الغنى من لا يُصْلحه إلاّ الغنى وهم الملوك . حُبُّ المدح رأس الضّياع . رِضا الناس غاية لا تُبْلَغ . لا تكرَهْ سُخطَ مَن رِضاه الجَوْرُ . مُعالجة العَفافِ مَشَقّةٌ فتعوّذْ بالصبر . اقصُرْ

=المفضل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبى جهل بن أبي هشام ، فولدت له أنس بن سهيل ، فخرج معه ذات يوم ، فوقف بحزورة مكة (والحزورة كقسورة : الراية الصغيرة) . فأقبل الأخنس بن شريق الثقفى . فقال ، من هذا ؟ قال سهيل ابنى . قال الأخنس : حياك الله يا فتى ! قال : لا ، والله ما أمى فى البيت ، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً . فقال أبوه : « أساء سمعا فأساء جابة » : فأرسلها مثلا .

(١) أى لاتعيش بسبب ثدييها وبما يغلان عليها من أجرة الإرضاع ، يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدى ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان حليفا لعلقمة بن خصفة الطائى ، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، فأعجب بها . فقال له : أتيتك خاطباً ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنح الراغب . فقال له علقمة : أنت كفء كريم ، يقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك العفو ، فأقم ننظر فى أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها . فقال : إن الحرث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلاينصرفن إلا بحاجته. فقالت المرأة لابنتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجحجاح (أى السيد) الواصل المنّاح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : لا ، بل الفتى الوضاح ، قالت : إن الفتى يغيرك ، وإن الشيخ يميرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن ، قالت : يا أمتاه ، إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلا ، قالت : أى بنية ، إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت إن الشيخ يبلى شبابى ، ويدنس ثيابى ، ويشمت بى أترابى ، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحرث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم فابتنى بها ، ثم رحل بها إلى قومه ، فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى إلى جانبه ، إذ أقبل إليه شباب من بنى أسد يعتلجون : (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتنفست الصعداء ، ثم أرخت عينيها بالبكاء . فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ! فقال لها : ثكلتك أمك ! تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، أما وأبيك لرب غارة شهدتها ، وسبية أردفتها ، وخمرة شربتها ، فالحق بأهلك فلا حاجة لى فيك .

لسانك على الخير ، وأخِّر الغضَب ، فإن القدرة من ورائك . مَن قَدَر أزمع . أمَرُّ أعمال المقتدرين الانتقام ، جازِ بالحسنة ولا تكافِئْ بالسيئة ، أغنَى الناس عن الحِقْد مَن عظُم عن المجازاة ، مَن حَسَدَ مَن دونه قَلّ عُذْرُه . من جعل لحسن الظن نصيباً روَّح عن قلبه . عِيُّ الصمت أحْمَدُ من عِيِّ المنطق . الناس رجلان: محترِسٌ ومحتَرَسٌ منه . كثير النُّصْح يَهْجُم على كثير الظِّنَّة . من ألحَّ في المسألة أبْرَمَ[1] . خير السخاء ما وافقَ الحاجةَ . الصمتُ يُكسِبُ المحبة . لن يَغلِبَ الكذب شيئاً إلا غَلَبَ عليه الصِّدْق ، القلب قد يُتَّهَمُ و إن صدق اللسانُ . الانقباضُ عن الناس مَكْسَبَةٌ للعداوة ، وتقريبُهم مكسبةٌ لِقَرين السوء ، فكن من الناس بين القرب والبعد ، فإن خير الأمور أوساطها . فُسُولة[2] الوزراء أضرُّ من بغض الأعداء . خير القُرَناء المرأة الصالحة ، وعند الخوف حُسْنُ العمل ، من لم يكن له من نفسه زاجرلم يكن له من غيره واعظ ، وتمكَّن منه عدوُّه على أسوإ عمله . لن يَهْلِكَ امرؤ حتى يَمَلَّ[3] الناس عَتِيد فعله ، ويشتد على قومه ، ويُعْجَب بما ظهر من مروءته ، ويغتر بقوته ، والأمر يأتيه من فوقه . ليس للمُخْتال فى حسن الثناء نصيبٌ ، لا نَماء مع العدم ، إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه ، العِيُّ أن تتكلم فوق ماتسُدُّ به حاجتَك . لا ينبغى لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه حاجة . أقلُّ الناس راحةً الحَقُودُ ، من تعَمَّدَ الذَّنْبَ لا تحلُّ رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رِفق والرفق يُمْنٌ » (جمهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، ومجمع الأمثال ٢ : ١٤٥)

---

(١) أبرمه : أضجره وأمله . (٢) فسل كـكرم وعلم فسولة ، فهو فسل كضخم : أى رذل لامروءة له ، والوزراء جمع وزير ، وهو النصير والظهير .
(٣) فى الأصل : « علك » . وأرى صوابه : « يمل » .

الرسائل

في

عصر صدر الإسلام

كتب سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بها

---

١ — كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين المهاجرين والأنصار واليهود بالمدينة

لما قرّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار وَادَع فيهِ اليهودَ وعاهدهم ، وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط عليهم ، واشترط لهم ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قُريش ويَثْرِب ومن تَبِعهم فلَحِق بهم وجاهَدَ معهم ، أنهم

أمّةٌ واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبَاعَتهم يتعاقلون[١] بينهم ، وهم يَفْدُون عانِيَهم بالمعروف والقِسْط[٢] بين المؤمنين ، وبنو عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقِلَهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِي عانِيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين ، وبنو ساعِدَةَ على رَباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِي عانِيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحٰرث على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشَم على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِي عانِيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النّجّار على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تَفْدِي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النَّبِيتِ على رباعتهم يتعاقلون مَعَاقِلَهم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأَوْسِ على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفْدِي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا[٣] بينهم أن يُعطُوه بالمعروف فى فِداء

---

(١) رباعة الرجل : شأنه وحاله التى هو رابع عليها ، أى ثابت مقيم ، ويقال : تركناهم على رباعتهم بفتح الراء وكسرها ، ورباعهم بفتحها ، وربعاتهم بالتحريك ، وربعاتهم ككتف ، وربعتهم كعنبة : أى على حالة حسنة من استقامتهم وأمرهم الأول ، لا يكون فى غير حسن الحال ، والمعنى : إنهم على أمرهم الذى كانوا عليه . والتعاقل : تفاعل من العقل (وعقل القتيل عقلا : أعطى ديته) والمعاقل : جمع معقلة (بضم القاف) وهى الدية ، ومعنى يتعاقلون معاقلهم الأولى : أى يكونون على ما كانوا عليه فى الجاهلية من أخذ الديات وإعطائها ، أو على مراتب آبائهم ، وأصله من ذلك .

(٢) العانى : الأسير . والقسط : العدل .

(٣) المفرح: الذى قد أفرحه الدين والغرم: أى فدحه وأثقله ، ولا يجد قضاءه (ومعنى أفرحه هنا : سلبه الفرح). ويروى: « مفرجا » بالجيم. والمفرج : هو الرجل يكون فى القوم من غيرهم فيلزمهم =

أو عَقْل ، ولا يحالِفُ مؤمن مَوْلَى مؤمنٍ دونَه ، وأن المؤمنين المتّقين على من بغَى منهم ، أو ابتغى دَسِيسة ظلم ، أو إثمٍ ، أو عُدْوانٍ ، أو فسادٍ بين المؤمنين ، وأن أيديَهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يَقْتُلُ مؤمن مؤمناً فى كافر ، ولا يُنْصَر كافر على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة . يُجيرُ(١) عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم مَوالى بعض دون الناس .

وأنه من تَبِعَنا من يَهُودَ(٢) ، فإن له النصر وَالأُسْوة(٣) غير مظلومين ، ولا متناصرين عليهم ، وأنّ سِلْمَ(٤) المؤمنين واحدة ، لا يسالِمُ مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سَواء(٥) وَعَدْل بينهم ، وأن كل غازية غزَتْ معنا يَعقُبُ بَعْضُها بعضاً(٦) ، وأن المؤمنين يُبِيء(٧) بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْيٍ وأقومه ،

= أن يعقلوا عنه . وقيل : هو المثقل بحق دية أو فداء أو غرم . وقيل : أن يسلم الرجل ولا يوالى أحداً ، فإذا جنى جناية كانت جنايته على بيت المال ، لأنه لاعاقلة له . وقيل : هو الذى لا مال له . وقيل : هو الذى لاعشيرة له . وقيل : هو القتيل يوجد فى فلاة من الأرض ، فهو يودى من بيت المال ولا يطل دمه ، وكان الأصمعى يقول : هو مفرح بالحاء وينكر قولهم مفرج بالجيم .

(١) أى إذا أجار واحد من المسلمين حر أو عبد أو امرأة واحداً أو جماعة من الكفار أو خفرهم وأمنهم جاز ذلك على جميع المسلمين ، لاينقض عليه جواره وأمانه . وفى الأصل : « يخير عليهم » وهو تصحيف . (٢) يقال : «يهود» . بدون ألف ولام ، وهو اسم للقبيلة وعليه قول الشاعر : « أولئك أولى من يهود بمدحة » . وقالوا : « اليهود » . فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين . (٣) الأسوة بالضم والكسر : القدوة . ويقال : القوم أسوة فى هذا الأمر : أى حالهم فيه واحدة . (٤) السلم بكسر السين وفتحها : الصلح ، ويؤنث ، والمعنى : لايصالح واحد دون أصحابه ، وإنما يقع الصلح بينهم ، وبين عدوهم باجتماع ملئهم على ذلك .

(٥) السواء : العدل والنصفة كالسوية ، ومنه قوله تعالى : « قُلْ يَـٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » أى عدل . (٦) أى يكون الغزو بينهم نوبا ، فاذا خرجت طائفة ثم عادت ، لم تكلف أن تعود ثانية حتى تعقبها أخرى غيرها .

(٧) أباءه به : سوّاه به . من البواء بالفتح وهو السواء والتكافؤ . يقال : القوم بواء : أى سواء وما فلان ببواء لفلان : أى ما هو بكفء له .

وأنه لا يُجير مشرك مالا لقريش ، ولا نَفْساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعتَبَطَ[١] مؤمنا قتْلاً عن بَيِّنَةٍ فإنه قَوَدٌ[٢] به إلى أن يَرْضَى وَلِيُّ المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافَّةً ، ولا يحلّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وأنه لا يَحِلّ لمؤمن أقرّ بما فى هذه الصحيفة ، وآمَنَ بالله واليوم الآخر أن يَنْصُر مُحْدِثاً[٣] ولا يُؤْوِيَه ، وأنه مَنْ نَصَره أو آواه ، فإن عليه لعنةَ الله وغَضَبَه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عَدْل[٤] ، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء ، فإن مَرَدَّهُ إِلَى اللّٰهِ عز وجل ، وإلى محمد .

وأن اليهود يُنْفِقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أُمَّةٌ مع المؤمنين ، لليهود دينُهم ، وللمسلمين دينُهم ، مَوَاليهم وأنفُسهم ، إلا من ظَلَم وأَثِمَ ، فإنه لا يُوتِغ[٥] إلا نفسَه وأهل بيته ، وأن لِيَهُودِ بنى النجار مثلَ ما ليهود بنى عوف ، وأن لِيَهود بنى الحرث مثلَ ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثلَ ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جُشَم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأَوْس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثَعْلَبَة مثلَ ما ليهود بنى عوف ، إلاّ من ظَلَمَ وأَثِم فإنه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهلَ بيته ، وأن جَفْنَةَ بَطْنٌ من ثعلبة كأنفسهم ، وأن

---

(١) أى قتله بلا جناية كانت منه ولاجريرة توجب قتله، وأصله من اعتبط الذبيحة إذا نحرها من غير داء ولا كسر ، وهى سمينة فتية . (٢) القود : القصاص أى فإن القاتل يقاد به ويقتل .

(٣) أى أن ينصر جانيا ويجيره من خصمه ويحول بينه وبين أن يقتصّ منه .

(٤) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية . وقيل الصرف : القيمة . والعدل : المثل ، وأصله فى الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أى لم يأخذوا منهم دية ، ولم يقتلوا بقتيلهم رجلا واحداً : أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد فى كل شىء حتى صار مثلا فيمن لم يؤخذ منه السىء الذى يجب عليه وألزم أكثر منه . (٥) أوتغه : أهلكه ، وألقاه فى بلية .

لبنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن البِرّ[1] دونَ الإثم ، وأن مَوالِيَ ثعلبة كأنفسهم ، وأن بِطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من فَتَك فبنفسه فَتَك وأهلِ بيته إلا من ظُلِم ، وأن الله على أَبَرّ هذا[2] ، وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحَليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن يثرب حرامٌ جَوْفُها لأهل هذه الصحيفة[3] وأن الجار كالنفس غيرَ مُضَارٍ[4] ، ولا آثِم ، وأنه لا تُجار حُرْمَةٌ إلا بإذن أهلها .

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار[5] يُخاف فسادُه ، فإن مَرَدَّه إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأَبَرّه ، وأنه لا تُجار قريش ولا مَن نَصَرَها ، وأن بينهم النَّصْرَ على من دَهَمِ يَثْرِبَ ، وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حِصَّتهم مِن جانبهم الذى قِبَلَهم ، وأن يَهُودَ الأَوس مواليَهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرّ الحسن من أَهْلِ هذه الصحيفة ، وأن البرّ دون الإثم ، لا يكسِبُ كاسِبٌ إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأَبَرّه ، وأنه لا يَحُول هذا

---

(١) أى أن البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزا عن الإثم . (٢) أى أن الله وحزبه للمؤمنين على الرضا به . (٣) أى حرم لهم لايحل انتهاكه . (٤) ضارّه ضراراً ومضارة : ضره . والحرمة : ما لايحل انتهاكه . (٥) الاشتجار : التخالف والتنازع .

الكتاب دون ظالم وآثم ، وأنه من خرج آمن ، ومَن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظَلَمَ أو أثِم ، وأن الله جارٌ لمن بَرَّ واتقى ، ومحمد رسول الله[١] » .

(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠١)

٢ — كتاب الصلح بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش عام الحديبية

ولما صَدَّت قُرَيْشٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة البيت الحرام عامَ الحُدَيْبِيَةِ[٢] — سنة سِتٍّ للهجرة — وكان بينه وبينهم ما كان[٣] ، بعثوا إليه سُهَيْلَ بن عَمْرو فى طلب الصلح ، فدعا صلى الله عليه وسلم عليَّ ابن أبى طالب رضى الله عنه فقال : اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل : لا أعرف هذا[٤] ، ولكن اكتب « باسمك اللهم[٥] » كما

---

(١) وجاء فى الروض الأنف للسهيلى شرح السيرة النبوية لابن هشام : « وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذ كان الإسلام ضعيفا ، قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب » . (٢) الحديبية : بئر بقرب مكة على طريق جدة ، ثم أطلق على الموضع ، وكان عليه الصلاة والسلام قد نزل بها حين قصد إلى مكة لزيارة البيت سنة ست هجرية .

(٣) بعث صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم ما أرسل به ، فقالوا له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتبسته قريش عندها . فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل . فقال عليه السلام : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا الناس إلى البيعة على قتال قريش ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وذلك قوله تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » . ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وجنحوا إلى الصلح .

(٤) وفى صحيح البخارى : « أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هى ؟ » .

(٥) قدما أن قريشا كانت قبل البعثة تكتب فى أول كتبها : « باسمك اللهم » . وجاء فى السيرة الحلبية أنه عليه السلام كتبها فى أربعة كتب . ج ٢ . ص ١٤٣ . وجاء فى صبح الأعشى . ج ٦ =

كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لا نكتبُ إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب : « باسمك اللهمّ » فكتبها ، ثم قال اكتب : « هذا ما صالَحَ عليه محمدٌ رسول الله سُهَيْلَ بن عمرو » فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صَدَدْناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب « محمد بن عبد الله » فقال صلى الله عليه وسلم : واللهِ إنى لَرسول الله وإن كَذَّبتمونى ، ثم قال لعلىّ كرم الله وجهه : أُمحُ رسول الله ، فقال : واللهِ لا أمحُوكَ أبدا ، فقال : أرِنِيه ، فأراه إياه ، فمحاه بيده الشريفة ، وقال : اكتب :

« هذا ما صالَحَ عليه محمدُ بنُ عبد الله سُهَيْلَ بنَ عمرو : اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عَشْرَ سنين ، يأمَن فيهن الناسُ ، ويكُفُّ بَعْضُهم عن بعض ، على أنه مَن أتَى محمداً من قريشٍ بغير إذن وَلِيِّه رَدَّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يَرُدّوهُ عليه ، وأنَّ بيننا عَيْبَةً مكفوفة[1] وأنه

=ص ٢١٩ . « روى محمد بن سعد فى طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قريش : « باسمك اللهم » . حتى نزل عليه : « وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا » فكتب : « باسم الله » . حتى نزل : « قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ » . فكتب : « بسم الله الرحمن » . حتى نزل : « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » . فكتب : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » وكذا ورد فى السيرة الحلبية .

(١) العيبة فى الأصل : زبيل من أدم ، وما يجعل فيه الثياب والجمع عياب بالكسر ، وعيبة مكفوفة : مشرجة مشدودة على ما فيها ، والعرب تسمى الصدور التى فيها القلوب بالعياب التى تشرج على حرّ الثياب وفاخر المتاع ، فجعل عليه السلام العياب المشرجة على ما فيها مثلا للقلوب طويت على ما تعاقدوا عليه ، مثل بها الذمة المحفوظة التى لاتنكث ، أو معناه أن الشر يكون مكفوفا بينهم كما تكف العياب إذا أشرجت على ما فيها من المتاع ، كذلك الذحول التى كانت بينهم قد اصطلحوا على أن لاينشروها ، بل يتكافون عنها كأنهم قد جعلوها فى وعاء وأشرجوا عليها .

لا إسْلالَ ولا إغْلاَل[١] ، وأنه من أحبَّ أن يدخل فى عَقْدِ محمدٍ وعَهْده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عَقْدِ قريش وعَهْدِهم دخل فيه[٢] » .

قال سهيل : « وأنك تَرْجِع عنّا عامَك هذا فلا تدخل علينا مكةَ ، وأنه إذا كان عامٌ قابِلٌ[٣] خرجنا عنك ، فدخلتَها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثاً معك سِلاحُ الراكب : السيوفُ فى القُرُبِ[٤] ، لا تدخلها بغير هذا » .

فلما فَرَغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبا بكر بن أبى قُحَافَةَ ، وعُمَر بن الخطاب ، وعبد الرحمن ابن عَوْف ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وسعد بن أبى وَقّاص ، ومحمود ابن مَسْلَمة ، ومُكْرَز بن حَفْص — وهو يومئذ مشرك[٥] — وعلىّ بن أبى طالب

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٧٩ ، وصبح الأعشى ٤ : ١٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٤٤ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٧٧ ، وكتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢٥٠ ، وصحيح الامام البخارى ٢ : ص ٧٩ ، وإعجاز القرآن ص ١١٤ والجامع الصحيح للامام مسلم ٥ : ١٧٥)

٣ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دِحْيَةَ بن خَلِيفةَ الكَلْبِىّ ، إلى هِرَقْلَ قيصر الروم[٦] سنةَ سِتٍ[٧] ، بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام ، ونسخته :

---

(١) لا إسلال : أى لاسرقه . وقيل . درشوة، من أسل إذا سرق ، وسله كنصر سلا منه ، ولا إغلال : أى لاخيانة ، من أغلّ إذا خان ، وغلّ كنصر غلولا منه . (٢) فتواثبت خزاعة . فقالوا : نحن فى عقد رسول الله وعهده ، وتواثبت بكر . فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم .

(٣) قبل العام والشهر قبولا كقعد قعوداً ، فهو قابل . وأقبل فهو مقبل : ضد دبر دبورا . (كقعد قعوداً أيضاً) وأدبر . (٤) القرب جمع قراب ككتاب : وهو غمد السيف .

(٥) وقد أسلم سهيل بن عمرو يوم الفتح . (٦) وقيل أمر صلى الله عليه وسلم دحية أن يدفع الكتاب إلى عظيم بصرى (بصرى كحبلى : بلد بالشام) وهو الحارث ملك غسان ، ليدفعه إلى قيصر ، ولما انتهى دحية إلى الحارث أرسل معه عدى بن حاتم ليوصله إلى قيصر ، فذهب به إليه ، وقد لقيه ببيت المقدس .

(٧) كان ذلك زمن هدنة الحديبية أواخر سنة ست ، وقيل كتب إليه صلى الله عليه وسلم من

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى هِرَقْلَ عظيم الروم، سلامٌ على من اتّبع الهُدَى ، أمّا بعدُ: فإني أدعوك بدِعاية[1] الإسلام ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، أَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أجرَكَ مرتين[2] ، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنّما عَلَيْكَ إثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ[3] ، و « يَأَهْلَ الْكِتَابِ تعالَوْا إلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ،

= تبوك سنة تسع، وجمع بينهما بأنه عليه السلام كتب لقيصر مرتين ، والأول هو ما في الصحيحين ، فقد حدث أبو سفيان أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهو بإيلياء وحدثه هرقل في شأن محمد إلى أن قال : ثم دعا بكتاب رسول الله الذي بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل .

(١) أي بالكلمة الداعية إلى الإسلام ، وهي كلمة التوحيد : أي أدعوك إليها ، فالباء بمعنى إلى .

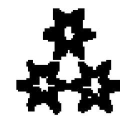
(٢) أي لإيمان أتباعك بسبب إيمانك ، أو لإيمانك بعيسى ، ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام .

(٣) وردت هذه الكلمة في متن البخاري : « اليريسين » . وجاء في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني . ج ١ : ص ٩٣ . « اليريسين » جمع يريس على وزن كريم ، وفي رواية : « الأريسين » . بقلب الياء الأولى همزة ، وفي أخرى : « اليريسيين » . بتشديد الياء بعد السين جمع يريسي ، وفي أخرى : « الأريسيين » . بتشديد الياء بعد السين أيضاً : وقلب الياء الأولى همزة جمع أريسي ، وجاءت في صحيح مسلم مرة بالرواية الثالثة : « اليريسيين » . وأخرى بالرواية الرابعة : « الأريسيين » . وفي لسان العرب : « الإِرِّيسين » . جمع إريس كسكيت ، ومن ذلك يتبين لك أن في مفردها لغات : أريس وبريس كـكريم . وأريسي ويريسي كخفيق : وإرّيس كسكيت . وهو الأكار : أي الفلاح . قال الأزهري : أحسب الأريس والإريس بمعنى الأكار من كلام أهل الشام ، وقد جاء في رواية الطبري : «فإن إثم الأكارين عليك» . وكذا في تاريخ ابن الأثير ، وقال صاحب السيرة الحلبية : « وجاء في رواية : إثم الفلاحين » . وكذا في شرح الزرقاني على المواهب ، وفي فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي . ج ١ : ص ٣٦ .

وفي الكلام حذف دل عليه المعنى : أي فإن عليك مع إثمك إثم الأريسيين ، وإنما خص هؤلاء : لأنهم أغلب رعاياه ، وأسرعهم انقياداً ، لجهلهم وسذاجتهم . وقيل المراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح ، سواء كان يلي ذلك بنفسه أم بغيره ، والعجم عند العرب كلهم فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث . فالمعنى : فإن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك . وقيل : كان أهل السواد ومن هو على دين كسرى أهل فلاحة وإثارة للأرض ، وكان أهل الروم أهل أثاث وصنعة ، فكانوا يقولون للمجوسي أريسي نسبوهم إلى الأريس، وهو الأكار، وكانت العرب تسميهم الفلاحين ، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم الروم أنهم وإن كانوا أهل كتاب ، فإن عليهم من الإثم إن لم يؤمنوا بنبوته مثل إثم المجوس وفلاحي السواد الذين لا كتاب لهم . وقيل : أراد أن عليه إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر. وقيل: الإريس =

أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[1] » .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٦ ، وصحيح الإمام البخارى ١ : ٥ ، والجامع الصحيح للإمام مسلم ٥ : ١٦٥ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٨٧ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٨١ ، والأغانى ٦ : ٩٣ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٦ ، والمواهب اللدنية للقسطلانى شرح الزرقانى ٣ : ٣٨٤)



وجاء فى صبح الأعشى :

وذكر أبو عُبَيد فى « كتاب الأموال » أن كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ، كان فيه :

« من محمد رسول الله إلى صاحب الروم :

إنى أدعوك إلى الإسلام ، فإن أَسْلَمْتَ فَلَكَ ما لِلْمُسْلِمِينَ ، وعليك ما عليهم ، وإن لم تدخل فى الإسلام ، فَأَعْطِ الْجِزْيَةَ ، فإن الله تعالى يقول : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، حَتَّى

= كسكيت : الأمير، والأصل فيه رئيس كسكيت أيضاً من الرياسة فغلب : أى فعليك إثم كبرائهم ، وقد جاء فى رواية الأغانى : « فإن إثم الأكابر عليك » . والمعنى : أنك إن توليت عن إجابة الدعوة لم يجب إليها كبراء دولتك تبعاً لك ، ولو أنهم أسلموا لهدوا قومهم إلى الإسلام ، لمالهم فيهم من الأمر المطاع والكلمة النافذة وقوة التأثير ، فامتناعك عن الإسلام يحملهم إثما مضاعفا : إثم الامتناع عنه ، وإثم القعود عن نصرته ونشره ، والسعى فى التنفير منه والصدّ عنه .

(١) الآية من سورة آل عمران .

يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ[١] » وَإِلاَّ فَلاَ تَحُلْ بين الفلاحين وبين الإسلام أَنْ يَدْخلوا فيه أو يُعْطوا الْجِزْيَةَ[٢] » .

٤ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس

وبعث صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِيّ[٣] إلى كِسْرَى أَبْرَوِيزَ ملك الفرس ، سنة ست ، وبعث معه كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول اللهِ إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتَّبع الهُدَى ، وَآمَنَ بالله ورسوله ، وَشَهِدَ أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ،

---

(١) الجزية : الخراج الذى يضرب عليهم كل عام . واليد : الذلة والاستسلام ، أى حتى يؤدوها متقادين خاضعين ، أو عن يدهم : أى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدى غيرهم ، واليد أيضاً : القدرة والقوة : أى عن قدرة عليهم وغلب ، أو عن قدرة منهم على الدفع وعى ، ولذلك قيل لاتؤخذ من الفقير . واليد : النعمة والصنيعة ، أى عن إنعام عليهم وإحسان فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عليهم ، أو معناه : نقداً مسلمة عن يد إلى يد لا نسيئة ، وهم صاغرون : أى أذلاء منقادون لحكم الإسلام ، فهو توكيد لقوله : « عن يد » . على المعنى الأول ، والآية من سورة التوبة .

(٢) وروى أن هرقل لما رجع إلى حمص دار ملكه ، كان له فيها قصر عظيم ، فأغلق أبوابه ، وأمر مناديا ينادى : ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه ، فأقبلت الأجناد فى سلاحها ، وطافت بقصره تريد قتله ، فأرسل إليهم إنى أردت اختبار صلابتكم فى دينكم، فقد رضيت، فرضوا عنه ، وفى صحيح البخارى : « وسار هرقل إلى حمص فأذن لعظماء الروم فى دسكرة له بحمص (والدسكرة بفتح الدال والكاف : بناء للملوك يشبه القصر حوله بيوت لخدم والحشم) ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم فى الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم ، فتبايعوا هذا النبى ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان منهم ، (إذ قالوا له : أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيد الأعرابى ؟) قال : ردوهم علىَّ ، وقال : إنى قلت مقالتى آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه » . وروى أنه كتب كتابا وأرسله مع دحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : إنى مسلم ، ولكنى مغلوب ، وأرسل بهدية ، فلما قرئ عليه الكتاب ، قال : كذب عدو الله ليس بمسلم ، وقبل هديته وقسمها بين المسلمين .

(٣) وكان يتردد على كسرى كثيراً ، وقيل بعث أخاه خنيسا ، وقيل أخاه خارجة ، وقيل شجاع ابن وهب ، وقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم .

وَحْدَه لاشَرِيكَ لَهُ، وأن محمدا عبدُه ورسوله، أدعُوكَ بِدِعاية الله عزّ وجل، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كَافَّةً لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فإنْ أبيْتَ فعليك إثم المجوس[1]».

فلما قرأ كسرى الكتاب غضب ومزّقه وقال: يكتب إلىّ هذا وهو عبدى، فقال صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك مُزِّق ملكه.

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٨، وصبح الأعشى ٦ . ٣٧٧، وتاريخ الطبرى ٣ : ٩٠، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٨١، وإعجاز القرآن ص ١١٣، والمواهب اللدنية للقسطلانى «شرح الزرقانى ٣ : ٣٨٩»)

٥ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ملك الحبشة

وبعث صلى الله عليه وسلم عَمْرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِىّ إلى النَّجَاشِىِّ ملك الحبشة سنة ست، وبعث معه كتابا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ رسولِ الله إلى النجاشِىِّ الْأَصْحَم[2] ملك الحبشة، سِلْمٌ[3] أنت، فإنى أَحْمَدُ إليك اللهَ[4] الذى لا إِلَهَ إلا هو الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، وأشهد أن عيسى بنَ مَرْيَمَ روحُ الله، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ[5] الطيّبة الحصينة، فحملت بعيسى، حَمَلَتْه من رُوحه ونَفْخِه، كما خلق آدمَ بيَدِهِ ونَفْخِهِ، وإنى أدعوك إلى اللّهِ وَحْدَه

---

(١) أى إثم أتباعك ورعاياك. (٢) هكذا فى رواية الطبرى، وفى السيرة الحلبية وصبح الأعشى والمواهب وكتب اللغة: «أصحمة». وفى أسد الغابة أصحمة والأصحم انظر ج١: ص٦١و٩٩.

(٣) السلم بالكسر والفتح: الإسلام، وهو مصدر وصف به: أى أنت ذو سلم.

(٤) أى أحمده معك، فأقام إلى مقام مع. وقيل: معناه أحمد إليك نعمة الله بحمدك إياها.

(٥) البتول: المنقطعة عن الرجال أى لا شهوة لها فيهم، أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها إلى الله تعالى، ومن ثم سميت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم البتول، وأصلها من البتل كالقطع وزنا ومعنى.

لا شريك له ، والموالاةِ على طاعته ، وأن تتّبعني ؛ وتؤمن[١] بالذى جاءنى ، فإنى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمى جعفرا[٢] ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك فأَقْرِهم[٣] ودَع التَّجَبُّرَ ، وإنى أدعوك وجنودَك إلى الله عزّ وجل ، وقد بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فاقبلُوا نُصْحى ، والسلام على من اتّبع الهدى » .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٨٩ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٩ وأسد الغابة ١ : ٦٢ ، وإعجاز القرآن ص ١١٣ ، والمواهب اللدنية للقسطلانى « شرح الزرقانى » ٣ : ٣٩٣ »)

٦ — رد النجاشى على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب إليه النجاشى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشى الأصحم ابن أَبْجَرَ ، سلامٌ عليك يا نبيَّ الله ورحمة الله وبركاتُه من الله الذى لا إله إلاهو ، الذى هدانى إلى الإسلام ، أما بعد : فقد بلغنى كتابُك يا رسول الله فما ذكرتَ من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فوَرَبِّ السَّماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثُفْرُوقا[٤] ، إنه كما قلت ، وقد عَرَفْنا ما بُعِثْتَ به إلينا ، وقد قَرَيْنا ابن عمك وأصحابه ، فأَشْهَدُ أنك رسول الله صادقا مُصَدَّقا ، وقد بايعتُك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت

---

(١) وفى رواية : « وتوقن » . (٢) هو جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان ممن هاجر إلى الحبشة حين اشتد إيذاء كفار قريش للمسلمين بدء الإسلام .

(٣) قرى الضيف كرمى قرى بالكسر والقصر وقراء بالفتح والمد : أحسن إليه .

(٤) الثفروق : قمع الثمرة ، أو ما يلتزق به قمعها ، وماله ثفروق : أى شىء .

على يديه لله ربِّ العالمين ، وقد بعثتُ إليك بابنى أرها بن الأصحم بن أبجر[١] ، فإنّى لاَ أملِكُ إلا نفسى ، وإن شئتَ أن آتِيَك فعلتُ يا رسول الله ، فإنى أشهد أن ما تقولُ حق ، والسلام عليك يارسول الله » .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٠ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٨٩ ، وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٦ ، وأسد الغابة ١ : ٦٢ ، والمواهب اللدنية للقسطلانى « شرح الزرقانى ٣ : ٣٩٤ »

٧ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط

وبعث صلى الله عليه وسلم حَاطِب بن أبى بَلْتعَةَ إلى المُقَوْقِس[٢] عظيم القبط سنة ست ، وبعث معه كتابا يدعوه إلى الإسلام فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المُقَوْقِس عظيم القِبْط ، سلامٌ على من اتَّبع الهُدَى . أما بعدُ : فإنى أدعُوك بدِعاية الإسلام ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتِكَ اللهُ أجْرَكَ مرتين ، فإن تَوَلَّيْتَ فإنما عليك إثمُ القبط . و« يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧١ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٨ ، وخطط المقريزى ١ : ٢٩ ، وحسن المحاضرة ١ : ٤٢ ، والمواهب اللدنية للقسطلانى « شرح الزرقانى ٣ : ٣٩٧ ») .



وجاء فى صبح الأعشى :

وذكر الْوَاقِدِىّ أن كتابه إليه كان بخط أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله

---

(١) وفى أسد الغابة : « أرمى » . بالميم ، وفى شرح الزرقانى على المواهب : « أرخى » . بالخاء ، أو أربحا ، وروى أن النجاشى بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة ، فلما كانوا فى وسط البحر غرقت بهم فهلكوا . (٢) اسمه جريج بن ميا .

عنه ، وأن فيه :

« من محمد رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعدُ : فإن الله أرسَلَني رسولا ، وأنْزَلَ عليّ قُرْآنا ، وأمرني بالإعذار والإنذار ، ومُقاتلة الكفار ، حتى يَدِينوا بديني ، وَيَدْخُلَ الناسُ في مِلّتِي ، وقد دعوتُك إلى الإقرار بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، فإن فعلْتَ سَعِدْتَ ، وإنْ أَبَيْتَ شقِيتَ ، والسلام».

٨ — رد المقوقس على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب المقوقس إليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله من المُقَوْقِس عظيم القبط .

سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علِمتُ أن نبيًا قَدْ بَقِيَ ، وقد كنتُ أظن أنه يخرج بالشأم ، وقد أكرمتُ رسولَكَ[1] ، وبعثت إليك بجاريتين[2] لهما مكانٌ في القِبط عظيم ، وبثياب[3] ، وأهديتُ إليك بغلةً لتَرْكبَها ، والسلام عليك » .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٢ ، وخطط المقريزى ١ : ٢٩ ، وحسن المحاضرة ١ : ٤٣ ، وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٧ ، والمواهب اللدنية للقسطلانى «شرح الزرقانى ٣ : ٤٠٠»)

---

(١) ذكروا أنه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب . (٢) هما مارية التي تسرّى بها عليه الصلاة والسلام ، وجاء منها بولده إبراهيم ، وأختها سيرين — بكسر السين — . وقيل : أهدى إليه ثلاث جوار ، وقيل أربعاً ، ووهب عليه الصلاة والسلام سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن ابن حسان ، فهو وإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ابنا خالة . انظر أسد الغابة . ج ١ : ص ٣٨ .

(٣) هى عشرون ثوبا من قباطى مصر ، وفى كتب السيرة أنه أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عسلا من عسل بنها ، وأرسل مع الهدية طبيبا . فقال له النبي : ارجع إلى أهلك ، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع . وإذا أكلنا لا نشبع . ولم يسلم المقوقس .

وجاء فى صبح الأعشى أيضاً :

وذكر الواقدى أن فى كتابه إليه :

« باسْمِكَ اللهمَّ ، من المقوقس إلى محمد .

أما بعد: فقد بلغَنى كتابك وفهمته، وأنت تقول: إن الله أرسلك رسولا وفَضَّلك تفضيلاً ، وأنزل عليك قُرْآناً مُبيناً ، فكشَفْنا عن خبرك فوجدناك أقربَ داعٍ دعا إلى الله ، وأصْدَق من تكلم بالصدق ، ولولا أنى مَلَكْتُ ملكا عظيما ، لكنتُ أوّلَ من آمَن بك ، لعلمى أنك خاتَمُ النبيين ، وإمام المرسلين ، والسلام عليك منِّى إلى يوم الدين » .

٩ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق

وبعث صلى الله عليه وسلم شُجَاع بن وَهْب الأسدىّ إلى الحارث بن أبى شِمر الغَسَّانِىّ(١) صاحب دِمشْق — من قبل قيصر — سنة ست ، وبعث معه كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبى شمر .

---

(١) ليس هو الحرث الخامس بن أبى شمر الذى أسلفنا ذكره فى صفحة ٢ فإنه قد توفى سنة ٥٧٢م أى بعد ميلاده عليه الصلاة والسلام بسنتين ، وكان هذا الكتاب سنة ست للهجرة أى سنة ٦٢٨ ميلادية ، فلا يعقل أن يكون هو المكتوب إليه ، وإنما هو الحرث السابع شرحبيل بن عمرو الرابع المعروف بأبى شمر الأصغر الذى ولى من سنة ٦١٥ إلى سنة ٦٣٠ م : (انظر بيان الأستاذ برسيفال فى كتابه العرب قبل الاسلام) ، وقد ذكر الطبرى فى تاريخه مرة أنه الحرث بن أبى شمر . ج ٣ : ص ٨٤ . وأخرى أنه المنذر بن الحرث بن أبى شمر . ج ٣ : ص ٨٨ . والأول هو ما فى السيرة الحلبية ، وسيرة ابن هشام . ج ٢ : ص ٣٠٢ ، والمواهب .

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصَدَّق ، وإنى أدعوك أن تُؤمن بالله وَحْدَه لا شريك له يبقى لك مُلكُك » .

فلما قرأ الكتاب رمى به ، ثم قال : مَن يَنزِعُ منى ملكى ؟ أنا سائر إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : باد مُلْكُه ، وقد ثناه قيصر عن عزمه .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٨٨ ، والمواهب اللدنية « شرح الزرقانى ٣ : ٤٠٨ »)

١٠ – كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين

وبعث صلى الله عليه وسلم العَلاءَ بن الحَضْرَمِىّ إلى المُنْذِر بن سَاوَى العَبْدِىّ[١] صاحب البَحْرين[٢] من قبل الفرس ، سنة ست[٣] ، وبعث معه كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى : سِلْمٌ أنت ، فإنى أحْمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنَّ من صَلَّى صلاتنا ، واستقبل قِبْلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المُسْلِمُ ، له ذِمَّةُ الله وذمة رسوله ، فمن أحبَّ ذلك من المجوس ، فإنه آمنٌ ، ومن أَبَى فإن عليه الجِزْية »

(صبح الأعشى ٦ : ٣٧٦ ، وكتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٥٦ ، وأسد الغابة ٤ : ٤١٧ ، والإصابة ٦ : ١٣٩ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٨٨ ، وشرح الزرقانى على المواهب ٣ : ٤٠٠)

---

(١) هو المنذر بن ساوى بن الأخنس بن بنان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وذكر الطبرى فى تاريخه أنه أخو بنى عبد القيس . ج ٣ : ص ٨٥ . وجاء فى أسد الغابة : « وقيل هو من عبد القيس » . وفى الإصابة : « وزعم غير الكلبى أنه من عبد القيس ، وبين الرشاطى السبب فى ذلك أنه يقال له العبدى لأنه من ولد عبد الله ابن دارم ، فظن بعض الناس أنه من عبد القيس » . (٢) شرقى جزيرة العرب على خليج فارس .

(٣) وجاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى . ج ٢ : ص ٧٤ . « فلما كانت سنة ثمان للهجرة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى إلى البحرين ، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سيبخت مرزبان هجر – قصبة البحرين – يدعوهما إلى الإسلام ، أو إلى الجزية ... ... إلى أن قال وقد قيل : إن رسول الله وجه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك سنة ست » . وكذا ورد فى فتوح البلدان للبلاذرى : ص ٨٥ .

١١ — رد المنذر على كتابه صلى الله عليه وسلم

فأسلم المنذر وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أما بعد يا رسول الله : فإنى قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحبَّ الإسلام وأعْجَبه ودخل فيه ، ومنهم من كَرِهَه ، وبأرضِى مَجُوسٌ ويهودٌ ، فأَحْدِثْ لى فى ذلك أمرك » .

(السيره الحلبية ٢ : ٢٧٤ ، والمواهب اللدنية للقسطلانى « شرح الزرقانى ٣ : ٤٠٢ »)

١٢ — رده صلى الله عليه وسلم على كتاب المنذر

فكتب إليه صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوَى . سلام عليك ، فإنى أحْمَد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ ، وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعدُ : فإنى أذكِّرك اللهَ عز وجل ، فإنه من يَنْصَحْ فإنما ينصحُ لنفسه ، وإنه من يُطِعْ رُسُلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وإن رسلى قد أثْنَوْا عليك خيراً ، وإنى قد شفَّعتك فى قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوتُ عن أهل الذنوب فاقبَلْ منهم ، وإنك مهما تُصْلِحْ فلن نَعْزِلَك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته ، أو مجوسيَّته فعليه الجِزية » .

(السيره الحلبية ٢ : ٢٧٤ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٦٧ ، والمواهب اللدنية للقسطلانى « شرح الزرقانى ٣ : ٤٠٢ »)

١٣ — عهد العلاء بن الحضرمى لأهل البحرين

وصالح المَجُوسُ واليهود والنصارى من أهل البحرين العَلاءِ بن الحَضْرمىّ وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما صالح عليه العَلاءُ بن الحَضْرَمىّ أهل البحرين : صالَحهم على أن يكفُونا العَمَلَ ، ويقاسِمُونا التَّمر ، فمن لم يَفِ بهذا فعليهِ لَعْنَةُ الله والملائـكة والناس أجمعين » .

وأما جزية الرءوس فإنه أخذ لها من كل حالِمٍ ديناراً .

(معجم البلدان ٢ : ٧٤ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٨٦)

١٤ — كتابه صلى الله عليه سلم إلى أهل البحرين

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل البحرين :

« أما بعدُ : فإنـكم إذا أقمتم الصَّلاة ، وآتيتم الزكاة ، ونَصَحتم لله ورسوله ، وآتيتم عُشْر النَّخْل ، ونصف عُشْر الحَبِّ ، ولم تُمَجِّسوا أولادكم ، فلكم ما أسلمتم عليـه ، غير أن بيت النارِ لله ورسوله[1] ، وإن أبيتم فعليكم الجِزية » .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ٨٦)

١٥ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل هَجَر[2] :

---

(١) أى مال بيت النار كما سيأتى فى كتابه إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملـكى عمان .

(٢) قاعدة البحرين .

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي إلى أهل هَجَر ، سِلْم أنتم ، فإنى أحمَدُ إليكم اللهَ الذى لا إله إلاّ هو ، أما بعدُ : فإنى أوصيكم بالله وبأنفسكم ألاّ تضِلُّوا بعد إذ هُدِيتم ، ولا تَغْوُوا(١) بعد إذ رَشَدْتم ، أما بعدُ : فإنه قد أتانى الذى صنعتم ، وإنه من يُحْسِن منكم لا يُحْمَل عليه ذنبُ المسىء ، فإذا جاءكم أمرائى فأَطِيعُوهم وانصُروهم وأَعِينُوهم على أمر الله وفى سبيله ، فإنه مَنْ يعمل منكم عملا صالحا فلن يضلّ له عند الله وعندى ، وأما بعدُ : فقد جاءنى وفدُكُمْ فلم آتِ إليهم إلا ما سَرَّهم ، وإنى لو جَهَدْتُ(٢) حقّى فيكم كلّه أخرجتكم من هَجَر ، فشفعْتُ غائبكم ، وأفْضَلْتُ على شاهدكم(٣) ، فاذكروا نعمةَ الله عليكم » . (فتوح البلدان للبلاذرى ص ٨٧)

١٦ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن على صاحب اليمامة

وبعث صلى الله عليه وسلم سَلِيطَ بن عَمْرو العامرىّ إلى هَوْذَة بن علىّ صاحب اليمامة(٤) ، سنة ست ، وبعث معه كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هَوْذَة ابن على ، سلام على من اتَّبع الهدى ، واعْلَمْ أنّ دِينى سَيَظْهَرُ إلى مُنتهى

---

(١) غوى بفتح الواو كرمى غيا وغوى بكسرها غواية : ضل ، ورشد كنصر فهو راشد ورشد كفرح فهو رشيد . (٢) أى فرقت واستنفدت، من جهد الرجل ماله ، جاء فى اللسان : « وفى حديث الحسن : لا يجهد (على وزان يمنع) الرجل ماله ، ثم يقعد يسأل الناس . قال النضر : قوله لا يجهد ماله : أى يعطيه ، ويفرقه جميعه هاهنا وهاهنا » . وجاء فى القاموس : « وأجهد ماله : أفناه وفرقه » . وأورد شارح القاموس ماورد فى اللسان ، ثم قال : « ولكن الذى ضبطه الصاغانى بخطه فى الحديث : « لا يجهد الرجل » . من حد ضرب ، وذكر المعنى المذكور عن النضر ، فتأمل » .

(٣) وجاء فى مفتاح الأفكار : « فشفعت شاهدكم ، ومننت على غائبكم » .

(٤) صقع سرقى الحجار غربى البحرين .

الخفِّ والحافرِ(١) ، فأسْلِمْ تَسْلَمْ وأَجْعَل لك ما تحت يديك » .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٩ ، والمواهب اللدنية « شرح الزرقانى ٣ ، ٤٠٧ »)

١٧ — رد هوذة على كتابه صلى الله عليه وسلم

فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

« ما أحسَنَ ما تدعو إليه وأجْمَلَه ، وأنا شاعر قومى وخطيبهم ، والعربُ تهابُ مكانى ، فاجْعَلْ إلَىَّ بعضَ الأمر أتَّبِعْك » .

فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه قال : لو سألنى سَيَابَةً(٢) ما فعلتُ ، بَادَ وَباد ما فى يديه .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، والمواهب اللدنية «شرح الزرقانى ٣ : ٤٠٨»)

١٨ — كتابه صلى الله عليه سلم لرفاعة بن زيد الخزاعى

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدْنة الحُدَيْبِيَة ـ أواخرَ سنة ست ـ رِفاعةُ بن زيد الخُزَاعِيّ(٣) ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتابٌ من محمد رسول الله لِرفاعةَ ابن زيد : إنى بعثتهُ إلى قومه عامّةً ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى

---

(١) أى حيث تقطع الإبل والخيل . (٢) السياب كسحاب ورمن : البلح أو البسر الأخضر واحده سيابة كسحابة ورمانة . (٣) فى الطبرى وسيرة ابن هشام : « الجذامى » . وفى السيرة الحلبيه : « الخزاعى » ، وقد ضبطه بالعبارة . فقال : « بالخاء المعجمة والزاى » .

رسوله ، فَمَنْ أقبل منهم فمِنْ حِزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبَرَ فله أمان شهرين » .

فلما قَدِم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحَرّة حَرّةِ الرَّجْلاء[1] فنزلوها . (تاريخ الطبرى ٣ : ١٦٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٥٢ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٥ ، وصبح الأعشى ٦ : ٢٨٢ و ١٣ : ٣٢٢)

١٩ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى جعفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمان

وبعث صلى الله عليه وسلم عَمْرو بن العاص إلى جَيْفَرٍ وعَبْد ابنى الجُلُنْدَى[2] الأزديَّيْنِ ملكى عُمان[3] ، سنة ثمان ، وبعث معه كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله إلى جَيْفَرٍ ، وعَبْد ابنى الجُلُنْدى . سلام على من اتَّبع الهدَى ، أما بَعْدُ : فإنى أدعوكما بدِعاية الإسلام ، أسْلِما تَسْلَمَا ، فإنى رسول الله إلى الناس كافّةً ، لِأُنْذِرَ مَنْ كان حَيًّا ، ويَحِقَّ القَوْلُ على الكافِرِينَ ، وإنكما إن أقْرَرْتما بالإسلام ولَّيْتُكما ، وإن أبَيْتما أن تُقِرَّا بالإسلام، فإنّ ملككما زائلٌ عنكما ، وخَيْلِى تَحُلُّ بساحَتِكما ، وتَظْهَرُ[4] نبوّتى على ملككما » وكتب أُبَىّ بن كعب .

وقد أجابا إلى الإسلام. (السيرة الحلبية ٢ : ٢٧٤ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٨٠ ، والمواهب اللدنية « شرح الزرقانى ٣ : ٤٠٤ »)

(١) علم لحرة فى ديار بنى القين بن جسر بين المدينة والشام . (٢) قال صاحب القاموس : «جلنداء بضم أوله وفتح ثانيه ممدودة ، وبضم ثانيه مقصورة : اسم ملك عمان ، ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه » . (٣) شرق جزيرة العرب على خليج عمان . (٤) ظهر عليه : غلبه .

وجاء فى صبح الأعشى :

وفى رواية ذكرها أبو عبيد فى كتاب الأموال أنه كتب إليهما :

« من محمد رسول الله ، لِعباد الله الأَسْـدِيِّينَ(١) ملوكِ عُمَان ، وأَسْدِ عُمَان ، ومَن كان منهم بالبَحْـرين ، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة ، وآتَوُا الزَّكاة ، وأطاعُوا الله ورسولَه ، وأعْطَوْا حق النبي — صلى الله عليه وسلم — ونَسَكوا نُسُكَ(٢) المسلمين ، فإنهم آمنون ، وإن لهم ما أسلموا عليه ، غيرَ أن مال بيت النّار ثُنْيَا(٣) لِلهِ ورسوله ، وإن عُشُورَ التَّمْرِ صَدَقةٌ ،

---

(١) فى الأصل : « لعباد الله أسيد بن ملوك عمان ، وأسيد عمان من كان منهم بالبحرين » . وهو تحريف ، وقد أصلحته كما ترى ، والأسد لغة فى الأزد ، قال صاحب القاموس : « أزد ابن الغوث وبالسين أفصح : أبوحى باليمن ، ويقال : أزد شنوءة وعمان والسراة » . وفى صبح الأعشى ج ١ : ص ٣١٨ . « قال أبوعبيد . ويقال : بالسين بدل الراى . وقال الجوهرى : بالراى أفصح » . وقد رجعت إلى صحاح الجوهرى فوجدته يقول « هو بالسين :أفصح » . ولعل الخطأ فى صبح الأعشى من الناسخ ، وقد جاء عقب هذا الكتاب فى صبح الأعشى :

« قال أبو عبيد ، وبعضهم يرويه « لعباد الله الأسبيين » اسما أعجميا نسبهم إليه . قال : وإنما سموا بذلك لأنهم نسبوا إلى عبادة فرس ، وهو بالفارسية « أسب » فنسبوا إليـه ، وهم قوم من الفرس ، وفى رواية من العرب » .

أقول : وربما كان الأصل « لعباد الله الأسبذيّين » نسبة إلى « أسبذ » كجعفر ، وهى مدينة بعمان أو بالبحرين ، قال ياقوت فى معجم البلدان (ج ١ : ص ٢١٩) « أسبذ : قرية بالبحرين ، وصاحبها المنذر بن ساوى ، وقد اختلف فى الأسبذيين من بنى تميم لم سموا بذلك ؟ فقيل : هم ولد عبد الله بن زيد ابن عبد الله بن دارم (جد المنذر بن ساوى) ، وقيل لهم الأسبذيون لأنهم كانوا يعبدون فرسا . قلت أنا . الفرس بالفارسية اسمه « أسب » زادوا فيه ذالا تعريبا ، وقيل : كانوا يسكنون مدينة يقال لها أسبذ بعمان فنسبوا إليها ، وقيل : أسبذ اسم ملك كان من الفرس ملكه كسرى على البحرين فاستعبدهم وأذلهم ، فنسب العرب أهل البحرين إلى هذا الملك على جهة الذم ، وعليه قول طرفة :

خذوا حذركم أهل المشقر والصفا : عبيد أسبذ ، والقرض يجرى من القرض

« والمشقر كمعظم والصفا : حصنان بالبحرين » اه باختصار .

(٢) النسك مثلث النون وبضمتين : العبادة وكل حق لله تعالى .

(٣) الثنيا والثنوى : ما استثنيته .

ونِصْفَ عُشُورِ الحَبِّ : وإنّ للمسلمين نَصْرَهم ونُصْحَهم ، وإنّ لهم على المسلمين مِثْلَ ذلك ، وإنّ لهم أَرْحَاءً يَطْحَنُونَ بها[1] » .

٢٠ — عهده صلى الله عليه وسلم لأهل أيلة بالأمان

ولما كان صلى الله عليه وسلم بتَبُوكَ[2] ـ سنة تسع ـ أتاه يُحَنَّة بن رُؤْبَة صاحب أَيْلَة[3] ، وصُحبته أهل جَرْبَاء ، وأهل أَذْرُح ، وأهل ميناء ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على إعطاء الجزية ، وكتب له ولأهل أيلة كتابا صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أَمَنَة[4] من الله ومحمد النبيّ رسول الله لِيُحَنَّةَ بن رُؤْبَةَ ، وأهلِ أَيْلَةَ ، سُفُنِهِمْ وَسَيَّارَتِهم[5] في البرّ والبحر ، لهم ذمة الله وذمةُ محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشأم ، وأهل اليمن ، وأهل البحر . فمن أحدث منهم حَدَثا فإنه لاَ يَحُولُ مَالَهُ دون نفسه . وانه طَيِّب[6] لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يَحِلُّ أن يُمْنَعوا ماءً يَرِدُونَه . ولا طريقا يُرِيدونه من برّ أو بحر » .

السيرة الحلبية ٢ : ٢٦٤ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٨ ، والمواهب « شرح الزرقاني ٣ : ٤١٢ » وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١١٤ » .

(١) الأرحاء جمع رحى ، وهي التي يطحن بها معروفة ، والمعنى : أنهم يستقلون بشئونهم ، ويديرون أمورهم كما يشاءون ، وجاء من هذه المادة في لسان العرب : « والأرحى (كالأدحى) القبائل التي تستقل بنفسها وتستغني عن غيرها » ، وفي أساس البلاغة : « وهؤلاء رحى من أرحاء العرب ، وهي قبائل لا تنتجع ولا تبرح مكانها » . (٢) موضع بين وادي القرى والشام ، وكان عليه السلام قد سار إليها لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع بها من الروم وعاملة ولخم وجذام فوجدهم قد تفرقوا ، وهي آخر غزواته .

(٣) مدينة على خليج العقبة من شماليه .

(٤) أي أمان : أمن كفرح أمنا بالسكون وفتحه ، وأمنا وأمنة محركين وإمنا بالكسر .

(٥) السيارة : القافلة . وفي تاريخ ابن عساكر والمواهب « أساقفتهم وسائرهم » . أي تجيء مكان قوله « سفنهم وسيارتهم » . (٦) وفي سيرة الحلبية : « وإنه لطيبة » . وهو على تقدير أنه صفة لموصوف محذوف . أي غنيمة طيبة من أخذه .

٢١ — كتابه صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح وجرباء بالأمان

وكتب لأهل أَذْرُحَ وَجَرْبَاء ما صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل أَذْرُحَ وَجَرْبَاءَ : إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وإن عليهم مائة دينارٍ فى كل رجب وافيةً طيِّبة ، والله كفيلٌ عليهم بالنُّصْح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين فى المخافة والتَّعزير[١] » .

وصالح أهل مِيناء على رُبع ثمارهم .

(السيره الحلبية ٢ : ٢٦٤ ، وتهديب تارح ان عساكر ١ : ١١٥ ، والمواهب شرح الزرقانى ٣ : ٤١٣)

٢٢ — كتابه صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة

وكتب صلى الله عليه وسلم لِأُكَيْدِر دُومَة ، وهو أُكَيْدِرُ بن عبد الملك الكِنْدِى[٢] ، وكان ملكا على دُومة الجَنْدَل ، وكان نصرانيا :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لِأُكَيْدِر

---

(١) التعزير : الإعانة والنصر . (٢) بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى سرية إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل (بين الشام والمدينة) فى رجب سنة تسع ، فخرج للقاء خالد ، وتلقته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه حسان ، وقدم خالد بأكيدر على رسول الله ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع ، وقد اختلف فى إسلامه ، فقيل إنه أسلم لما قدم على رسول الله — كما يدل عليه كتابه له — ثم ارتد بعد موت الرسول ، وحاصره خالد فى خلافة أبى بكر الصديق وقتله لنقضه العهد . وقيل إنه لم يسلم وإنه لما صالحه صلى الله عليه وسلم عاد إلى حصنه وبقى فيه على نصرانيته .

دُومَة ، حين أجاب إلى الإسلام ، وخَلَع الأنداد والأصنام[١] ، مع خالد بن الوليد سيف الله فى دُومَة الجندل وأكنافها[٢] .

إن لنا الضاحيةَ من الضَّحْلِ وَالْبَوْرَ وَالمَعَامِيَ وأغفالَ الأرض والحَلْقَةَ والسلاحَ والحافِرَ والحِصْن، ولكم الضامِنةُ من النخل، والمَعِين من المعمور[٣]، لا تُعْدَل سارحَتُكم، ولا تُعَدُّ فَارِدتكم[٤] ، ولا يُحْظَر[٥] عليكم النبات ، تُقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين .

(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٦ ، و ٦ : ٣٧٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٢٩ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٦٨ ، والعقد الفريد ١ : ١١٢ ، والروض الأنف ٢ : ٣١٩ ، ومعجم البلدان ٤ : ١٠٨ والمواهب شرح الزرقانى ٣ : ٤١٤)

---

(١) الأنداد : جمع ند بالكسر وهو ضد الشىء الذى يناده أى يخالفه ، والمراد ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى . الأصنام : جمع صنم ، وهو ما اتخذ إلها من دون الله .

(٢) الأكناف : جمع كنف بالتحريك ، وهو الجانب والناحية .

(٣) الضاحية : الناحية البارزة التى لا حائل دونها ، والمراد هنا أطراف الأرض. الضحل : القليل من الماء يكون فى الغدير ونحوه ، وبالتحريك مكان الضحل ، وقال أبو عبيد « الضاحية من الضحل : ما ظهر وبرز ، وكان خارجا من العمارة فى البر من النخل » ويروى : الضاحية من البعل ، والبعل : النخل الراسخ عروقه فى الأرض ، فهو يشرب بها من غير سقى . البور : الأرض التى لم تزرع ، وهو بالفتح مصدر وصف به ، ويروى : بالضم وهو جمع بوار (بالفتح) ، وهى الأرض الخراب التى لم تزرع . المعامى : الأراضى المجهولة التى ليس فيها أثر عمارة واحدها معمى (كمذهب) وهو موضع العمى كالمجهل . أغفال الأرض : أى المجهولة التى ليس فيها أثر يعرف ، وحكى اللحيانى : «أرض أغفال» كأنهم جعلوا كل جزء منها غفلا (بالضم). الحلقة: السلاح عاما ، وقيل: الدروع خاصا والسلاح : ما أعد للحرب من آلة الحديد مما يقاتل به ، والسيف وحده يسمى سلاحا . الحافر : الخيل والبراذين والبغال والحمير . الحصن : هو حصن أكيدر بدومة الجندل ، وكان يقال له : « مارد » . وفى العقد الفريد : « ... ... والحلقة ، ولكم السلاح والحصن ، ولكم الضامنة من النخل . . . » . الضامنة من النخل : ما تضمنته أمصارهم وقراهم ، وكان داخلا فى العمارة وأطاف به سور المدينة . وقيل : سميت ضامنة لأن أربابها ضمنوا عمارتها وحفظها ، فهى ذات ضمان ، كعيشة راضية بمعنى ذات رضا . المعين من المعمور : الماء الذى ينبع من العين فى العامر من الأرض ، وفى العقد « ... والمعين من المعمور بعد الخمس » .

(٤) لا تعدل سارحتكم : لا تصرف ماشيتكم ولا تمال عن المرعى ولا تمنع . الفاردة : الزائدة على الفريضة ، ولا تعد فاردتكم : أى لا تضم إلى غيرها وتحشر إلى الصدقة حتى تعد مع غيرها وتحسب .

(٥) الحظر : المنع ، أى لا تمنعون من الزرع والمرعى حيث شئتم .

٢٣ — كتابه صلى الله عليه وسلم لبنى كلب

وقَدِم قَطَنُ بن حارثةَ العُلَيْمِيُّ(١) فى وفد كَلْب على النبى صلى الله عليه وسلم فذكر كلاما ، فكتب له رسول الله كتابا ، نُسْخته :

« هذا كتاب من محمد رسول الله لِعَمَائِرِ كَلْب وأحلافها ، ومَن ظَأَرَه(٢) الإسلام من غيرها ، مع قَطَن بن حارثة العُلَيْمِيّ ، بإقامة الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة بحقها ، فى شدة عَقْدها ، ووفاء عهدها ، بمحضر شهود من المسلمين : سَعْدِ بن عُبادةَ ، وعبد الله بن أُنَيْسٍ ، وَدِحْيَة بن خليفة الكلبيّ ؛ عليهم فى الهَمُولَةِ الرَّاعيةِ البِساطِ الظُّؤار : فى كل خمسين ناقةً غيرُ ذَاتِ عَوارٍ(٣) ، والحَمُولةُ المَائِرَةُ لهم لاغيةٌ(٤) ، وفى الشَّوِيِّ الْوَرِيِّ مُسِنَّةٌ حامِلٌ أو حافِلٌ(٥) ، وفيما سَقَى الجَدْولُ من العَيْن المَعِينِ(٦) ، العُشْرُ من ثمرها مما أخرجت أرضُها ، وفى العِذْيِ شَطْرُه بقيمة الأمين(٧) ، فلا تُزاد

---

(١) نسبة لبنى عليم من كلب . (٢) العمائر : جمع عمارة بالفتح وتكسر ، وهى أصغر من القبيلة . الأحلاف : جمع حلف بالكسر وهو المحالف (الصديق يحلف لصديقه أن لا يغدر به) . ظأره : عطفه وجمعه (وفى العقد « ومن صاده » وهو تحريف) .

(٣) الهمولة : التى قد أهملت ترعى بنفسها . البساط : يروى بالفتح والضم والكسر ، جمع بسط بالكسر ، وهى الناقة التى تركت وولدها لايمنع منها ولاتعطف على غيره . الظؤار : جمع ظئر بالكسر وهى العاطفة على غير ولدها المرضعة له فى الناس وغيرهم . العوار : مثلثة العيب . (٤) الحمولة : ما احتمل عليه القوم من بعير وغيره . المائرة : التى تحمل عليها الميرة ، وهى الطعام ونحوه مما يجلب للبيع . لاغية : أى ملغاة ، فاعلة بمعنى مفعولة : أى لاتعدّ عليهم ولا يلزمون لها صدقة لأنها عوامل .

(٥) الشوى : جمع شاة . الورىّ : السمينة . شاة حافل : احتفل لبنها ، أى اجتمع فى ضرعها .

(٦) العين : مطر أيام لايقلع . المعين : الماء الجارى على وجه الأرض ، من معن الماء ككرم ومنع أى جرى فوزنه فعيل ، وقيل من عان الماء يعين إذا جرى أيضاً فوزنه مفعول فى الأصل .

(٧) العذى : النخل والزرع الذى لايسقى إلا من ماء المطر لبعده من المياه ، ويسمى أيضاً العثرى بفتح أوله وثانيه وتشديد الياء ، سمى به لأنه لا يحتاج فى سقيه إلى تعب بدالية وغيرها ، كأنه عثر على الماء عثراً بلا عمل من صاحبه . الشطر : نصف الشىء . بقيمة الأمين : أى بتقويمه .

عليهم وظيفةٌ[1] ولا تفرّق ، يَشْهد اللهُ تعالى على ذلك ورسوله » .

وكتب ثابت بن قيس بن شماس . (العقد الفريد ١ : ١٠٩)

٢٤ — كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف

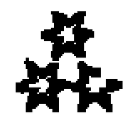
ولما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبُوكَ فى رمضان سنة تسع ، وَفَدَ عليه فى ذلك الشهر وفْد من أشراف ثَقِيف[2] ، فأسلموا وبايعوا ، وقد كتب لهم خالد بن سعيد بن العاص كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين :

إن عِضاهَ وَجٍّ[3] وصَيْدَه حرام ، لا يُعْضَد[4] شَجَرُه ، ومن وُجِد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يُجْلد وَتُنْزَعُ ثيابُه ، فإن تعدَّى ذلك فإنه يؤخذ فيُبْلَغُ به النبيُّ محمد ، وإن هذا أمرُ النبي محمدٍ رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدَّه أحد ، يَظْلِم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله » .

(سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٣٩ ، والمواهب : شرح الزرقانى ٤ : ١٠)



وروى صاحب العقد قال :

وَفَدت ثَقيف على النبي صلى الله عليه وسلم . فكتب لهم كتابا حين

---

(١) الوظيفة : النصاب فى الزكاة ، وأصله الشىء الراتب .

(٢) كانوا ينزلون بالطائف شرقى مكة . (٣) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك ، واحدها عضاهة كقلادة ، وعضهة كعنبة ، وعضه بالهاء كعنب ، وعضة بالتاء كعدة . وج : اسم واد بالطائف وقيل هو الطائف ، وكانت تسمى « وجا » بوج بن عبد الحىّ من العماليق ، وهو أخو أجأ الذى سمى به جبل طيىء .

(٤) عضده : كضربه قطعه (وكنصر : أعانه ونصره ، وأصاب عضده) .

أسلموا : أن لهم ذمّةَ الله ، وأن واديَهُمْ حَرامٌ عِضاهُه ، وصَيْدُه ، وظُلْمٌ فيه ، وأن ما كان لهم من دَيْنٍ إلى أجَلٍ فبلغَ أجَلَهُ ، فإنه لِياطٌ[1] مُبَرّأ من الله ورسوله، وأن ما كان لهم من دَيْن فى رهن وراء عُكاظ، فإنه يُقْضَى إلى رأسه ويُلاطُ بعكاظ[2] » . (العقد الفريد ١ : ١١٠)

٢٥ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى ملوك حمير

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حِمْيَر، مَقْدَمَه من تبُوكَ ، ورُسُلُهُمْ إليه بإسلامهم: الحارث بن عبد كُلَالٍ، ونُعَيْمُ بن عبد كُلَالٍ والنُّعمان قَيْلُ ذى رُعَيْنٍ ، وهَمْدَان ، ومَعَافر. وبعث إليه زُرْعَةُ ذو يَزَن مالكَ ابن مُرَّةَ الرَّهاوِىّ[3] بإسلامهم ، ومفارقتِهِمُ الشِّرْكَ وأهله ، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبىّ رسول الله إلى الحارث ابن عبد كُلال ، ونُعَيْم بن عَبْد كُلال ، والنُّعمان قَيْلِ ذى رُعَيْنٍ ، وهَمْدَان ، ومَعَافر .

أمّا بعدَ ذلكم ، فإنى أحْمَدُ إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ فإنه قَدْ وَقَعَ[4] بِنا رَسُولُكم مَقْفَلَنَا[5] من أرض الروم ، فَلَقِيَنَا بالمدينة ، فبلّغَ

---

(١) اللياط : الربا ، سمى لياطا لأنه شىء لا يحلّ ألصق بشىء ، وكل شىء ألصق بشىء وأضيف إليه ، فقد أليط به ، والربا ملصق برأس المال ، واللياط فى هذا الحديث : الربا الذى كانوا يربونه فى الجاهلية ، ردهم الله إلى أن يأخذوا رءوس أموالهم ويدعوا الفضل عليها .

(٢) وفى لسان العرب بعد ذلك « ولا يؤخر » انظر مادّة « ليط » . (٣) نسبة إلى رهاء كسماء : حىّ من مذحج . (٤) أى نزل بنا ، من وقع الطائر على الشجرة إذا نزل عن طيرانه .

(٥) وقت قفولنا : أى رجوعنا ، وفعله كنصر وضرب ، وفى رواية « منقلبنا » .

مَا أَرْسَلْتُمْ به ، وخبَّر ماقِبَلَـكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلِكم المشركين ، وأنّ الله قد هداكم بهدايته . إن أصلحتم ، وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمْس الله ، وسَهْمَ نَبِيِّهِ وصَفِيَّه ، وما كَتَبَ على المؤمنين من الصَّدَقة ، مِن العَقار[1] عُشْرُ ما سَقَتِ العَيْنُ ، وما سَقَتِ السماء ، وكل ما سُقِيَ بالغَرْبِ[2] نصف العُشْر ، وفى الإبل : فى الأربعين ابنةُ لَبُونٍ ، وفى ثلاثين من الإبل ابنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ[3] ، وفى كل خَمْسٍ من الإبل شاة ، وفى كل عَشْرٍ من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة[4] ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيعٌ : جَذَعٌ أوجَذَعَةٌ[5] ، وفى كل أربعين من الغنم سائمةً[6] وَحْدَها شاةٌ ، وإنها فريضة الله التى فَرَض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، ومن أدَّى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظَاهَرَ[7] المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين: له ما لهم وعليه ماعليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهوديّ أو نَصْرانِى ، فإنّ له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على يهوديَّته أو نَصرانيته ، فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعليه الجزية ، على كل حالمٍ[8] ، ذكرٍ أو أنثى ، حُرٍّ أو عبدٍ ، دينارٌ وافٍ ، أو قيمته

---

(١) العقار : الضيعة أى يجب العشر فى كل ما سقى بماء يجرى على الأرض وما سقى بالمطر .

(٢). الغرب : الدلو العظيمة . (٣) ابن لبون : ولد الناقة إذا استكمل العام الثانى ودخل فى الثالث ، والأنثى ابنة لبون ، وذلك لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن ، وهو نكرة ويعرّف بأل فيقال : ابن اللبون . (٤) وحددت بأن تكون ذات سنتين .

(٥) التبيع : ولد البقرة أول سنة . والجذع من البقر : ما دخل فى السنة الثانية (انظر النهاية لابن الأثير ج ١ : ص ١٥٠) فالمعنى : فيها تبيع دخل فى السنة الثانية .

(٦) أى راعية لامعلوفة ، من سامت الماشية : إذا رعت . (٧) ناصر وأعان .

(٨) حلم الصبى كقتل ، واحتلم : أدرك وبلغ مبلغ الرجال فهو حالم ومحتلم .

من المَعَافِرِ[1] أو عِوَضه ثيابا ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعدُ ، : فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زُرْعة ذى يَزَن : أنْ إذا أتتكم رُسُلى ، فأُوصيكم بهم خيراً ، مُعاذ بن جَبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك ابن عُبادة ، وعُقْبة بن نَمِر ، ومالك بن مُرّة وأصحابهم ، وأن اْجمَعُوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مَخَالِيفِكم[2] وأبلِغوها رسلى ، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل فلا ينقلبَنّ إلاّ راضيا .

أما بعد : فإن محمداً يشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مُرّة الرّهاوىّ ، قد حَدّثنى أنك قد أسلمت من أول حِمْير ، وقتلت المشركين ، فأبْشِرْ بخير ، وآمُرُكَ بحمير خيراً ، ولا تَخُونوا ، ولا تَخَاذَلوا ، فإن رسول الله مَوْلَى غنيِّكم وفقيركم .

وإن الصدقة لا تحِلّ لمحمد ولا لأهله ، إنما هى زكاة يتزكّى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ، وإن مالكا قد بلّغَ الخبرَ ، وحَفِظَ الغيبَ ، وآمركم به خيرا .

وإنى قد بعثت إليكم من صالحى أهلى ، وأُولِى دِينهم ، وأُولِى عِلْمهم ، فآمركم بهم خيرا ، فإنهم منظورٌ إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٣ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥١ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٧ وص ٧٨)

---

(١) معافر بفتح الميم : بلد باليمن ، وأبو حى من همدان باليمن أيضاً ، وإلى أحدهما تنسب الثياب المعافرية ، وجاء فى اللسان : « وثوب معافرىّ لأنه نسب إلى رجل اسمه معافر . ولا يقال بضم الميم ، وإنما هو معافر غير منسوب ، وقد جاء فى الرجز الفصيح منسوبا . قال الأزهرى : برد معافرى : منسوب إلى معافر اليمن . ثم صار اسما لها : (أى للبرود) بغير نسبة . فيقال : معافر . وفى الحديث : أنه بعث معاذا إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً ، أو عدله من المعافرىّ ، وهى برود باليمن ... الخ » . وجاء فى معجم البلدان « قال الأصمعى : ثوب معافر غير منسوب ، فمن نسب ، وقال معافرى فهو عنده خطأ ، وقد جاء فى الرجز الفصيح منسوبا » .

(٢) مخاليف : جمع مخلاف بالكسر ، وهو بلغة اليمن الكورة .

٣٦ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى همدان

وقَدِم ذو المِشْعارِ مالِكُ بن نَمَطٍ فى وَفْدٍ من هَمْدَانَ(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من تبُوكَ ، فخطب مالك بين يديه ، وكتب لهم رسول الله كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله لِمِخْلَافِ خارِفٍ(٢) ، وأهل جَناب الهَضْب ، وحِقافِ الرَّمْلِ ، مع وَافِدِها ذى المِشْعار مالِكِ بن نَمَطٍ ، ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فِرَاعَهَا وَوِهاطَهَا(٣) ، ما أقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة ، يأكلون عِلَافَهَا ، ويَرْعَوْنَ عافيَهَا(٤) ، لهم بذلك عَهْدُ اللهِ ، وذِمامُ رسوله ، وشاهِدُهُمُ المهاجرون والأنصار » .

(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٥ ، و ٦ : ٣٧٤ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٦)

رواية أخـــرى

وفى رواية أخرى أن كتابه إليهم :

« إن لكم فِرَاعَهَا وَوِهاطَها وَعَزَازَها(٥) ، تأكلون عِلَافَها ، وَتَرْعَوْنَ

(١) قبيلة من اليمن . (٢) خارف : بطن من همدان . الجناب : الناحية كالجنبة (بالفتح) . الحقاف : جمع حقف بالكسر وهو المعوج من الرمل ، أو الرمل العظيم المستدير أو المستطيل المشرف ، أو هى رمال مستطيلة بناحية الشحر (ساحل البحر بين عمان وعدن ، بالفتح ويكسر) ويجمع الحقف أيضاً على أحقاف وحقوف .

(٣) الفراع : جمع فرعة كوردة ، وهى ما ارتفع من الأرض . الوهاط : جمع وهطة وهى ما اطمأن من الأرض ، لغة فى وهدة . (٤) جمع عاف (كجبل) وهو ما تعتلفه الدواب من نبات الأرض . العافى : ما ليس لأحد فيه ملك ، من قولهم: عفا الأثر إذا درس .

(٥) العزاز : ماصلب من الأرض واشتد وخشن ، ويكون ذلك فى أطرافها .

عَفَاها[1] ، لنا من دِفْئِهِمْ وصِرَامِهِم[2] ما سَلَّموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثِّلْبُ ، والنابُ ، والفَصِيل ، والفارِضُ ، والداجن[3] ، والكَبْشُ الحَوَرِىّ[4] ، وعليهم فيها الصَّالِغُ والقَارِحُ[5] » .

(الشفا للقاضى عياض ص ٤٨ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٤ ، والعقد الفريد ١ : ١٠٩)

٢٧ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى بنى نهد

وكتب صلى الله عليه وسلم مع طَهْفَةَ بن أبى زُهَيْرٍ النَّهْدِىّ حين وفد عليه كتابًا إلى بنى نَهْدٍ[6] ، فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى بنى نهد بن زيد : السلام على من آمن بالله ورسوله ، لكم يابنى نَهْدٍ فى الوظيفة الْفَرِيضَةُ[7] ، وَلَكُم العَارِضُ ، والفَرِيشُ ، وذو العِنان الرَّكوبُ ، والفَلُوُّ الضَّبِيسُ[8] ،

---

(١) العفا : الباقى ، وهو فى العقد واللسان والقاموس بالقصر ، وفى الشفا بالمد .

(٢) الدفء : نتاج الابل وما ينتفع به منها ، سمى دفئا لأنه يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يستدفأ به ، والمراد هنا الإبل والغنم . الصرام : النخل وأصله قطع الثمرة .

(٣) الثلب : الجمل تكسرت أنيابه هرما . الناب : الناقة المسنة . الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه من الرضاع . الفارض : المسن من الابل . الداجن : الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم ، والمراد أنه لايؤخذ منهم فى الزكاة . (٤) الكبش الحورى : منسوب إلى الحور ، وهى جلود تتخذ من جلود الضأن . وقيل : هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ .

(٥) الصالغ بالصاد والسين هو من البقر والغنم الذى كمل وانتهى سنه ويكون ذلك فى السنة السادسة . القارح : الفرس إذ استتم السنة الخامسة ودخل فى السادسة . (٦) قبيلة باليمن .

(٧) الوظيفة : النصاب فى الزكاة وأصله الشىء الراتب . الفريضة : الهرمة المسنة ، والمراد أنها لاتؤخذ منهم فى الزكاة ، بل تكون لهم . ويروى « عليكم فى الوظيفة الفريضة » أى فى كل نصاب ما فرض فيه . (٨) يروى بالعين وبالفاء ، فالعارض بالعين : المريضة ، وقيل : هى التى أصابها كسر ، يقال : عرضت الناقة إذا أصابها آفة أو كسر أى إنا لا نأخذ ذات العيب فنضر بالصدقة . الفارض بالفاء : المسنة كالمريضة . الفريش : هى التى وضعت حديثاً كالنفساء من النساء ، والفرس بعد نتاجها بسبع ليال ، وهو خير أوقات الحمل عليها . ذو العنان الركوب : الفرس الذلول . الفلو : كحمل وعدوّ وسموّ المهر الصغير ، وقيل العظيم من جميع أولاد الحافر . الضبيس : العسر الصعب الذى لم يرض .

لا يُمْنَع سَرْحُكم ، ولا يُعْضَدُ طَلْحُكم ، ولا يُحْبَسُ دَرُّكم[١] ، ولا يؤكل أُكُلُكُمْ ، مالم تُضْمِرُوا الإماقَ[٢] ، وتأكلوا الرِّبَاقَ[٣] ، مَن أقرَّ بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمّة ، ومن أَبَى فعليه الرِّبْوَة[٤] » .

(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٤ و ٦ : ٣٦٨ ، والعقد الفريد ١ : ١١٤ ، والشفا للقاضي عياض ص ٤٨ ، والمثل السائر ص ٦٣ ، والمواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني ٤ : ١٩٢)

٢٨ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضرموت

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حُجْر وأهل حَضْرَمَوْتَ :

« من محمد رسول الله إلى الأَقْيَالِ العَبَاهِلَة من أهل حَضْرَمَوْتَ[٥] ،

---

(١) السرح : المواشي السائمة ، أي أنها لا تمنع من المرعى . يعضد : يقطع . الطلح : شجر عظام . الدر : اللبن ، والمراد ذوات الدر من المواشي ، أراد أنها لا تحشر إلى المصدق ، وتمنع المرعى إلى أن تجتمع الماشية ثم تعدّ ، لما في ذلك من الاضرار .

(٢) الإماق : مخفف من الإمآق ترك الهمز منه ليوازن الرباق ، الإمآق : نكث العهد من الأنفة ، من أمأق إذا صار ذا مأقة (بالفتح) وهي الحمية والأنفة ، يقول : لكم الوفاء بما كتبت لكم ما لم تأتوا بالمأقة فتغدروا وتنكثوا ، وقيل : الإماق مصدر أماق ، وهو أفعل من الموق (بضم) أي الحمق . والمراد إضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار في دين الله تعالى .

(٣) الرباق: جمع ربق بالكسر، وهو حبل فيه عدة عرى تشد به البهيمة من يدها أو عنقها ،كل عروة ربقة بالكسر والفتح ، والمعنى : وتقطعوا رباق العهد الذي في أعناقكم وتنقضوه ، واستعار الأكل لذلك لأن البهيمة إذا أكلت الربقة خلصت من الشد .

(٤) الربوة : الزيادة ، أي من تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له ، ويروى « من أقر بالجزية فعليه الربوة » . أي من امتنع عن الإسلام لأجل الزكاة كان عليه من الجزية أكثر مما يجب عليه بالزكاة .

(٥) الأقيال: جمع قيل (كشمس) وهو الملك من ملوك حمير، أو هو دون الملك الأعلى ، فهو في حمير كالوزير في الإسلام . العباهلة : الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه (بالبناء للمجهول) وجاء في اللسان « وواحد العباهلة عبهل (كجعفر) والتاء لتأكيد الجمع كقشعم وقشاعمة ، ويجوز أن يكون الأصل عباهيل جمع عبهول (كعصفور) أو عبهال (كقرطاس) فحذفت الياء وعوض منها تاء ... الخ » . حضرموت بفتح الميم وتضم : في أقصى اليمن .

بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، على التِّيعَةِ(١) الشاةُ ، والتِّيمةُ(٢) لصاحبها ، وفى السُّيُوبِ(٣) الخُمْسُ ، لا خِلَاطَ ولا وِرَاطَ(٤) ، ولا شِنَاقَ(٥) ولا شِغَارَ(٦) ، ومن أجْبَى فقد أرْبَى(٧) ، وكل مسكر حرام » .

(صبح الأعشى ٢ : ٢٤٦ ، ٦ : ٣٧١ . والعقد الفريد ١ : ١١٢ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٣)

رواية أخـــرى

وفى رواية أخرى أن كتابه لهم :

« إلى الأقيال العَبَاهِلَة ، والأرْوَاعِ المَشَايِبِ(٨) ، فى التِّيعَة شَاةٌ ،

---

(١) التيعة : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، كالخمس من الابل ، والأربعين من الغنم ، قال ابن الأثير : وكأنها الجملة التى للسعاة عليها سبيل ، من تاع إليه يتيع : إذا ذهب إليه .

(٢) التيمة : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، وقيل هى الشاة التى تكون لصاحبها فى منزله يحلبها وليست بسائمة ، وهى بمعنى الداجن .

(٣) السيوب جمع سيب (كشمس) وهو الركاز (ككتاب) ويشمل المعدن والكنز ، فالمعدن ماخلقه الله تعالى تحت الأرض ، والكنز مادفنته العباد ، وسمى سيبا لأنه من سيب الله أى من عطائه وفضله لمن أصابه . (٤) الخلاط : مصدر خالط كالمخالطة ، والمراد أن يخلط الرجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله تعالى منها ، ويبخس المصدق (بتشديد الدال المكسورة : آخذ الصدقات) فيما يجب له ، والوراط : أن تجعل الغنم فى وهدة من الأرض لتخفى على المصدق ، مأخوذ من الورطة (كوردة) وهى الهوة من الأرض .

(٥) الشناق : المشاركة فى الشنق بالتحريك ، وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة ، ففى الغنم مثلا فى أربعين شاة شاة واحدة ، وفى مائة وإحدى وعشرين شاتان ، وما بينهما عفو أى لازكاة فيما بين النصابين ، ولا تؤخذ من الشنق حتى يتم . وقيل أى لايشتق الرجل غنمه أو إبله إلى مال غيره ليبطل ما يجب عليه من الصدقة ، وذلك أن يكون لكل واحد منهما أربعون شاة ، فيجب عليهما شاتان ، فإذا أشنق أحدهما (أى أضاف) غنمه إلى غنم الآخر ، فوجدها المصدق فى يده ، أخذ منها شاة ، وهو مثل قوله « لاخلاط » لكن حمله على الأول أولى لتعدد المعنى .

(٦) الشغار : نكاح معروف فى الجاهلية ، وهو أن يزوج الرجل الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه ابنته أو أخته بغير مهر .

(٧) الاجباء : بيع الزرع قبل بدو صلاحه ، وقيل هو أن يغيب إبله عن المصدق ـ أخذا من أجبأته إذا واريته . وقيل هو أن يبيع من الرجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم ، ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذى باعها به . أربى : وقع فى الربا .

(٨) الأرواع جمع أروع ، وهو من يعجبك بحسن منظره أو بشجاعته كالرائع ، وقيل هم الذين =

لا مُقَوَّرَةَ الْأَلْيَاطِ ولا ضِنَاكَ(١) ، وأَنْطُوا الثَّبَجَةَ(٢) ، وفى السُّيُوبِ الْخُمُسُ ، ومن زَنَى مِمْ بِكرٍ(٣) فاصْقَعوه مائةً واستَوْفِضُوهُ(٤) عاما ، ومن زنى مِمْ ثَيِّبٍ فضرِّجوه بالأَضَامِيمِ(٥) ، ولا تَوْصِيمَ(٦) فى الدين ، ولا غُمَّةَ(٧) فى فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام . ووائل بنُ حُجْرٍ يترفَّلُ(٨) على الأَقْيالِ»

(الشفا للقاضي عياض ص ٤٩ ، وصبح الأعشى ٢ : ٢٤٦ و ٦ : ٢٧١)

٢٩ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامى

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى فَرْوَةَ بن عمْرٍو الجُذَامِيِّ(٩) ـ وقد بعث إليه رسولا بإسلامه :

= يروعون الناس أى يفزعونهم بشدة الهيبة . المشايب : السادة الرءوس ، الزهر الألوان ، الحسان المناظر ، واحدهم مشبوب كأنما أوقدت ألوانهم بالنار ، ويروى الأشباء جمع شبيب ، فعيل بمعنى مفعول .

(١) الألياط : جمع ليط (بالكسر) وهو الجلد وقشر كل شيء . الاقورار : استرخاء الجلد ، والمقورة الألياط : المسترخية الجلد لهزالها . الضناك : الكبير اللحم للذكر والأنثى ، والمراد أنه لاتؤخذ المفرطة فى السمن كما لاتؤخذ المهزيلة . (٢) أنطوا : هو بلغة أهل اليمن بمعنى أعطوا — خاطبهم صلى الله عليه وسلم بلغتهم — . الثبجة : الوسط من المال التى ليست من خياره ولا رذالته أخذا من ثبجة الناقة : ما بين الكاهل إلى الظهر .

(٣) جرى فيه على لغة أهل اليمن حيث يبدلون لام التعريف ميما . قال ابن الأثير : وعلى هذا فتكون راء بكر مكسورة من غير تنوين لأن أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام ميما بقيت الحركة بحالها ، ويكون قد استعمل البكر موضع الأبكار . قال : والأشبه أن تكون بكر منونة ، وقد أبدلت نون من ميما ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء قلبت فى اللفظ ميما نحو عنبر ومنبر ، ويكون التقدير ومن زنى من بكر .

(٤) أى اضربوه ، وأصل الصقع الضرب على الرأس ، وقيل الضرب ببطن الكف . استوفضوه : انفوه وغرّبوه ، أخذا من قولهم استوفضت الابل إذا تفرقت فى رعيها .

(٥) أى أدموه بالضرب ، تضرج بالدم : تلطخ به . الأضاميم : جمع إضمامة بالكسر وهى الحجارة ، والمعنى ارموه بالحجارة . (٦) التوصيم : الفترة والتوانى أى لا تفتروا فى إقامة الحدود ولا تتوانوا فيها .

(٧) الغمة : الستر أى لا تستروا فرائض الله ولا تخفوها ، بل اجهروا بها وأعلنوها .

(٨) أى يسود ويترأس ، استعارة من ترفيل الثوب ، وهو إسباغه وإرساله .

(٩) وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ومنزله معان (كسحاب) مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء) وما حولها من أرض الشأم ، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه ثم قتلوه وصلبوه .

« من محمد رسول الله إلى فَروة بن عمرو :

أما بعدُ ، فقد قَدِم علينا رسولُك ، وبلَّغ ما أَرْسَلْتَ به ، وخبَّر عما قِبَلَكم خيراً ، وأتانا بإسلامك وأن الله هداك بُهداه » (صبح الأعشى ٦ : ٣٦٨)

٣٠ — كتاب خالد بن الوليد إليه صلى الله عليه وسلم

وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُنبئه بإسلام بنى الحرث[1] بن كعب سنة عشر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمدٍ النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد السَّلَامُ عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أَحْمَدُ إليك الله الذى لا إِلَهَ إلا هو ، أمَّا بعدُ يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحرث بن كَعْب ، وأمَرْتنى إذا أتيتُهم أَنْ لا أقاتِلهم ثلاثةَ أيام ، وأن أدعُوَهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمتُ فيهم ، وقبلْتُ منهم ، وعلَّمتُهم مَعَالِمَ الإسلام وكتابَ الله وسنةَ نبيه ، وإن لم يُسْلِموا قاتلتُهم ، وإنى قَدِمتُ عليهم فدعوتُهُم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم رُكْباناً قالوا يا بنى الحرث ! أَسلِموا تَسْلَموا ، فأسلَموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيمٌ بين أَظْهُرِهم ، آمُرهم بما أَمَرَهم الله به ، وأنهاهم عما نَهاهم الله عنه ، وأعلِّمهم معالم الإسلام ، وسنةَ النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى يكتب إلىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلامُ عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته » .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٣ ، وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٥)

---

(١) وكان عليه الصلاة والسلام قد بعثه إليهم بنجران فى ربيع الآخر — أو جمادى الأولى — سنة عشر ، ليدعوهم إلى الاسلام .

٣١ — رده صلى الله عليه وسلم على خالد

فكتب إليه صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد : سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك، يُخْبرني أن بني الحرث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دَعَوْتَهم إليه من الإسلام ، وشَهدوا أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهُداه ، فبَشِّرهم وأنذِرهم ، وأَقْبِلْ وليُقبِلْ معك وَفْدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٣ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٧٦

٣٢ — عهده صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم الأنصارى حين ولاه اليمن

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني الحارث بن كعب ـ بعد أن ولَّى وفْدُهم ـ عَمْرَو بن حَزْمٍ الأنصاريَّ ، ليفقِّهَهم في الدين ، ويعلِّمهم السُّنَّة ، ومَعالِمَ الإسلام ، ويأخذَ منهم صَدَقاتِهِمْ ، وكتب له كتاباً عَهِد إليه فيه ، وأمَرَه فيه بأمره :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيانٌ من الله ورسوله « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » عَقْدٌ من محمدٍ النبي رسولِ الله لِعَمْرِو بن حَزْمٍ ، حِين بعثه إلى اليمن . أمره بتقوى الله في أمرِه كلِّه فـ « إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

وأَمَرَه أن يأخذ بالحقّ كما أمَرَ به اللهُ ، وأن يبشِّر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلِّم الناس القرآن ، ويفقّههم فى الدين ، وينهى النّاس فلا يَمَسّ أحد القرآنَ إلا وهو طاهر ، ويُخبر الناس بالذى لهم وبالذى عليهم ، ويَلِينَ للناس فى الحق ، ويشتدّ عليهم فى الظلم ، فإن الله عز وجل كرِه الظلم ونهى عنه ، وقال « ألاَ لَعْنَةُ ٱللّٰهِ عَلَى الظّٰالِمِينَ » ويُبَشِّر الناس بالجنة وبعملها ، ويُنْذِر بالنار وبعملها ، ويستألِف الناس حتى يتفقّهوا فى الدين ، ويعلِّم الناس معالِمَ الحج وسُنّته وفريضته ، وما أمر الله به فى الحج الأكبر ، والحج الأصغر ، وهو العُمْرَة ، وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبًا واحداً يَثْنِي طرَفيه على عاتقيه ، وينهى الناس أن يَحْتَبِيَ[1] أحدٌ فى ثوب واحد يُفْضِي بفَرْجِهِ إلى السماء ، وينهى أنْ لا يَعْقِصَ[2] أحدٌ شعرَ رأسه إذا عَفَا[3] فى قفاهُ ، وينهى ــ إذا كان بين الناس هَيْج[4] ــ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دُعاؤهم إلى الله وحدَه لاشريكَ له ، فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر ، فليُقطَّعُوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له . ويأمر الناس بإسْبَاغِ[5] الوضوء : وجوهِهِمْ وأيديهم إلى المرافق وأرجلِهِمْ إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمَرَه بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويُغَلِّس[6] بالفجر ،

(١) احتبى الرجل : جمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره ، وقد يحتبى بيديه .

(٢) عقص شعره : ضفره وفتله . (٣) أى كثر وطال .

(٤) أى ثوران ، هاج هيجا وهيجانا وهياجا بالكسر فى الأخير .

(٥) إسباغ الوضوء : إتمامه . (٦) الغلس محركة ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، وغلس فى الصلاة : صلاها بالغلس أى وبكّر بصلاة الفجر .

ويُهَجِّر[١] بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمسُ فى الأرض مُدْبِرةٌ ، والمغربِ حين يُقبل الليل ، لا تؤخَّر حتى تبدوَ النجوم فى السماء ، والعِشاء أول الليل ، ويأمر بالسَّعْيِ إلى الجُمُعة إذا نُودِيَ لها ، والغُسْلِ عند الرَّواح إليها ، وأَمَرَهُ أن يأخذ من المغانم خُمْسَ الله وما كَتَب على المؤمنين فى الصَّدقة ، من العَقَار عُشْرُ ما سقت العَين[٢] وما سقت السماء ، وعلى ماسَقَى الْغَرْبُ نِصْفُ العشر ، وفى كل عَشْرٍ من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين من الإبل أربعُ شِياهٍ ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيعٌ : جَذَعٌ[٣] أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سَائِمَةً وَحْدَهَا شَاةٌ ، فإنها فريضة الله التى افترض الله عزّ وجل على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .

وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مِثلُ ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته ، فإنه لا يُفْتَنُ عنها ، وعلى كل حالِمٍ ذكرٍ أو أنثى ، حُرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ ، أو عِوَضُه ثيابًا ، فمن أدّى ذلك ، فإن له

---

(١) التهجير : التبكير إلى الصلوات ، وهو المضىّ فى أوائل أوقاتها . قال صلى الله عليه وسلم : « المهجر إلى الجمعة كالمهدى بدنة » وقال « ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه » والهاجرة نصف النهار عند زوال الشمس ، والمراد صلاة الهاجرة : أى الظهر . وفى رواية صبح الأعشى : « ويهجر بالظهر » . (٢) وفى الطبرى وفتوح البلدان « ما سقى البعل » وفسره البلاذرى بأنه « السيح » أى الماء الجارى ، وفى كتب اللغة « البعل : كل نخل وشجر وزرع لايسقى ، أو ما سقته السماء » وربما كان « الغيل » كما سيأتى فى الكتاب التالى ، جاء فى اللسان « الغيل (بالفتح) الماء الجارى على وجه الأرض ، وفى الحديث : ما سقى بالغيل ففيه العشر ، وما سقى بالدلو ففيه نصف العشر » . (٣) انظر ص ٥٤ .

ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً.
صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته » .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٧ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٤ ، وصبح الأعشى ١٠ : ٩ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٧)

٣٣ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى مُعاذ بن جَبَل رضى الله عنه ، وهو باليمن[١]
« أن فيما سَقَتِ السماء أَوْ سُقِي غَيْلاً العُشْرَ ، وفيما سُقِيَ بالغَرْب وَالدَّالية[٢] نصفَ العشر ، وأن على كل حالم دينارا أو عِدْل ذلك من المَعافِر[٣] ، وأن لا يُفْتَنَ يهودى عن يهوديته » .   (فتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٨)

٣٤ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى مُعَاذ بن جَبَل[٤] رضى الله عنه يعزّيه بابن له مات :

« من محمد رسول الله إلى مُعَاذِ بن جَبَل :

سلامٌ عليك ، فإنى أَحْمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ فعظَّم

(١) وكان عليه الصلاة والسلام بعث سنة عشر معاذ بن جبل عاملا على الكورة العليا من جهة عدن ، وبعث أباموسى الأشعرى على الكورة السفلى ، وقد مكث معاذ بن جبل باليمن حتى توفى رسول الله .
(٢) الغرب : الدلو العظيمة . الدالية : هى مايعرف عندنا « بالتادوف » .
(٣) انظر هامش ص ٥٥ .
(٤) هو معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجى ، شهد بدرا ، وبعثه عليه السلام واليا على اليمن كما قدمنا وكان ممن جمع القرآن ، وتوفى فى طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ .

الله لك الأَجْرَ ، وألهمك الصبرَ ، ورزَقَنا وإياكَ الشكرَ ، ثم إن أنفسَنا وأهْلينَا وَمَوَالِيَنا(١) من مواهب الله السَّنِيَّة، وعَوارفه(٢) المستودعَة ، نُمَتَّعُ بها إلى أجل معدود ، وتُقْبَضُ لوقت معلوم ، ثم افترض علينا الشكرَ إذا أعطى ، والصَّبْرَ إذَا ابْتَلَى ، وكان ابنُك من مواهب الله الهَنِيَّة ، وعوارفه المستودعَة ، مَتَّعك به فى غِبْطة(٣) وسرور ، وَقَبَضَه منك بأجرٍ كثيرٍ : الصلاةِ(٤) والرحمةِ والهدى ، إن صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ(٥) ، فَلاَ تَجْمَعَنَّ عليك يا مُعَاذَ خَصْلَتين(٦) . أن يُحْبِطَ جَزَعُك صَبْرَكَ ، فتندمَ على ما فاتك ، فلو قَدِمْتَ على ثواب مصيبتك ، قد أطعتَ ربَّك وتنجَّزْتَ موعودَه ، عرفْتَ أن المصيبة قد قَصُرَت عنه ، واُعلم أن الجزع لا يَرُدّ مَيِّتا ، ولا يَدْفع حُزْنا ، فَأَحْسِنِ الجَزَاء وتنجَّزِ الموعودَ ، وَلْيُذْهِبْ أَسَفَكَ ما هو نازلٌ بك فكأَنْ قَدْ(٧) » . (صبح الأعشى ٩ : ٨٠)

٣٥ — كتابه صلى الله عليه وسلم لمجاعة بن مرارة

وَقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حَنيفة ، وفيهم مُسَيْلِمة بن حبيب ، وَمُجَّاعة بن مُرارة ، فسأل مجاعة رسولَ الله أن يُقْطِعه أرضا ، فأقطعه إياها ، وكتب له كتابا ، وهو :

---

(١) الموالى : جمع مولى وهو القريب والصاحب والعبد .
(٢) العوارف : جمع عارفة وهى المعروف كالعرف بالضم .
(٣) الغبطة : المسرة . (٤) الصلاة وما بعدها بدل من أجر .
(٥) احتسب كذا أجرا عند الله : عدّه ينوى به وجه الله ، واحتسب فلان ابنه إذا مات كبيرا ، فإن مات صغيرا قيل افترطه . (٦) أى فقد الولد وفقد الثواب ، ويحبط : يفسد .
(٧) أى فكأن قد نزل بك الموت لأنه لا محالة مدركك .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لِمَجّاعة أُبن مُرارة بن سلمى، إنى أقطعتُك الغَوْرَةَ وَغُرابة والحُبَل،(١) فمن حاجّك فإلىّ »

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٠٠)

٣٦ — كتاب مسيلمة بن حبيب إليه صلى الله عليه وسلم

فلما عاد وفد بنى حنيفة إلى اليمامة ، ادّعى مسيلمة النبوة ، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك آخر سنة عَشْرٍ :

« من مُسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله .

سلام عليك، أما بعدُ فإنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معك ، وإن لنا نِصْفَ الأرض ، ولقريشٍ نِصْف الأرض ، ولكنَّ قريشا قوم يعتَدُون(٢) » .

وكتب عمرو بن الجارود الحنفى .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٦٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٨٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٤٧ ، وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٨ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١١٥ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٩٤ ، والمواهب شرح الزرقانى ٤ : ٢٥)

٣٧ — رده صلى الله عليه وسلم على مسيلمة

فكتب صلى الله عليه وسلم إليه

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمةَ الكذاب .

---

(١) الغورة بالفتح، ورواه بعضهم بالضم، وغرابة والحبل : مواضع باليمامة .

(٢) وفى فتوح البلدان « ولكن قريشاً لا ينصفون » وفى السيرة الحلبية « وليس قريش قوما يعدلون »

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعدُ ، فإنّ الأرضَ لِلّهِ يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

وكتب أُبَيّ بن كعب .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٦٧ ، وسيرة ابن هشام ، ٢ : ٣٨٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٤٧ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٨١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١١٥ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٩٥ ، والمواهب شرح الزرقانى ٤ : ٢٥)

٣٨ — كتابه صلى الله عليه وسلم لبنى زهير بن أقيش

وكتب صلى الله عليه وسلم لبنى زُهَير بن أُقَيْش .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله لبنى زهير بن أُقَيْش من عُكْل[١] ، إنهم إن شَهِدُوا أنْ لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وفارقوا المشركين ، وأقاموا الصلاة ، وآتَوُا الزكاة ، وأقرُّوا بالخمْسِ من غنائمهم[٢] ، وسَهْمِ النبي وصَفِيّه ، فإنهم آمنون بأمان الله ورسوله » .

(شرح الزرقانى على المواهب ٣ : ٣٨٢ ، وصبح الأعشى ١٣ : ٣٢٩)

٣٩ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكثم بن صيفى

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى أكثم بن صيفى .

« من محمد رسول الله إلى أكثم بن صيفى .

أَحْمَدُ اللهَ إليك ، إن الله أمرنى أن أقولَ لا إله إلا الله . أقولها ، وآمُرَ

---

(١) اسم قبيلة ، وهم بنو عكل بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ومنهم النمر بن تولب وكان فى هذه القبيلة غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلى .

(٢) وفى صبح الأعشى « وأعطيتم من الغنائم الخمس » .

الناس بها ، والخَلْقُ خلق الله ، والأَمْر أمر الله ، خَلَقَهم وأماتهم ، وهو يُنْشِرهم(١) ، ولَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ بَعْدَ حِينٍ(٢) » .

(تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ حسن توفيق ص ٧٩)

٤٠ — كتابه صلى الله عليه وسلم لأبى ضميرة

وكتب صلى الله عليه وسلم لأبى ضُمَيرة وأهل بيته(٣) :

(١) نشرالله الموتى كقعد ، وأنشرهم : أحياهم . (٢) وجاء فى سرح العيون ص ١٤ فى ترجمته :
« أدرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وراسله ، واختلف فى إسلامه ، والأكثر على صحته ، حكى أنه لما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم قال لقومه : احملونى إليه ، فقالوا : لا والله ، وأنت سنّ من أسنان العرب ، قال : فليأته أحدكم فليسأله عن ربه وعما أمره به ، فأتاه حبيش بن أكثم ، فقال : يا محمد ! بم بعثك ربك ؟ قال : بعثى بأن أكسر الأوثان . قال : بم أمرك ؟ قال « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » فانصرف حبيش إلى أبيه ، فأخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلا عليه الآية الشريفة ، فجعل يرددها ويقول : إن هذا لرب كريم ، يأمر بمحاسن الأخلاق ، وينهى عن مساوبها . ثم جمع إليه بنى تميم وقام فيهم خطيباً يدعوهم إلى الإسلام (وقد أوردنا خطبته فى جمهرة خطب العرب . ج ١ : ص ٢٦٠) فقام مالك بن نويرة ، وقال : لقد خرف شيخكم ، فلا تتعرضوا للبلاء ! فقال أكثم : ويل للشجى من الخلى ، لهفى على أمر لم أدركه ولم يسبقى . (وفى مجمع الأمثال ج ٢ : ص ٢١٧ « ولم يسعى ») ثم رحل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فمات فى الطريق ، وبعث بإسلامه مع من أسلم ممن كان معه . وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آية : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » نزلت فى أكثم ومن معه من أصحابه . وقال قوم آخرون : خرج مهاجرا ولم يسلم .

وجاء فى أسد الغابة (ج ١ : ص ١٢٤) فى ترجمته :
« ولما بلغ أكثم ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إليه رجلين يسألانه عن نسبه وما جاء به فأخبرهما وقرأ عليهما : « إن الله يأمر ... ... الآية » . فعادا إلى أكثم وأخبراه وقرآ عليه الآية ، فلما سمع أكثم ذلك قال : ياقوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائمها ، فكونوا فى هذا الأمر رءوسا ولا تكونوا أذنابا ، وكونوا فيه أوّلا ولا تكونوا فيه آخرا ، فلم يلبث أن حضرته الوفاة » .

(٣) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بأم ضميرة وهى تبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ =

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضُمَيرة وأهل بيته ، إن رسول الله أعتقهم ، وإنهم أهل بيت من العرب ، إن أحبُّوا أقاموا عند رسول الله ، وان أحبوا رَجَعوا إلى قومهم ، فلا يُعْرَض لهم إلا بحقّ ، ومن لَقِيَهُمْ من المسلمين فَلْيَسْتَوْصِ بهم خيرا » .

وكتب أُبَىّ بن كعب .

فاختار أبو ضميرة الله ورسوله ، ودخل فى الإسلام .

(المواهب اللدنية للقسطلانى شرح الزرقانى ٣ : ٤١٤ : وأسد الغابة ٣:٤٧ ، والإصابة ٣ : ٢٧٥)

٤١ — كتابه صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة بالموادعة

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضَمْرة، بأنهم آمِنون على أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصر على من ناوَأهم[1] ، وأن لايحارَبوا فى دين الله مابَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً[2] ، وأن النبي إذا دعاهم لنَصْره أجابوه ، عليهم بذلك ذمّةُ الله وذمة رسوله ، ولهم النصر على من بَرَّ منهم واتقى » .

(مفتاح الأفكار ص ٤٩)

٤٢ — كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين وهو بمكة

وروى أنه قَدِمَ من الشام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل

= أحاشة أنت أم عاربة ؟ فقالت : يا رسول الله ! فرّق بيني وبين ابى — وكانوا أهل بيت من العرب مما أفاء الله على رسوله — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفرق بين الوالدة وولدها . ثم أرسل إلى الذى عنده ضميرة فابتاعه منه ببكر وأعطاه لأمه ، وأبو ضميرة قيل اسمه سعد ، وقيل روح .

(١) أى عاداهم . (٢) انظر هامش ص ١٨ .

الهجرة نَفَرٌ من الدارِيِّين(١) ، فأسلموا وسألوا رسول الله أن يُقْطِعَهم أرضاً من أرض الشأم(٢) ، فدعا بقطعة من أَدَم ، وكتب لهم فيها كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب ذُكِرَ فيه ما وَهَبَ محمد رسول الله للدّاريِّين إذا أعطاه اللهُ الأرضَ . وَهَبَ لهم بيتَ عَيْنُونَ(٣) وحَبْرُونَ والمرطوم(٤) ، وبيتَ إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمن فيهن

(١) هم بنو الدار بن هانىء بن حبيب بن عمارة بن لخم بن عدى ... ينتهى نسبهم إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وفى حديث أحدهم « أبى هند الدارى » أنهم كانوا ستة نفر وهم : تميم بن أوس ، ونعيم أخوه (ضم النون) ويزيد بن قيس ، وأبو هند بن عبد الله ، والطيب أخوه ، وفاكه بن النعمان — كما جاء فى صبح الأعشى نقلا عن تاريخ ابن عساكر ، وفى المواهب — وسماهم ابن هشام تسعة ، زاد على هؤلاء عرفة بن مالك ، ومروان بن مالك ، وجبلة بن مالك — انظر سيرة ابن هشام . ج ٢ : ص ٢٣٩ — وفى السيرة الحلبية أنهم سبعة ، قال : « ووفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون : أبو هند الدارى وتميم الدارى وأخوه نعيم وأربعة آخرون » وفى تاريخ ابن عساكر عن الواقدى أنهم لما وفدوا على رسول الله منصرفه من تبوك (أى فى المرة الثانية) كانوا عشرة نفر ، يزاد على من ذكرنا هانىء بن حبيب .

(٢) فقال لهم عليه الصلاة والسلام : سلوا حيث شئتم . فنهضوا من عنده يتشاورون ، فقال تميم : أرى أن نسأله بيت المقدس وكورها . فقال أبو هند : هذا محل ملك العجم ، وكذلك يكون فيها ملك العرب ، وأخاف أن لايتم لنا هذا . فقال تميم : فلنسأله بيت جبرين وكورتها (هكذا فى صبح الأعشى ، وبيت جبرين بالجيم المكسورة وبالباء الساكنة : قرية غربى بيت المقدس ، بينها وبين عسقلان . وفى المواهب اللدنيــة « بيت جبرون » بالجيم المفتوحة وبالياء الساكنة ، وقد ضبطها بالعبارة ، وهو ما فى السيرة الحلبية ، وجيرون : هى دمشق أو بابها الذى بقرب الجامع) فقال أبو هند : هنا أكبر وأكبر ! فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ فقال : أرى أن نسأله القرى التى يقع فيها تلّ (أى لتكون حصونا لهم ، وقد جاء فى المواهب : أرى أن نسأله القرى التى نصنع فيها حصونا) مع آثار إبراهيم . فقال تميم : أصبت ووفقت ! ثم نهضوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا تميم أتحب أن تخبرنى بما كنتم فيه أو أخبركم ؟ فقال تميم : بل تخبرنا يا رسول الله فنزداد إيمانا . فقال صلى الله عليه وسلم : أردت يا تميم أمرا ، وأراد أبو هند غيره ، ونعم الرأى رأى أبى هند ! فدعا بقطعة من أدم ، وكتب لهم الكتاب المذكور .

(٣) عينون : من قرى بيت المقدس . حبرون : اسم القرية التى فيها قبر ابراهيم الخليل عليه السلام جنوبى بيت المقدس ، وقد غلب على اسمها « الخليل » . ويقال لها أيضا حبرى كسكرى .

(٤) وردت هذه الكلمة فى السيرة الحلبية ، وفى المواهب فى هذا الكتاب ، وفى الكتاب التالى بالميم فى أولها « المرطوم » ولم ترد فى تاريخ ابن عساكر ، وصبح الأعشى فى الكتاب الأول ، ووردت فى الكتاب الثانى فى صبح الأعشى بدون ميم فى أولها « الرطوم » وفى ابن عساكر =

لهم إلى أبد الأَبَد[١] .

شهد بذلك عباس بن عبد المطلب ، وخُزَيْمة بن قيس[٢] ، وشُرَحْبيلُ ابن حَسَنة ، وكتب وأعطاهم الكتاب ، وقال : انصرفوا حتى تسمعوا أنى قد هاجرت، فانصرفوا. (السيرة الحلبية ٢ : ٢٣٥ ، وصبح الأعشى ١٣ : ١١٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٢ ، والمواهب شرح الزرقاني ٣ : ٤١١)

٤٣ — كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين وهو بالمدينة

فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قَدِموا عليه فسألوه أن يُجدِّد لهم كتابا آخر ، فكتب لهم كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا ما أَنْطَى[٣] محمدٌ رسول الله لتميم الدارِيّ[٤] وأصحابه ، إنى أنطيتكم بيت عَينون وحَبْرُون والمرطوم ، وبيت

= فى رواية بالميم، وفى رواية أخرى بدونها . وأورد ياقوت فى معجمه الكتاب الثانى ، وفيه «المرطوم» ولم يورد كلتا الكلمتين بين أسماء البلدان . وفى شرح الزرقانى على المواهب بياض بالأصل ، وعلى هامشه « وفى بعض النسخ المرطهوم » ولم أجدها فى كتب اللغة ولا فى مصور فلسطين الكبير ، وقد سألت بعض أهل فلسطين عنها فلم يعرفوا موقعها ، والمفهوم من سياق العبارة أنها قرية تاريخية بقرب حبرون وعينون .

(١) يقال لا آتيه أبد الأبد، وأبد الآباد ، وأبد الآبدين ، وأبد الأبدية ، وأبد الدهر ... يعنى ، وفى المواهب « ومن فيهم إلى أبد الأبد » وقال الزرقانى فى شرحه : عبر بميم جمع المذكور العقلاء فلم يقل من فيها تنزيلا لها منزلة العقلاء تجوّزا .

(٢) فى ابن عساكر وصبح الأعشى « وجهم بن قيس » .

(٣) أنطى : أعطى ، والنطية العطية بلغة أهل اليمن .

(٤) ورد فى أسد الغابة (ج ١ : ص ٢١٥) فى ترجمته أنه « تميم بن أوس بن خارجة بن سود ابن خزيمة بن ذراع بن عدى بن الدار ... الخ ، كان نصرانيا فأسلم سنة تسع من الهجرة (تنبه إلى أن الخبر الذى أوردناه فى تقدمة الكتاب الأول، فيه تصريح بأنه هو وأصحابه أسلموا بمكة قبل الهجرة ،أجل إنهم وفدوا عليه ثانية منصرفه من تبوك أى سنة تسع كما قدمنا) وأقطعه النبي صلى الله عليه وسلم قرية عينون بفلسطين ، وكتب له كتابا ، وكان يسكن المدينة ، ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان ، وهو أول من قص ، استأذن عمر بن الخطاب فى ذلك فأذن له » .

إبراهيم عليه الصلاة والسلام برُمَّتهم[1] ، وجميع ما فيهم نَطِيَّةَ بَتٍّ[2] ، ونفَّذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد ، فمن آذاهم فيها آذاه الله[3] » .

شهد بذلك أبو بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب .

(السيرة الحلبية ٢ : ٣٣٦ ، وصبح الأعشى ١٣ : ١٢٠ ، ومعجم البلدان ٣ : ٢٠٨ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٢ ، والمواهب شرح الزرقانى ٣ : ٤١١)

٤٤ — كتاب أبي بكر رضى الله عنه لهم[4]

فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووَلِي أبو بكر رضى الله عنه ووَجَّه الجنود إلى الشأم ، كتب لهم كتابا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر الصِّديق إلى أبي عُبَيْدَةَ ابن الجرّاح ، سلام عليك ، فإنى أَحْمَد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فامْنَعْ مَن كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر من الفَساد فى قُرَى الدّارِيِّين ، وإن كان أهلُها قد جَلَوا عنها ، وأراد الدّاريُّون أن يزرعوها ، فلْيَزْرَعوها بلا خَراج ، فإذا رجع أهلُها إليها فهى لهم ، وأحقُّ بهم ، والسلام عليك » .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٢ ، وصبح الأعشى ١٣ : ١٢٠ والمواهب شرح الزرقانى ٣ : ٤١١)

---

(١) يقال أعطيته هذه الأشياء برمتها : أى بجملتها ، والرمة بالضم ويكسر : قطعة من حبل ، وأصله أن رجلا دفع إلى آخر بعيرا بحبل في عنقه ، فقيل لكل من دفع شيئا بجملته ، أعطاه برمته ، وفى معجم ياقوت « بذمتهم » . والرواية الأولى أصح لقوله بعد « وجميع ما فيهم » .

(٢) البت : القطع ، أى عطية لاتردد ولا رجعة فيها ، وفى السيرة الحلبية « نطية بيت » وهو تحريف . (٣) وفى معجم ياقوت « أبد الآبدين » وفيه « آذى الله » .

(٤) أوردنا هذا الكتاب هنا ، ولم نرجئه إلى خلافة أبي بكر ، كى تتصل حلقة خبر الداريين .

رواية أخـــرى

٤٥ — كتابه صلى الله عليه وسلم للداريين

وروى أن تميم بن أَوْس الدّارىّ قام فقال : يا رسول الله ! إن لى جِيرَةً من الرُّوم بِفِلَسْطِينَ لهم قريةٌ يقال لها حَبْرَى ، وأخرى يقال لها بيت عَيْنُونَ ، فإن فَتَحَ الله عليك الشأمَ فَهَبْهُمَا لى ، قال : هما لك ، قال : فاكتب لى بذلك ، فكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا كتابٌ من محمد رسول الله لتَمِيم ابن أَوْسٍ الدارىّ ، إن له قريةَ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونَ قَرْيَتَها كُلَّهَا : سَهْلَها وجَبَلَها وماءها وحَرْثها وأنباطها[١] ونَقَرها[٢] ولِعَقِبه من بعده ، لا يُحاقُّه[٣] فيها أحد ، ولا يلِجُها[٤] عليهم أحدٌ بظلم ، فمن ظَلَمَهم ، أو أخذ من أحدٍ منهم شيئاً ، فعليه لعنة الله والملائكة ، والناس أجمعين » .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٣ ، وصبح الأعشى ١٣ : ١٢١)

٤٦ — كتاب أبى بكر رضى الله عنه لهم

فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه كتب لهم كتابا نسخته

« هذا كِتاب من أبى بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى

---

(١) وفى صبح الأعشى « وحرّنها » والحرة بالفتح : أرض صلبة غليظة ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار ، والأنباط جمع نبط بالتحريك : وهو الماء الذى ينبط كينصر ويضرب : أي ينبع من قعر البئر إذا حفرت . (٢) وفى صبح الأعشى : « وبقرها » .

(٣) حقه : خاصمه . وفى ابن عساكر « لا يحقه » .

(٤) فى صبح الأعشى : « ولايابجه » وهو تحريف .

اسْتُخْلِفَ فى الأرض بعده . كَتبه للدَّارِيِّين أن لا تُفْسَد عليهم مأثُرَتهم(١) قرية حَبْرَى و بيت عَيْنون، فمن كان يَسْمَع ويُطيع فلا يُفْسِد منهما شيئاً ، وليَقُمْ عَمْرو بن العاص عليهما فَلْيَمْنَعْهما من المفسدين » .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٥٢ ، وصبح الأعشى ١٣ ، ١٢١)

رواية ثالثة

٤٧ — كتابه صلى الله عليه وسلم لهم

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تميما الدارى ، وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم ابن أوس الدارىّ ، إن له صِهْيَوْن(٢) قريتَها كلها ، سَهْلَها وجبلَها وماءها وكُرُومها وأَنْبَاطَها ووَرَقَها ، ولِعَقِبه من بعده لا يُحاقُّه فيها أحد ، ولا يَدْخُل عليه بظُلم ، فمن أراد ظُلْمهم أو أَخْذَه منهم فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(٣) » .

(صبح الأعشى ١٣ : ١٢٢)

٤٨ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نَجْران(٤) :

---

(١) المأثرة بضم الثاء وفتحها : المكرمه المتوارثة ، وفى ابن عساكر « أن لا يفسد عليهم مابيدهم » .

(٢) صهيون : اسم لبيت المقدس أو موضع به . (٣) وعقب القلقشندى على ذلك فقال :

قلت « وهذه الرقعة التى كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدى التميميين خدّام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن ، وكلما نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ، ويكف عنهم من يظلمهم ، وقد أخبرنى برؤيتها غير واحد ، والأدم الذى هى فيه قد خلق لطول الأمد » .

(٤) فى شمالى اليمن .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلٰهِ إبرهيمَ وإسْحاق ويعقوب .

أما بعدُ ، فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيْتم فالجزية ، فإن أبيْتم فقد آذنْتُكُمْ بحرب الإسلام (١) » . (صبح الأعشى ٦ : ٣٨٠ و ٣٨١)

٤٩ — عهده صلى الله عليه وسلم لأهل نجران

وفتحت « نَجْران » سنة عَشْرٍ صُلحا ، وفى هذه السنة قِدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفْدُ نجران ، وفيهم السيِّد واسمه وَهْب ، والعاقب واسمه عبد المسيح ، والأسْقُفّ وهو أبو حارثة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مُبَاهَلَتهم فامتنعوا وصالحوه ، فكتب لهم كتاب الصلح (٢) ، ونسخته :

---

(١) وفى مفتاح الأفكار : « بحرب ، والسلام » .

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت الحموى (ج ٨ : ص ٢٦٢ ، ٢٦٤) وتاريخ الطبرى (ج ٣ : ص ١٦٣) المباهلة : الملاعنة ، أى الدعاء باللعنة على الكاذب . وحديثها أنهم لما قدموا عليه ، قالوا له : يا محمد لم تعيب عيسى وتسميه عبداً ؟ فقال : أجل ! عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم . قالوا : فأرنا مثله يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، وبايعنا على أنه ابن الله، ونحن نبايعك على أنك رسول الله ! ! فقال صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يكون لله ولد أو شريك . فما زالوا يحاجونه فى عيسى ويلاحونه ، حتى أنزل الله : « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » . فقال لهم : إن الله أمرنى إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم ، فقالوا : يا أبا القاسم ! بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك . فلما رجعوا ، قالوا للعاقب — وكان ذا رأيهم — يا عبد المسيح ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ، ولقد جاءكم بالكلام الحق فى أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لكان الاستئصال ، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم . وكان صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود (المرط بالكسر : كساء من صوف أو خز) وقد احتضن =

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نَجْرَانَ ، إذ كان له عليهم حُكْمُهُ في كل ثَمَرَةٍ وفي كل صَفْرَاء وبيضاء وسوداء ورَقيق[1] ، فأفضلَ[2] ذلك عليهم، وتَرَكَ ذٰلك كلَّه لهم ، على أَلْفَيْ حُلَّة من حُلَل الأَواقِي ، في كل رجب ألف حُلَّة ، وفي كل صَفَرَ ألف حُلَّة ، كل حُلَّة أوقيَّة[3] من الفضة ، فما زادت على الخراج ، أو نَقَصَت عن الأواقي فبالحساب[4] ، وما قَضَوا من دُرُوع ، أو خيل ، أو ركاب ، أو عُرُوض[5] أُخِذ منهم بالحساب .

= الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعليّ رضي الله عنه خلفها ، وهو يقول « إذا دعوت فأمنوا » . (وروى أنه عليه السلام لما خرج في المرط ، جاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة ، ثم علي رضي الله عنهم ثم قال « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » فمن ذلك الوقت سمى الخمسة أصحاب الكساء) . فقال أسقف نجران : « يا معشر النصارى ! إنى لأرى وجوها لوسألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله لها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة » ثم قالوا : « يا أبا القاسم ! رأينا أن لا نباهلك » فقال عليه الصلاة والسلام « فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا ، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين » فأبوا . فقال « فإنى أنا جزكم القتال » . فقالوا « ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لاتغزونا ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدى إليك في كل عام ألفى حلة ، ألفا في صفر ، وألفا في رجب ، ثمن كل حلة أوقية من الفضة » فصالحهم على ذلك وقال « والذى نفسى بيده ، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ، ولاستأصل الله نجران وأهله ، حتى الطير على رءوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا » (انظر كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ٤٨٣ وتفسير الفخر الرازى مفاتيح الغيب ٢ : ٦٩٩ وغيره من كتب التفسير والسيرة الحلبية ٢ : ٣٢٤) .

(١) الصفراء : الذهب . البيضاء : الفضة . سوداء ورقيق : أى جارية وعبد .

(٢) أى أبقاه لهم . (٣) أى ثمن كل حلة أوقية . والأوقية : زنة سبعة مناقيل ، وزنة أربعين درهما ، والجمع الأواقى بالتشديد والتخفيف . وفي كتاب الخراج : « مع كل حلة أوقية من الفضة » . وكلمة « مع » محرفة عن « ثمن » أو « قيمة » .

(٤) أى أنهم إن أدوا حلة بما فوق الأوقية حسب لهم فضل ذلك ، وإن أدوها بما دون الأوقية أخذ منهم النقصان . (٥) قضوا : أدوا . الركاب : الإبل ، واحدتها راحلة . العروض : الأمتعة جمع عرض كشمس وهو المتاع ، وكل شيء عرض إلا الدراهم والدنانير فإنها عين .

وعلى نجرانَ مَثْوَى(١) رُسُلى شهراً فدُونَه ، ولا تُحْبَس رُسُلى فوق شهر ، وعليهم عارِيَةٌ(٢) ثلاثين درعا ، وثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيراً ، إذا كانَ كَيدٌ باليمن ومعرَّةٌ(٣) ، وما هلك مما أعاروا رُسُلى من دروع ، أو خيل ، أو ركاب ، أو عروض ، فهم ضُمُنٌ(٤) حتى يردُّوه إليهم .

ولنجرانَ وحاشيتها جوارُ الله ، وذِمَّة محمد النبي رسول الله ، على أموالهم وأنفسهم ، وأرضهم ومِلَّتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وعشيرتهم وبيَعِهم(٥) ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يُغَيَّر أُسْقُفٌ عن أُسْقُفِيَّته ، ولا راهب عن رَهْبانيته ، ولا كاهن عن كِهانَتِه(٦) ، وليس عليهم دَنِيَّةٌ(٧) ، ولا

(١) مثوى الرجل : منزله ، من ثوى بالمكان كرمى إذا نزل فيه ، أى مسكنهم مدة مقامهم ونزلهم . والمعنى : وعليهم إضافتهم . وفى كتاب الخراج « وعلى نجران مثونة رسلى ومتعتهم ، ما بين عشرين يوما فما دون ذلك » . (٢) العارية بالتشديد وقد تخفف : الشىء المستعار . قال الأزهرى « نسبة إلى العارة ، وهى اسم من الإعارة » والمراد بها هنا المعنى المصدرى ، أى الإعارة .

(٣) هكذا فى كتاب الخراج ، والمعرة : الخيانة والأذى والإثم . وفى نسخة أخرى « ذو معرة » وجاء فى فتوح البلدان « إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة » معقبة بتفسيرها وهو « أى إذا كان كيد بغدر منهم » وعليه فمغدرة مصدر ميمى من الغدر ، وهو ترك الوفاء ، وهو معنى مستقيم . وأرى له أيضاً معنى آخر : وهو أن يكون مفعلة من الغدر بمعنى التخلف ، قال : غدر الرجل عن أصحابه بكسر الدال غدرا بسكونها : أى تخلف . والمعنى : إذا كان كيد باليمن يدعو إلى تخلفهم هنالك ولبثهم لدرء هذا الكيد .

(٤) أى فهم ضامنون له وكافلون . والضامن والضمين : الكافل . وفى كتاب الخراج : « فهو ضمين على رسلى حتى يؤدوه إليهم » . أى مضمون مكفول ، فهو فعيل بمعنى مفعول

(٥) هكذا فى كتاب الخراج . وفى نسخة أخرى « وعبادتهم » محل « وعشيرتهم » . والبيع جمع بيعة : وهى متعبد النصارى . وفى فتوح البلدان « على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعيرهم وبعثهم وأمثلتهم » والعير : بالكسر القافلة ، أو الإبل تحمل الميرة بلا واحد من لفظها . الأمثلة : جمع مثال وهو الفراش .

(٦) وفى نسخة أخرى من كتاب الخراج « ولاراقه من رفهاء » وهو تحريف وصوابه «ولا وافه عن وفهيته» والوافه بالواو والفاء : قيم البيعة بلغة أهل الجزيرة كالواهف، والوفاهة بالكسر: وظيفته . والوفهية بفتح الواو وسكون الفاء : رتبته . وفى لسان العرب : ويروى واهف . وزاد « ولا قسس عن قسيسيته» . وفى فتوح البلدان واللسان « ولا واقه عن وقاهيته » الواقه بالقاف : الوافه . قال فى اللسان : « والصواب الفاء » . الوقاهية كطواعية وكراهية قيامه بها .

(٧) الدنية : الشىء الدنىء الخسيس . وفى فتوح البلدان « وليس عليهم رهق » والرهق بالتحريك : الظلم ، واسم من الإرهاق ، وهو أن تحمل على الإنسان مالا يطيقه .

دمُ جاهليّة ، ولا يُحْشَرُون ، ولا يُعْشَرون[١] ، ولا يَطَأُ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقا فبينهم النَّصَفُ[٢] غيرَ ظالمين ، ولا مظلومين ، ومن أكل منهم رِبًا من ذى قِبَلٍ[٣] فذمّتى منه بريئة ، ولا يؤخذ رجلٌ منهم بظلم آخر ، ولهم على ما فى هذا الكتاب جوارُ الله ، وذمة محمد النبى رسول الله أبداً ، حتى يأتى الله بأمره ما نَصَحُوا وأصلحوا فيما عليهم غير مُنْقَلِتِين[٤] بظلم » .

شهد أبو سفيان بن حرب ، وغَيلان بن عمرو ، ومالك بن عوف من بنى نصر ، والأقرع بن حابس الحَنْظَلى ، والمُغِيرة بن شُعْبَة ، وكتب[٥] .

(كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٨٥ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٧١)

٥٠ — عهد أبى بكر رضى الله عنه لهم[٦]

ثم جاءوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة

---

(١) لا يحشرون : أى لا يندبون إلى المغازى ولا تضرب عليهم البعوث . ولا يعشرون : أى لا يؤخذ عشر أموالهم من عشرت ماله كنصر إذا أخذت عشره . وفى الحديث « ليس على المسلمين عشور ، إنما العشور على اليهود والنصارى » . وفى كتاب الخراج « ولا يخسرون ولا يعسرون » وهو تصحيف (أخسرت الشىء و خسرته كضرب : نقصته . أعسرت الغريم وعسرته كنصر وضرب : طلبت منه الدين على عسرة ولم ترفق به إلى ميسرة) .

(٢) النصف : مثلث النون وبالتحريك : الإنصاف والعدل .

(٣) أى فى المستقبل . تقول : أفعل ذلك من ذى قبل بفتح الباء وفتح القاف وكسرها : أى فيما أستقبل ، وافعل ذلك من ذى قبل : أى فيما تستقبل . وفى كتاب الخراج « قبل » وهو تصحيف . وفى نسخة أخرى « من ذمىّ قتل » وهو تحريف .

(٤) هكذا فى كتاب الخراج . وفى نسخة أخرى « غير متفلين » . وفى فتوح البلدان « غير مكلفين شيئا بظلم » . (٥) وفى كتاب الخراج : « وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبى بكر » . وفى خبر فى فتوح البلدان : « وكتب على بن أبى طالب » . (٦) ذكرنا هنا عهود الخلفاء الراشدين لأهل نجران ، ولم نرجئها إلى خلافتهم ، كى تتصل حلقة خبر النجرانيين .

محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأهل نَجْرَانَ . أجارهم بجِوار الله وذِمَّةِ محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأَرَضِيهم، وملّتهم وأموالهم، وحاشيتهم وعبادتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وأساقفتهم ورُهبانهم وبِيَعهم ، وكلٌّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يُحْشَرون ، ولا يُعْشَرون ، ولا يُغَيَّر أُسْقُفٌ عن أسقفيَّته ، ولا راهب عن رهبانيته ، وَفاءً لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما فى هذه الصحيفة جوارُ الله وذمة محمد النبي صلى الله عليه وسلم أبداً ، وعليهم النُّصْحُ والإصلاح فيما عليهم من الحق » .

شهِد المستورِدُ بن عمرو أحد بنى القَيْنِ ، وعمرو مولى أبى بكر ، وراشد ابن حُذَيفة والمُغِيرة ، وكتب . (كتاب الخراج ص ٨٧)

صورة أخـــرى

وروى الطبرى هذا العهد ، بصورة تختلف بعض الاختلاف عن الصورة السالفة ، قال : ولما بلغ أهلَ نجرانَ وفاةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثوا وفدا ليجددوا عهدا ، فقَدِموا إليه ، فكتب لهم كتابا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا كتاب من عبدالله أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران .

أجارهم من جُنْده ونفسه ، وأجاز لهم ذِمَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا مارجع عنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأمر الله عز وجل فى أرضهم وأرض العرب ، أن لا يسكُنَ بها دِينان .

أجارهم على أنفسهم بعد ذلك ومِلّتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعبادتهم[1] وغائبهم وشاهدهم وأُسْقُفّهم ورُهْبانهم وبِيَعِهم حيثما وقَعَتْ ، وعلى ما ملكَت أيديهم من قليل أو كثير ، عليهم ما عليهم ، فإذا أدّوه فلا يُحشَرون ولا يُعْشَرُون ، ولا يُغَيَّر أُسْقُفّ من أسقفِيَّته ، ولا راهب من رهبانيته ، ووَفَى لهم بكل مَا كَتَبَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما فى هذا الكتاب ذمةُ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجِوار المسلمين ، وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق » .

شهد المِسْوَر بن عمرو وعمرو مولى أبى بكر . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٦٥)

٥١ — عهد عمر رضى الله عنه لهم

ثم جاءوا من بعد أن استُخْلِفَ عمر رضى الله عنه إليه ، وقد كان عمر أجلاهم عن نجران اليمن ، وأسكنهم بنجران العراق[2] لأنه خافهم على المسلمين ، فكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب به عمر أمير المؤمنين لأهل نجران ، من سار منهم فهو آمن بأمان الله لا يضرّه أحد من المسلمين ، وفاء

(١) فى الأصل « وعاديتهم » وهو تحريف .

(٢) موضع على يومين من الكوفة فيما بينها وبين واسط . سكنه نصارى نجران لما أخرجوا ، وسمى باسم بلدهم . وجاء فى معجم ياقوت : « وإنما أجاز عمر إخراج أهل نجران وهم أهل صلح بحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم خاصة عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه عن النبي أنه كان آخر ما تكلم به أنه قال : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » . وروى البلاذري فى فتوح البلدان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه : « لا يبقين دينان فى أرض العرب » . فلما استخلف عمر أجلى أهل نجران إلى النجرانية واشترى عقاراتهم وأموالهم .

لهم بما كتب لهم محمد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه .

أما بعد : فَمَن مروا به من أمراء الشأم وأمراء العراق فَلْيُوسِعْهم[1] من حَرْثِ[2] الأرض ، فما اعْتَمَلُوا من ذلك فهو لهم صَدقةٌ لوجه الله ، وعُقْبة[3] لهم مكان أرضهم ، لا سبيلَ عليهم فيه لأحد ولا مَغْرَمَ .

أما بعد فَمَن حَضَرَهُم من رجلٍ مسلم فَلْيَنْصُرهم على من ظَلَمهم فإنهم أقوام لهم الذمة ، وجِزْيتهم متروكة أربعةً وعشرين شهراً بعد أن يَقْدَموا ، ولا يُكلَّفوا إلاَّ صُنْعَهم البر ، غيرَ مَظلومين ولا مُعْتَدًى عليهم » .

شهد عثمان بن عفان ومُعَيْقِيبٌ[4] ، وكتب .

(كتاب الخراج ص ٨٧ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٢ ، ٧٣)

٥٢ — عهد عثمان رضي الله عنه لهم

فلما قبض عمر رضي الله عنه واستُخْلِف عثمان أتوه إلى المدينة ، فكتب لهم إلى الوليد بن عُقبة ـ وهو عامله على الكوفة ـ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى الوليد ابن عقبة ، سلام الله عليك ، فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد : فإن الأُسْقُفَّ والعاقِبَ وَسَرَاةَ أهل نَجرانَ الذين بالعراق

---

(١) فى كتاب الخراج « فليوسقهم » وفى نسخة « فليسعهم » وهما محرفتان والصواب « فليوسعهم » وقد وجدتها كذلك فى فتوح البلدان للبلاذرى من أوسعه الشىء : إذا جعله يسعه . وفى الدعاء « اللهم أوسعنا رحمتك » أى أجعلها تسعنا . والمعنى : فليخلّ بينهم وبين حرث الأرض ، وليبح لهم زرعها .

(٢) أوردها كذلك البلاذرى فى فتوح البلدان . ثم قال : « وسمعت بعضهم يقول : من خريب الأرض » وهو محرف وصوابه خرب كفرح . (٣) اعتمل : عمل بنفسه . العقبة : البدل .

(٤) هو معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى . وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أَتَوْنى فشكَوْا إلىّ وأَرَوْنى شَرْطَ عُمَرَ لهم ، وقد علمتُ ما أصابهم من المسلمين ، وإنى قد خَفَّفْتُ عنهم ثلاثين حُلَّةً من جِزيتهم تركتُها لوجه الله تعالى جل ثناؤه ، وإنى وَفَيتُ لهم بكل أرضهم التى تصدَّقَ عليهم عمر عُقْبَى[1] مكان أرضهم باليمن ، فاستَوْصِ بهم خيرا فإنهم أقوام لهم ذِمّةٌ ، وكانت بينى وبينهم مَعْرِفة ، وانظر صحيفةً كان عمر كتبها لهم فأوْفِهم مافيها ، وإذا قرأت صحيفتهم فارْدُدْها عليهم والسلام » .

وكتب حُمْران بن أَبَان ، للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين .

(كتاب الخراج ص ٨٨)

رواية أخـــرى

وروى البلاذُرىّ فى فتوح البلدان عهد عثمان لهم هكذا :

« أما بعدُ فإن العاقِبَ وَالأُسْقُفَّ وَسَرَاةَ نجران أَتَوْنِى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَأَرَوْنى شرط عمر ، وقد سألت عثمان بن حُنَيف عن ذلك ، فأنبأنى أنه كان بَحَث عن أمرهم فوجده ضارًّا للدّهاقين[2] لردعهم عن أرضهم ، وإنى قد وَضَعْت عنهم من جزيتهم مائتى حُلَّةٍ لوجه الله ، وعُقْبَى لهم من أرضهم ، وإنى أُوصِيك بهم فإنهم قوم لهم ذمة » .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٣)

---

(١) العقبى : البدل كالعقبة .

(٢) الدهاقين: جمع دهقان بكسر الدال وضمها : وهو زعيم فلاحى العجم .

٥٣ — عهد عليّ رضى الله عنه لهم

فلما استخلف عليّ رضوان الله عليه وقَدِم العِراقَ أتاه أُسْقُفُ نجران ومعه كتاب فى أديم أحمر فقال : أسألك يا أمير المؤمنين خَطَّ يدكَ وشفاعةَ لسانك — يعنى لَمَّا ردَدْتَنا إلى بلادنا — فأبى عليّ أن يردهم وقال : وَيْحَك ! إن عمر كان رشيد الأمر — وكان عمر أجلاهم لأنه خافهم على المسلمين ، وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح فى بلادهم ، فأجلاهم عن نجران اليمن وأسكنهم نجران العراق —

ثم كتب لهم عليّ رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله عليّ بن أبى طالب أمير المؤمنين لأهل النجرانية ، إنكم أتيتمونى بكتاب من نبى الله صلى الله عليه وسلم فيه شَرْطٌ لكم على أنفسكم وأموالكم ، وإنى وفيت لكم بما كتب لكم محمد صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، فمن أتى عليهم من المسلمين فَلْيَفِ لهم ولا يُضَامُوا ولا يُظْلَموا ولا يُنْتَقَصُ حق من حقوقهم » .

وكتب عبد الله بن أبى رافع ، لعشرٍ خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين . (كتاب الخراج ص ٨٨)

٥٤ — كتابه صلى الله عليه وسلم فى الصدقات

ومن كتبه صلى الله عليه وسلم كتابه فى الصَّدَقات الذى كان عند أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

روى عن أَنَس بن مالك رضى الله عنه أن أبا بكر لما اسْتُخْلِف بعثه إلى البحرين عاملاً عليها ، وكتب له هذا الكتاب ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذه فَرِيضة الصَّدَقة(١) التى فَرَضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ، والتى أَمَرَ اللهُ بها رسولَه ، فمَن سُئِلَها من المسلمين على وجهها فَلْيُعْطِها ، ومَن سُئِل فوقها فلا يُعْطِ :

فى أربعٍ(٢) وعشرين من الإبل فما دُونها ، من الغنم ، فى كل خَمْسٍ شاةٌ ، فإذا بلَغتْ خمساً وعشرين إلى خَمسٍ وثلاثين ففيها بنتُ مَخاضٍ(٣) أنثى (فإن لم تكن بنتُ مَخاضٍ فابنُ لَبُونٍ ذَكَر(٤)) فإذا بلغَتْ ستًّا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لَبُونٍ أنثى ، فإذا بلغَتْ ستًّا وأربعين إلى ستين ففيها حِقَّةٌ طَرُوقَةُ(٥) الجمل ، فإذا بلغَتْ إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جَذَعة(٦) ، فإذا بلغت ستًّا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون ، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حِقّتان طَرُوقتا الجمل ، فإذا زادت على عشرين ومائة ففى كل أربعين بنتُ لبون ، وفى كل خمسين حِقّة ،

(١) أى هذه نسخة فريضة الصدقة ، فهو على تقدير مضاف حذف للعلم به . الصدقة : الزكاة . فرضها رسول الله : أى أوجبها أو سرعها بأمر الله تعالى . وقيل معناه : قدرها لأن إيجابها ثابت بالكتاب ، ففرضه صلى الله عليه وسلم لها بيان لمجمله بتقدير الأنواع والأجناس . التى أمر الله بها رسوله : أى بتبليغها . (٢) خبر لمبتدأ محذوف ، ومن الغنم متعلق بالمبتدأ المحذوف ومن للبيان : أى فيها زكاة واجبة من الغنم . (٣) هى أنثى الإبل التى أتى عليها حول . دخلت فى الثانى : سميت به لأن أمها آن لها أن تلحق بالمخاض (أى الحوامل) . وإن لم تحمل ، وقيدت بأنثى للتوكيد .

(٤) هو ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية . دخل فى الثالثة : سمى به لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن . وقيد بذكر للتوكيد أيضاً ، وهذه العبارة التى وضعاها بين قوسين وردت فى المواهب . ولم ترد فى صحيح البخارى ، وقد جاء فى فتح البارى شرح صحيح البخارى أن حماد بن سلمة زادها فى روايته . (٥) طروقة : أى مطروقة (فعولة بمعنى مفعولة) أى بلغت أن يطرقها الفحل ، وهى التى أتت عليها ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة . (٦) هى التى لها أربع سنين ودخلت فى خامسة ، سميت بذلك لأنها أجذعت مقدم أسنانها أى أسقطته وهى غاية أسنان الزكاة .

ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقةٌ إلا أن يشاء ربُّها ، فإذا بلغت خمساً من الإبل ففيها شاةٌ .

ومَن بلغَتْ عنده من الإبل صدقةُ الجَذَعةِ ، وليست عنده جَذَعةٌ ، وعنده حِقّةٌ ، فإنها تُقْبَلُ منه الحِقّةُ ويَجعل معها شاتين إن استَيْسَرتا[1] له ، أو عشرين درهماً ، ومن بلغت عنده صدقةُ الحِقّة ، وليست عنده الحقة ، وعنده الجذعة ، فإنها تُقبل منه الجَذَعةُ ، ويعطيه المُصَدِّقُ[2] عشرين درهما أو شاتين ، ومن بلغت عنده صدقة الحِقّة ، وليست عنده إلا بنتُ لَبون ، فإنها تقبل منه بنت لَبون ، ويُعطى المصَّدِّق[3] شاتين أو عشرين درهما ، ومن بلغت صدقته بنتَ لبون ، وعنده حِقّة ، فإنها تقبل منه الحِقّةُ ، ويعطيه المصَدِّق عشرين درهما أو شاتين ، ومن بلغت صدقته بنتَ لبون ، وليست عنده ، وعنده بنتُ مَخَاضٍ ، فإنها تقبل منه بنتُ مَخاض ، ويُعْطِي معها عشرين درهما أو شاتين ، ومن بلغت صدقتُه بنتَ مَخاض ، وليست عنده ، وعنده بنت لَبُون ، فإنها تُقْبَل منه ، ويعطيه المُصَدِّقُ عشرين درهما أو شاتين[4] فإن لم يكن عنده بنتُ مَخَاض على وجهها[5] ، وعنده ابنُ لَبون ، فإنه يُقْبَل منه[6] وليس معه شيء .

وفى صدقةِ الغنم فى سائمتها[7] ، إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائةٍ شاةٌ[8] ،

---

(١) أى وجدتا فى ماله . (٢) المصدق بتخفيف الصاد : الساعى الذى يأخذ الزكاة .

(٣) المصدق بتشديد الصاد : المالك الذى يدفع الصدقة . (٤) أى أنه جبر كل مرتبة بشاتين أوعشرين درهما . (٥) أى المفروض . (٦) أى وإن كان أقل قيمة منها ولايكلف تحصيلها .

(٧) أى فى راعيتها لا المعلوفة . (٨) أى جذعة ضأن لها سنة ، ودخلت فى الثانية ، أو أجذعت مقدم أسنانها بعد مضى ستة أشهر ، أو ثنية معز لها سنتان ، ودخلت فى الثالثة ، وقيل سنة . وشاة بالرفع خبر لمبتدأ محذوف ، أو مبتدأ وفى صدقة الغنم خبره .

فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان ، فإذا زادت على مائتين إلى ثلثمائة ففيها ثلاثُ شياه ، فإذا زادت على ثلثمائة ففي كل مائة شاة ، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصةً عن أربعين شاةً واحدةً[١] ، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربُّها .

ولا يُجْمَع بين متفرِّق ، ولا يُفَرَّق بين مجتمِع خَشْيةَ الصَّدقة[٢] .

وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسَّوِيّة[٣]. ولا يُخْرَج في الصدقة هَرِمَة ولا ذاتُ عَوارٍ ولا تيس[٤] إلا أن يشاء المصدق[٥] ،

---

(١) مفعول ناقصة . (٢) معناه : أن يكون النفر الثلاثة لكل واحد منهم أربعون شاة وجبت فيها الزكاة فيجمعوها حتى لا يجب عليهم كلهم فيها إلا شاة واحدة ، أو يكون للخليطين مائتا شاة وشاة ، فيكون عليهما فيها ثلاث شياه فيفرقاها حتى لا يكون على كل واحد إلا شاة واحدة . قيل : هو خطاب لرب المال من جهة ، والساعي من جهة . فرب المال يخشى أن تكثر الصدقة، فيجمع أو يفرق لتقلّ ، والساعي يخشى أن تقل الصدقة ، فيجمع أو يفرق لتكثر ، فأمر كل واحد منهما ألا يحدث شيئا من الجمع والتفريق ، خشية الصدقة . وقيل : حمله على المالك أظهر .

(٣) السوية : العدل . ومعناه : أن المصدق إذا أخذ ما وجب أو بعضه من مال أحد الخليطين ، فإن ذلك الخليط يرجع على صاحبه بقدر حصته من مجموع المالين ، فلو كان لكل منهما عشرون شاة رجع الخليط على خليطه بقيمة نصف شاة ، ولو كان لأحدهما مائة وللآخر خمسون ، فأخذ الساعي الشاتين الواجبتين من صاحب المائة رجع بثلث قيمتهما ، أو من صاحب الخمسين رجع بثلثي قيمتهما ، أو من كل واحد شاة رجع صاحب الخمسين بثلث قيمة شاة ، وفي إرشاد الساري للقسطلاني : « أو من كل واحد شاة رجع صاحب المائة بثلث قيمة شاة ، وصاحب الخمسين بثلثي قيمة شاة » . وكذا في فتح المبدي للشرقاوي ، وهو خطأ فحرّره .

(٤) الهرمة : الكبيرة التي سقطت أسنانها . العوار مثلث العين : العيب أي ولا معيبة بما تردّ به في البيع ، والتيس هو فحل الغنم أو مخصوص بالمعز .

(٥) قيل : هو بالتخفيف وهو آخذ الصدقات كما قدمنا : أي بأن يؤدي اجتهاده إلى أن ذلك خير للفقراء الذين وكل عنهم في قبض الزكاة ، فالاستثناء راجع إلى الثلاثة قبله . وقيل : بالتشديد أي المالك . وتقديره : لا تؤخذ هرمة ولا ذات عيب أصلا ، ولا يؤخذ التيس إلا برضا المالك لاحتياجه إليه ، ففي أخذه بغير رضاه إضرار به ، فالاستثناء مختص بالثالث .

وفى الرِّقَة ربعُ العُشر[١] ، فإن لم تكن إلا تسعين ومائة[٢] فليس فيها شيء ، إلا أن يشاء ربها » .

وختمه بخاتَم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر ، محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر[٣] .

(المواهب اللدنية للقسطلانى شرح الزرقانى ٣ : ٣٧٤ ، وصحيح الإمام البخارى ج ١ : ١٧٣ ، ١٧٤ وج ٢ :٥١ ، ١٢٩ وج ٤ :٢٤ ، ١٢٩ ، وسنن النسائى ج ٥ : ص ١٨)

٥٥ — كتاب آخر له صلى الله عليه وسلم فى الصدقات

ومن كتبه صلى الله عليه وسلم كتابه الذى كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٤] فى الصدقة .

عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كتب صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة ولم يخرجه إلى عماله ، وقَرَنه[٥]

---

(١) أى وفى مائتى درهم من الرقة ، وهى الفضة الخالصة مضروبة كانت أو غير مضروبة ، والهاء فيه عوض عن الواو المحذوفة فى الورق (بكسر الراء) كالعدة والوعد . ربع العشر : أى خمسة دراهم وما زاد على المائتين فبحسابه ، فيجب ربع عشره ، ولا شىء على ما زاد عليها حتى يبلغ أربعين درهما ففيه درهم واحد ، وكذا فى كل أربعين .

(٢) المعنى أنه لاصدقة فيما نقص عن المائتين ، وإنما ذكر التسعين لأنه آخر عقد قبل المائة ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة » . والأوقية أربعون درهما . (٣) هذا الكتاب ورد متفرقا فى عشرة مواضع من صحيح البخارى : ستة فى كتاب الزكاة، ثلاثة أبواب متوالية ، ثم فصل بباب ، ثم ثلاثة متوالية . وفى كتاب الجهاد والسير (فى باب فرض الخمس) . وكتاب المظالم (فى باب الشركة) . وكتاب اللباس وكتاب الحيل .

(٤) قال الزرقانى فى شرحه على المواهب : « وهو صريح فى أنه غير الذى كتبه أبو بكر لأنس ، وهو مقتضى تغاير ألفاظهما أيضاً » .

(٥) وقال هنا : « أى وضعه فى مرض موته فى قراب سيفه ، قاله ابن رسلان ، وحكمة ذلك : الإشارة إلى أنها تؤخذ كرها وإن بقتال ، ومن ثم قال أبو بكر: والله لومنعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها » اهـ . والعناق : كسحاب الأنثى من أولاد المعز .

بسيفه ، حتى قُبض ، فعمل به أبو بكر حتى قبض ، ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه :

« فى خمسٍ من الإبل شاةٌ ، وفى عَشْرٍ شاتان ، وفى خمسَ عشرةَ ثلاثُ شِياهٍ ، وفى عشرين أربعُ شياهٍ ، وفى خمسٍ وعشرين بنتُ مَخاضٍ إلى خمسٍ وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها بنتُ لَبونٍ إلى خمس وأربعين ، فإن زادت واحدة ففيها حِقّةٌ إلى ستين ، فإن زادت واحدة ففيها جَذَعةٌ إلى خمس وسبعين ، فإن زادت واحدة ففيها ابنتا لبون إلى تسعين ، فإن زادت واحدة ففيها حِقّتان إلى عشرين ومائة ، فإن كانت الإبل أكثر من ذلك ففى كل خمسين حِقةٌ ، وفى كل أربعين ابنة لَبون .

وفى الغنم فى كل أربعين شاةً شاةٌ إلى عشرين ومائة ، فإذا زادت واحدة فشاتان إلى مائتين ، فإذا زادت على المائتين ففيها ثلاثُ شياهٍ إلى ثلثمائة ، فإن كانت الغنم أكثر من ذلك ففى كل مائة شاةٍ شاةٌ ، ثم ليس فيها شىء حتى تبلغ المائة ، ولا يُفرّق بين مجتمِع ولا يُجمع بين متفرّق مخافةَ الصدقة ، وما كان من الخليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسّوِيّة ، ولا يؤخذ فى الصّدَقة هَرِمةٌ ولا ذاتُ عيب » .

(المواهب اللدنية للقسطلانى شرح الزرقانى ٣ : ٣٧٨)

٥٦ — كتابه صلى الله عليه وسلم إلى اهل اليمن

عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم عن أبيه عن جَدّه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن كتابا فيه الفرائضُ والسُّنَنُ

والدِّياتُ ، وبعث به مع عمرو بن حَزْم، فقرئ على أهل اليمن ، وهذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي إلى شُرَحْبِيل بن عبد كُلاَل ونُعَيْم بن عبد كُلاَل والحَرث بن عبد كُلاَل قَيْلِ ذى رُعَيْن ومَعافِر وهَمْدَان ، أما بعد : وكَان فى كتابه « أنَّ من اعْتَبَطَ[1] مؤمنا قتْلا عن بيِّنةٍ فإنه قَوَدٌ إلا أنْ يَرْضَى أولياء المقتول ، وأن فى النفس[2] الدِّيَةَ ، مائةً من الإبل ، وفى الأنف إذا أُوعِبَ جَدْعُه[3] الدية ، وفى اللسان الدية، وفى الشَّفَتين الدية ، وفى البَيْضتين[4] الدية، وفى الذَّكَر الدية، وفى الصُّلْب الدية، وفى العينين الدية ، وفى الرِّجْل الواحدة نصف الدية ، وفى المأمومة ثُلُث الدية ، وفى الجَائِفَة ثلث الدية ، وفى المُنَقِّلَة خمسَ عشرةَ من الإبل ، وفى كل أُصْبُع من أصابع اليد والرجل عشر من الإبل ، وفى السِّنِّ خمس من الإبل ، وفى المُوضِحَة[5] خمس من الإبل ، وأن الرجل يُقْتَل بالمرأة ، وعلى أهل الذهب ألف دينار » .

وفى رواية « وفى العين الواحدة نصف الدية ، وفى اليد الواحدة نصف الدية ، وفى الرجل الواحدة نصف الدية » .

(سنن النسائي ج ٨ : ص ٥٧ ، والمواهب اللدنية « شرح الزرقاني ج ٣ : ص ٣٨١ »)

---

(١) أى قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله .

(٢) القود : القصاص : أى فإن القاتل يقاد به ويقتل ، وأن فى النفس : أى فى قتل النفس .

(٣) أى قطع جميعه . (٤) أى الخصيتين .

(٥) المأمومة : الشجة التى بلغت أم الرأس وهى الجلدة التى تجمع الدماغ ويقال : شجة آمة ومأمومة . الجائفة : الطعنة التى تبلغ الجوف وطعنة جائفة : تخالط الجوف وقيل : هى التى تنفذه . المنقلة : الشجة التى تنقل العظم أى تكسره حتى يخرج منها فراش العظام . الموضحة : الشجة التى تبدى العظم فأوضحت عنه .

خلافة أبى بكر الصديق

رضى الله عنه

٥٧ — رسالة مفتعلة على أبى بكر

وهى الرسالة التى زعم أبو حَيَّانَ التوحيـدى أن أبا بكر أرسلها إلى الإمام علىّ على لسان أبى عُبَيدة بن الجرّاح ، وما انضم إليها من كلام عمر ، وما كان من جواب علىّ رضى الله عنهم (١) .

---

(١) ليس عندى من ريب فى أن هذه الرسالة موضوعة مفتعلة ، وقد كتبت عنها كلمة فى كتابى : « ترجمة على بن أبى طالب » . ص ٩ . قلت : « أما ماروواه أبو حيان التوحيدى عن القاضى أبى حامد بن بشر من تلك الرسالة التى زعم أن أبا بكر بعث بها إلى على حين تلكأ عن مبايعته على لسان أبى عبيدة بن الجراح ، وما انضم إلى ذلك من المقال الذى حمله إياه عمر ليبلغه عليا إلى آخر ما ورد فى هذه القصه ، فيشهد الله أنا مابدأنا قراءتها حتى ساورتنا منها ريبة ، ولم نأت عليها حتى تجسمت فى نظرنا تلك الريبة، واستيقنا أنها قصة موضوعة منحولة ، لما غلب عليها من الصنعة البديعية البينة الأثر فى أسلوبها مما لم يعرف فى رسائل أبى بكر وعمر وخطبهما ولا فى كلام أحد من أهل هذا العصر ، فضلا عما فيها من إسهاب مدبد لم يعهد منهم ، وإن ما نراه فيها من الفقر القصيرة المسجوعة المجانسة ليحملك على الاعتقاد بأنها شبيهة بنسج البديع الهمدانى وأضرابه من كتاب العصر الذى نشأ فيه أبو حيان (القرن الرابع) .

ولقد صدق حدسنا حين قرأنا تعليق ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة عليها (وسنورد لك كلمته) ثم إنك إذا تدبرت ما عزى إلى أبى حامد من قوله « هى والله من درر الحقاق المصونة ، ومخآت الصناديق فى الخزائن المحوطة ، ومنذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلبى فى وزارته ، فكتبها عنى فى خلوة بيده » عرفت أن هذا المقول نفسه يحمل فى تضاعيفه تكذيبها .

وكيف يقول عمر لعلىّ فى مستهل خلافة أبى بكر « تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر ، قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا ، ودريئة لرماحنا ، ومرمى لطعاننا ، وتبعا لسلطاننا » مع أن المسلمين فى ذلك الحين لم يكونوا قد بدءوا الفتوح ، ولا غزوا الفرس والروم !

أما كلمة ابن أبى الحديد عنها فهى قوله « الذى نغلب على ظنى أن هـذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع ، وأنه من كلام أبى حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه فى الخطابة والبلاغة أشبه ، وقد حفظنا كلام عمر ورسائله وكلام أبى بكر وخطبه ولم نجدهما يذهبان هذا المذهب ، ولا يسلكان هذا السبيل فى كلامهما ، وهذا كلام عليه أثر التوليد لس يخفى ، وأين أبو بكر وعمر من

قال أبو حيّان على بن محمد التّوْحيدىّ البغدادىّ :

=البديع وصناعة المحدثين ؟ ومن تأمل كلام أبى حيان عرف أن هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ، ويدل عليه أنه أسنده إلى القاضى أبى حامد المروروذى ، وهذه عادته فى كتاب البصائر يسند إلى القاضى أبى حامد كل ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه إذا كان كارها لأن ينسب إليه .

ومما يوضح لك أنه مصنوع أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة والأشعرية وأصحاب الحديث وكل من صنف فى علم الكلام والإمامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية ، ولقد كان الرضىّ رحمه الله يلتقط من كلام أمير المؤمنين عليه السلام اللفظة الشاذة والكلمة المفردة الصادرة عنه فى معرض التألم والتظلم فيحتج بها ، ويعتمد عليها ، نحو قوله « ما زلت مظلوما مذ قبض رسول الله حتى يوم الناس هـذا » وقوله « لقد ظلمت عدد الحجر والمدر » وقوله « إن لنا حقا إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ، وإن طال السرى » وقوله « فصبرت وفى الحلق شجا وفى العين قذى » وقوله « اللهم إنى أستعديك على قريش فإنهم ظلمونى حقى وغصبونى إرثى » . وكان الرضى إذا ظفر بكلمة من هذه فكأنما ظفر بملك الدنيا ، ويودعها كتبه وتصانيفه ، فأين كان الرضى عن هذا الحديث ؟ وهلا ذكر فى كتاب (الشافى فى الإمامة) كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا ؟ وكذلك من قبله من الإمامية كابن النعمان وبنى نوبخت وبنى بويه وغيرهم ، وكذلك من جاء بعده من متأخرى متكلمى الشيعة وأصحاب الأخبار والحديث منهم إلى وقتنا هذا ، وأين كان أصحابنا عن كلام أبى بكر وعمر له عليه السلام ؟ وهلا ذكره قاضى القضاة فى المغنى مع احتوائه على كل ما جرى بينهم حتى إنه يمكن أن يجمع منه تاريخ كبير مفرد فى أخبار السقيفة ، وهلا ذكر من كان قبل قاضى القضاة من مشايخنا وأصحابنا ومن جاء بعده من متكلمينا ورجالنا ؟ وكذلك القول فى متكلمى الأشعرية ، وأصحاب الحديث كابن الباقلانى وغيره ، وكان ابن الباقلانى شديدا على الشيعة عظيم العصبية على أمير المؤمنين عليه السلام ، فلو ظفر بكلمة من كلام أبى بكر وعمر فى هذا الحديث لملأ الكتب والتصانيف بها ، وجعلها هجيراه (بكسر الهاء والجيم مع تشديدها أى دأبه وشأنه) ودأبه . والأمر فيما ذكرناه من وضع هذه القصة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان ومعرفة كلام الرجال ، ولمن عنده أقلّ معرفة بعلم السير ، وأقل أنس بالتواريخ » اهـ .

وقال النويرى فى نهاية الأرب فى هذا الصدد : « وهذه الرسالة قد اعتنى الناس بها وأوردوها فى المجاميع ، ومنهم من أفردها فى جزء وقطع بأنها من كلامهم رضى الله عنهم ، ومنهم من أنكرها ونفاها عنهم . وقال إنها موضوعة ، واختلف القائلون بوضعها : فمنهم من زعم أن فضلاء الشيعة وضعوها ، وأرادوا بذلك الاستناد إلى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه إنما بايع أبا بكر الصديق بسبب ما تضمنته ، وهذا الاستناد ضعيف وحجه واهية . والصحيح أن على بن أبى طالب بايع بيعة رضى باطنه فيها كظاهره ، والدليل على ذلك أنه وطئ من السبى الذى سبى فى خلافة أبى بكر واستولد منه محمد بن الحنفية . ولا جواب لهم عن هذا ، ومنهم من زعم أن فضلاء السنة وضعوها ، والله أعلم ، وعلى الجملة فهذه الرسالة لم نوردها فى هذا الكتاب إثباتا لها أنها من كلامهم رضى الله عنهم ولا نفيا ، وإنما أوردناها لما فيها من البلاغة واتساق الكلام وجودة الألفاظ » اهـ .

وأقول أنا أيضاً : إنى مع يقينى أنها منحولة موضوعة لم أوردها فى جملة الرسائل إلا لأنها أثر أدبىّ بليغ .

سَمَرْنَا ليلةً عند القاضى أبى حامد أحمد بن بِشْر المَرْوَرُوذِىّ[١] ببغداد ، فتصرَّف فى الحديث كل مُتَصَرَّف ، وكان غزيرَ الرواية ، لطيفَ الدِّراية ، فجرى حديثُ السَّقيفة ، فركِبَ كُلَّ مَرْكَبًا ، وقال قولاً ، وعرَّض بشىء ، ونَزَع إلى فنّ ، فقال هل فيكم من يحفظ رسالة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وجوابَ علىّ عنها ، ومبايعته إياه عَقِيبَ[٢] تلك المناظرة ؟ فقال الجماعة : لا والله ، فقال : هى واللهِ من دُرَر الحِقاقِ المَصونة ، ومخبّآت الصناديق فى الخزائن المحُوطة[٣] ومنذُ حَفِظْتُها ما رويتها إلا لأبى محمد المُهَلّبىّ فى وزارته[٤] ، فكتبها عنى فى خَلْوة بيده . وقال : لا أعرف فى الأرض رسالة أعقلَ منها ولا أبينَ ، وإنها لَتَدُلّ على علم وحِلْم ، وفصاحة ونباهة ، وبُعْد غَوْر ، وشدة غَوْص ، فقال له العَبّادَانِىّ[٥] : أيها القاضى ! فلو أَتممْتَ المِنّة علينا بروايتها ؟ أَسمِعْناها فنحن أَوْعَى لها عنك من المُهَلّبى ، وأَوْجَبُ ذِمامًا[٦] عليك ، فاندفَع وقال :

---

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان . ينسبون إليها فيقولون : مروروذى بضم الراء الثانية . ومروذى بضم الراء مشـددة . (٢) قال صاحب مختار الصحاح « وأما قولهم : جاء عقيبه بمعنى بعده فليس فى الصحاح ولا فى التهذيب جوازه . ولم أر فيهما عقيبا ظرفا ، بل بمعنى المعاقب فقط كالليل والنهار عقيبان لاغير » . (٣) وفى رواية صبح الأعشى ونهاية الأرب « هى والله من بنات الحقائق ومخبآت الصنادق » .

(٤) هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد ينتهى نسبه إلى المهلب بن أبى صفرة ، كان وزير معز الدولة بن بويه الديلمى ببغداد ، وتوفى سنة ٣٥٢ ، انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ج ١ : ص ١٤٢ .

(٥) نسبة إلى عبادان ، وهو موضع تحت البصرة قرب البحر الملح ، منسوب إلى عباد بن حصين الحبطى لأنه أول من رابط به . وأما زيادة الألف والنون فهو لغة كانت مستعملة فى البصرة ونواحيها ، كانوا إذا سموا موضعا أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون فى آخره ألفا ونونا كقولهم فى قرية عندهم منسوبة إلى زياد بن أبيه زيادان ، وأخرى إلى عبد الله عبد الليان ، وأخرى إلى بلال بن أبى بردة بلالان — انظر معجم البلدان لياقوت ج ٦ : ص ١٠٥ . (٦) الذمام : الحق والحرمة .

حدّثنا الخُزاعيُّ بمكة ، عن أبي مَيْسَرة ، قال حدثنا محمد بن فُلَيْح[١] عن عيسى بن دَأْب،[٢] نبّأ صالح بن كَيْسَان ويَزِيد بن رُومان ، قالا : حدثنا هشام ابن عروة ، نبّأ أبو النَّفّاح[٣] ، قال : سمعت مولاى أبا عُبَيدة يقول :

لمـا استقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار بعد فِتْنة كاد الشيطانُ بها ، فدَفع الله شَرّها ، ويسَّرَ خيرها ، بلغ[٤] أبا بكر عن عليٍّ تلكّؤٌ وشِماسٌ ، وتهَمُّم ونِفاسٌ[٥] ، فكَرِه أن يتمادى الحال فتبْدُوَ العَوْرة ، وتشتعِل الجَمْرة ، وتتَفرّق ذاتُ البَيْن ، فدعانى لحضْرَته فى خَلْوة ، وكان عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحْدَه فقال[٦] : يا أبا عبيدة ، ما أيْمنَ[٧] ناصِيَتَك ، وأَبْيَنَ الخيرَ بين عينيك ، وطالمـا أعزّ الله بك الإسلامَ، وأصلح شأنه على يديك ، ولقد كنتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمـكان المَحُوط ، والمحل المَغْبُوط[٨] ، ولقد قال فيك فى يوم مشهود

---

(١) هكذا فى نهاية الأرب ، وفى صبح الأعشى « محمد بن أبي فليح » . وجاء فى خلاصة تذهيب الـكمال فى أسماء الرجال للخزرجى ص ٢٦٥ « فليح بن سليمان الأسلمى أو الخزاعى أحد أئمة العلم مات سنة ١٦٨ هـ » . (٢) كذا فى نهاية الأرب ، وفى صبح الأعشى « عن عيسى بن دوأب ابن المتاح » . وفى شرح بن أبي الحديد « عيسى بن دأب عن صالح بن كيسان عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن أبي عبيدة بن الجراح » . (٣) مولى أبي عبيدة .

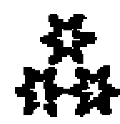
(٤) وفى ابن أبي الحديد « لمـا استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والأنصار ، ولحظ بعين الوقار والهيبة بعد هنة كاد الشيطان بها يسر ، فدفع الله شرها ، وأدحض عسرها ، فركد كيدها ، وتيسر خيرها ، وقصم ظهر النفاق والفسق بين أهلها ــ بلغ ... » .

(٥) من شمس الفرس كدخل شموسا وشماسا : أى منع ظهره . تهمم الشىء : طلبه . النفاس بالـكسر : المنافسة . نفس عليه بخير كفرح : حسد . ونفس عليه الشىء نفاسة بفتح النون : لم يره أهلا له .

(٦) وفى شرح بن أبي الحديد : « فكره أن يتمادى الحال ، وتبدو العورة ، وتتفرج ذات البين ، ويصير ذلك دريئة لجاهل مغرور ، أو عاقل ذى دهاء ، أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان . فدعانى فى خلوة لحضرته وعنده عمر وحده . وكان عمر قبسا له وظهيرا معه يستضىء بناره ، ويستملى من لسانه . فقال لى ... الخ » . والدريئة مصحف الدريئة ، وهى فى الأصل : الحلقة تعلم الطعن والرمى عليها . القبس بالتحريك : شعلة نار تقتبس من معظم النار . والظهير : المعين .

(٧) من اليمن بالضم : وهو البركة . (٨) أى المصون المحفوظ . غبطه بمـا نال كضرب : تمنى مثل نعمته من غير أن يريد زوالهـا عنه .

« لـكل أمةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمة أبو عُبَيدة[١] » ولم تزل للدين مُلْتَجًا ، وللمؤمنين مُرْتَجًى ، ولأهلك رُكْنًا ، ولإخوانك رِدْءا[٢] ، فقد أردتك لأمرٍ له خَطَرٌ مَخُوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم يندَمِل جُرْحه بيَسَارِك ورِفقك ، ولم تُجَبّ حَيّتُه برُقْيَتك[٣] ، وقع اليأسُ ، وأعضَل البأسُ ، واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمرُّ منه وأَعْلَقُ ، وأَعْسَرُ منه وأغْلَقُ ، والله أسأل تمامَه بك ، ونظامَه على يديك ، فتَأَتَّ[٤] له أبا عبيدة وتلطَّفْ فيه ، وانصح لله عزّ وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العِصابة ، غيرَ آلٍ جُهْدا ، ولا قالٍ حَمْدا ، والله كالِئُك[٥] وناصِرُك ، وهاديك ومبصِّرك ، إن شاء الله . امضِ إلى عليّ ، واخفِضْ له جناحك ، واغضُضْ عنده صوتك ، واعلم أنه سُلالة أبي طالب ، ومكانُه ممّن فقَدْناه بالأمس صلى الله عليه وسلم مكانُه ، وقل له :



« البحرُ مَغْرَقَةٌ ، والبَرُّ مَفْرَقَة ، والجوُّ أَكْلَفُ ، والليلُ أَغْدَفُ ،[٦]

---

(١) حديث شريف روى عن أنس رضى الله عنه . انظر أسد الغابه ٣ : ٨٦ ، وسبب هذه التسمية أن أهل نجران لما صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يؤدوا إليه فى كل عام ألفى حلة ألفا فى صفر وألفا فى رجب (كما قدمنا لك فى ص ٧٧) قالوا له : أرسل معنا أمينا ، فأرسل معهم أبا عبيدة ، وقال لهم : هذا أمين هذه الأمة ، وكان لذلك يدعى فى الصحابة بذلك . انظر السيرة الحلبيه ٢ : ٢٣٥

(٢) أى عونا . (٣) اندمل الجرح : تماثل وبرئ . اليسار واليسر : السهولة ، وفى رواية « بمسبارك » . المسبار : ما يسبر به الجرح ليعرف عمقه . الجبّ : القطع . الرقية : العوذة ، وفى ابن أبى الحديد « ولم تخب جذوته برقيتك » وخبت النار تخبو : سكنت وانطفأت . الجذوة مثلثة : الجمرة .

(٤) تأتى للأمر : ترفق وأتاه من وجهه . (٥) ألا يألو : قصر . قلاه كرمى ورضى : أبغضه ، وفى ابن أبى الحديد « ولا قال جدا » . كالئك : أى حافظك وحارسك .

(٦) مغرقة : أى مظنة الغرق ، يخاف الغرق فيه ويخشى . مفرقة : أى مكان فرق بالتحريك : أى خوف وفزع . والمعنى أن الفتنة عامة قد شملت البحر والبر فهى مخوفة فى كل النواحى . أكلف وصف من الكلف بالتحريك : وهو لون بين السواد والحمرة . أغدف لم يرد فى كتب اللغة إلا فعلا ، قال صاحب =

والسماء جَلْوَاء ، والأرض صَلْعَاء ، والصعود متمذِّر ، والهُبُوط متعسّر ، والحَقُّ عَطوف رَءوف ، والباطل عَنُوف عَسُوف[(١)] ، والعُجْب قَدَّاحة الشر ، وَالضِّغن رائِد البَوار[(٢)] ، والتعريضُ شِجارُ الفتنة ، والقِحَة ثَقُوب[(٣)] العداوة ، وهذا الشيطان متَّكِئٌ على شِماله ، متحيِّل[(٤)] بيمينه ، نافِجٌ حِضْنَيه[(٥)] لأهله ، ينتظر الشَّتاتَ والفُرقة ، ويَدِبُّ بين الأمة بالشَّحْناء والعداوة ، عِنادًا لله عزّ وجل أوّلا ، ولآدَمَ ثانيا ، ولنبيه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثا ، يُوَسْوِس

= اللسان «وأغدف الليل: أقبل وأرخى سدوله، وأغدف الليل ستوره: إذا أرسل ستورظلمه وأنشد: حتى إذا الليل البهيم أغدفا » وفى ابن أبى الحديد « والليل أغلف » وقلب أغلف : كأنه غشى بغلاف ، والمعنى هنا مظلم .

(١) سماء جلواء : مصحية . الصلعاء : الأرض لا نبات فيها . أراد به كبير العنف ، ولم ترد هذه الصيغة فى كتب اللغة . العسوف : الظلوم ، صيغة مبالغة من العسف وهو الظلم ، وفى ابن أبى الحديد « والباطل نسوف عصوف » . النسوف مبالغة من النسف (النسوف أيضا من الخيل : الواسع الخطو، وناقة نسوف : تنسف التراب فى عدوها ، وبعيرنسوف : يقتلع الكلأ من أصله بمقدم فيه) وريح عصوف وعاصف وعاصفة .

(٢) القدّاح والقدّاحة : حجرالزند ، وفى ابن أبى الحديد « مقدحة الشر» والرائد : أصله المرسل فى طلب الكلأ ، والبوار : الهلاك .

(٣) هكذا فى ابن أبى الحديد وصبح الأعشى . الشجار والمشجر ككتاب ومنبر ومفتاح : عود الهودج ، وقيل : هو مركب أصغر من الهودج مكشوف الرأس ، وقيل : هوخشب الهودج فإذا غشى غشاءه صار هودجا . والمعنى: التعريض مركب الفتنة ، وفى نهاية الأرب « سجال الفتنة » وسجال بالكسرجمع سجل بالفتح وهوالدلو العظيمة. والقحة بالكسر والفتح: الوقاحة أى قلة الحياء . الثقوب والثقاب ككتاب : ماتثقب أى توقد به النار .

(٤) التحيل : الاحتيال ، وهو بالياء فى صبح الأعشى ، وضبطه شارح نهاية الأرب بالباء الموحدة وقال : « المتحبل : المتصيد بالحبالة ، وفى الأصل « متحيل » بالياء المثناة وهو تصحيف » وأقول إن الوارد فى كتب اللغة من هذه المادة فى ذلك المعنى هو احتبل لا تحبل ، وفى ابن أبى الحديد « باسط ليمينه » . (٥) فى صبح الأعشى « خصيبه » وهوتصحف ، ونافج أورده صاحب اللسان فى مادة نفج فقال «وفى حديث على : نافج حضنيه أى منتفخ مستعدّ لأن يعمل عمله من الشر » وأورده أيضا فى مادة ثبج بالجيم فقال : « وفى حديث علىّ : نافجا حضنيه ، كنى به عن التعاظم والتكبر والخيلاء» ونافجا : أى رافعا ، من نفج ثدى المرأة قميصها إذا رفعه ، وقوله « فى حديث علىّ » يريد ماورد فى خطبته المعروفة بالشقشقية انظر نهج البلاغة ١ : ١٧ وقد وردت فيه بالجيم وكذا فى شرح ابن أبى الحديد .

بالفجور ، ويُدَلِّي[١] بالغُرور ، ويُمَنِّي أهل الشرور ، يُوحِي إلى أوليائه زُخْرُفَ القول غُرُوراً بالباطل ، دَأْباً له منذ كان على عهد أبينا آدم صلى الله عليه وسلم ، وعادةً له منذ أهانه الله تعالى فى سالف الدهر ، لا مَنْجَى منه إلا بعَضٍّ الناجِذِ[٢] على الحق ، وغَضٍّ الطَّرْف عن الباطل ، ووَطْءِ هامَةِ[٣] عدوِّ الله بالأَشَدِّ فالأشَدِّ ، والآكَدِ فالآكَد[٤] ، وإسلامِ النفسِ لله عزّ وجل فى ابتغاء رضاه ، ولا بد الآن من قولٍ ينفعُ إذْ قد أضرَّ السكوت وخِيفَ غِبُّه ، ولقد أرشدك من أفاء[٥] ضالَّتَكَ ، وصافاك من أحيا مودَّتَه بعِتابِك ، وأراد لك الخيرَ مَن آثرَ البقاء معك .

ما هذا الذى تسوِّل لك نفسُك ، ويَدْوَى[٦] به قلبُك ، ويلتوى عليه رأْيك ، ويتخاوصُ[٧] دونه طَرْفُك ، ويَسْتَشْرِى[٨] به ضِغْنُك ، ويترادف معه نَفَسُك ، وتكثُر عنده صُعَداؤك[٩] ، ولا يَفيضُ به لسانُك ؟ أَعُجْمَةٌ بعد إفصاح ؟ أَتلبيسٌ[١٠] بعد إيضاح ؟ أَدِينٌ غيرُ دين الله ؟ أَخُلُقٌ غيرُ خُلُق

---

(١) أخذه من قوله تعالى « فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ » قالوا فى تفسيره : دلاهما فى المعصية بأن غرهما ، وقيل معناه : فأطمعهما ، وأصله الرجل العطشان يدلى فى البئر ليروى من مائها فلا يجد فيها ماء . فوضعت التدلية موضع الإطماع فيما لايجدى نفعا ، وقيل : جرّأهما على المعصية بغروره .

(٢) الناجذ : واحد النواجذ وهى أقصى الأضراس ، ويقولون : عض عليه بالنواجذ : أى تمسك به كما يتمسك العاض بجميع أضراسه . (٣) الهامة : الرأس .

(٤) وفى ابن أبى الحديد « والأحدّ فالأحدّ » . (٥) الغب : عاقبة الشيء كالمغبة ، وأفاء ردّ .

(٦) دوى كفرح : مرض ، والدوىّ كالغنى : داء باطن فى الصدر ، ويصح أن يكون « ويدوّى » بالتشديد ، من دوى الطائر : إذا دار فى طيرانه . (٧) تخاوص : إذا غض من بصره شيئا وهو فى ذلك يحدّق النظر ، وكذا إذا نظر إلى عين الشمس .

(٨) استشرى الأمر : عظم وتفاقم ، وفى صبح الأعشى ونهاية الأرب « ويسرى فيه ظعنك » والسرى : سير عامة الليل ، وظعن كمنع ظعنا ويحرك : سار . (٩) أى يتتابع ، وفى صبح الأعشى وابن أبى الحديد « ويترادّ » أى يتراجع ، والصعداء : تنفس طويل . (١٠) التلبيس : التخليط .

القرآن ؟ أَهُدًى غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أَمِثْلِي تَمْشِي له الضَّرَاء ، وتَدِبُّ له الخَمَرُ[١] ؟ أم مثلك ينقبض عليه الفضاء ، ويُكْسَف[٢] في عينه القمر ؟ ما هذه القَعْقَعَةُ بالشِّنَانِ ؟ وما هذه الوَعْوَعةُ[٣] باللسان ؟ إنك واللهِ جِدُّ[٤] عارفٍ باستجابتنا لله عزَّ وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحِبَّتنا ، هِجرةً إلى الله عزّ وجل ، ونُصرةً لدينه ، في زمان أنت فيه في كِنِّ الصِّبا ، وخِدْرِ الغَرارة ، وعُنْفُوان الشَّبيبة[٥] ، غافل عما يُشِيب ويُرِيب ، لا تَعِي ما يُراد ويُشاد ، ولا تحصِّل ما يُساق ويُقاد ، سوى ما أنت جارٍ[٦] عليه إلى غايتك التي إليها عُدِل بك ، وعندها حُطَّ رَحْلك ، غيرَ مجهولِ القَدْر ، ولا مجحود الفضلِ ، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالا تُزِيل الرَّواسِي ، ونقاسِي أهوالا تُشِيب النَّواصِي ، خائضين غِمارها ، راكبين تيَّارها، نتجرَّع صابَها ، ونُشْرِج عِيابَها، ونُحْكِم آساسَها[٧]،

---

(١) الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، يقال: توارى الصيد منه في ضراء ، وفلان يمشي الضراء : إذا مشى مستخفيا فيما يوارى من الشجر . والخمر: كل ما واراك من شجر أو بناء أو غيره ، وخمر كفرح توارى ، ومن أمثالهم : « يدب له الضراء ويمشي له الخمر » وهو مثل يضرب للرجل يختل صاحبه .

(٢) جاء في اللسان والمصباح : « قال ثعلب : أجود الكلام خسف القمر وكسفت الشمس » .

(٣) القعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره ، والشنان جمع شن بالفتح وهو القربة البالية ، وهم يحركونها إذ أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع ، ومن أمثالهم « ما يقعقع له بالشنان » مثل يضرب لمن لا يروعه ما لا حقيقة له . الوعوعة والوعواع : صوت الذئاب والكلاب .

(٤) قالوا : هذا العالم جد العالم ، وهذا عالم جد عالم : يريد بذلك التناهي وأنه قد بلغ الغاية فيما يصفه به من الخلال . (٥) الغرير والغر بالكسر : الشاب لا تجربة له ، وقد غرّ يغر بالكسر غرارة بالفتح ، عنفوان الشباب : أوله ، أو أول بهجته .

(٦) رابه الأمر وأرابه : رأى منه ما يكرهه ، والإشادة : رفع الصوت بالشيء ، وتعريف الضالة ، وفي ابن أبي الحديد : « سوى ما أنت جار عليه من أخلاق الصبيان أمثالك ، وسجايا الفتيان أشكالك ، حتى بلغت إلى غايتك هذه التي إليها أجريت ، وعندها حط رحلك » .

(٧) الرواسي أي الجبال الرواسي أي الثابتة، والنواصي جمع ناصية : وهي منبت الشعر في مقدم الرأس ، والصاب : عصارة شجر مر ، وأشرج العيبة وشرجها وشرّجها : أدخل بعض عراها في بعض، والعيبة بالفتح: وعاء من أدم ، وما يجعل فيه الثياب ، والآساس جمع أس مثلثا : وهو أصل البناء وأصل كل شيء :

ونُبْرِم أَمْرَاسَها[١] ، والعيونُ تُحَدِّج[٢] بالحَسَد ، والأنوف تَعْطِسُ بالـكِبْر ، والصدور تَسْتَعِرُ بالغيظ ، والأعناق تتطاولُ بالفخر ، والألسنة[٣] تُشْحَذ بالمكر ، والأرض تَمِيد بالخوف ، لاَ نَنتظر عند المَسَاء صباحا ، ولا عند الصباح مساء ، ولا ندفع فى نَحْرِ أمرٍ[٤] إلا بعد أن نَحْسُوَ الموتَ دونه ، ولا نبلغ مُراداً إلا بعد جَرْع العذاب معه ، ولا نُقيم مَنَاراً إلا بعد الإِياس[٥] من الحياة عنده ، فَادِينَ فى جميع ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأم ، والخال والعمّ ، والمـال والنَّشَب[٦] ، والسَّبَد واللَّبَد[٧] ، والهِلَّةِ والبِلَّة[٨] ، بطِيب أنفُس ، وقُرَّةِ أعين ، ورُحْبِ أعطان[٩] وثباتِ عزائم ، وصِحَّة عقود[١٠] وطَلاقة أوجه ، وذَلاَقة ألسُن .

هذا مع خَبِيئات أسرار ، ومكنونات أخبار ، كنتَ عنها غافلا ، ولولا

---

(١) المرسة بالتحريك : الحبل والجمع مرس بالتحريك أيضا وجمع الجمع أمراس وقد يكون المرس للواحد

(٢) التحديج : التحديق . (٣) فى صبح الأعشى ونهاية الأرب « والشفار » بالكسر جمع شفرة بالفتح وهى السكين العظيم وحد السيف، والمراد بها الأسنة أيضا . وتميد : تضطرب .

(٤) فى صبح الأعشى « امرئ » . (٥) أى اليأس . (٦) النشب : المال الأصيل من الناطق والصامت .

(٧) جاء فى اللسان « السبد : الوبر، وقيل: الشعر، واللبد من الصوف لتلبده ،والعرب تقول : ماله سبد ولا لبد ، أى ماله ذو وبر ولاصوف متلبد ، يكنى به عن الإبل والغنم، وقيل: يكنى به عن المعز والضأن ، وقيل : يكنى به عن الابل والمعز ، فالوبر للابل والشعر للمعز ، وقال الأصمعى : ماله سبد ولا لبد ، أى ماله قليل ولا كثير، وكان مال العرب الخيل والإبل والغنم فدخلت كلها فى هذا المثل » .

(٨) يقال : جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة ، وما أصاب عنده هلة ولا بلة : أى شيئا ، والهلة من الاستهلال والفرح ، والبلة : أدنى بلل من الخير ، وحكاهما كراع جميعا بالفتح .

(٩) الرحب : الاتساع ، والأعطان جمع عطن بالتحريك . ويقال: رجل رحب العطن ، وواسع العطن أى رحب الذراع كثير المـال واسع الرحل ، وفى ابن أبى الحديد « ورحب أعطاف » والأعطاف جمع عطف بالكسر وهو الجانب . (١٠) وفى صبح الأعشى ونهاية الأرب « وصحة عقول » [؟] وذلاقة اللسان : حدته .

سِنُّكَ لم تكن عن شيء منها ناكِلاً(١)، كيف وفؤادُكَ مَشْهُوم، وعُودكَ مَعْجُوم(٢)، وغَيْبكَ مخبور، والخير منك كثير، والآن قد بلغ الله بك، وأرهص(٣) الخيرَ لك، وجعل مُرادَكَ بين يديك، وعن عِلْمٍ أقول(٤) ما تسمع، فارتقِبْ زمانك، وقَلِّصْ أردانَك، ودع التقعُّسَ والتجسُّس لمن لا يَظْلَعُ لك إذا خطا، ولا يتزحزح عنك إذا عطا(٥)، فالأمر غَضٌّ، والنفوس فيها مَضٌّ، وإنك أَدِيمُ هذه الأمة فلا تَحْلَمْ لَجاجا، وسَيْفُها العَضْبُ فلا تَنْبُ اعوجاجا، وماؤها العَذْبُ فلا تَحُلْ أُجاجا(٦)، واللهِ لقد سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر، فقال لى «يا أبا بكر: هو لمن يرغب عنه لا لمن يُجاحِش عليه، ولمن يتضاءل عنه لا لِمَنْ يَنْتَفِج إليه(٧)، هو لِمَن يقال له هو لك لا لمن يقول هو لى».

ولقد شاورنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصِّهر، فذكر فِتْيَانا من قريش فقلت: أين أنت من على؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إنى لأكرهُ

---

(١) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا: نكص وجبن.

(٢) المشهوم والشهم: الذكىّ الفؤاد المتوقد، وعجم عوده كنصر: عضه ليعلم صلابته من خوره.

(٣) فى كتب اللغة: أرهص الله فلانا للخير أى جعله معدنا للخير ومأتى، وفى صبح الأعشى ونهاية الأرب «وأنهض». (٤) وفى ابن أبى الحديد: «فاسمع ما أقول لك، واقبل مايعود قبوله عليك، ودع التجسس والتعسس ... الخ». (٥) التقليص: التشمير، والأردان: جمع ردن بالضم، وهو أصل الكمّ، والتقعس والتقاعس: التأخر، وظلع البعير كمنع: غمز فى مشيه، وعطا الظبى: تطاول إلى الشجر ليتناول منه. (٦) الغض: الطرى، ومضه الشىء مضا: بلغ من قلبه الحزن به كأمضه، والأديم: الجلد، وحلم الجلد كفرح: وقع فيه الحلم بالتحريك: وهو دود يقع فى الجلد فيأكله فإذا دبغ وهى موضع الأكل، وسيف عضب: قاطع، ونبا السيف عن الضريبة: كلّ، فلا تحل: أى فلا تتحول ولا تصر، وماء أجاج: أى ملح مرّ.

(٧) يجاحش: يدافع، ونفج وانتفج وتنفج: ارتفع، ومنه انتفج جنبا البعير: أى ارتفعا، وانتفجت الأرنب: أى وثبت، وفى ابن أبى الحديد «لا لمن يشمخ إليه».

لفاطمةَ مَيْعةَ(١) شبابه ، وحَداثَةَ سِنِّه ، فقلت له : متى كَنَفَتْهُ يدك ، ورَعَتْه عينُك ، حَفَّتْ بهما(٢) ، البَركةُ ، وأُسْبِغت عليهما النعمةُ ، مع كلام كثير خاطبْته به رغَّبْته فيك ، وما كنتُ عرَفت منك فى ذلك حَوْجَاء ولا لَوْجاء(٣) ، فقلتُ ما قلت وأنا أرى مكانَ غيرك ، وأَجِدُ رائحةَ سواك ، وكنت لك إذ ذاك خيراً منك الآن لى ، ولئن كان عرَّض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر فلم يكن مُعْرِضاً عن غيرك ، وإن كان قال فيك فما سكت عن سواك .

وإن تَلَجْلَجَ(٤) فى نفسك شىء فهَلُمَّ فالحُكم مَرْضِىٌّ ، والصوابُ مسموعٌ ، والحق مطاع ، ولقد نُقِل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عزّ وجل ، وهو عن هذه العصابة راضٍ وعليها حَدِبٌ(٥) يسرُّه ما سرها ، ويسوءه ما ساءها . ويَكيده ما كادها ، ويُرضيه ما أرضاها ، ويُسْخِطه ما أسخطها ، أَمَا تعلم أنه لم يدع أحداً من أصحابه وأقاربه وسُجَرائه(٦) إلا أبانه بفضيلة ، وخصَّة بمزيَّة ، وأفرده بحالة لو أصْفَقَت الأمة عليه لِأجْلها ، لكان عنده إيالَتُها وكَفالَتُها ، أتظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة سُدًى بَدَدًا(٧) عَبَاهِلَ مَبَاهِلَ ، طَلَاحَى(٨) مفتونةً بالباطل ،

---

(١) ميعة الشباب : أوّله . (٢) أى بعلىّ وفاطمة ، وأسبغ الله عليه النعمة : أتمها .

(٣) الحوجاء : الحاجة وكذا اللوجاء ، ويقال : مالى فيه حوجء ولا لوجء ، ولا حويجاء ولا لويجاء أى مالى فيه حاجة .

(٤) تلجلج : تردد . وفى ابن أبى الحديد « اختلج » . (٥) حدب عليه كفرح : تعطف . وفى صبح الأعشى ونهاية الأرب « حذر » . (٦) سجراء جمع سجير . وهو الخليل الصفىّ ، وأصفقوا على كذا : أطبقوا . وآل على القوم إيالا وإيالة : ولى . (٧) سدى بالضم والفتح والضم أكثر : أى مهملة للواحد والجمع ، وبددا : أى متفرقة ، يقال : جاءت الخيل بددا بددا على المصدر ، وتفرقوا بداد ، وفى الدعاء : « اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا » يروى بكسر الباء جمع بدة بالكسر وهى الحصة والنصيب : أى اقتلهم حصصا مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بالفتح : أى متفرقين من التبديد ، أى بدد شملهم

(٨) عبهل الإبل : أهملها ، وإبل عباهل ومعبهلة : أى مهملة لا راعى لها ولا حافظ ، قال

مغنُونَة عن الحق ، لارائِدَ ولاذَائِدَ ، ولا ضابِطَ ولا حَائِطَ ولارابِطَ ، ولاساقِ ولا واقِ ، ولا هادِىَ ولا حَادِىَ[١] ؟ كلاَّ ! واللهِ ما اشتاق إلى ربه تعالى ، ولا سألَه المصيرَ إلى رضوانه وقُرْبه ، إلا بعد أن ضَرَب المَدَى ، وأوضح الهُدَى ، وأبان الصُّوَى ، وأمَّنَ المسالِكَ والمَطَارِحَ ، وسَهَّل المَبارِكَ والمَهَايِعَ[٢] ، وإلاَّ بعد أن شَدَخَ يا فُوخَ الشرك بإذن الله ، وشَرَم وجْهَ النفاق لوجه الله سبحانه . وَجَدَع أنف الفتنة فى ذات الله ، وتَفَل فى عين الشيطان بعون الله ، وصَدَع[٣] بِملء فيه ويده بأمر الله عزّ وجل .

الراجز : عباهل عبهلها الورّاد : وأبهل الإبل : أهملها أيضا كعبهلها ، والعين مبدلة من الهمزة وهى مبهلة ومباهل للجمع (وقد ضبط مباهل فى لسان العرب والقاموس بضم الميم وكسر الهاء ، وكتب مصحح اللسان على هامشه : « كذا وقع فى الأصل ميم مباهل مضموما وكذا فى القاموس ، وليس فيه لفظ الجمع فانظر وحرر اه » والظاهر أنه بفتح أوله كما فى عباهل) وطلح البعير كمنع طلاحة بالفتح : أى كلّ وأعيا ، فهو طلح بالفتح والكسر وطليح وطالح ، وإبل أطلاح وطلاح بالكسر وطلح كركع وطلائح ، وجاء أيضا إبل طلاحى بفتح الطاء والحاء : أى تشتكى بطونها من أكل الطلح (والطلح كشمس : شجر عظام) قال فى اللسان « وأنكر أبو سعيد إبل طلاحى إذا أكلت الطلح ، قال : والطلاحى هى الكالة المعيية ، قال : ولا يعرض الطلح الإبل ، لأن رعى الطلح ناجع فيها » وفى ابن أبى الحديد « طلاحا » .

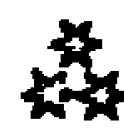
(١) عننت الفرس وأعننته : حبسته بالعنان ، وفى صبح الأعشى « مغبونة » وهو تصحيف ، وفى ابن أبى الحديد « ملوبة » والذائد : الدافع ، وفى صبح الأعشى « زائد » وهو تحريف ، وحائط : أى حافظ وصائن من حاطه ، وفى ابن أبى الحديد « خابط » وهو تحريف . والحادى : سائق الابل .

(٢) المدى : الغاية ، والمعنى : بين الغاية . والصوى جمع صوّة كقوة : وهى حجر يكون علامة فى الطريق . والمطارح : الأماكن البعيدة ، طرحه : أبعده ، والطروح كصبور : المكان البعيد ، وطرحت به النوى كل مطرح : أى نأت به . والمهايع : جمع مهيع كمقعد ، وهو الطريق البين .

(٣) شدخ : كسر . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره . وشرمه كضرب : شقه ، وجدع أنفه : قطعه . وتفل كنصر وضرب : بصق . وصدع كمنع : جهر ، وقيل فى قوله تعالى « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » أى شق جماعاتهم بالتوحيد أو اجهر بالقرآن أو اظهر أو احكم بالحق وافصل بالأمر أو اقصد بما تؤمر أو افرق به بين الحق والباطل .

وبعدُ ،فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك فى بُقْعة واحدة ، ودارٍ جامعة ، إن استقالونى(١) لك ، وأشاروا عندى بك ، فأنا واضعٌ يدى فى يدك ، وصائر إلى رأيهم فيك ، وإن تكن الأخرى فادخل فى صالح ما دخل فيه المسلمون ، وكن العَوْنَ على مصالحهم ، والفاتح لِمَغَالقهم(٢) ، والمُرْشِد لضَالَّتهم ، والرادعِ لغَوايتهم ، فقد أمَرَ الله تعالى بالتعاون على البرِّ والتقوى والتناصُر على الحق ، ودَعْنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغِلّ ، ونَلْقى الله تعالى بقلوب سليمة من الضِّغْن .

وبعدُ ، فالناس ثُمَامة(٣) فارفُق بهم ، وأحْنُ عليهم ، ولِنْ لهم ، ولا تسوِّل لك نفسُك فُرقتَهم، واختلاف كلمتهم، ولا تُشْقِ نفسَك بنا خاصَّةً منهم، واترك ناجِمَ الحِقْد حَصِيداً(٤) ، وطائر الشر واقعاً ، وباب الفتنة مُغْلَقاً ، فلا قالَ ولا قِيلَ، ولا لومَ ولا تعنيفَ ،ولا عِتاب ولا تثريبَ(٥)، والله على ما نقول شهيد، وبما نحن عليه بصير » .



قال أبو عبيدة : فلما تأهَّبت للنهوض ، قال عمر رضى الله عنه : كن لَدَى الباب هُنَيْهَةً(٦) فلى معك دَورٌ من القول ، فوقفتُ وما أدرى ما كان

---

(١) وفى ابن أبى الحديد « إن استقادوا لك » واستقاد له : أعطاه مقادته وانقاد له .

(٢) المغالق جمع مغلق كمنبر : وهو ما يغلق به الباب كالمغلاق . (٣) الثمامة :واحدة الثمام ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول ، وفى حديث عمر « اغزوا والغزو حلو خضر قبل أن يصير ثماما ثم رماما ، ثم حطاما » . (٤) نجم النبات : طلع وظهر . حصيداً : محصودا .

(٥) فى صبح الأعشى « ولا تبيع » وهو تصحيف وصوابه « تبيغ » وتبيّغ عليه الأمر: اختلط . ولدم : هاج وغلب . والتثريب : اللوم .

(٦) هن كأخ معناه شىء ، وهو كناية عن كل اسم جنس . والأنثى هنة بفتح النون . وقالوا هنت بالتاء ساكنة النون فجعلوه بمنزلة بنت وأخت ، ولامها محذوفة فى لغة هى هاء فيصغر على هنيهة ،

بعدى ، إلا أنه لِحَقَنِي بوجه يُنْدِى(١) تهلُّلاً وقال لى : قل لعليّ :

« الرُّقاد مَحْلَمَة ، والهوى مَقْحَمَة(٢) ، « وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ » ، وحق مُشاع أومقسوم، ونبأ ظاهر أومكتوم، وإن أَكْيَسَ الْكَيْسَى(٣) مَنْ مَنَحَ الشارِدَ تألُّفا ، وقاربَ البعيد تلطُّفا ، ووَزَنَ كل شيء بميزانه ، ولم يَخْلِطْ خَبَرَه بِعِيانه ، ولم يجعل فِتْرَه مكان شِبره ، دينا كان أو دنيا ، ضلالا كان أو هدى ، ولا خيرَ فى عِلْمٍ مستعمَل فى جهل ، ولا خير فى مَعْرِفة مَشُوبة بنُكْر ، ولسنا كجلدة رُفْغِ البعير بين العِجَان والذَّنَب ، وكل صالٍ فبنارِه يَصْلَى(٤) ، وكل سيلٍ فإلى قَرارِه يجرى ، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لِعِيٍّ(٥) وَشِيٍّ ، ولا كلامها اليوم لفَرَقٍ أو رِفق ، وقد جَدَع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنفَ كل ذى كبر ، وقَصَم ظَهْرَ كل جبّار ، وقَطَع لسان كل كَذوب ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، ما هذه الخُنْزُوانة التى فى فَرَاش رأسك ؟ ما هذا الشَّجا المعترض فى مَدارِج أنفاسك ؟ ما هذه القَذَاةُ(٦) التى أعشَتْ ناظِرَك ؟ وما هذه الوَحَرَة(٧) التى أكلت

ومنه يقال : مكث هنيهة أى قليلا من الزمان ، وفى لغة هى واو فيصغر على هنية ، وقيل هنية هو القياس وهنيهة على إبدال الهاء من الياء فى هنية . (١) فى صبح الأعشى « يندى » كيفرح .

(٢) قحم فى الأمر كنصر : رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية .

(٣) الكيس كتمس : خلاف الحمق ، وهو كيس كجيد والجمع كيسى كمرضى .

(٤) الرفغ بالضم والفتح : أصل الفخذ من باطن ، وكل موضع يجتمع فيه الوسخ من الجسد كالابط وغيره . العجان : الاست . ووجه التشبه الخسة وضعة المنزلة. صلى النار كفرح وصلى بها : قاسى حرها .

(٥) العى : الحصر. الشى ّ: إتباع له . قالوا : ما بالعى ّ والشى ّ وفلان عي ّ شي ّ وشوى ّ ، وما أعياه وأشياه وأشواه : وفى ابن أبى الحديد « لعى ّ وحصر ، ولا كلامها اليوم لفرق وحذر » . الفرق : الخوف .

(٦) الخنزوانة : الكبر . فراش الرأس : عظام رقاق تلى القحف . الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . القذى : ما يقع فى العين والشراب .

(٧) الوحرة : وزغة تكون فى الصحارى أصغر من العظاءة (بكسر العين) وهى على شكل سام أبرص . وقيل : الوحرة : ضرب من العظاء وهى صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت وهى أخبث العظاء ، لا تطأ طعاما ولا شرابا إلا سمته ، ولا يأكله أحد إلا أخذه قىء

شَراسِيفَك(١) ؟ وما هذا الذى لبِسْتَ بسببه جِلْد النَّمِر(٢) واشتملت عليه بالشَّحْناء والنُّـكْر ؟

لَشَدَّ ما استَسْعَيْتَ(٣) لها ، وسرَيْتَ سُرَى أَنْقَد(٤) إليها ، إن العَوان لا تُعَلَّم الخِمْرَة(٥) ، ما أحْوَجَ الفرْعَاء إلى فالِيةٍ(٦) ، وما أَفْقَرَ الصَّلْعاء إلى حالية ، ولقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمرُ مُقيَّد مُحبَّس ، ليس لأحد فيه مَلْمَس ، لم يسيِّرْ فيك قولاً ، ولم يستنزِلْ لك قرآنا ، ولم يَجْزِم فى شأنك حكما ، لَسْنا فى كِسْرَوِيَّة كِسْرَى ، ولا فى قيْصَرِية قَيْصَر ، تأمَّلْ لإخوان فارسَ وأبناء الأَصفرِ ، قد جعلهم الله جَزَرا(٧) لسيوفنا ، ودَرِيئةً لرماحنا ، ومَرْمًى لِطِعَّانِنا ، وتَبَعا لسلطاننا ، بل نحن فى نور نُبوَّة ، وضياء رسالة ، وثَمَرة حكمة ، وأَثَرة رحمة ، وعُنوان نعمة ، وظلّ عِصمة ، بين أمة مَهْدِية بالحق والصدق ، مأمونة على الرَّتْق والفَتْق ، لها من الله تعالى قلبٌ أبِيٌّ ، وساعِد قوِيّ ، ويد ناصرة ، وعين باصرة .

وربما هلك آكله . والوحر بالتحريك أيضاً : غشّ الصدر وبلابله ، ويقال: ان أصل هذا من تلك الدويبة شبهوا العداوة ولزوقها بالصدر بالتزاق الوحرة بالأرض .

(١) شراسيف جمع شرسوف : كعصفور وهو غضروف معلق بكل ضلع ، أو مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن .

(٢) من أمثالهم « لبست له جلد النمر » أى تنكرت له ، مثل يضرب فى إظهار العداوة الشديدة وكشفها . وقالوا أيضاً : تنمر له أى تنكر وتغير ، وأصله من النمر لأنه من أنكر السباع وأخبثها ، ولا تلقاه أبداً إلا متنكراً غضبان ، قالوا وكانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله .

(٣) يريد به « سعيت » أو هو على بابه أى لشد ما طلبت إلى نصرائك أن يسعوا حتى تنال الخلافة ، وفى كتب اللغة استسعى العبد : كلفه من العمل ما يؤدى به عن نفسه إذا أعتق بعضه ليعتق به ما بقى . (٤) أنقد : اسم للقنفذ معرفة لا يصرف ، كقولهم أسامة للأسد وذؤالة للذئب ، ومن أمثالهم « أسرى من أنقد » و « بات بليلة أنقد » إذا بات ساهراً ، وذلك أن القنفذ يسرى ليله أجمع ، لا ينام الليل كله .

(٥) العوان من النساء : التى كان لها زوج . والخمرة : اسم هيئة من الاختمار ، وهو لبس الخمار بالكسر (ما نسميه بالطرحة) أى أنها لا تحتاج إلى تعليم الاختمار ، وهو مثل يضرب للرجل المجرب .

(٦) الفرعاء : التامة الشعر . فالية : اسم فاعل من فلى رأسه من القمل يفليه فلياً .

(٧) تركهم جزرا للسباع والطير أى قطعاً . والدريئة : الحلقة يتعلم عليها الطعن والرمى .

أتظنّ ظنًّا يا عليُّ أن أبا بكر وَثَبَ على هذا الأمر مُفْتاتاً على الأمة ، خادعا لها ، ومتسلِّطا عليها ؟ أَتُراه امتلَخَ أحلامَها ، وأزاغ أبصارَها ، وحَلَّ عقودها ، وأحالَ عُقُولَها ، واستلّ من صدورها حَمِيَّتها[1] ، ونَكَثَ رِشاءَها[2] ، وصَبَّ ماءها ، وأضلَّها عن هداها ، وساقها إلى رَدَاها ، وجعل نهارَها ليلاً ، ووزْنَها كَيْلا ، ويَقَظَتَها رُقادا ، وصلاحها فسادا ؟ إن كان هكذا فإنَّ سِحْره لَمُبِينٌ ، وَإِنَّ كَيْدَهُ لَمَتِينٌ ، كَلاَّ واللهِ بأى خَيْل ورَجْل ، وبأى سِنان ونَصْل ، وبأى مُنَّة وقوة ، وبأى مال وعُدَّة ، وبأى أَيْدٍ وشدة ، وبأى عشيرة وأُسْرة ، وبأى قدرة ومَكِنة ، وبأى تدرُّع وبَسْطة[3] ؟ لقد أصبح بما وَسَمْتَه مَنِيعَ الرَّقَبَةِ ، رفيعَ العَتَبة ، لا واللهِ لكن سَلاَ عنها فوَلِهَتْ[4] له ، وتطامَن لها فلَصِقَتْ به ، ومال عنها فمالت إليه ، واشمأزَّ دُونَها فاشتملت عليه ، حَبْوَةٌ حباه[5] اللهُ بها ، وعافِيَةٌ بلَّغه اللهُ إليها ، ونِعمة سَرْبَلَه اللهُ جَمالَها ، ويدٌ أوجبَ اللهُ عليه شكرها ، وأمّة نظر الله به إليها ، وطالما حَلَّقَتْ فوقه فى أيام النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت إليها ، ولا يرتَصِدُ وقتَها ، واللهُ تعالى أعلمَ بخلقه ، وأرأف بعباده ، يختار ، ما كان لهم الخِيَرَةُ[6] ، وإنك بحيثُ لا يُجْهَلُ موضِعُك من بيت النبوة ، ومعدِنِ الرسالة ، وكهف الحكمة ، ولا يُجْحَد حقُّك فيما آتاك ربك من العلم ، ومَنَحَك من الفقه والدين ، هذا إلى مزايا خَصِصْتَ بها ، وفضائلَ اشتملتَ عليها ، ولكن لك مَنْ يزاحِمُك بِمَنْكِبٍ أضْخَمَ من مَنْكِبك ،

---

(١) امتلخها : انتزعها . الأحلام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . الحمية : الأنفة .
(٢) نكث الحبل : نقضه . والرشاء : الحبل .
(٣) رجل : جمع راجل وهو ضد الفارس . والمنة : القوة . والأيد : القوة أيضاً ، وكذا المكنة . البسطة : السعة . (٤) الوله بتحريك : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، وفعله كفرح .
(٥) حباه : أعطاه . والحبوة مثلثة والحباء ككتاب : العطاء . (٦) الخيرة : اسم من الاختيار .

وقُرْبَى أمسّ من قُرباك ، وسِنٍّ أعلى من سنك ، وشَيْبةٍ أورع من شَيْبتك ، وسِيادة لها أصل فى الجاهلية ، وفَرْعٌ فى الإسلام ، ومواقف ليس لك فيها جَمَلٌ ولا ناقة[١] ، ولا تُذْكر منها فى مُقَدمة ولا ساقة[٢] ، ولا تَضْرِب فيها بذراع ولا إِصْبَع ، ولا تخرج منها ببازِلٍ ولا هُبَع[٣] ، ولم يزل أبو بكر حَبَّة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَعِلاقة نفسه ، وعَيْبَة سره ، ومَفْزَع رأيه ومشورته ، وراحة كفِّه ، ومَرْمَق[٤] طَرْفه ، وذلك كلُّه بمَحْضَر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار ، شُهْرته مُغْنِية عن الدليل عليه .

ولعمرى إنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قَرابةً ، ولكنه أقرب منك قُرْبةً .[٥] والقرابة لحم ودم ، والقُرْبة نَفْسٌ ورُوح ، وهذا فَرْق عَرَفه المؤمنون ولذلك صاروا إليه أجمعون ، ومهما شكَكْتَ فى ذلك ، فلا تشكّ أن يد الله مع الجماعة ، ورضوانه لأهل الطاعة . فادخل فيما هو خير لك اليومَ ، وأنفع لك غدا ، والفِظْ مِن فِيك ما يَعْلَق بِلَهاتِك ، وانفُثْ سَخِيمةَ صدرك عن تُقاتِك ، فإن يك فى الأَمَد طول ، وفى الأجل فُسْحَة ، فستأكله مَرِيئًا أو غير مَرِىء[٦] ، وستشربه هنيئًا أو غير هنىء ، حين لا رادّ لقولك إلا من كان

---

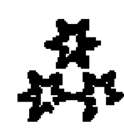
(١) من أمثال العرب « لا ناقتى فى هذا ولا جملى » قاله الحارث بن عباد البكرى حين قتل جساس ابن مرة كليبا وهاجت الحرب بين بكر وتغلب ، وكان الحارث اعتزلهما .

(٢) ساقة الجيش : مؤخره . (٣) جمل وناقة بازل وبزول كصبور : وذلك فى تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى . والهبع : الفصيل فى آخر النتاج .

(٤) علاقة السيف بالكسر : حمالته . والعلاقة بالفتح ويكسر : الحب الملازم للقلب . رمقه كنصره : نظر إليه ، وفى أبى الحديد « وعلاقة همه ، وعيبة سره ، ومثوى حزنه ، وراحة باله ، ومرمق طرفه » .

(٥) القربة : الوسيلة . (٦) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . السخيمة : الحقد . والتقاة : التقوى . وأصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة ، والياء ألفا . ومرأ الطعام مثلثة الراء مراءة فهو مرىء هنىء حميد المغبة .

آيساً منك ، ولا تابعَ لك إلا من كان طامعاً فيك ، يُمِضُّ إهابَك ويَعرُكُ أديمَك، ويَزْرى على هَديك ، هنالك تقْرَع السِّنَّ[١] مِنْ نَدَمٍ ، وتَجْرَع الماء ممزوجًا بدمٍ ، وحينئذ تأسى[٢] على مامضى من عمرك ، ودارِجِ قُوَّتك[٣] ، فتودّ أَنْ لو سُقِيتَ بالكأس التى أَبَيْتَهَا ، ورُدِدْتَ إلى حالتك التى استغويتها ، ولله تعالى فينا وفيك أمرٌ هو بالِغُه، وغَيْب هو شاهِدُه ، وعاقبةٌ هو المرجُوُّ لِسَرَّائها وضَرَّائها ، وهو الولى الحميد الغفور الودود » .



قال أبو عبيدة : فمشيتُ متزمِّلاً أَنُوءُ كأنّما أخطو على أُمِّ رأسى ، فَرَقاً[٤] من الفُرقة ، وشَفَقاً على الأمة ، حتى وصلت إلى علىّ رضى الله عنه فى خَلاءٍ ، فأبثثْتُه[٥] بَثِّى كله ، وبَرِئت إليه منه ، ورفقْتُ به ، فلما سمعها ووعاها ، وسَرَت فى مفاصِلِه حُمَيَّاها ، قال : حلَّتْ مُعْلَوِّطةً[٦] ، وولَّتْ مُخْرَوِّطةً ، وأنشأ يقول :

إِحدى لياليكِ فَهِيسِي هِيسِي ... لاَ تَنْعَمِي الليلةَ بالتَّعْرِيسِ[٧]

(١) مضه بمضه بضم الميم وفتحها وأمضه : آلمه وأحرقه . الإهاب : الجلد . وكذا الأديم . وزرى عليه وأزرى : عابه . وقرع سنه : حرقه ندما . (٢) أسى كفرح : حزن .

(٣) وفى ابن أبى الحديد « وانقضى وانقرض من دارج قومك ، وتود أن لوسقيت بالكأس التى سقيتها غيرك ، ورددت إلى الحال التى كنت تكرهها فى أمسك » . درج القوم : انقرضوا .

(٤) متزملا : أى متلففا ، وفى ابن أبى الحديد « متباطئا » وناء بالحمل : نهض مثقلا . الفرق : الخوف .

(٥) أبثه السر : أظهرته له . والبث : الحال . ورفق به وعليه مثلثة . والحميا من كل شىء : شدّته . حميا الكأس : سورتها وشدتها وأخذها بالرأس . وحميا الشباب : أوله ونشاطه

(٦) يقال : اعلوط فلان رأسه . إذا ركب رأسه وتقحم على الأمر بغير روية . واخروّط البعير فى سيره : إذا أسرع . (٧) هاس يهيس هيساً : سار أى سير كان ، وهو مثل يضرب للرجل يأتى الأمر يحتاج فيه إلى الجد والاجتهاد . وعرس القوم : نزلوا فى آخر الليل للاستراحة كأعرسوا والأول أكثر .

نعم يا أبا عبيدة ، أكلّ هذا فى أنفس القوم يُحِسُّونَ به ويَضْطَبِعُونَ(١) عليه ؟ قال أبو عبيدة . فقلت : لاجوابَ لك عندى ، إنما أنا قاضٍ حَقَّ الدِّينِ ، وراتِقٌ فَتْقَ المسلمين ، وسادٌّ ثُلْمَةَ الأمة ، يعلم الله ذلك مِنْ جُلْجُلَانِ(٢) قلبى ، وقَرارة نفسى .

فقال على رضى الله عنه : « واللهِ ما كان قعودى فى كِسْرِ(٣) هذا البيت قَصْداً للخلاف ، ولا إنكاراً للمعروف ، ولا زِرايةً على مسلم ، بل لما قد وَقَذَنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فِراقه ، وأودعنى من الحزن لفقْده ، وذلك أننى لم أَشْهَد بعده مَشْهَدا إلا جدَّد علىّ حزنا ، وذكرنى شَجَنا(٤) ، وإن الشوق إلى اللحاق به كافٍ عن الطمع فى غيره ، وقد عَكَفتُ على عهد الله أنظرُ فيه ، وأجمع ماتفرق منه ، رَجاءَ ثوابٍ مُعَدٍّ لمن أخلص لله عملَه ، وسلَّم لِعلمه ومشيئته ، وأمْرِه ونهيه ، على أنى ماعلمت(٥) أن التظاهرَ علىّ واقِعٌ ، ولا عن الحق الذى سِيق إلىّ دافع ، وإذ قد أُفعِمَ(٦) الوادى بى ، وحُشِدَ النادى من أجلى ، فلا مَرْحَباً بما ساءَ أحداً من المسلمين وسَرَّنى ، وفى النفس كلام ، لولا سابقُ عَقْدٍ ، وسالِفُ عَهْدٍ ، لَشَفَيْتُ غيظى بِخِنْصِرِى وَبِنْصِرِى ، وخُضْتُ لُجَّته بأَخْمَصِى وَمَفْرِقِى(٧) ، ولكننى مُلْجَمٌ إلى أن ألْقَى الله

---

(١) اضطبع الشىء أدخله تحت ضبعيه — أى عضديه — والمعنى هنا يشتملون عليه وينطوون . وفى شرح ابن أبى الحديد : « يستبطنونه ويضطغنون عليه » والاضطغان : الاشتمال أيضا .

(٢) جلجلان القلب : حبته . (٣) أى فى جانبه .

(٤) وقذه : صرعه وسكنه وغلبه وتركه عليلا . والشجن : الهم والحزن .

(٥) وفى ابن أبى الحديد « على أنى أعلم » . (٦) أى ملىء .

(٧) الخنصر بكسر الخاء والصاد . وبفتح الصاد : الإصبع الصغرى . البنصر : الإصبع بين الوسطى والخنصر . والمعنى : لشفيت غيظى بيدى . والأخمص من باطن القدم : ما لم يصب الأرض . المفرق كمقعد ومجلس : وسط الرأس . وهو الذى يفرق فيه الشعر .

ربى ، وعنده أحتسبُ مانزل بى ، وإنى غادٍ إن شاء الله إلى جماعتكم ، مبايع صاحبكم ، صابر على ماساءنى وسَرَّكم ، لِيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْراً كان مفعولا ، وكان الله على كل شىء شهيدا » .

قال أبو عبيدة : فعُدتُ إلى بكر رضى الله عنه . فقَصَصْتُ عليه القول على غرِّه [١] ، ولم أختزِل شيئاً من حُلْوه ومُرِّه ، وبكَّرْتُ غُدوَةً [٢] إلى المسجد ، فلما كان صباحُ يومئذ ، إذا علىّ يخترق الجماعة إلى أبى بكر رضى الله عنهما فبايعه ، وقال خيرا ، ووصف جميلا ، وجلس زِمِّيتا [٣] ، واستأذن للقيام فمضى ، وتبعه عمر مُكْرِما له مستثيرا لما عنده .

وقام أبو بكر إليه فأخذ بيده وقال : إن عصابةً أنت منها يا أبا الحسن لَمَعْصُومَة ، وإن أمةً أنت فيها لَمَرحومة ، ولقد أصبحتَ عزيزا علينا ، كريما لدينا ، نخاف الله إذا سَخِطْتَ ، ونرجوه إذا رَضِيت ، ولولا أنى شُدِهتُ [٤] ، لَمَا أجبتُ إلى مادُعِيتُ إليه ، ولكنى خِفْتُ الفُرْقةَ ، واستئثارَ الأنصار بالأمر على قريش ، وأُعْجِلْتُ عن حضورك ومشاورتك ، ولو كنتَ حاضرا لبايعتُك ولم أعْدِل بك ، ولقد حَطَّ اللّٰهُ عن ظَهْرِك ما أثقل كاهِلِى به ، وما أسَدَّ مَن ينظر الله إليه بالكفاية ، وإنا إليك لمحتاجون ، وبفضلك عالمون ، وإلى رأيك وهديك فى جميع الأحوال راغبون ، وعلى حمايتك وحَفِيظتك [٥] مُعَوِّلون ، ثم انصرف وتركه مع عمر ، فالتفت علىّ إلى عمر فقال : يا أبا حَفْصٍ والله

---

(١) الغرّ : كل كسر متثن فى ثوب أو جلد . ويقولون : اطو الثوب على غره : أى على كسره الأول كما كان مطويا . والمعنى هنا : على أصله .

(٢) الغدوة : البكرة . أو مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

(٣) الزميت كـكريم : الوقور . والزميت كسكيت : أو قرمنه . (٤) شده : دهش .

(٥) الحفيظة : اسم بمعنى المحافظة والحفاظ .

ماقعدتُ عن صاحبكم كارهاً له (١) ، ولا أتيته فَرَقا منه ، ولا أقول ما أقول تَعِلَّةً (٢) ، وإنى لأعْرِف مَسْمَي (٣) طرفى ، وَمَحَطَّ قدمى ، وَمَنْزِعَ قوسى ، ومَوْقِعَ سهمى ، ولكن قد أزَمْتُ على فَأْسِى (٤) ثقةً بربى فى الدنيا والآخرة ، وقد تخلفت إعذاراً إلى الله وإلى من يعلم الأمر الذى جعله لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتيت فبايعت حفظاً للدين ، وخوفا من انتشار أمر الله .

فقال له عمر رضى الله عنه : كَفْكِفْ غَرْبَكَ ، واستوقِفْ سِرْبَكَ (٥) ودعِ العَصا بلِحائها ، والدِّلاءَ على رِشائها (٦) ، فإنَّا مِن خَلفِها وورائها ، إن قَدَحْنا أَوْرَينا ، وإن مَتَحْنَا أَرْوَينا ، وإن قَرَحْنا (٧) أَدْمَيْنا ، وقد سمعتُ أماثيلك التى لَغَّزْت (٨) بها صادرةً عن صدر أكله الجَوَى ، ولو شئتُ لقلتُ على مقالتك ما إن سمعتَه نَدِمتَ على ماقلت ، وزعمت أنك قَعدت فى كِسر بيتك لِمَا وَقَذَك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقده ، فهو وَقَذَك ولم يَقِذْ غيرك ؟ بل مُصابه أعظم وأعمُّ من ذلك ، وان مِن حقِّ مصابه أن لا تَصْدَع شَمْلَ الجماعة بفُرقةٍ لا عِصامَ لها (٩) ، ولا يؤمَن كيد الشيطان فى بقائها ، هذه العرب حولنا ، والله لو تداعَت علينا فى صبح نهار لم نلتقِ فى

---

(١) وفى ابن أبى الحديد «حزعا على ماصار إليه» .

(٢) التعلة والعلالة : ماتعلل به . (٣) اسم مكان من سما وكذا ما بعده .

(٤) الفأس من اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك . وأزم الفرس على فأس اللجام كضرب : قبض وعض . والمعنى هنا : كتمت مافى نفسى . (٥) الغرب : الحدة . والسرب : القطيع . وفى ابن أبى الحديد «كفكف من غربك ، ونهنه من سربك» ونهنهه عن الأمر : كفه وزجره . والسرب : النفس . (٦) اللحاء : القشر . والرشاء : الحبل .

(٧) ورى الزند كوعى وولى : خرجت ناره وأوريته . متح الماء كمنع : نزعه . قرحه كمنع أيضا : جرحه . (٨) الأماثيل : جمع أمثولة بالضم ، تقل إذا أنشد بيتا ثم آخر ثم آخر وهى الأمثولة . وفى ابن أبى الحديد «أمثالك التى ألغزت بها» وألغز كلامه وفيه ولغز : عمى مراده .

(٩) العصام : حبل تشد به القربة . ورباط كل شىء .

مَسائه ، وزعمت أن الشوق إلى اللّحاق به كَافٌ عن الطمع فى غيره ! فمِن علامة الشوق إليه نُصرة دينه ومؤازرة أوليائه ومعاونتهم ، وزعمت أنك عكفْتَ على عهد الله تجمع ما تفرق منه ، فمن العكوف على عهد الله النصيحةُ لعباد الله ، والرأفةُ على خلق الله ، وبَذْل مايصلحُون به ، وَيَرْشُدون عليه ، وزعمتَ أنّك لم تعلم أن التظاهر وقع عليك ، وأىُّ حَقٍّ لُطَّ[1] دونك ؟ قد سمعتَ وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سِرا وجهراً ، وتقلَّبْتَ عليه بَطْنا وظَهرا ، فهل ذكرتْك أو أشارتْ بك أو وجَدْتَ رضاهم عنك ؟ هل قال أحد منهم بلسانه إنك تَصْلُح لهذا الأمر ؟ أو أَوْمَأَ بعينه ؟ أو هَمْهم[2] فى نفسه ، أتظن أن الناس ضلُّوا مِن أجْلك ، وعادوا كفاراً زهدا فيك ، وباعوا الله تحامُلاً عليك ؟ لا والله ، لقد جاءنى عَقِيل بن زِياد الخَزْرَجِىّ فى نَفَر من أصحابه ، ومعهم شُرَحْبيل بن يعقوب الخزرجى وقالوا : إن عليا ينتظر الإمامة ، ويزعم أنه أَوْلَى بها من غيره ، ويُنْكِر على من يَعقِد الخلافة ، فأنكرت عليهم ، وَرَدَدْتُ القول فى نحورهم حيث قالوا : إنه ينتظر الوحى ، ويتوكَّف[3] مُناجاةَ المَلَك ، فقلت : ذاك أمر طواه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر معقوداً بأُنْشُوطة ، أو مشدوداً بأطراف لِيطةٍ[4] ؟ كلا ! والله لا عَجْماء بحمد الله إلا وقد أَفْصَحَتْ ، ولا شَوْكاء[5] إلا وقد تَفَتَّحَتْ ، ومن

---

(١) لط حقه : جحده ، وفى ابن أبى الحديد « وزعمت أن التظاهر عليك واقع ، أى تظاهر وقع عليك : وأى حق استؤثر به دونك ؟ » .

(٢) الهمهمة : الكلام الخفى ، وفى صبح الأعشى « أومٓ » .

(٣) التوكف : التوقع والانتظار .

(٤) الأنشوطة : عقدة تحل إذا جذب أحد طرفيها . والليطة : قشرة القصبة .

(٥) أى ولا نبتة شوكاء يريد ذات شوك ، والذى فى كتب اللغة « شجرة شاكة بتخفيف الكاف وشوكة كفرحة وشائكة ومشيكة بضم فكسر : ذات شوك ، وحلة شوكاء : عليها خشونة

أعْجَبِ شأنك قولك: ولولا سالفُ عهْد، وسابق عقْد، لشفيْتُ غيظى بخِنْصِرى وبِنْصِرِى، وهل ترك الدينُ لأهله أن يَشْفُوا غيظهم بيد أو بلسان ؟ تلك جاهلية وقد استأصل الله شأْفتها ، واقتلع جُرْثومتها ، وَهوَّرَ ليلها ، وَغوَّرَ سَيْلها ، وأبدل منها الرَّوْحَ والرَّيْحان(١) ، والهدى والبرهان ، وزعمتَ أنك مُلْجَم ، ولعمرى إن من اتقى الله ، وآثَرَ رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسَكَ لسانه ، وأطبَق فاه ، وغلب عقله ودينه على هواه ، وجعل سعْيَه لما وراه .

وأما قولك : إنى لأَعْرِفُ مَنْزِع قوسى ، فإذا عَرَفْتَ مَنْزِعَ قوسك عَرَف غيرك مَضْرِب سيفه ، ومَطْعَن رمحه ، وأما ما تزعمه من الأمر الذى جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فتخلَّيْتَ إعذارًا إلى الله وإلى العارفة به من المسلمين ، فلو عَرَفه المسلمون لجنحوا إليه وأصْفقوا عليه ، وما كان الله ليجْمعَهم على العَمَى ، ولا ليضربَهم بالضلال بعد الهدى ، ولو كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيك رأى ، وعليك عزم ، ثم بعثه الله ، فرأى اجتماعَ أمته على أبى بكر لَمَا سَفَّهَ آراءهم ، ولا ضَلَّلَ أحلامَهم ، ولا آثَرَك عليهم ، ولا أرضاك بسُخْطهم ، ولأَمَرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتضَوه لدينهم »

فقال علىّ رضى الله عنه : مَهْلًا يا أبا حفص . أرشدك اللهُ ، خَفِّض عليك والله ما بذلتُ ما بذلتُ وأنا أريد نَكْثَهُ ، ولا أقررتُ ما أقررتُ وأنا أبتغى

الجدة ، أقول : وقد لوحظ فى وضع شوكاء للحلة الجديدة أن ملمسها خشن كأنه محشى بالشوك .

(١) الشأفة : الأصل ، وقرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب . واستأصل الله شأفته : أزاله من أصله : أو أذهبه كما تذهب تلك القرحة . وجرثومة الشىء : أصله ، وهوره : أزاله وأذهبه . من هور البناء إذا هدمه ، وفى ابن أبى الحديد « ونور ليلها » والروح : الراحة . والريحان : الرزق الطيب .

حِوَلا عنه ، وإنّ أخسرَ الناس صَفْقَةً عند الله من آثرَ النفاق(١) ، واحتضن الشِّقاق، وفى الله خَلَف عن كل فائت ، وعِوَض من كل ذاهب . وسَلْوَةٌ عن كل حادث ، وعليه التوكل فى جميع الحوادث ، اُرجع يا أبا حفص إلى منزلك ناقِع القلب ، مبرودَ الغليل ، فَسِيح اللَّبَان ، فصيح اللسان ، فليس وراء ما سمعتَ وقلتُ إلا ما يشُد الأَزْرَ ، وَيَحُطُّ الْوِزْرَ ، ويَضَع الإِصْرَ(٢) . ويجمع الأُلْفة ، ويرفع الْـكُلْفة . بمشيئة الله ، وحسن توفيقه.

قال أبو عبيدة رضى الله عنه ، فانصرف علىّ وعمر رضى الله عنهما ، وهذا أصعب ما مَرّ علىّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(صبح الأعشى ١ : ٢٣٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢١٣ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ ص ٥٩٢)

٥٨ — كتاب أبى بكر إلى أهل الرِّدَّة

كتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى قبائل العرب التى ارتدَّت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم — سنة ١١ هـ — كتابا واحداً ، ونصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من أبى بكرٍ خليفةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إلى مَن بَلَغه كتابى هذا من عامّة وخاصّة ، أقام على إسلامِ أو رجع عنه .

سلامٌ على من اتبع الهُدَى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضَّلالة والعَمَى ، فإنى أحمَد إليكم اللهَ الذى لا إلٰهَ إلا هو ، وأشهَد أَنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه

(١) وفى ابن أبى الحديد « من استبطن النفاق » .
(٢) اللبان : الصدر . الأزر : الظهر والقوة . الإصر : الذنب والثقل .

لا شريكَ له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وَأُقِرُّ بما جاء به ، وأُكفِّرُ مَنْ أَبَى وأجاهِدُه .

أما بعدُ ، فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحَقِّ من عنده إلى خَلْقه بَشيراً ونَذِيراً ، ودَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيراً ، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، فهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكَرْهاً ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم وقد نَفَّذَ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضَى الذى عليه ، وكان الله قد بَيَّنَ له ذلك ولأهل الإسلام ، فى الكتاب الذى أنزَلَه فقال : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » وقال : « وَمَا جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ » وقال للمؤمنين : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » فمن كان إنما يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحْدَه لا شريك له ، فإن الله له بالمِرْصاد(١) حىٌّ قيوم لا يموت ، ولا تأخذه سِنَةٌ(٢) ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقمٌ من عدوه بجزْبه .

وإنى أُوصيكم بتقوى الله وحظِّكم ونصيبكم من الله ، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهُداه ، وأن تعتصموا بدين الله . فإن

(١) المرصاد : الطريق . وفلان يرصد فلانا أى يقعد على طريقه يترقبه . والمعنى أن الله يرصد كل إنسان حتى يجزيه بأعماله لا يفوته منها شىء . القيوم : الدائم [illegible] حسه وحفظه .

(٢) السنة : فتور يتقدم النوم . قال ابن الرقاع :

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

كل من لم يَهْده الله ضالٌ ، وكل من لم يُعافِه مُبْتَلى ، وكل من لم يُعِنْهُ مخذول ، فمن هداه الله كان مهتدياً ، ومن أضله كان ضالاً ، قال الله تعالى : « مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً » ولم يُقْبَلْ منه فى الدنيا عمل حتى يُقِرَّ بِه ، ولم يُقْبَلْ منه فى الآخرة صَرْف ولا عَدْلٌ[1] .

وقد بلغنى رجوعُ من رَجَع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمِل به ، اغتراراً بالله ، وجَهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله جلّ ثناؤه : « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً » وقال جلّ ذكره : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » .

وإنى أنفذتُ إليكم فلاناً فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله ، حتى يدعوَه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقرّ وكفَّ وعمِلَ صالحًا ، قَبِلَ منه وأعانه عليه ، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ، ثم لا يُبْقِيَ على أحد منهم قدَر عليه ، وأن يُحَرِّقهم بالنيران ، ويقتلَهم كلَّ قِتْلة ، وأن يَسْبِيَ النساء والذرارِيّ ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يُعْجِزَ اللهَ .

وقد أمرتُ رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مَجْمَع لكم ، والداعيةُ الأذانُ ، فإذا أذّن المسلمون فأذّنوا ، كفّوا عنهم ، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم ،

(١) طر هامش ص ٢٨ .

وإن أذّنوا سألوهم ما عليهم ، فإن أبَوْا عاجَلُوهم ، وإن أقرُّوا قَبِلَ منهم وحَمَلَهم على ما ينبغى لهم » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٢٦ ، وصبح الأعشى ٦ : ٢٨٤)

٥٩ — كتابه لأمراء جيوش الردة

وعقد رضى الله عنه أحدَ عشرَ لواء لمحاربة المرتدين ، وكتب لأمراء الجيوش عهداً ، هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا عَهْدٌ من أبى بكرٍ خليفةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لفلان .... حين بَعَثَه فيمن بَعَثَه لقتال من رَجَع عن الإسلام ، عَهِدَ إليه أن يَتَّقِيَ اللهَ ما استطاع فى أمره كلِّه . سِرِّه وعَلانيته ، وأمَرَه بالجِدّ فى أمر الله ، ومجاهدة من تولَّى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانِيِّ الشيطان ، بعد أن يُعْذِر إليهم ، فيدعوهم بداعية الإسلام ، فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه سَنَّ غارتَه عليهم[1] حتى يُقِرُّوا له ، ثم يُنَبِّئُهم بالذى عليهم والذى لهم ، فيأخذ ما عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ، لا يُنْظِرهم[2] . ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب إلى أمر الله عزّ وجل ، وأقرّ له . قبِلَ ذلك منه ، وأعانه عليه بالمعروف ، وإنما يقاتِلُ من كفر بالله ، على الإقرار بما جاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل ، وكان الله حَسِيبَه بعدُ فيما اسْتَسَرَّ به[3] ، ومن لم يُجِبْ داعية الله قُتِلَ وقوتِلَ حيث كان ، وحيث بلغ مُراغَمه[4] . لا يَقْبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلامَ

(١) شن الغارة عليهم : صبها من كل وجه .
(٢) أى لا يؤخرهم . (٣) استسر : استتر . (٤) مراغمه : مهاجره (اسم مكان) .

فمن أجابه وأقرَّ به قبلَ منه وعلَّمه ، ومن أَبَى قاتَلَه ، فإن أظهره الله عليه قتَل فيهم كلَّ قِتْلَةٍ بالسلاح والنيران ، ثم قسَّمَ ما أفاء الله عليه إلا الخُمُس فإنه يُبَلِّغُنَاه ، وأن يمنع أصحابَه العَجَلَةَ والفسادَ ، وأن لا يُدْخِلَ فيهم حَشْوًا حتى يعرِفهم ويَعْلَمَ ما هم ، لِئَلَّا يكونوا عُيُونًا ، ولِئَلَّا يُؤْتَى المسلمون من قِبَلِهم ، وأن يقصِدَ بالمسلمين ، ويَرْفُقَ بهم فى السير والمَنْزِل ، ويتفقدهم ولا يُعْجِل بعضهم عن بعض ، ويستوصِي بالمسلمين فى حُسن الصُّحبة ولِينِ القول » .

(تاريخ الطبرى ٣ : ٢٢٧ ، وصبح الأعشى ١٠ : ١٩٢)

٦٠ — كتاب خالد بن الوليد إلى أبى بكر

وسيَّر أبو بكر خالدَ بن الوليد رضى الله عنهما لقتال طُلَيْحَة بن خُوَيْلِد الأَسَدِىّ — وكان قد ادَّعى النبوَّة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستطار أمرُه، واجتمعت إليه غَطَفَانُ وطيِّئ — فناجَزَهم خالد على بُزَاخَةَ[١]، وكان بنو عامر قريبًا منهم يقدِّمون رِجْلا ويؤخِّرون أخرى ، يتربَّصون على مَن تكونُ الدَّبْرَة[٢] ، فلما أُحيطَ بأسد وغطفان ، وفرَّ طليحة[٣] ، أقبل بنو عامر يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلِّم لحُكْمه فى أموالنا وأنفسنا ، فبايعهم ولم يقبل منهم إلا أن يأتوه بالذين حَرَّقوا ومَثَّلُوا وعَدَوْا على أهل الإسلام فى حال رِدَّتهم ، فَأَتَوْه بهم ، فقبِلَ منهم إلا قُرَّة ابن هُبَيْرَة[٤] ونفَرا معه أوثقهم ، ومثَّل بالذين عَدَوا على الإسلام ، فأحرقهم

---

(١) بزاخة : ماء من مياه بنى أسد بأرض نجد . (٢) الدبرة : الهزيمة فى القتال .

(٣) وقد لحق بالشام ثم أسلم هنالك حين بلغه أن أسدا وغطفان وعامرا قد أسلموا .

(٤) وكان على سادتهم وقادتهم فى كعب ، وهى بطن من عامر .

بالنيران ، ورضَخَهم بالحجارة ، ورَمَى بهم من الجبال ، ونكَسَهم فى الآبار ، وخَزَق[1] بالنبال ، وبعث بقُرَّة وبالأسارَى ، وكتب إلى أبى بكر :

« إن بَنِى عامرٍ أقبلتْ بعد إعراض ، ودخلتْ فى الإسلام بعد تربُّص ، وإنى لم أَقْبَلْ من أحد قاتلنى أوسالمنى شيئًا حتى يجيئونى بمن عَدَا على المسلمين ، فقتلتُهم كُلَّ قِتْلَةٍ ، وبعثتُ إليك بقُرَّةَ وأصحابه » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٣٣)

٦١ — رد أبى بكر على كتاب خالد

فكتب أبو بكر إلى خالد رضى الله عنهما :

« لِيَزِدْكَ ما أنعم اللهُ به عليك خيْرًا ، واتّقِ الله فى أمرك فـ«إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » جُدَّ فى أمر الله ، ولا تَنِيَنَّ ، ولا تظفَرَنَّ بأحدٍ قَتَل المسلمين إلا قتلتَه ، ونكَّلتَ[2] به غيرَه ، ومن أَصَبْتَ[3] مِمَّن حادَّ اللهَ أو ضادَّه ، ممن تَرَى أن فى ذلك صلاحاً فاقتله » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٣٣)

٦٢ — كتاب أبى بكر إلى عكرمة بن أبى جهل

وبعث أبو بكر رضى الله عنه عِكْرِمَةَ بن أبى جَهْل إلى مُسَيْلِمَةَ ، وبنى حَنِيفَةَ باليمامة ، وأَتْبَعَه شُرَحْبِيلَ بن حَسَنة ، فَعَجِلَ عكرمةُ ، فبادر شرحبيلَ لِيَذْهَبَ بِصَوْتِهَا[4] ، فواقعهم فنكبوه . وأقام شرحبيل بالطريق حيث أدركه

---

(١) رضخهم: أى رماهم ، وراضخه: راماه بالحجارة ، وهم يتراضخون بالسهام أى يترامون، وخزقه كضربه: طعنه. (٢) نكل به تنكيلا : صنع به صنيعا يحذّر غيره ، والنكال : ما نكلت به غيرك .

(٣) فى الأصل « ومن أحببت » وأراه محرفا وصوابه ماذكرت . وحادّه : عاضبه وخالفه .

(٤) أى ليكون له فضل الفوز خاصة .

الخبر ، وكتب عكرمةُ إلى أبى بكر بالذى كان من أمره ، فكتب إليه أبو بكر :

« يابن أم عِكْرِمة ، لا أَرَيَنَّكَ وَلاَ تَرَانى على حالها[١] ، لا ترجِعْ فَتُوَهِّنَ[٢] الناس ، أُمضِ على وجهك حتى تسانِدَ حُذَيْفَة وعَرْفَجَة[٣] ، فقاتِلْ معهما أهلَ عُمَانَ ومَهْرَة ، وإن شغلا فامض أنت ، ثم تسير وتسير جندك تَستبرِئون مَن مررتم به ، حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبى أُمَيَّةَ باليمن وحَضْرَمَوْت » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٤٣)

٦٣ — عهد خالد بن الوليد لبنى حنيفة

ثم كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى مُسَيْلِمة، فسار إليه ، واقتتل الفريقان قتالا شديداً ، ودارت الدائرةُ على بنى حَنيفة ، وقُتِل مسيلمة ، فقال مُجَّاعة بن مُرارة ـ أحد سادات بنى حنيفة ـ إنه واللهِ ما جاءك إلا سَرَعانُ[٤] الناس ، وإن جماهيرهم لفى الحصون ، فهَلُمَّ لأصالِحَك على قومى ، وكان المسلمون قد نَهِكتهم الحربُ ، واستحرَّ[٥] فيهم القتل ، فجنح خالد إلى الصلح ، وكتب لهم بذلك كتابًا نصه :

« هذا ما قَاضَى عليه خالد بن الوليد مُجَّاعةَ بن مُرارة وسَلَمَةَ بن عُمَيْر وفلانًا

(١) وقال الطبرى فى موضع آخر « ٣ : ٢٦٢ » :
وكتب إلى عكرمة يعنفه لتسرعه ويقول : « لا أرينك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء » .
(٢) وهنه : أضعفه . (٣) وكان أبو بكر رضى الله عنه سير حذيفة بن محصن إلى أهل دبا ، وعرفجة بن هرثمة إلى مهرة . (٤) سرعان الناس بالتحريك وسرعانهم بسكون الراء : أوائلهم المستبقون إلى الأمر . (٥) استحر : اشتد .

وفلانا ، فقاضاهم على الصَّفْراء والبيضاء ، ونصفِ السَّبْي[1] ، والحَلْقَة والـكُراع[2] وحائطٍ من كل قرية ومَزْرَعة على أن يُسْلموا ، ثم أنتم آمِنون بأمان الله ، ولـكم ذمة خالد بن الوليد ، وذمة أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمم المسلمين على الوفاء » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٥٣)

٦٤ — كتاب أبى بكر إلى خالد بن الوليد

ثم إن خالداً تزوج ابنة مجّاعة بن مُرارة ، فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتاباً يَقْطُر الدم :

« لعمرى يا بن أمّ خالد ، إنك لفارغ تَنْـكِـح النساء ، وبِفِناء بيتك دَمُ ألفٍ ومائتى رجل من المسلمين لم يجفِف بعد » .

فلما نظر خالد فى الـكتاب جعل يقول : هذا عَمَلُ الأُعَيْسِر[3] ، يعنى عمر بن الخطاب . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٥٤)

---

(١) وكان قد صالحه أولا على نصف السبي ، فقال مجاعة : أنطلق إليهم فأشاورهم وننظر فى هذا الأمر ثم أرجع إليك ، فدخل مجاعة الحصون وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفى ، فظاهر الحديد على النساء ، وأمرهن أن ينشرن شعورهن ، وأن يشرفن على رءوس الحصون حتى يرجع إليهم ، ثم أتى خالدا فقال : قد أبوا أن يجيزوا ما صنعت وقد أشرف لك بعضهم نقضا على وهم منى براء ، فنظر خالد إلى رءوس الحصون ، وقد اسودت . فخالها ممتلئة بالرجال وعليهم الحديد ، فقال مجاعة : إن شئت صنعت شيئا فعزمت على القوم ، قال : ما هو ؟ قال : تأخذ منى ربع السبي وتدع ربعا ، قال خالد : قد فعلت ، قال : قد صالحتك ، فلما فرغا فتحت الحصون فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان ! فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتنى ! قال : قومى ، ولم أستطع إلا ما صنعت .

(٢) الحلقة : الدرع ، والـكراع : اسم يجمع الخيل .

(٣) الأعيسر مصغر الأعسر : وهو من يعمل بالشمال (وهو أعسر يسر — كسبب — أى يعمل بيديه جميعاً) .

٦٥ — كتاب العلاء بن الحضرمى إلى أبى بكر

وكتب العَلاء بن الحَضْرَمِيّ ، وهو على قتال المرتدّين بالبحرَين ، إلى أبى بكر رضى الله عنه :

« أما بعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى فجَّر لنا الدَّهْنَاء[١] فَيْضًا لا تُرَى غَوارِبُه[٢] ، وأرانا آيةً وعِبْرَة بعد غمٍّ وكرب[٣] ، لنَحْمَد الله ونمجِّده ، فادعُ الله واستنصِرْه لجنوده وأعوان دينه »

فحمِد أبو بكر الله ودعاه .   (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٦٠)

٦٦ — كتاب العلاء إلى أبى بكر

ثم كتب إليه العلاء بهزيمة أهل الخندق وقتل الحُطَم بن ضُبَيْعة[٤] :

« أما بعدُ : فإن الله تبارك اسمُه سَلَب عدوّنا عقولَهم ، وأذهب ريحَهم ، بشرابٍ أصابوه من النهار ، فاقتحَمْنا عليهم خَندقَهم ، فوجدناهم سُكارى[٥] ، فقتلناهم إلا الشريدَ ، وقد قتل الله الحُطَمَ »

(تاريخ الطبرى ٣ : ٢٦١)

---

(١) الدهناء : من ديار بنى تميم .   (٢) غوارب الماء : أعالى موجه .

(٣) وذلك أن العلاء سلك بالمسلمين الدهناء ، حتى إذا كانوا فى جوفها نزل وأمر الناس بالنزول ، فنفرت الإبل فى جوف الليل حتى لم يبق لهم بعير ولا زاد ، فغشيهم من الغم ما غشيهم ، فقال لهم العلاء : أيها الناس لا تراعوا ، ألستم مسلمين ، ألستم فى سبيل الله ، ألستم أنصار الله ؟ قالوا : بلى ، قال : فأبشروا فوالله لا يخذل الله من كان فى مثل حالكم ، فلما صلوا الصبح دعا ودعوا معه ، حتى لمع لهم ماء فمشوا إليه ، فشربوا واغتسلوا ، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه ، فأناخت فقام كل رجل إلى ظهره فأخذه .

(٤) هو الحطم بن ضبيعة أخو بنى قيس بن ثعلبة ، وكان متولى حشد المرتدين .

(٥) خندق كل من المشركين والمسلمين على نفسه ، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم فكانوا كذلك شهرا ، فبينا الناس ليلة إذ سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاء شديدة كأنها ضوضاء هزيمة أو قتال ، فقال العلاء : من يأتينا بخبر القوم ، فجاءه الخبر أن القوم سكارى ، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عسكرهم ، ووضعوا فيهم السيوف ، واستولوا على ما فى العسكر وقتل الحطم .

٦٧ — كتاب أبي بكر إلى العلاء

فكتب إليه أبو بكر :

« أما بعد : فإنْ بلغك عن بنى شَيْبان بن ثَعْلبة تَمامٌ على ما بلغك وخاض فيه المُرْجِفون[1] ، فَابعث إليهم جُنداً فَأَوْطِئْهم وشرِّدْ بهم مَن خلفهم » فلم يجتمعوا ولم يَصِرْ ذلك من إرجافهم إلى شيء (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٦١)

٦٨ — كتاب أبي بكر إلى الطاهر بن أبي هالة

وانتقَضَ بتهامةَ عَكٌّ والأشعرون ، حين بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وتجمع منهم طَخَارِيرُ[2] ، وأقاموا على الأَعْلاب[3] طريق الساحل ، وتأشَّبَ إليهم أوزاعٌ[4] على غير رئيس . فسار إليهم الطاهر ابن أبي هالة ومعه مسروق العَكِّىّ ، وكتب إلى أبي بكر بمسيره إليهم ، فأجابه :

« بلغني كتابك تُخبرني فيه مَسِيرك ، واستنفارك مسروقاً وقومه إلى الأخابِث[5] بالأعلاب ، فقد أصَبْتَ . فعاجِلوا هذا الضربَ ، ولا ترفِّهوا[6] عنهم ، وأقيموا بالأعلاب حتى يأمَنَ طريقُ الأخابث ، ويأتيَكم أمرى[7] »

(تاريخ الطبرى ٣ : ٢٦٥)

---

(١) يقال : مَرَّ على الأمر وعكف عليه (الصحاح) أي استمر عليه . وأرجفوا : خاضوا في أخبار الفتن ونحوها .

(٢) طخارير : جمع طخرور (كعصفور) أي أشابة من الناس متفرقون (والأشابة بالضم : الأخلاط) .

(٣) أرض عك بين مكة والساحل . (٤) أوزاع : أي فرق وجماعات ، ولا واحد له ، وتأشبوا إليهم : انضموا . (٥) وقد سميت تلك الجموع من عك ومن تأشب بهم « الأخابث » وسمى ذلك الطريق طريق الأخابث . (٦) رفه عنه : نفس .

(٧) وقد التقى بهم الطاهر فقتلوهم شر قتلة وقتلوهم كل قتلة ، وأنتنت السبل بجيفهم ، وكان مقتلهم فتحا عظيما .

٦٩ — كتاب أبى بكر إلى وجوه اليمن

وكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى وجوهٍ من وجوه أهل اليمن :

« من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُمَيْر بن أَفْلَحَ ذى مَرّان، وسَعِيد بن العاقب ذى زُود ، وسَمَيْفَع[1] بن ناكور ذى الكَلاَع ، وحَوْشَب ذى ظُلَيْم ، وشهر ذى يناف :

أما بعدُ : فأَعِينُوا الأبناء[2] على من ناوَأَهم ، وحُوطُوهم[3] ، واسمَعُوا مِن فَيْرُوزَ ، وجِدُّوا معه فإنى قد ولَّيْته » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٦٦)

٧٠ — كتاب أبى بكر إلى المهاجر بن أبى أمية

وكتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر بن أبى أُمَيَّة ، وهو على قتال كِنْدة بحَضْرَمَوْت حين ارتدت :

« إذا جاءكم كتابى هذا ولم تظفَروا ، فإن ظَفِرتم بالقوم فاقتلوا المُقاتِلَة ، واسبُوا الذُّرِّيَّة إن أخذتموهم عَنْوَةً أو ينزلوا على حُكمى ، فإن جرى بينكم صلح قبل ذلك ، فعلى أن تُخْرِجوهم من ديارهم ، فإنى أكرَهُ أن أُقِرَّ أقوامًا فعَلوا فِعْلهم فى منازلهم ، ليعلموا أنْ قد أساءوا ، وليذوقوا وبَالَ بعضِ الّذِى أَتَوْا » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٧٤)

---

(١) وقد تضم سينه وحينئذ تجب كسر الفاء .

(٢) الأبناء : هم قوم من الفرس استوطنوا اليمن ، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن وتزوجوا فى العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم (كعلة الأنصار) وفيروز منهم .

(٣) أى احفظوهم وصونوهم .

٧١ — كتاب أبى بكر إلى عمال الردة

وكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى عمال الرِّدَّة :

« أما بعدُ : فإنَّ أحبَّ من أَدخلتم فى أموركم إلىَّ مَن لم يرتدّ ، ومن كان ممن لم يرتد ، فأجمِعُوا على ذلك ، فاتخذوا منها صنائعَ ، وأْذَنُوا لمن شاء فى الانصراف ، ولا تستعينوا بمرتَدٍّ فى جهاد عدو » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٧٠)

٧٢ — كتاب أبى بكر إلى المهاجر بن أبى أمية

ووَقَع إلى المهاجر بن أبى أمية امرأتان مغنِّيتان ، غَنَّت إحداهما بشتم رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فقطع يدها ، ونَزَع ثَنِيَّتَهَا[1] ، فكتب إليه أبو بكر رحمه الله :

« بلغنى الذى سِرْتَ به فى المرأة التى تغنّت وزَمَرَت بشتيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلولا ما قد سبقْتَنى فيها لأمرتُك بقتلها ، لأن حَدَّ الأنبياء ليس يُشْبه الحدودَ . فمن تعاطَى ذلك من مسلم فهو مرتَدّ ، أو مُعَاهَدٍ فهو محارِب غادِر » . (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٧٧)

٧٣ — كتاب أبى بكر إلى المهاجر

وكتب إليه أبو بكر فى التى تغنّت بهجاء المسلمين :

« أما بعدُ : فإنه بلغنى أنك قطعت يد امرأة فى أن تغنَّت بهجاء

(١) الثنية : واحدة الثنايا من الأسنان ، وهى الأربع التى فى مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل .

المسلمين ونَزَعْت ثَنِيَّتها ، فإن كانت ممن تدَّعِي الإسلام فأَدَبٌ وتَقْدِمَةٌ دون المُثْلةِ(١) ، وإن كانت ذِمِّيَّة فلعمرى لَمَا صَفَحْتَ عنه من الشرك أعظم ، ولو كنتُ تقدمتُ إليك فى مثل هذا لَبَلغت مكروهاً ، فاقْبَلِ الدَّعَة ، وإياك والمُثْلَةَ فى الناسِ فإنها مَأْثَمٌ ومُنَفِّرة ، إلا فى قِصَاص » (تاريخ الطبرى ٣ : ٢٧٧)

٧٤ — كتاب أبى بكر إلى خالد بن الوليد ومن معه

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد بعث المُثَنَّى بن حارثة الشَّيْبَانِىّ على جيش إلى العراق ، فقَدِم العراق فقاتَلَ وأغار على أهل فارس ونواحى السَّواد ، فقاتل حَوْلا أو نحوه ، ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبى بكر يستمده ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، وهو باليمامة .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أبى بكر خليفةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، سلام عليكم ، فإنى أَحْمَدُ إليكم اللهَ الذى لا إِلٰهَ إلا هو ، أما بعد ، فالحمدُ لله الذى أنجزَ وَعْدَه ، ونَصَر دينَهُ ، وأعزّ وَلِيَّه ، وأذلّ عدوَّه ، وغَلَبَ الأحزابَ فَرْدًا . فإن اللهَ الذى لا إله إلا هو ، وَعَدَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، وَعْداً لاَ خُلْفَ له ، ومقالاً لاَ رَيْبَ فيهِ . وَفَرَضَ عَلَى المؤمنين الجهاد ، فقال

(١) مثل به : كنصر مثلا بالفتح ومثلة بالضم ، ومثّل به تمثيلا : نكّل به .

عزّ منْ قائل : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ » فاستتِمُّوا مَوْعِدَ الله إياكم ، وأطيعوه فيما فَرَض عليكم ، وإن عَظُمت فيه المَئُونة . واشتدت فيه الرزيّة ، وبَعُدَت فيه الشُّقَّة[١] ، وفُجِعتم فى ذلك بالأموال والأنفس ، فإن ذلك يسيرٌ فى عظيم ثواب الله ، ولقد ذكر لنا الصادقُ المَصْدُوق صلى الله عليه وسلم أن الله يبعث الشُّهدَاء يوم القيامة شاهرين سيوفَهم لا يتمنَّوْن على الله شيئاً إلا آتاهُمُوه ، حتى أُعطُوا أمانِيَّهم ، وما لم يَخْطُر على قلوبهم ، فما شىء يتمناه الشهيدُ بعد دخوله الجنةَ ! إلا أن يردَّهُم الله إلى الدنيا ، فيُقرَضُون[٢] بالمقاريض فى الله لِعظيم ثواب الله ، انفِرُوا ـ رحمكم الله فى سبيل الله ـ خِفافاً وثِقالاً ، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فقد أمرتُ خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق لا يَبْرَحُه حتى يأتيَه أمرى ، فسِيروا معه . ولا تثَّاقَلُوا عنه ، فإنه سبيل يُعْظِمُ الله فيه الأجرَ لمن حَسُنَت فيه نيَّتُه ، وعظُمَتْ فى الخير رغبتُه . فإذا قَدِمتم العراقَ فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى ، كفانا الله وإياكم مُهِمَّ أمور الدنيا والآخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله»

(فتوح الشام للأزدى ص ٤٦)

---

(١) الشقة بالضم والكسر : الناحية يقصدها المسافر ، والسفر البعيد ، والمشقة .

(٢) أى يجزون عما فعلوا فى سبيل الله ، قرضه كنصره : جزاه كقارضه ، والمقاريض جمع مقروض بمعنى قرض وهو البلاء الحسن . قال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً » وأصل القرض : ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه ، والله عز وجل لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو عباده ، فمعنى نقرض : يفعل فعلا حسنا فى اتباع أمر الله وطاعته .

٧٥ — كتاب أبي بكر إلى المثنى بن حارثة

وكتب أبو بكر رضي الله عنه مع مسعود بن حارثة إلى المُثَنَّى بن حارثة :

« أما بعد ، فإني قد بعثتُ إليك خالدَ بن الوليد إلى أرض العراق ، فاستَقْبِلْه بمن معك من قومك ، ثم ساعِدْه ووَازِرْه وكانِفْه[١] ، ولا تعصِيَنَّ له أمراً ، ولا تخالِفَنَّ له رأيًا ، فإنه من الذين وَصَفَ اللهُ تبارك وتعالى في كتابه فقال : « مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا » فما أقام معك فهو الأمير ، فإن شَخَص عنك فأنت على ما كنت عليه ، والسلام عليك » . (فتوح الشأم للأزدي ص ٥١)

٧٦ — كتاب مذعور بن عديّ إلى أبي بكر

وكتب رجل من بني عِجْل يقال له مذعور بن عَدِيّ إلى أبي بكر رضي الله عنه :

« أما بعدُ : فإني امرؤ من بني عِجل أحلاس الخيل ، وفُرْسانِ الصَّبَاح[٢] ، ومعي رجال من عشيرتي ، الرجل منهم خير من مائة رجل ، ولي عِلْمٌ بالبلد ، وجُرْأة على الحرب ، وبَصَر[٣] بالأرض ، فولِّني أمر السَّواد أكْفِكَهُ إن شاء الله ، والسلام عليك» . (فتوح الشام للأزدي ص ٥٢)

---

(١) وازره وكانفه : ساعده وعاونه .

(٢) الأحلاس : جمع حلس بالكسر ، وهو كساء يكون على ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج ، والمعنى : أنهم يلزمون ظهور الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس ، وفرسان الصباح : أي يشنون الغارة على عدوهم وقت البكرة . (٣) في الأصل « ونصر » وهو تصحيف .

٧٧ — كتاب المثنى بن حارثة إلى أبي بكر

وكتب المُثنَّى بن حارثة إلى أبي بكر رضى الله عنه :

« أما بعدُ : فإنى أُخبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأً من قومنا يقال له مذعور بن عَدِيّ أحد بنى عِجْل فى عدد يسير، وأنه أقبَلَ ينازعنى ويخالفنى ، فأحببتُ إعلامَكَ ذلك ، لِتَرَى رأيك فيما هنالك ، والسلام .

(فتوح الشأم ص ٥٢)

٧٨ — كتاب أبي بكر إلى مذعور بن عدىّ

فكتب أبو بكر رضى الله عنه إلى مذعور بن عدىّ :

« أما بعدُ : فقد أتانى كتابك ، وفهِمْتُ ما ذكرتَ ، وأنت كما وَصَفْتَ به نفسَك ، وعَشيرتُك نِعْمَ العشيرة ، وقد رأيت لك أن تنضمّ إلى خالد ابن الوليد فتكونَ معه ، وتُقيمَ معه ما أقام بالعراق . وتَشْخَص معه إذا شَخَص منها » . (فتوح الشأم ص ٥٣)

٧٩ — كتاب أبي بكر إلى المثنى بن حارثة

وكتب إلى المثنى بن حارثة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فإن صاحبك العِجْلِيّ كتب إلىّ يسألنى أمورًا ، فكتبت إليه آمُرُه بلزوم خالد حتى أرى رأيى ، وهذا كتابى إليك آمُرُك ألاّ تَبْرَحَ العراق حتى يخرج منه خالدُ بن الوليد ، فإذا خرج

خالد منه فالزَمْ مكانك الذى كنت به ، فأنت أهل لكل زيادة ، وجدير بكل فضل ، والسلام عليك ورحمة الله » . (فتوح الشأم ص ٥٣)

٨٠ — كتاب أبى بكر إلى خالد بن الوليد

وروى الطبرى أنه لما فرغ خالد بن الوليد من حرب المرتدّين باليمامة ، كتب إليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ أول سنة ١٢ هـ أن : « سِرْ إلى العراق حتى تدخلَها ، وابدأ بفَرْج الهند ، وهى « الأُبُلَّةُ[1] » ، وتألَّفْ أهلَ فارس ، ومن كان فى ملكهم من الأمم » .

وفى رواية أخرى أنه كتب إليه :

« إن الله فتَح عليك فعارِقْ[2] حتى تَلْقَى عِياضًا » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢و٤)

٨١ — كتاب أبى بكر إلى عياض بن غنم

وكتب إلى عِياض بن غَنْم وهو بين النِّبَاج[3] والحِجَاز أن : « سر حتى

---

(١) ثغر على الخليج الفارسى عند مصب دجلة ، وهى قرب البصرة من جانبها البحرى .

(٢) معناه : ادخل العراق ، ولم تورده كتب اللغة ، وفى اللسان : « أعرقنا : أخذنا فى العراق وأعرق القوم : أتوا العراق » وقد جاءت صيغة أفعل وفاعل وفعّل فى كلام العرب فى هذا المعنى . من ذلك أنجدنا وأتهمنا وأعرقنا وأعمنا، من نجد وتهامة والعراق وعمان، وأيمنا ويمنا ويامنا ، من اليمن وأشأمنا من الشأم ، وكوّفنا وبصرنا من الكوفة والبصرة ، وشرّقنا وغربنا من الشرق والغرب ، وأسهلنا وأحزنا من السهل والحزن ، وعالينا أتينا العالية ، وأحجزنا أتينا الحجاز، وساحلنا أخذنا على الساحل ، وأسيفنا أخذنا على السيف (بكسر السين وهو الساحل) وأريفنا صرنا إلى الريف ، وأبررنا ركبنا البر ، وأبحرنا ركبنا البحر ـ انظر المخصص ج ١٢ ص ٥٠ .

(٣) النباج : بين مكة والبصرة ، والمصيخ : فى بادية الشام بين حوران والفرات .

تأتِيَ المُصَيَّخَ فابدَأْ بها، ثم ادخل العراقَ من أعلاها، وعارقْ حتى تَلْقَى خالداً، وأْذَنا لمن شاء بالرجوع، ولا تَستفتِحَا بمُتَكارِهٍ ». (تاريخ الطبري ٤ : ٤)

٨٢ — كتاب أبي بكر إلى خالد وعياض

فقفَلَ أهل المدينة وما حولها، فاستمدا أبا بكر فأمدهما، وكتب إليهما أن : « استنفِرا مَن قاتَلَ أهلَ الرِّدَّة، ومن ثَبَتَ على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يغزُوَنَّ معكم أحد ارتدَّ حتى أرى رأيي ».

فلم يشهد الأيامَ[١] مرتَدٌّ. (تاريخ الطبري ٤ : ٤)

وفي رواية أخرى :

أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد - إذ أمَّره على حرب العراق - أن يدخلها من أسفلها، وإلى عياض - إذ أمَّره على حرب العراق - أن يدخلها من أعلاها، ثم يستَبِقا إلى الحِيرة[٢]، فأيُّهما سَبَقَ إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه.

وقال : إذا اجتمعتما بالحِيرة وقد فَضَضْتُما مَسَالِحَ[٣] فارس، وأمِنْتُما أنْ يُؤْتَى المسلمون من خَلْفهم، فليكن أحدكما رِدْءاً[٤] للمسلمين ولصاحبه بالحيرة، وليَقْتَحِمِ الآخَرُ على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارَهم، ومُسْتَقَرَّ عزِّهم « المَدائنَ[٥] ». (تاريخ الطبري ٤ : ٥)

---

(١) العرب تقول الأيام في معنى الوقائع، والمراد بالأيام هنا وقائع خالد بن الوليد في فتح العراق.

(٢) غربي الفرات بالقرب من الكوفة.

(٣) المسالح : جمع مسلحة بالفتح : وهي الثغر والقوم ذوو سلاح. (٤) أي عوناً وعماداً وقوة.

(٥) مدائن كسرى على نهر دجلة، وكانت قاعدة فارس.

٨٣ — كتاب خالد بن الوليد إلى هرمز

وكتب خالد بن الوليد قبل خروجه إلى الأُبُلَّةِ كتابا إلى هُرْمُز صاحب ذلك الثغر :

« أما بعد ، فأسلِم تَسْلَم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمةَ ، وأقْرِر بالجزية ، وإلا فلا تَلُومَنَّ إلا نفسَك ، فقد جئتك بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة » .

وجمع هرمز جموعه ونَشِبَت الحرب بينه وبين خالد فى « كاظِمة[١] » وانجلت عن قتل هرمز وهزيمة الفرس . (تاريخ الطبرى ٤ : ٥)

٨٤ — عهد خالد بن الوليد لأهل الحيرة

وتقدم خالد فى فتح العراق شَمالا حتى بلغ الحِيرةَ ، فحاصر قصورها[٢] ، ودعا أهلها أن يختاروا واحدة من ثلاث : الإسلام أو الجِزية أو المنابذة ، فاختاروا الجزية ، فكتب بينه وبين أمرائها كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عَدِيًّا وعَمْرًا ابنَىْ عدِىّ ، وعمْرَو بن عبد المَسيح ، وإيَاسَ بن قَبِيصة وَحيرِىّ[٣]

(١) على الخليج الفارسى بينها وبين البصرة مرحلتان .

(٢) أمر خالد بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله ويقاتلهم ، فكان ضرار بن الأزور محاصرا القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قبيصة الطائى ، (وكان كسرى ولاه الحيرة بعد النعمان بن المنذر) وكان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر العدسيين ، وفيه عدى بن عدى ، وكان ضرار بن مقرن المزنى محاصرا قصر بنى مازن وفيه حيرى بن أكال ، وكان المثنى بن حارثة محاصرا قصر ابن بقيلة وفيه عمرو ابن عبد المسيح . (٣) وقيل «جبرى» .

ابن أكّال ـ وهم نُقَبَاء أهل الحِيرة ـ ورضى بذلك أهل الحيرة وأمروهم به .

عاهَدَهم على تسعين ومائة ألف درهم ، تقبل فى كل سنة ، جِزاءً[1] عن أيديهم فى الدنيا ، رُهْبانِهم وقِسِّيسيهم ، إلا من كان منهم غير ذى يَدٍ[2] حَبِيساً عن الدنيا تاركاً لها ، وسائحاً تاركاً للدنيا ، وعلى المَنَعَة ، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنَعَهم ، وإن غدَروا بفعل أو قول فالذِّمة منهم بريئة » .

وكتب فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة .(تاريخ الطبرى ٤ : ١٤)

صـــورة أخرى

وأورد القاضى أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة هذا العهد فى كتابه « الخراج » بصورة أخرى ، وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أمرنى أن أسير بعد مُنْصَرَفى من أهل اليمامة إلى أهل العراق من العرب والعجم ، بأن أدعُوَهم إلى الله جل ثناؤه ، وإلى رسوله عليه الصلاة السلام ، وأبشِّرَهم بالجنة ، وأُنْذِرَهم من النار ، فإن أجابوا فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين .

وإنى انتهيت إلى الحيرة فخرج إلىّ إياسُ بن قَبِيصة الطائى فى أُناس من أهل الحيرة من رؤسائهم ، وإنى دعوتُهم إلى الله وإلى رسوله . فأبَوْا أن يجيبوا ، فعَرَضْتُ عليهم الجزية أو الحرب ، فقالوا : لاحاجَةَ لنا بحربك ،

---

(١) جمع جزية . (٢) اليد : القدرة .

ولكنْ صالِحْنا على ما صالحتَ عليه غيرَنا من أهل الكتاب فى إعطاء الجزية ، وإنى نظرت فى عِدَّتِهِم فوجدت عِدَّتهم سبعة آلاف رجل ، ثم ميَّزتهم فوجدتُ مَن كانت به زَمانةٌ[1] ألفَ رجل ، فأخرجتهم من العدة فصار مَن وقعت عليه الجزيةُ ستةَ آلاف ، فصالحونى على ستين ألفاً[2] ، وشرطتُ عليهم أن عليهم عَهْدَ الله وميثاقَه الذى أخذ على أهل التوراة والإنجيل أن لا يخالِفوا ، ولا يعينوا كافرًا على مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدلُّوهم على عَوْرات المسلمين ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذى أَخَذَه أشدَّ ما أخذه على نبى من عهد أو ميثاق أو ذِمَّة ، فإن هم خالَفُوا فلا ذمة لهم ولا أمان ، وإن هم حفِظوا ذلك وَرَعَوْه وأدَّوْه إلى المسلمين فلهم ما للمعاهد ، وعلينا المنع لهم ، فإن فتح الله علينا فهم على ذمتهم . لهم بذلك عهدُ الله وميثاقُه أشدَّ ما أخذ على نبى من عهد أو ميثاق ، وعليهم مثل ذلك لا يخالفوا فإن غُلبوا فهم فى سَعَة يَسَعُهم ما وَسِعَ أهل الذمة ، ولا يحِلُّ فيما أُمِروا به أن يخالفوا ، وجَعَلْتُ لهم : أيّما شَيْخٍ ضَعُف عن العمل ، أو أصابَتْه آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دِينه يتصدقون عليه ، طرَحْتُ جِزيته ، وعِيل[3] من بيت مال المسلمين وعيالُه ، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام ، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقةُ على عيالهم ، وأيّما عَبْدٍ من عبيدهم أسلم أُقيم فى أسواق المسلمين فبِيعَ بأعلى ما يُقْدَر عليه فى غير وَكْس ولا تعجيل ، ودُفِع ثمنه إلى صاحبه ، ولهم كل

---

(١) الزمانة : العاهة ، وفعله كفرح . (٢) وفى نسخة أخرى من كتاب الخراج أنه صالحهم على سبعين ألفا . (٣) عاله : مانه وكفاه .

ما لَبِسوا من الزِّىّ إلا زىّ الحرب من غير أن يتشبهوا بالمسلمين فى لباسهم ، وأيّما رجل منهم وُجِد عليه شىء من زى الحرب سئل عن لِبْسِه[1] ذلك ، فإن جاء منه بمَخْرَج ، وإلاَّ عوقب بقدر ما عليه من زى الحرب ، وشَرطْتُ عليهم جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤدوه إلى بيت مال المسلمين ، عُمَّالُهم منهم ، فإن طلبوا عَوْناً من المسلمين أُعِينوا به ، ومئونة العون من بيت مال المسلمين » . (كتاب الخراج ص ١٧١)

٨٥ — عهد خالد بن الوليد لصاحب بانقيا

وروى ياقوت فى معجم البلدان قال :

وسار خالد بن الوليد من الحيرة ، فلما نزل « بَانِقْيا[2] » على شاطئ الفرات قاتلوه ليلةً حتى الصباح ، فلما رأَوْا أنه لا طاقةَ لهم بحربه طلبوا منه الصلح فصالحهم ، وكتب لهم كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من خالد بن الوليد لصَلوبا بن بُصْبُهْرى، ومنزله بشاطئ الفرات.

إنك آمِنٌ بأمان الله على حَقْن دمك فى إعطاء الجزية عن نفسك وجيرتك وأهل قريتك بانِقْيا وسُمَّيا[3] ، على ألف درهم جزيةً ، وقد قبلنا منك ، ورضى مَنْ معى من المسلمين بذلك ، فلك ذِمَّةُ الله ، وذمة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة المسلمين على ذلك » .

---

(١) اللبس بالكسر : ما يلبس ، واللبس بالضم مصدر . (٢) ناحية من نواحى الكوفة .
(٣) ضبطت فى معجم البلدان بتشديد الميم فى (ج ٢ ص ٥١) ، وضم السين ، وتشديد الياء فى (ج ٥ : ص ١٣٤) .

شَهِد هشام بن الوليد ، وجَرِير بن عبد الله بن أبي عوف ، وسعيد ابن عمرو ، وكتب سنة ١٢ هـ . (معجم البلدان ج ٢ : ص ٥١)

⁂

وروى الطبرى هذا الخبر قال :

ومضى خالد حتى نزل بقرَيَاتٍ من السَّواد يقال لها « بَانِقْيا ، وبارُسْما ، وأُلَّيْس » فصالحه أهلها ، وكان الذى صالحه عليها ابن صَلُوبا ، وذلك فى سنة اثنتى عشرة ، فقبِلَ منهم خالد الجزيةَ ، وكتب لهم كتابًا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من خالد بن الوليد لابن صلوبا السَّوادِيّ ، ومنزله بشاطئ الفرات .

إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه بإعطاء الجزية ، وقد أعطيتَ عن نفسك ، وعن أهل خَرْجك[١] وجزيرتك[٢] ، ومن كان فى قريتيك بانِقْيا وبارُسْما ألف درهم ، فقبِلْتها منك ، ورَضِى من معى من المسلمين بها منك ، ولك ذمة الله ، وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة المسلمين على ذلك » .

وشهد هشام بن الوليد . (تاريخ الطبرى ٤ : ٣)

٨٦ — عهد خالد لصاحب قس الناطف

ورَوَى أنه : لما صالح أهل الحيرة خالداً ، خرج صَلُوبا بن نَسْطونا صاحب قُسِّ الناطِفِ[٣] ، حتى دخل على خالدٍ عسكره ، فصالحه على بانِقْيا وبسما[٤] ، وضَمِن له ما عليهما ، وعلى أرضيهما من شاطئ الفُرات جميعاً ،

(١) الخرج : الإتاوة . (٢) إذا تأملت مصور العراق إبان الفتح وجدت فروعا لنهر الفرات تكوّن فى تلك الجهة جزرا . (٣) بقرب الكوفة على شاطئ الفرات الشرقى .
(٤) لم ترد فى معجم البلدان ، والظاهر أنها هى باروسما .

واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار ، سوى الخَرَزَة خَرَزَةِ كسرى[١] ، وكانت على كل رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم كتابًا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصَلُوبا ابن نَسْطُونا وقومه .

إنى عاهدتكم على الجزية والمَنَعْة ، على كل ذى يَدٍ ، بانِقْيا وبسما جميعاً ، على عشرة آلاف دينار ، سوى الخَرَزة ، القوىُّ على قدر قوته ، والمُقِلُّ على قدر إقلاله ، فى كل سنة ، وإنك قد نُقِّبْتَ[٢] على قومك ، وإن قومك قد رَضُوا بك ، وقد قبِلْتُ ومن معى من المسلمين ، ورضيتُ ورضِىَ قومك ، فلك الذِّمةُ والمنعة ، فإن مَنَعْنا كم فلنا الجزيةُ ، وإلاَّ فلا حتى نمنعكم » .

« شهد هشام بن الوليد ، والقَعْقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله الحِمْيَرى ، وحنظلة بن الربيع .

وكتب سنة اثنتى عشرة فى صفر[٣] . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٦)

---

(١) خرزات الملك : جواهر تاجه ، ويقال : كان الملك إذا ملك عاما زيدت فى تاجه خرزة ، ليعلم عدد سنى ملكه .

(٢) أى نصبت نقيبا عليهم ، وقد نقب الرجل على القوم نقابة ككتب كتابة .

(٣) تقدم لك أن عهد خالد لأهل الحيرة كتب فى ربيع الأول من سنة ١٢ ، وهنا نرى أن عهده لصاحب قس الناطف كتب فى صفر من هذه السنة ، وكذا العهد الثانى — عهده للدهاقين — فكيف يكون ذلك ، وهذان العهدان كتبا بعد صلح الحيرة ؟ اللهم إلا أن يقال إن خالدا كان قد صالح أهل الحيرة فى أواخر صفر دون أن يكتب لهم عهدا ، ثم جاءه صاحب قس الناطف ودهاقين العراق فكتب لهم عهد الصلح ، ثم كتب لأهل الحيرة عهدهم فى أوائل ربيع الأول .

٨٧ — عهد خالد لدهاقين العراق

وروى الطبرى أيضاً قال :

كان الدَّهاقين[١] يتربَّصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة ، فلما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد واستقاموا له ، أتته دَهَاقِينُ المِلْطاطَيْنِ[٢] وأتاه زاذ بن بُهَيْش دِهقان فُراتِ سِرْيا[٣] ، وصَلوبا بن نَسْطُونا بن بصبهرى[٤] فصالحوه على مابين الفَلاَلِيج[٥] إلى هُرْمُزجِرْدَ على ألفى ألف ، وأن للمسلمين ما كان لآل كسرى ، ومن مال معهم عن الْمُقَام فى داره فلم يدخل فى الصلح ، وكتب لهم كتابا هذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بُهَيْش وصلوبا بن نسطونا .

إن لكم الذمة وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نقَّبتم عليه من أهل البِهقُبَاذ[٦] الأسفل والأوسط على ألفى ألف تقبل فى كل سنة ، ثم كل ذى يد ـ سوى ما على بانِقْيا وبسما ـ وإنكم قد أرضيتمونى والمسلمين ، وإنا قد أرضيناكم ، وأهل البهقباذ الأسفل، ومن دخل معكم من أهل البهقباذ الأوسط

---

(١) الدهاقين جمع دهقان بالكسر والضم ، وهو زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم ، معرَّب .

(٢) الملطاط : حافة الوادى وساحل البحر ، والمراد هنا شاطئا الفرات .

(٣) سريا : صقع بالعراق بالسواد قريب من بغداد .

(٤) وفى رواية « وصلوبا بن بصبهرى ونسطونا » .

(٥) فلاليج السواد : قراها ، إحداها فلوجة بفتح الفاء وتشديد اللام المضمومة . وهرمزجرد : ناحية بأطراف العراق .

(٦) البهقباذ : اسم لثلاث كور من أعمال سقى الفرات منسوبة إلى قباذ بن فيروز : وهى البهقباذ الأعلى ، والأوسط ، والأسفل (وفى هذا الأخير الكوفة وهرمزجرد) .

على أموالكم ليس فيها ما كان لآل كسرى ، ومن مال ميلهم » .

شهد هشام بن الوليد ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله الحميرى ، وبشير بن عبيد الله ، وحنظلة بن الربيع .

وكتب سنة اثنتى عشرة فى صفر . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٧)

٨٨ — كتاب البراءة لأهل الخراج

وجُبِي الخراج إلى خالد فى خمسين ليلة ، وكان الذين ضَمِنوه — وهم رُءوس الرَّسَاتِيق[١] — رُهُنًا فى يديه ، وكتب عُمَّال الخراج البَراءات لأهل الخراج من نسخة واحدة ، وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . بَرَاءةٌ لمن كان من كذا وكذا ..... من الجزية التى صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قَبَضْتُ الذى صالحهم عليه خالد ، وخالد والمسلمون لكم يَدٌ على من بَدَّل صُلْحَ خالدٍ ، ما أقررتم بالجزية وكَفَفْتم ، أمانكم أمانٌ ، وصلحُكم صُلْحٌ ، نحن لكم على الوفاء » .

وأشهدوا لهم النَّفَرَ من الصحابة الذين كان خالد أشهدهم .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٨)

---

(١) الرساتيق : جمع رستاق بالضم ، وهو الناحية التى هى طرف الإقليم ، معرَّب .

٨٩ — كتاب خالد إلى ملوك فارس

ولما غلب خالد بن الوليد على أحد جانبي السّواد بعث بكتاب إلى ملوك فارس ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس ، أما بعدُ : فالحمد لله الذى حلّ نِظَامَكم(١) ، ووهّن كيدَكم ، وفرّق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرًّا لكم ، فادخلوا فى أمرنا نَدَعْكم وأَرْضَكم ونَجُوزُكم إلى غيركم ، وإلاّ كان ذلك وأنتم كارهون على غَلَب ، على أيدى قومٍ يحبُّون الموت كما تحبون الحياة » .   (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨)

٩٠ — كتاب خالد إلى مرازبة فارس

وبعث إلى أهل المدائن كتابًا فيه :

« من خالد بن الوليد إلى مَرَازِبة(٢) أهل فارس ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فالحمد لله الذى فَضّ خَدَمَتكم(٣) وسَلَب ملككم ، ووَهّن

(١) النظام فى الأصل : الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ ونحوه .

(٢) المرازبة جمع مرزبان بفتح الميم وضم الزاى، وهو الرئيس من الفرس، والمرزبة كمرحلة : رياسة الفرس . (٣) يقال : فض الله خدمتهم : أى فرق جماعتهم ، والخدمة بالتحريك : سير غليظ مضفور مثل الحلقة يشد فى رسغ البعير ، ثم يشد إليه سرائح النعل (أى سيورها، جمع سريحة) فإذا انفضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النعل ، فضرب ذلك مثلا لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه ، وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحلقة المستديرة ، وفى العقد الفريد وفتوح الشأم « حرمتكم » وهو تحريف ، وفى العقد « الحمد لله الذى فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، وأوهن بأسكم ، وسلب ملككم ، وأذل عزكم ، فإذا أتاكم كتابى . . » وفى كتاب الخراج « فالحمد لله الذى فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، وخالف بين كلمتكم وأوهن بأسكم ، وسلب ملككم ، فإذا جاءكم كتابى هذا» .

كيدكم ، وإنه من صلّى صلاتَنَا ، واستقبل قِبْلَتَنَا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلمُ الذى له مَالَنا ، وعليه ماعلينا .

أما بعدُ : فإذا جاءكم كتابى فابعثوا إلى بالرُّهُن ، وأعتقِدُوا منى الذِّمةَ ، وأدُّوا إلىّ الجزيةَ ، وإلاَّ فوالله الذى لا إله غيرُه ، لأَبْعَثَنَّ إليكم قومًا يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا » .

فلما قرءوا الكتاب أخذوا يتعجبون .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٤ ، والعقد الفريد ١ : ٤٠ ، وفتوح الشأم ص٥٥ ، وكتاب الخراج ص١٧٣)

٩١ — كتاب خالد إلى مرازبة فارس

وكتب إلى مرازبة فارس كتابًا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس . أما بعدُ : فأَسْلِمُوا تَسْلَموا ، وإلاَّ فاعتقِدُوا منى الذمة ، وأدُّوا الجزية ، وإلاَّ فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر» . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨)

٩٢ — كتاب أبى بكر إلى خالد بن الوليد

وبعد أن تمّ النصر لخالد بن الوليد فى وقعة الفِرَاض(١) أمر الجيش بالقَفَل(٢) إلى الحيرة ، وتخلَّف هو مظهرًا أنه فى السَّاقَة ، وخرج حاجًّا لخمسٍ بقِينَ من ذى القعدة سنة ١٢ هـ ، مكتتمًا بحجِّه ، ومعه عِدَّة من أصحابه حتى أتى مكة ، ثم عاد إلى الحيرة لم يعلم بحجه إلا من أفْضَى إليه بذلك من السَّاقة ،

---

(١) تخوم الشام والعراق والجزيرة على الشاطىء الشرقي للفرات .

(٢) القفل والقفول : الرجوع ، وساقة الجيش : مؤخره .

ولم يعلم أبو بكر بذلك إلا بعدُ ، فعَتَب عليه ، ووافاه كتاب أبى بكر بالحيرة مُنْصَرَفَه من حجِّه أن :

« سِرْ حتى تأتِيَ جموع المسلمين باليَرْمُوك ، فإنهم قد شَجُوا وأشْجَوا[1] وإياك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يُشْجَ الجُموعُ من الناس بعون الله شَجَاك[2] ، ولم يُنزَع الشَّجى[3] من الناس نَزْعَك ، فَلْيَهْنِئْك أبا سليمان النيةُ والحُظْوَة[4] ، فأَتْمِمْ يُتْمِمِ الله لك ، ولا يَدْخُلَنَّكَ عُجْب فتَخْسَرَ وتَذِلَّ ، وإياك أن تُدِلَّ بعمل ، فإن الله له المَنّ ، وهو وَلِيُّ الجزاء » (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٦ ، ٤٠)

٩٣ — كتاب أبى بكر إلى أهل اليمن

ولما أزْمَعَ أبو بكر رضى الله عنه فتحَ الشأم ، استنفَرَ الناسَ لجهاد الروم ، فنفَروا إليه ، ثم رأى أن يكتب كتاباً إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد ، ويرغِّبهم فى ثوابه ، فكتب إليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَن قُرِئَ عليه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن ، سلام عليكم ، فإنى أحمَد إليكم اللهَ الذى لا إلٰهَ إلا هو . أما بعدُ : فإن الله كتب على المؤمنين الجهادَ ، وأمرهم أن يَنفِروا خِفَافًا وثِقَالاً ، وقال : « جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ » فالجهادُ فريضة مفروضة ، وثوابُه عند

(١) أشجاه قرنه : قهره وغلبه حتى شجى به (كفرح) شجى (كفتى) .
(٢) أى لم تقهر الجموع قهرك ، وفى الأصل «شجيك» وهو تحريف ، ولعله كان فى الأصل المنقول عنه هكذا « شجٰك » بألف قصيرة فوق الجيم .
(٣) والشجى أيضا : ما اعترض فى حلق الإنسان من عظم وغيره .
(٤) الحظوة : المكانة . أى منزلتك عند الله .

الله عظيم ، وقد استنفَرْنا مَن قِبلَنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ، وقد سارَعوا إلى ذلك وعَسْكَروا وخرجوا ، وحَسُنَت فى ذلك نيَّتهم ، وعظُمَتْ فى الخير حِسْبَتهم[1] ، فسارِعوا عبادَ الله إلى ماسارعوا إليه ، ولْتَحْسُنْ نيَّتُكم فيه ، فإنكم إلى إحدى الحُسْنَيَيْنِ : إما الشَّهادة ، وإما الفتح والغنيمة ، فإن الله تبارك وتعالى لم يرضَ من عبادة بالقول دون العمل ، ولا يترك أهل عداوته حتى يَدِينوا بدين الحق ، ويُقِرّوا بحكم الكتاب ، أو يُؤَدّوا الجِزْيَة عن يَدٍ[2] وهم صاغِرون ، حفِظ اللهُ لكم دينكم ، وهدَى قلوبكم ، وزَكَّى أعمالكم ، ورزَقكم أجر المجاهدين الصابرين ، والسلام عليكم » .

(فتوح الشام ص ٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١٢٨)

٩٤ — كتاب أبى بكر إلى عمرو بن العاص

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد رَدَّ عمرو بن العاص على عِمالةٍ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولّاها إياه من صَدَقات سَعْدُ هُذَيْم وعُذْرة قبل ذهابه إلى عُمَان ، فخرج إلى عُمَان[3] وهو على عِدَة من عمله إذا هو رجع ، فأنجز له ذلك أبو بكر .

فلما اهتاج أبو بكر لفتح الشام كتب إلى عمرو :

« إنى قد كنت رددتك على العمل الذى كان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الحسبة : الأجر ، واسم من الاحتساب . احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتده ينوى به وجه الله

(٢) انظر هامش ص ٣٥ .

(٣) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرو بن العاص إلى جيفر (ملك عمان) منصرفه من حجة الوداع (سنة عشر) فمات رسول الله وعمرو بعمان (انظر تاريخ الطبرى ٣ : ٢٢١) .

وسلم وَلاَّكَهُ مَرَّةً، وسمَّاه لك أخرى، مَبْعَثَكَ إلى عُمَان ، إنجازا لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد وُلِّيتَه ثم وليِّتَه[1] ، وقد أحببتُ أبا عبد الله أن أفرِّغَك لما هو خير لك فى حياتك ومَعَادِكَ منه ، إلاَّ أن يكون الذى أنت فيه أَحَبَّ إليك » .

٩٥ — رد عمرو على كتاب أبى بكر

فكتب إليه عمرو :

« إنى سَهْمٌ من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامى بها ، والجامعُ لها ، فانظر أشدَّها وأخشاها وأفضلَها ، فأْرْمِ به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحى » .

وكتب إلى الوليد بن عُقْبة — وكان على النصف من صَدَقات قُضاعة — بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد .

فكتب إليهما . « استخْلِفَا على أعمالكما ، وانْدُبا من يليكما » فندبا الناس فتتامَّ إليهما بَشَر كثير .

ثم جَهَّز أبو بكر الجيوش لفتح الشأم ، فجعلها أربعةً : على أحدها عمرو ابن العاص ، ووجهته فلَسْطِين، وعلى الثانى الوليد بن عقبة ، ووجهته الأُرْدُنّ، وعلى الثالث يزيد بن أَبى سفيان ، ووجهته البَلْقاء ، وعلى الرابع أَبوعبيدة عامر ابن الجَرَّاح ، ووجهته حِمْص ، وقدِم شُرَحْبِيل بن حَسَنة وافداً من عند خالد ابن الوليد ، فاستعمله أَبو بكر على عمل الوليد بن عقبة ، وكان ذلك أول سنة ١٣هـ

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٩ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٩٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١٣١)

---

(١) أى وليته مرة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم وليته مرة أخرى فى عهدى .

٩٦ — كتاب أبي بكر إلى خالد بن سعيد بن العاص

ولما انهزم خالد بن سعيد بن العاص أمام جيش الروم ، وهرب إلى ذي المَرْوَة[١] ، وأتى أبا بكر الخبرُ كتب إليه :

« أقِمْ مكانك ، فلعَمْرِي إنك مِقْدام مِحْجَام ، نَجَّاءٌ من الغَمَرات ، لا تخوضُها إلى حق ، ولا تَصْبِرْ عليه » . (تاريخ الطبري ٤ : ٣١)

٩٧ — كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى أبي بكر

وسار أبو عُبَيدة بن الجراح إلى الشأم ، حتى إذا دنا من « الجابية » أتاه آتٍ فقال : إن هِرَقل ملك الروم « بأَنْطَاكِيَة » وإنه قد جمع لكم من الجموع ما لم يجمعه أحد كان قبله من آبائه لأحد من الأمم قبلكم ، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر رضي الله عنهما :

(١) ذو المروة : قرية بوادي القرى ، وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه لما عقد الألوية لقتال أهل الردة ، عقد له فيمن عقد ، ووجهه إلى مشارف الشأم ، وأمره أن ينزل تيماء لا يبرحها ، وأن يدعو من حوله إلى الانضمام إليه ، وألا يقبل إلا من لم يرتد ، ولا يقاتل إلا من قاتله ، حتى يأتيه أمره ، فاجتمع إليه جموع كثيرة ، وبلغ خبره الروم ، فضربوا إليه بعثا من العرب التابعين لهم ، فكتب خالد إلى أبي بكر بذلك ، فكتب إليه أبو بكر أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله ، فسار إليهم خالد ، فلما دنا منهم تفرقوا وأعروا منزلهم ، فنزله ودخل عامة من كان تجمع له في الاسلام ، وكتب إلى أبي بكر بذلك فكتب إليه : « أقدم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك » فتقدم ، وسار إليه بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان ، فهزمه خالد وقتل جنده ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمده فأمده ، ثم لما علم خالد أن أبا بكر أمر الأمراء وجيش الجيوش لفتح الشأم — كما تقدم — اقتحم على الروم طلبا للحظوة وأعرى ظهره ، واستطرد له باهان وتراجع هو ومن معه إلى دمشق ، واقتحم خالد في الجيش ، فانطوت مسالح باهان عليه ، وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، فخرج خالد هاربا في جريدة إلى ذي المروة ، وأقام عكرمة في الناس ردءا لهم ، فرد عنهم باهان وجنوده .

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أبى بكر خليفةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى عبيدة بن الجَرّاح ، سلام عليك ، فإنى أحمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنا نسأل الله أن يُعِزّ الإسلام وأهلَه عِزّاً متيناً ، وأن يَفْتَح لهم فتحاً يسيراً ، فإنه بلغنى أنّ هِرَقْل ملك الروم نزل قرية من قُرَى الشأم تدعى « أنْطَاكِيَة » وأنه بعث إلى أهل مملكته ، فحَشَرَهم إليه ، وأنهم نَفَرُوا إليه عَلَى الصَّعْب والذَّلُول ، وقد رأيتُ أن أُعْلِمَك ذلك ، فترى فيه رأيك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

(فتوح الشأم ص ٢٤)

٩٨ — رد أبى بكر على أبى عبيدة

فكتب إليه أبو بكر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد بلغنى كتابك ، وفَهِمْتُ ما ذكرتَ فيه من أمر هِرَقْل ملك الروم ، فأمّا مَنْزِله « بأنطاكية » فهزيمةٌ له ولأصحابه ، وفتحٌ مِنَ الله عليك وعلى المسلمين ، وأمّا ما ذكرتَ من حَشْره لكم أهلَ مملكته ، وجَمْعِه لكم الجموعَ ، فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تَعْلَمُون أنه سيكون منهم ، وما كان قوم لِيَدَعُوا سلطانَهم ، ولايخرجوا من ملكهم ، بغير قتال ، وقد علمت — والحمدُ لله — أنْ قَدْ غزاهم رجال كثير من المسلمين يُحِبُّونَ الموت حُبَّ عدوهم الحياة ، ويَحْتَسِبُونَ[1] من الله فى قتالهم الأجرَ العظيم ، ويحبّونَ الجهاد فى سبيل الله أشدَّ من حبِّهم أبكارَ نسائهم ، وعقائِلَ[2] أموالهم ،

---

(١) فى الأصل : « ويحدبون » وهو تحريف وقد أصلحته كما ترى .

(٢) أى وخيارها : جمع عقيلة كسفينة ، وهى من كل شىء أكرمه .

الرجلُ منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين ، فالقَهُم بجندى ولا تستوحِشْ لمن غاب عنك من المسلمين ، فإن الله معك ، وأنا مع ذلك مُمِدُّك بالرجال حتى تكتفِيَ ، ولا تريدَ أن تزداد إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله » . (فتوح الشأم ص ٢٤)

٩٩ — كتاب يزيد بن أبى سفيان إلى أبى بكر

وكتب يزيد بن أبى سفيان إلى أبى بكر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن مَلِكَ الروم هِرَقْلَ لَمَّا بلغَه مسيرُنا إليه ، ألقى اللهُ الرعبَ فى قلبه ، فتحَمَّلَ[1] فنزل أنطاكية ، وخلَّف أمراءَ من جنده على مدائن الشأم، وأمرهم بقتالنا ، وقد تيسَّرُوا لنا واستَعَدُّوا ، وقد أخبرنا مسالِمَةُ الشأم أن هِرَقْل استنفرَ أهل مملكته ، وأنهم قد جاءوا يَجُرُّون الشَّوْكَ والشَّجَرَ[2] ، فمُرْنا بأمرك ، وعجِّل علينا فى ذلك برأيك نتَّبِعْه إن شاء الله . ونسأل الله النصرَ والصبرَ والفتحَ ، وعافيةَ المسلمين . والسلام عليك ورحمة الله » . (فتوح الشأم ص ٢٥)

١٠٠ — ردّ أبى بكر على يزيد بن أبى سفيان

فكتب إليه أبو بكر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ . فقد بلغنى كتابك تذكر فيه

---

(١) تحمل : ارتحل . (٢) من أمثال العرب : « جاء بالشوك والشجر » وهو مثل يضرب لمن جاء بالشيء الكثير من كل ما كان من جيش عظيم وغيره .

تَحَمُّلَ(١) ملك الروم إلى أنطاكية ، وإلقاء الله الرعبَ فى قلبه من جموع المسلمين ، فإن الله — وله الحمد — قد نَصَرَنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرُّعْب(٢)، وأمدَّنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدينَ الذى نصرنا الله به بالرعب ، هو هذا الدين الذى ندعو الناسَ إليه اليوم ، فَوَرَبِّكَ لا يجعلُ اللهُ المسلمين كالمجرمين ، ولا مَن يشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله كَمَن يعبدُ معه آلهةً أخرى ، ويَدِين بعبادة آلهةٍ شتّى ، فإذا لقيتموهم فانْهَدْ(٣) إليهم بمن معك وقاتِلْهم ، فإن الله لن يَخْذُلَكَ ، وقد نبأنا الله تبارك وتعالى أن الفِئة القليلة تغلِبُ الفئة الكثيرة بإذن الله ، وأنا مع ذلك مُمِدُّك بالرجال فى إِثْرِ الرجال ، حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله ، والسلامُ عليك ورحمة الله » .

وجعل أبو بكر يبعث بالأمداد إلى الشأم مَدَدًا يَتْلُوَ مَدَد .

(فتوح الشأم ص ٢٦)

١٠١ — كتاب هرقل إلى أهل الشام

فلما رأى أهل مدائن الشأم أن العرب قد جاشَت(٤) عليهم من كل وجه ، وكثُرت جموعُهم بها ، بعثوا رسلهم إلى ملكهم يُعْلِمونه ذلك ، ويسألونه المَدَد، فكتب إليهم :

« إنى قد عجبت لكم حين تستمدُّونى(٥) ، وحين تكثِّرون علىّ عددَ

(١) فى الأصل : « تحويل » وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « بالمرعب » وهو تحريف أيضا . (٣) أى انهض .

(٤) من جش البحر إذا هاج ، وجاشت القدر إذا علت ، وفى الحديث : « ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب» أى فار وارتفع . (٥) فى الأصل : «تسهدونى» وهو تحريف .

مَن جاءكم من العرب ، وأنا أعلمُ بهم وبمن جاء منهم ، ولَأَهْلُ مدينة واحدة من مدائنكم أكثرُ مما جاءكم أضعافًا مضاعَفَةً فالقَوْهم فقاتِلوهم ، ولا تظنوا أنى كتبت إليكم بهذا ، وأنا أريد ألاَّ أُمِدَّكم ، لَأَبعَثَنَّ إليكم من الجنود ما تَضِيق بهم الأرض الفضاء» .

فكتب أهل مدائن الشأم بعضهم إلى بعض ، وأرسلوا إلى كل من كان على دينهم من العرب فدَعَوهم إلى قتال المسلمين فأجابوهم .

(فتوح الشأم ص ٣٦)

١٠٢ — كتاب أبى عبيدة إلى أبى بكر

وبلغ أبا عبيدة مراسلتُهُمْ وخبرهم فكتب إلى أبى بكر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فالحمد لله الذى أعزَّنا بالإسلام . وأكرَمَنا بالإيمان . وهدانا لما اختلف المختلفون فيه بإذنه . إنه يَهْدِى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وإن عُيُونى من أنْبَاطِ أهل الشأم أخبرونى أن أوائل أمدادِ ملكِ الروم قد وقعوا إليه . وأن أهل مدائن الشأم بعثوا رسلهم إليه يستمدونه ، وأنه كتب إليهم : «إن أهل مدينة من مدائنكم أكثر ممن قَدِم عليكم من العرب ، فانهضوا إليهم فقاتِلوهم فإن مَدَدى يأتيكم من ورائكم» فهذا ما بلغنا عنهم . وأنفُسُ المسلمين بَيِّنَةٌ بقتالهم . وقد خبرونا أنهم قد تهيئوا لقتالنا . فأنزل الله على المؤمنين نصره . وعلى المشركين رِجْزَه ،[1] إنه بما يعملون عليم . والسلام .

---

(١) الرجز : العذاب .

١٠٣ — رد أبى بكر على أبى عبيدة

فكتب أبو بكر إلى أبى عبيدة رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد جاءنى كتابك تذكر فيه تسيير عدوكم لمواقعتكم ، وما كتب به مَلِكهم إليهم من عِدَته إياهم أن يُمِدَّهم من الجنود ما تَضِيق به الأرضُ الفضاء ، واعَمْرُ الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه وعليهم برُحْبها[1] بمكانكم فيهم ، وايْمُ الله ما أنا بآيسٍ أن تُزِيلوه من مكانه الذى هو به عاجلا إن شاء الله ، فبُثَّ خيلَك فى القرى والسَّواد ، وضيِّقْ عليهم بقطع المِيرة والمادَّة ، ولا تحاصِرَنَّ المدائن حتى يأتيك أمرى ، فإن ناهضوك فانْهَدْ إليهم واستعِنْ بالله عليهم ، فإنه ليس يأتيهم مدَدٌ إلا أمددناك بمثليهم أو ضِعْفهم[2] ، وليس بكم — والحمد لله — قِلَّةٌ ولا ذلة ، فلا أعْرِفنَّ ما جَبُنْتم عنهم ، ولا ما خِفْتم منهم ، فإن الله فاتح لكم ومُظْهِركم[3] على عدوكم بالنصر . وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون ، وعمرو

---

(١) الرحب : الاتساع ، وفى الأصل « برحها » وهو تحريف .

(٢) جاء فى المصباح المنير : « قال الأزهرى : الضعف فى كلام العرب المثل ، هذا هو الأصل ، ثم استعمل الضعف فى المثل وما زاد وليس للزيادة حد ، يقال هذا ضعف هذا أى مثله ، وهذان ضعفاه أى مثلاه ، قال : وجاز فى كلام العرب أن يقال هذا ضعفه أى مثلاه وثلاثة أمثاله ، لأن الضعف زيادة غير محصورة » . وجاء فى لسان العرب فى هذا الصدد : « ألا ترى قوله تعالى « فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا » لم يرد به مثلا ولا مثلين ، وإنما أراد بالضعف الأضعاف ، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله لقوله سبحانه « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا » فأقل الضعف محصور وهو المثل ، وأكثره غير محصور » .

(٣) أى ناصركم .

فأُوصيك به خيراً ، وقد أوصيتُه أن لا يضيع حقًّا يراه ويعرِفه، فإنه ذو رأى وتجرِبة ، والسلام عليك ورحمة الله » . (فتوح الشأم ص ٤٢)

١٠٤ — كتاب أبى عبيدة إلى أبى بكر

وكتب أبو عبيدة وهو بالجابية إلى أبى بكر رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن الروم وأهل البلد ومن كان على دينهم من العرب ، قد اجتمعوا على حَرْب المسلمين ، ونحن نرجو النصرَ وإنجازَ موعود الربِّ وعادَتَه الحُسْنَى ، أحببتُ إعلامَك ذلك لترى فيه رأيك إن شاء الله ، والسلام » . (فتوح الشأم ص ٥٧)

١٠٥ — كتاب أبى بكر إلى خالد بن الوليد

فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد رضى الله عنهما :

« أما بعدُ : فإذا جاءك كتابى هذا فَدعِ العراقَ وخلِّفْ فيه أهلَه الذين قَدِمْتَ عليهم وهم فيه ، وامضِ متخفِّفاً فى أهل القوة من أصحابك الذين قَدِموا العِراق معك من اليمامة ، وصَحِبوك من الطريق ، وقَدِموا عليك من الحجاز، حتى تأتى الشأم ، فَتَلْقَى أبا عبيدة بن الجراح، ومن معه من المسلمين ، فإذا الْتقيتم فأنت أمير الجماعة ، والسلام عليك » . (فتوح الشأم ص ٥٧)

١٠٦ — كتاب خالد بن الوليد إلى المسلمين بالشام

فلما أقبل خالد إلى الشأم كتب إلى المسلمين بها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى من بأرض العرب من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإنى أحمَدُ إليكم اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنى أسأل الله الذى أعزّنا بالإسلام ، وشرّفنا بدينه ، وأكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وفضّلَنا بالإيمان ، رحمةً من ربنا لنا واسِعةً ، ونِعْمَةً منه علينا سابِغَةً ،[1] أن يُتِمَّ ما بنا وبكم من نعمته ، واحمَدُوا الله عبادَ الله يَزِدْكم ، وارغَبوا إليه فى تمام العافية يُدِمْها لكم ، وكونوا له على نعمه من الشاكرين .

وإن كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى يأمرنى بالمسير إليكم ، وقد شمَّرْتُ وانكمشْتُ[2] ، وكأنَّ خيلى قد أَطَلَّتْ عليكم فى رجال ، فأبْشروا بإنجاز موعود الله ، وحُسْنِ ثوابه ، عَصَمنا الله وإياكم بالإيمان ، وثبّتَنَا وإياكم على الإسلام ، ورزَقنا وإياكم حُسْنَ ثواب المجاهدين ، والسلام عليكم » . (فتوح الشام ص ٦١)

١٠٧ — كتاب خالد إلى أبى عبيدة

وكتب إلى أبى عبيدة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لأبى عبيدة بن الجرّاح من خالد بن الوليد :

---

(١) أى تامة وافية . (٢) انكمش وتكمش : أسرع .

سلام عليك ، فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعدُ : فإنى أسأل الله لنا ولك الأمنَ يومَ الخوف ، والعِصْمةَ فى دار الدنيا ، فقد أتانى كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى بالمسير إلى الشأم ، وبالمُقام على جندها ، والتَّوَلِّى لأمرها ، واللهِ ما طلبتُ ذلك ولا أرَدْتُه ، ولا كتبتُ إليه فيه ، وأنت - رحمك الله - على حالك التى كنتَ بها لا يُعْصَى أمرُكَ ، ولا يخالَفُ رأيك ، ولا يقطع أمرٌ دونك ، فإنك سيد من سادات المسلمين لا يُنكَر فضلك ، ولا يُستغنى عن رأيك ، تمّم الله ما بنا وبك من نعمة الإحسان ، ورحِمنا وإياك من عذاب النار ، والسلام عليك ورحمة الله » . (فتوح الشام ص ٦٢)

١٠٨ — كتاب أبى بكر إلى أبى عبيدة

وكتب أبو بكر إلى أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإنى قد ولَّيتُ خالداً قتال الروم بالشأم ، فلا تخالِفْه . واسمع له وأطِعْ أمره ، فإنى وليته عليك ، وأنا أعلم أنك خيرٌ منه ، ولكن ظننتُ أن له فِطنَةً فى الحرب ليست لك ، أراد الله بنا وبك سُبُلَ الرشاد ، والسلام عليك ورحمة الله » . (فتوح الشام ص ٧٤)

١٠٩ — كتاب خالد إلى الأمراء

وَولِىَ خالدٌ أمر الناس ، فلما أراد الشخوص من أرض دمَشق إلى الروم الذين اجتمعوا بأَجْنادَيْن[1] ، كتب نسخة واحدة إلى الأمراء .

---

(١) قال ياقوت فى معجمه : «وتفتح الدال فتكسر معها النون الأخيرة فيصير بلفظ التثنية ، وتكسر الدال وتفتح النون بلفظ الجمع» .

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإنه قد نزل بأَجْنادِينْ جموع من جموع الروم غير ذى عدد ولا قوة ، والله قاصمُهم(١) ، وقاطِعُ دابِرِهم(٢) ، وجاعلٌ دائرةَ(٣) السَّوْء عليهم ، وقد شخَصْتُ إليهم يومَ سَرَّحتُ رسولى إليكم ، فإذا قَدِم عليكم فانهضوا إلى عدوكم رحمكم الله فى أحسن عُدَّتكم ، وأَصَحِّ نيتكم ، ضاعَفَ الله لكم أجوركم ، وحَطَّ أوزاركم ، والسلام عليكم ورحمة الله».

(فتوح الشأم ص ٧٤)

١١٠ — كتاب خالد إلى أبى بكر

فأقبلوا حتى اجتمعوا جميعاً بأجنادين ، وحملوا على الروم فهزموهم وقتلوا منهم عددًا كثيرًا ، فلَحِقوا بإِيلِيا ، وقَيْسارِيَّة ، ودِمَشق ، وحِمْص ، فتحصنوا فى المدائن العظام ، وكتب خالد بن الوليد إلى أبى بكر رضى الله عنهما : بفتح الله عزّ وجل عليه ، وعلى المسلمين :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد سيفِ الله المصبوب على المشركين ، سلام عليك فإنى أحمَد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ ، فإنى أخبرك أيها الصِّدِّيق أنا التقينا نحن والمشركون ، وقد جمعوا لنا جموعا جَمّة كثيرة بأجنادين ، وقد رفعوا صُلُبهم ، ونشروا كُتُبهم ، وتقاسموا بالله لا يفِرُّون حتى يُفْنُونا ، أو يخرجونا من بلادهم ، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله ، فطاعَنَّاهم بالرماح ، ثم صرنا إلى السيوف فقارَعْناهم بها ، ثم إن الله أنزل نصره ، وأنجز

---

(١) قصمه : كسره . (٢) الدابر : آخر كل شىء ، والأصل . (٣) الدائرة : الهزيمة .

وعدَه ، وهَزَم الكافرين ، فقاتلناهم فى كل فَجٍّ وشِعْبٍ وغائِطٍ[1] ، فالحمد الله على إعزاز دينه ، وإذلال عدوه ، وحسن الصُّنع لأوليائه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وكانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بالشأم ، وكانت فى جُمادَى الأولى سنة ١٣ ﻫ ، ثم جمع هرقل للمسلمين فالتقوا باليَرْمُوك ، وجاءهم الرسل وهم مُتَصافُّون بخبر وفاة أبى بكر ، واستخلاف عمر ، وولاية أبى عبيدة حرب الشأم ، وعزل خالد بن الوليد ، فكتموا الخبر الناس حتى ظفر المسلمون وذلك فى رجب سنة ١٣ ﻫ . (فتوح الشأم ص ٨٠)

١١١ — عهد أبى بكر عند موته لعمر بن الخطاب

ولما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق دعا عثمان بن عفان رضى الله عنهما فقال : اكتب عهدى ، فكتب عثمان ، وأملى عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عَهِدَ به أبو بكر بن أبى قُحافَةَ خليفةُ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخِرِ عَهْدِهِ بالدنيا نازِحاً عنها ، وأول عَهْدِهِ بالآخرة داخلاً فيها ، فى الحال التى يُؤْمِنُ فيها الكافرُ ، ويَتَّقِى فيها الفاجرُ ، ويصدُق الكاذب : إنى استخلفت عليكم عُمَرَ بْنَ الخَطّاب ، فإن بَرَّ وعَدَل فذلك عِلْمِى به ورَأْيِى فيه . وإن جار وبَدَّل فلا عِلْمَ لى بالغيب . والخَيْرَ أردْتُ ، ولكل امرئٍ ما اكْتَسَبَ ، وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون » . (الكامل للمبرد ١ : ٦ ، وصبح الأعشى ٩ : ٣٥٩ والإمامة والسياسة ١ : ١٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٠٧ ، وإعجاز القرآن ص ١١٥)

---

(١) الفج : الطريق الواسع بين الجبلين . الشعب : الطريق فى الجبل ، ومسيل الماء فى بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجبلين . الغائط : المطمئن الواسع من الأرض .

خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

١١٢ — كتابه إلى أبى عبيدة بن الجراح

روى الطبرى أن أول كتاب كتبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولى الخلافة هو كتابه إلى أبى عُبَيْدة عامر بن الجَرَّاح يوليه على جند خالد ابن الوليد[1]، وهو :

« أُوصِيك بتقوى الله الذى يَبْقَى وَيَفْنَى ما سواه ، الذى هدانا من الضَّلاله وأخْرَجَنا من الظلمات إلى النور .

(١) كان عمر قبل أن يلى الخلافة عاتبا على خالد بن الوليد ، وسبب ذلك . أن خالدا لما فرغ من أمر طليحة — كما قدمنا — سار إلى المرتدين من بنى تميم بالبطاح (كغراب) وعليهم مالك ابن نويرة ، وقد تردد عليه أمره ، فلما انتهى إليها بث سرايا وأمرهم بداعية الإسلام . وأن يأتوه بكل من لم يجب ، وإن امتنع أن يقتلوه ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر معه من بنى ثعلبة بن يربوع ، فاختلفت السرية فيهم — وفيهم أبو قتادة — وكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء . فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا فى ليلة باردة لا يقوم لها شىء ، وجعلت تزداد بردا ، فأمر خالد مناديا فنادى : أدفئوا أسراكم — وكانت فى لغة كنانة تعنى القتل — فظن القوم أنه أراد القتل فقتلوهم ، وسمع خالد الواعية (الصراخ) فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمرا أصابه ، وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة : هذا عملك . فزبره خالد . فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر ، ثم تزوج خالد امرأة مالك ، وقد ألح عمر على أبى بكر فى خالد أن يعزله . وقال إن فى سيف خالد رهقا (الرهق السفه وخفة وركوب الشر والظلم) . فقال : لم يكن هذا حقا حتى غضب عليه ، وأكثر عليه فى ذلك ، فقال : هيه يا عمر ، تأوَّل فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، فإنى لا أشيم (أى أغمد) سيفا سله الله على الكافرين ، وودى مالكا (أى أعطى ديته) وكتب إلى خالد أن يقدم عليه . ففعل ، ودخل المسجد معتجرا بعمامة له قد غرز فيها أسهما ، فقام إليه عمر فنزعها وحطمها وقال : أرئاء ؟ قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك ، ولا يكلمه حتى دخل على أبى بكر ، فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره ، وخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر وعمر جالس فى المسجد . فقال : هلمّ إلىّ يا ابن أم شملة ، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه ، فلم يكلمه ودخل بيته . فلما ولى عمر الخلافة عزله عن قيادة الجند ، وولى مكانه أبا عبيدة .

وقد استعملتُك على جند خالد بن الوليد ، فقم بأمرهم الذى يَحِقُّ عليك ، لا تُقَدِّم المسلمين إلى هَلَكَةٍ رَجَاءَ غنيمةٍ ، ولا تُنْزِلْهم مَنزلا قبل أن تَسْتَرِيده(١) لهم ، وتَعلَمَ كيف مأتاه ، ولا تَبْعَثْ سَرِيَّة إلا فى كَثْف(٢) من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين فى الهَلَكة ، وقد أبلاك(٣) الله بى وأبلانى بك ، فغمِّضْ بصرك عن الدنيا ، وأَلْهِ قلبَك عنها ، وإياك أن تُهْلِكَك كما أهلَكَتْ من كان قبلك ، فقد رأيتَ مَصارِعَهم » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٥٤)

١١٣ — كتاب عمر إلى الأمصار

وكتب عمر إلى الأمصار :

« إنى لم أَعْزِل خالداً عن سَخْطةٍ ولا خيانه ، ولكن الناس فُتِنُوا به فخفتُ أن يُوكَلوا إليه ويُبْتَلَوْا به . فأحببتُ أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وأن لا يكونوا بعَرَض فِتْنةٍ » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٠٦)

١١٤ — كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة

وفى رواية : أن أبا بكر تُوُفِّىَ ، وخالدُ بن الوليد على حصار دمشق ، فكتب عمر إلى أبى عبيده بِنَعْى أبى بكر ، واستعمالِه أبا عبيدة ، وعَزْلِه خالداً :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبَيدة

(١) الرائد : الذى يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث ، وقد راد أهله مرلا وكلأ ، وراد لهم ، وارتاد ، واستراد .

(٢) السرية : قطعة من الجيش . الكثف . الجماعة . (٣) أبلاه : امتحنه كابتلاه .

ابن الجَرَّاح ، سلام عليك ، فإني أحْمَدَ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوُفِّيَ ، فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إليـه رَاجِعُونَ ، ورحمةُ الله وبركاته على أبي بكر الصِّدِّيق العامل[1] بالحق ، والآمر بالقِسْط[2] ، والآخِذ بالعُرْف ، اللَّيِّن السَّتِير الوَادِع ،[3] السَّهْل القريب الحكيم ، نحتسِبُ مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامَّةً عند الله تعالى ، وإنا نرغب إلى الله في العِصْمة برحمته من كل معصية ، ونسأله العمل بطاعته ما أحيانا ، والحُلولَ في جنته إذا توفّانا ، إنه على كل شيء قدير .

وقد بلغنا حِصاركم لأهل دِمَشق ، وقد ولَّيتك جماعة المسلمين فبُثَّ سَرَايَاك[4] في نَوَاحي أَهلِ حمص ودمشق وما سواها من أرض الشأم ، وانظر في ذلك برأيك ، ومَنْ حَضَرك من المسلمين ، ولا يحمِلَنَّكَ قولي هذا على أن تُعْرِيَ عسكرك فيطمَعَ فيك عدوك ، ولكنْ مَن استغنيتَ عنه فسَيِّره ، ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبِسْه ، وليكن فيمن يُحْتَبَس خالدُ بنُ الوليد ، فإنه لاغِنَى بك عنه ، والسلام عليك ورحمة الله » .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١٥١ ، وفتوح الشام ص ٨٦)

١١٥ — كتاب أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب

فكتب أبو عُبَيدة بن الجَرَّاح ، ومُعاذ بن جَبَل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم كتابًا واحداً ، وهو :

---

(١) في فتوح الشام « القائم » . (٢) القسط : العدل .

(٣) الستير : العفيف . الوادع : الوديع أي الساكن . ولعله : الكريم . وفي فتوح الشام « والآخذ بالعرف والآمر الحليم السهل القريب ... » .

(٤) جمع سرية كغنية : وهي قطعة من الجيش .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عُبَيدة بن الجَرَّاح ، ومُعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب ، سلام عليك ، فإنا نحمَد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنا عهدناك ، وأمرُ نفسك لك مُهِمٌّ ، وإنك يا عمر أصبحت وقد وَلِيتَ أمر أمَّة محمد : أحْمَرِها[1] وأسْوَدِها ، يقعد بين يديك الصديق والعدو ، والشريف والوضيع ، والشديد والضعيف ، ولكلٍّ عليك حق وحِصَّة[2] من العدل ، فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وإنا نُذَكِّرك يومًا تُبْلَى[3] فيه السرائر ، وتُكشَف فيه العَوْرات ، وتظهر فيه المُخَبَّآت ، وتعنُو فيه الوجوه لملِك قاهر ، قهرَهم بجبَرُوته ، والناسُ له داخِرُون ينتظرون قضاءه ، ويخافون عِقابه ، ويرجون رحمته .

وإنه بلَغنا أنه يكون فى هذه الأمة رجال يكونون إخوانَ العَلاَنية ، أعداءَ السريرة ، وإنَّا نعوذ بالله أن تُنْزِل كتابَنا من قلبك سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا ، فإنا إنما كتبنا إليك نصيحةً لك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » . (فتوح الشأم ص ٨٨ : وإعجاز القرآن ص ١١٦)

---

(١) الحمراء : العجم لأن الغالب على ألوانهم البياض والحمرة .

(٢) الحصة : النصيب . وفى إعجاز القرآن « ولكل حصته من العدل » .

(٣) تبلى أى تختبر وتكشف . تعنو : تذل وتخضع . داخرون : صاغرون ذليلون . من دخر كمنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك أى صغر وذلّ ، وفى إعجاز القرآن « فإنا نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه ، وتجب فيه القلوب (أى تضطرب) وإنا كنا نتحدث أن هــذه الأمة ترجع فى آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة » .

١١٦ — رد عمر على أبي عبيدة ومعاذ

فكتب عمر رضي الله عنه جواب كتابهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة ابن الجراح ، ومُعاذ بن جبل ، سلام عليكما ، فإني أحمَدُ إليكما اللّهَ الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإني أوصيكما بتقوى الله ، فإنه رضا ربكما ، وحظُّ أنفسكما وغَنيمة الأكياس لأنفسهم عند تفريط العَجَزة ، وقد بلغني كتابكما تَذْكران أنكما عَهِدْتُماني وأمرُ نفسي لي مُهِمّ ، فما يُدْريكما ؟ وهذه تزكيةٌ منكما لي ، وتذكران أني وَليت أمر هذه الأمة يقعد بين يديّ الصديق والعدو ، والشريف والوضيع ، والقوي والضعيف ، ولكلٍّ حِصّته من العدل ، وكتبتما أنِ انظُر كيف أنت ياعمر عند ذلك ، وَإنه لا حَوْلَ ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله ، وكتبتما تخوِّفانني[1] يومًا هو آتٍ ، وذلك باختلاف الليل والنهار ، فإنهما يُبْليان كل جديد ، ويُقَرِّبان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود، حتى يأتيا بيوم القيامة ، يوم تُبْلَى فيه السرائر ، وتكشَف العورات ، وتَعْنُو فيه الوجوه ، لِعزّة ملك قَهَرهم بجَبَرُوته ، فالناسُ له داخِرُون يخافون عقابه ، وينتظرون قضاءه ، ويرجون رحمته ، وذكرتما أنه بلغكما أنه يكون في هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة ، فليس هذا بزمان ذلك ، إنما ذلك في آخر الزمان إذا كانت الرغبة والرهبة رَغبة الناس

(١) وفي إعجاز القرآن : « وكتبتما تحذرانى ما حذرت به الأمم قبلنا ، وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، ويأتيان بكل موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة أو النار ، ثم توفى كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب » .

بعضهم إلى بعض . . . .

. . . . (١)

لولا أنك علمته من غيرى ، وما سُلطانُ الدنيا وإمارتها ! فإن كل ما ترى يصير إلى زوال ، وإنما نحن إخوان ، فأيُّنا أَمَّ أَخاه أو كان أميراً عليه لم يضرَّه ذلك فى دينه ولا دنياه ، بل لعل الوالى أن يكون أقربَهما إلى الفِتنة ، وأوقعهما بالخطيئة لأنه بِعَرَض هَلَكة إلا مَن عَصَم اللهُ عزّ وجل ، وقليلٌ ماهم ، وكتبتما تعوِّذانى بالله أن أُنْزِل كتابكما منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما ، وإنما كتبتما نصيحةً لى ، وقد صدقتما ، فتعهَّدانى منكما بكتاب ، ولا غنى بى عنكما » . (فتوح الشأم ص ٨٩ . وإعجاز القرآن ص ١١٧)

١١٧ — كتاب عمر إلى أبى عبيدة

وبعد أن تم الظفر للمسلمين فى وقعة « اليَرْمُوك » بلغ أبا عبيدة أن الروم أرَزُوا [٢] إلى « فِحْل » ، وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حِمص ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستشيره : أبدمشق يبدأ أم بفِحْل من بلاد الأرْدُنّ ؟ فكتب إليه عمر :

---

(١) بياض بالأصل فى فتوح الشام . وفى إعجاز القرآن : «وكتبتما تزعمان أن أمر هذه الأمة يرجع فى آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ، ولستم بذلك ، وليس هذا ذلك الزمان ، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبة ، فتكون رغبة بعض الناس إلى بعض لإصلاح دينهم ، ورهبة بعض الناس إصلاح دنياهم » .

(٢) أرز كضرب : تجمع وثبت . أرزت الحية : لاذت بجحرها ورجعت إليه وثبتت فى مكانها .

«أما بعدُ، فابدءوا بدمشق فانْهَدُوا[١] لها، فإنها حِصْن الشأم، وبيت مملكتهم، واشْغَلوا عنكم أهل فِحْل بخيل تكون بإزائهم فى نحورهم، وأهلَ فلسطين وأهل حمص، فإنْ فتحها الله قبل دمشق فذاك الذى نحب، وإن تأخر فَتْحُها حتى يفتح الله دمشق فلْيَنْزِل بدمشق من يُمْسِك بها، وَدعُوها وانطلِقْ أنت وسائرُ الأمراء حتى تُغِيروا على فحل، فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حِمْص، ودع شُرَحْبيل وعَمْرا وأَخْلِهما بالأُرْدُنّ وفَلَسْطين، وأميرُ كل بلد وجُنْدٍ على الناس حتى يخرجوا من إمارته».

(تاريخ الطبرى ٤ : ٥٧)

١١٨ — عهد خالد بن الوليد لأهل دمشق

وسار المسلمون إلى دمشق وحاصروها، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى، وعمرو بن العاص على باب توما، وشُرَحبيل على باب الفراديس، وأبو عبيدة على باب الجابية، ويزيد بن أبى سفيان على باب كيسان، وألحوا عليها، فقال الأُسْقُفُّ يومًا لخالد: صالحنى على هذه المدينة، فدعا خالد بدواة وقِرْطاس وكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهلَ دمشق إذا دخلها[٢]، أعطاهم أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسُور مدينتهم

---

(١) أى انهضوا.

(٢) وفى تاريخ ابن عساكر «يوم فتحها» وذلك يدل على أن هذا العهد كتب بعد الفتح، كما يدل على ذلك أيضاً ما ورد فى رواية ابن عساكر من قوله عقب إيراد الكتاب: «شهد هذا الكتاب يوم كتب عمرو بن العاص وعياض بن غنم ويزيد بن أبى سفيان وأبو عبيدة بن الجراح ومعمر بن عتاب وشرحبيل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نبيشة وعبد الله بن الحارث وقضاعة بن عامر».

لا يُهْدم ولا يُسْكَن شيء من دُورِهم ، لهم على ذلك عهدُ الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين ، لا يُعْرَض لهم إلا بخير إذا أَعْطَوا الجزية »

وكتب فى رجب من سنة أربع عشرة .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٢٧ . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١٤٨ ، ٢ : ١٠٥)

١١٩ — عهد أبى عبيدة لأهل دمشق

وشمَّر خالد لفتح المدينة ، فدخلها من جهته عَنْوةً ، فلما رأى ذلك الروم قصدوا أبا عبيدة ، وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم ، وفتحوا له الباب . فالتقى خالد والقواد فى وسطها[1] ، ثم كتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ لأبى عُبَيْدة بن الجراح ممن أقام بدِمَشق وأرضها ، وأرض الشام من الأعاجم . إنك حين قَدِمْتَ بلادنا سألناك الأمانَ على أنفسنا وأهل مِلَّتنا ، وإنا اشترطْنا لك على أنفسنا أن لا نُحْدِث فى مدينة دمشق ، ولا فيما حولها كنيسةً ، ولا دَيْراً ولا قَلاَّية[2] ولا صَوْمَعَةَ راهِب . ولا نجدِّد ما خَرِب من كنائسنا . ولا شيئاً منها مما كان فى خِطَطِ[3] المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها فى الليل والنهار ، وأن نوسِّع أبوابها للمارّة ، وأبناء السبيل ، ولا نُؤْوِى فيها ، ولا فى منازلنا جاسوساً ، ولا نكتُم على مَنْ غشَّ المسلمين ، وعلى أن

(١) وجاء فى فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٢٨ : « فلما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قرب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه ، وفتح له باب الشرقى ، فدخل والأسقف معه ناشر كتابه الذى كتبه له ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه . فقال أبو عبيدة : إنه يجير على المسلمين أدناهم ، وأجاز صلحه وأمضاه ... » .

(٢) القلاّية : من بيوت عبادات النصارى كالصومعة ، وفى الأصل : « قلاية » وهو تحريف .

(٣) الخطط جمع خطة بالكسر : وهى الأرض التى يختطها الرجل لنفسه .

لا نضرب بنواقيسنا إلا ضَرْباً خَفِيّاً فى جوف كنائسنا ، ولا نُظهر الصليب عليها ، ولا نرفع أصواتنا فى صلاتنا وقراءتنا فى كنائسنا ، ولا نُخرج صليبنا ولا كتابنا ، ولا نُخرج بَاعُوثاً ولا سَعَانِينَ[1] ، ولا نرفع أصواتنا بموتانا ، ولا نُظهر النيران معهم فى أسواق المسلمين ، ولا نجاورهم بالخنازير ، ولا نبيع الخمور ، ولا نُظهر شِرْكاً فى نادى المسلمين ، ولا نرغِّب مسلماً فى ديننا ، ولا ندعو إليه أحداً ، وعلى أن لا نتخذ شيئاً من الرَّقيق الذين جرَت عليهم سِهامُ المسلمين ، ولا نمنع أحداً من قرابتنا إن أرادوا الدخول فى الإسلام ، وأن نَلْزَم ديننا حيثما كنا ، ولا نتشبَّه بالمسلمين فى لُبْس قَلَنْسُوة ولا عِمامة وَلاَ نَعْلَين ، ولا فَرْق شعر ، ولا فى مراكبهم ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتسمَّى بأسمائهم ، وأن نَجُزَّ مقادِمَ رءوسنا ، ونَفرِق نواصِيَنَا ، ونشُدَّ الزَّنانِيرَ[2] على أوساطنا ، وأن لا ننقُش فى خواتيمنا بالعربية ، ولا نركَبَ السُّرُوج ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نجعله فى بيوتنا ، ولا نتقلَّد السيوف ، وأن نوقِّر المسلمين فى مجالسهم ، ونُرشدهم الطريق ، ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوها ، ولا نطَّلِع عليهم فى منازلهم ، ولا نعلِّم أولادَنا القرآن ، ولا نشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نُضِيف كل مسلم عابر سبيل من أوسَطِ ما نجد ، ونُطْعِمه فيها ثلاثة أيام ، وعلينا أن لا نشتُم مسلماً ومن ضرب مسلماً فقد خَلَع عهدَه .

ضَمِنّا ذلك لك على أنفسنا وذَرَارِيِّنا وأرواحنا ومساكِنِنا ، وإن نحن

(١) الباعوث عند النصارى كالاستسقاء عندنا ، وهو اسم سريانى ، والسعانين : عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع وهو سريانى أيضاً .

(٢) ج . ج جمع زنار كرمان : وهو مايشد على وسط النصارى والمجوس .

غَيَّرْنا أو خالفنا عما اشترطنا لك وقَبِلْنا الأمان عليه ، فلا ذمَّة لنا ، وقد حَلّ لك منا ما حَلّ من أهل المعاندة والشقاق ، على ذلك أُعْطِينا الأمانَ لأنفسنا وأهل ملّتنا ، فأقرُّونا فى بلادكم التى ورّثكم اللهُ إياها .

شهِدَ اللهُ على ما شَرَطْنا لكم على أنفسنا ، وكفى بالله شهيداً » .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ١ : ١٤٩)

١٢٠ — كتاب عمرو بن العاص إلى أبى عبيدة

ولما ظهر أبو عبيدة على دمشق أَمَرَ عمرَو بن العاص بأن يسير إلى أرض الأرْدُنّ وفلسطين فيكون بينهما ، ففعل ما أُمر به ، وبلغه وهو هناك أن الروم قد جمعوا جموعهم ، وتأهبوا لقتال المسلمين ، فكتب إلى أبى عبيدة ابن الجراح :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإن الروم قد أَعْظَمَتْ فتح دمشق ، واجتمعوا من نواحى الأرْدُنّ وفلسطين ، فتكاتَبوا وتواثَقوا وتعاقَدوا أنْ لا يرجعوا إلى النساء والأولاد حتى يُخرِجوا العرب من بلادهم . واللهُ مُكَذِّبٌ قولَهم وأَمَلَهم . ولَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ، فاكتب إلىّ برأيك فى هذا الحَدَث ، رشد اللهُ أمْرَك ، وسدَّدك وأدام رُشْدك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

فأمده أبو عبيدة بجيش عظيم . (فتوح الشام ص ٥٤)

١٢١ - كتاب أبى عبيدة إلى عمر بن الخطاب

وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة ابن الجراح ، سلامٌ عليك، فإنى أحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلاَّ هو ، أما بعدُ : فإنّ الروم قد أقبلَتْ فنزلت « فِحْلَ » طائفةٌ منهم مع أهلها ، وقد سارع إليهم أهل البلد ، ومَنْ كان على دينهم من العرب ، وقد أرسَلوا إلىَّ أن : « اخرُج من بلادنا التى تُنْبت الحِنْطة والشعير والفواكه والأعناب ، وإنكم لستم لها بأهل ، والحَقُوا ببلادكم بلاد الشقاء والبؤس ، فإن أنتم لم تفعلوا سِرْنا إليكم بما لا قِبلَ لكُمْ به ، ثم أعطيْنا اللهَ عهداً أنْ لا ننصرف عنكم ، ومنكم عين تَطْرِف[1] » فأرسلت إليهم :

« أمَّا قولكم : « اخرُجوا من بلادنا ، فلستم لها بأهل » فلعمرى ما كنا لِنَخْرُج منها ، وقد دخَلْناها ووَرَّثَنَاها اللهُ منكم ، ونَزَعْناها من أيديكم وإنما البلاد بلاد الله ، والعباد عباده ، وهو مَلِك الملوك ، يُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ يَشَاء ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاء ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاء ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاء ، وأمَّا ما ذكرتم من بلادنا وزعمتم أنها بلاد البؤس والشقاء ، فقد صدقتم ، وقد أبْدَلَنَا اللهُ بها بلادَكم بلادَ العيش الرَّفيغ[2] ، والسِّعْرِ الرَّخيص ، والفواكه الكثيرة . فلا تحسَبُونا بتاركيها ، ولا منصرفين عنها . ولكن أقيموا لنا

---

(١) طرفت العين كضرب : تحرك جفناها . (٢) الرفاعة والرفاغية : سعة العيش والخصب وسعة وعيش أرفغ ورافغ ورفيغ : خصيب واسع طيب ، وفعله ككرم ، وفى الأصل « العيش الرفيع » بالعين ، والمعنى عليه مستقيم ، ولكنه بالغين أحسن .

فوالله لانُجَشِّمكم إتيانَنا ، وَلَنَأْتِيَنَّكم إن أقمتم لنا» .

فكتبت إليك حين نهضتُ إليهم ، متوكِّلاً على اللهِ ، راضياً بقضاء الله ، واثقاً بنصر الله ، كفانا الله وإياك والمؤمنين مكيدة كُل كائد ، وحسَدَ كل حاسِد ، ونَصَر الله أهلَ دينه نصراً عزيزاً ، وفتَحَ لهم فتحاً يسيراً ، وجعل لهم من لَدُنْهُ سلطانا نصيرًا » . (فتوح الشأم ص ١٠٩)

١٢٢ — رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عُبيدة ابن الجرّاح، سلام عليك ، فإنى أحمَدُ إليك الله الذى لا إلٰهَ إلا هو ، أما بعدُ : فإن كتابك جاءنى بنَفِيرِ الروم إليك ، ومَنْزِلِهم الذى نزلوا به ، ورسالَتِهم التى أرسلوا ، وبالذى رجعْتَ إليهم فيما سألوك ، وقد سدَدْتَ بحجتك ، وأُوتيتَ رُشدك ، فإن أتاك كتابى هذا وأنتم الغالبون ، فكثيرا ما نذكُر من ربنا الإحسان إلينا وإليكم ، وإن أتاكم وقد أصابكم نَكْب[1] . أو قَرْح فلا تَهِنوا ولا تحزنوا ولا تستكِينوا ، فإنكم الأَعْلَوْن ، وإنها دارالله ، وهو فاتِحُها عليكم تصديقا منا لِقَوْل نبينا صلى الله عليه وسلم[2] فاصْبِروا إن الله مع الصابرين .

(١) النكب والنكبة : المصيبة . القرح : الجرح وعض السلاح ونحوه . وهن يهن : ضعف .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام فى الكلام فى غزوة الخندق ج ٢ : ص ١٥٨ . قال ابن إسحق : وحدثت عن سلمان الفارسى أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت علىّ صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىّ ، نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة (والبرقة بالضم ذات حجارة وتراب وحجارتها الغالب عليها البياض وفيها حجارة حمر وسود) . ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى . قال قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا الذى رأيت

واعلم أنك متى ما لَقِيتَ عدوّك ، فاستعنتَ بالله عليهم ، وعَلِم منك الصدقَ ، نَصَرك عليهم ، فقلْ إذا أنت لَقِيتَهم : اللّهم إنك الناصِرُ لدينك ، والمُعِزّ لأوليائك قديماً وحديثاً ، اللهم فتوَلَّ نصرهم ، وأظهِرْ فَلْجَهم[1] ، ولا تَكِلْهم إلى أنفسهم فيعجِزُوا عنها ، وكُن الصانِعَ لهم ، والدافِعَ عنهم برحمتك ، إنك الولىُّ الحميد » . (فتوح الشأم ص ١١١)

١٢٣ — كتاب أبى عبيدة إلى عمر

ونهض المسلمون لقتال الروم فهزموهم ، وقتلوا منهم مَقْتَلة عظيمة ، وغلبوا على سواد الأُرْدُنّ وعلى أرضها ، وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضى الله عنهما .

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة ابن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمَد إليك اللّهَ الذى لا إلٰهَ إلا هو ، أما بعدُ : فالحمد لله الذى أنزل على المسلمين المؤمنين نصرَه ، وعلى الكافرين رِجْزَه ، أُخْبِرُ أمير المؤمنين — أصلحه الله — أنا التَقَيْنا نحن والرومُ ، وقد جمعوا لنا الجموع العِظام ، فجاءونا من رءوس الجبال ، وأسيافِ[2] البحار ، وظنّوا أنه لا غالبَ لهم من الناس ، فبرزوا لنا وبغَوا علينا ، وتوكلنا على الله ، ورفعنا رغبتنا إليه ، وقلنا : حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل ، ونهضنا إليهم بخيلنا ورَجّالتنا ، وكان القتال بين

يلمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أو قد رأيت ذلك يا سلمان ، قلت : نعم ، قال : أما الأولى فإن الله فتح علىّ بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح علىّ بها المشرق » .

(١) الفلج : الظفر والفوز .

(٢) سيف البحر بالكسر : ساحله .

الفريقين مَلِيًّا[١] من النهار ، أهدى الله فيه الشهادة لرجال من المسلمين ، منهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وضَرَبَ اللهُ وجوهَ المشركين ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسِرُونهم ، حتى اعتصموا بحصونهم ، فأصاب المسلمون عسكرهم ، وغلبوا على بلدهم ، وأنزلهم الله من صَيَاصِيهم[٢] ، وقَذَفَ فِي قُلُوبهم الرُّعْبَ ، فاحْمَدِ اللهَ يا أمير المؤمنين أنت ومن قِبَلك من المسلمين على إعْزاز دينه ، وإظهار الفَلْج على المشركين ، وادعوا الله لنا بتمام النعمة ، والسلام عليك » . (فتوح الشأم ص ١٢٢)

١٢٤ — كتاب أبي عبيدة إلى عمر

فلما رأى أهل « فِحْل » أن المسلمين قد غلبوا على أرض الأُرْدُنّ ، سألوهم الصلح فصالحوهم ، وأما أهلُ الأُرْدُنّ وأهل القرى ، فإن المسلمين أخذوا ذلك عَنْوَة بغير صلح ، فاختلفوا فيهم ، فقالت طائفة : نقتسمهم ، وقالت طائفة : نتركهم ، وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإن الله ذا المَنّ والفضل والنِّعم العظام فَتَحَ على المسلمين من أرض الروم ، فرأت طائفة من المسلمين أن يُقِرّوا أهلَها على أن يُؤَدّوا الجزية إليهم ، ويكونوا عُمَّارَ الأرض ، ورأت طائفة منهم أن يقتسموهم ، فليكتب إلينا أَمير المؤمنين برأيه فى ذلك ، ادام الله لك التوفيق فى[٣] جميع الأمور » . (فتوح الشأم ص ١٢٣)

---

(١) أى زماناً طويلا . (٢) الصياصى : الحصون وكل ما امتنع به جمع صيصية .
(٣) فى الأصل : « وجميع الأمور » .

١٢٥ — رد عمر على أبى عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة ابن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنه بلغنى كتابك تَذكُر إعْزازَ اللّهِ أهلَ دينه ، وخِذْلانَ أهل عداوته ، وكفايَتَه إيانا مُؤْنَةً من عادانا ، فالحمد لله على إحسانه إلينا فيما مَضَى ، وحُسْنِ صنيعه لنا فيما غبَر(١) ، الذى عافَى جماعةَ المسلمين ، وأكرَمَ بالشهادة فريقا من المؤمنين ، فهنيئاً لهم برِضا ربِّهِم ، وكرامَتِه إياهم ، ونسأله ألاَّ يحْرِمنا أجْرَهم ، وألاَّ يَفْتِنَنَا بعدهم ، فقد نصحوا لله ، وقَضَوا ما عليهم ، ولربهم كانوا يعملون ، ولأنفسهم كانوا يهتدون . وقد فهِمْتُ ما ذكرتَ من الأرض التى ظَهَر عليها وعلى أهلها المسلمون ، فقالت طائفة : تُقِرُّ أهلها على أن يُؤَدُّوا الجزية إلى المسلمين ، ويكونوا عُمَّارَ الأرض ، وقالت طائفة : نقتسِمُهم ، وإنى قد نظرتُ فيما كتبتَ إلىَّ من هذا ، فعَرِفَ رأيى فيماسألْتَنى عنه ، إلاَّ أنى قد رأيتُ أن تُقِرَّهم ، وأن تحمِلَ الجزيةَ عليهم ، وتَقسمَها بين المسلمين ، ويكونوا عُمَّار الأرض ، فهم أعلَمُ بها ، وأقوى عليها من غيرهم ، أرأيتم لو أنَّا أخذنا أهلها واقتسمناهم ، مَن كان يكون لِمَن يأتى بعدنا من المسلمين ؟ واللّهِ ما كانوا إذن ليجدوا إنسانا يكلّمونه ، ولا يكلمهم ، ولا ينتفِعون بشىء من ذات يده ، وإن هؤلاء يأكلهم المسلمون ماداموا أحياء ،

---

(١) غبر الشىء كدخل : بقى ومضى ، ضدّ .

فإذا هلكنا وهلكوا أكل أبناؤنا أبناءهم أبدا ما بَقُوا ، وكانوا عبيداً لأهل الإسلام أبداً مادام دين الإسلام ظاهراً ، فضع عليهم الجزيةَ ، وكُفَّ عنهم السَّبْيَ ، وامنع المسلمين من ظلمهم ، والإضرار بهم ، وأكلِ أموالهم إلا بحقها » .

فلما جاء أبا عبيدة هذا الرأى من عمر عمل به . (فتوح الشأم ص ١٢٤)

صورة أخـــرى

وجاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف :

وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضى الله عنه بهزيمة المشركين ، وبما أفاء الله على المسلمين ، وما أعطى أهلَ الذمة من الصلح ، وما سأله المسلمون من أن يَقْسِمَ بينهم المدن وأهلها ، والأرضَ وما فيها من شجر أو زرع ، وأنه أَبَى ذلك عليهم ، حتى كتب إليه فيه ، ليكتب إليه برأيه فيه ، فكتب إليه عمر :

« إنى نظرتُ فيما ذكرتَ مما أفاء الله عليك ، والصلح الذى صالحتَ عليه أهلَ المدن والأمصار ، وشاورتُ فيه أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل قد قال فى ذلك برأيه ، وإن رأيى تَبَعٌ لكتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ(١) عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

---

(١) أفاءه عليه : أعاده عليه ورده عنى صيره له . ووجف الفرس كوعد وجفاً : عدا . أوجفته : أعديته . ومن فى الآية زائدة . أى لم تقاسوا فيه مشقة .

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً[1] بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » هم المهاجرون الأولون « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[2] وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فإنهم الأنصار « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ » ولد آدم الأحمر والأسود ، فقد أشرك اللهُ الذين من بعدهم فى هذا الفَىْءِ إلى يوم القيامة .

فأقِرَّ ما أفاء الله عليك فى أيدى أهله ، واجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم تقسِمُها بين المسلمين ، ويكونون عُمّار الأرض ، فهم أعلم بها وأقوى عليها ، ولا سبيل لك عليهم ، ولا للمسلمين معك أن تجعلهم فَيْئاً وتقسمهم ، للصلح الذى جرى بينك وبينهم ، ولِأَخْذِكَ الجزيةَ منهم بقدر طاقتهم ، وقد بَيَّنَ الله لنا ولكم فقال : فى كتابه « قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » .

فإذا أخذتَ منهم الجزية فلا شىء لك عليهم ولا سبيلَ ، أرأيتَ لو أخذنا أهلها فاقتسمناهم ، ما كان يكون لمن يأتى من بعدنا من المسلمين ؟ واللهِ ما كانوا يجدون إنسانا يكلمونه ، ولا ينتفعون بشىء من ذات يده ، وإن

---

(١) أى يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية . (٢) الخصاصة : الحاجة والفقر .

هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء ، فإذا هلكنا وهلكوا أكل أبناؤنا أبناءهم أبداً مابقوا ، فهم عبيد لأهل دين الإسلام ما دام دين الإسلام ظاهراً فاضرب عليهم الجزية ، وكُفّ عنهم السَّبْيَ ، وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم ، وأكل أموالهم إلا بحِلِّهَا ، ووَفِّ لهم بشرطهم الذى شَرَطْتَ لهم فى جميع ما أعطيتهم .

وأما إخراج الصُّلْبان فى أيام عيدهم فلا تمنعهم من ذلك خَارج المدينة بلا رايات ولا بُنُود[1] ، على ما طلبوا منك يومًا فى السنة ، فأمَّا داخِلَ البلد بين المسلمين ومساجدهم فلا تظهر الصلبان » .

فأذن لهم أبو عبيدة فى يوم من السنة ، وهو يوم عيدهم الذى فى صومهم فأما فى غير ذلك اليوم فلم يكونوا يخرجون صلبانهم . (كتاب الخراج ص ١٦٧)

١٢٦ — عهد أبى عبيدة لأهل بعلبك

ثم خرج أبو عبيدة نحو حِمْص فَرّ بِبَعْلَبَكَّ ، فطلب أهلها الأمان والصلح ، فصالحهم ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابُ أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك ، رُومِها وفُرْسِها وعَرَبِها ، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودُورهم داخِلَ المدينة وخارجها ، وعلى أَرْحَائِهم ، وللِرُّوم أن يَرْعَوا سَرْحَهم[2] ما بينهم وبين خَمْسَةَ عشرَ ميلا ، ولا ينزلوا قريةً عامرة ، فإذا مضى شهر ربيع وجُمَادى الأُولَى ، ساروا إلى حيثُ شاءوا ، ومن أسلم منهم فله مالنا

(١) البنود جمع بند كشمس وهو العلم الكبير . (٢) السرح : المال السائم .

وعليه ماعلينا ، ولِتُجّارِهم أن يسافروا إلى حيثُ أرادوا من البلاد التى صالَحنا عليها ، وعلى من أقام منهم الجِزية والخراج ، شَهِد الله ، وكفى بالله شهيداً » .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٣٦)

١٢٧ — كتاب أبى عبيدة إلى عمر

ثم دخل أبو عبيدة حِمْصَ وطلب أهلها الصلح ، فصالحهم المسلمون ، وكتبوا لهم كتابًا بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة ابن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعدُ ، فالحمد لله الذى أفاء علينا وعليك يا أمير المؤمنين أفضلَ كُورَة فى الشأم أهلا وقلاعًا ، وأكثرَهم عَدَدًا وجَمْعاً وخَراجا ، وأكبَتَهم للمشركين كَبْتا[1] ، وأيسَرَه على المسلمين فتحاً . أُخبرك يا أمير المؤمنين ـ أصلحك الله ـ أنا قدِمْنا بلادَ حِمْصَ وبها من المشركين عدد كثير ، والمسلمون يَزْفُونهم[2] بيأس شديد ، فلما دخلنا بلادهم ألقى الله الرعبَ فى قلوبهم ، وَوهَّن كيدهم ، وقلَّم أظفارهم ، وسألوا الصلح وأذعنوا بأداء الجزية ، فقبِلْنا منهم وكففنا عنهم ، وفتحوا لنا الحصون ، واكتتبوا منا الأمان ، وقد وجّهنا الخيول إلى الناحية التى فيها مَلِكُهم وجنوده ، فنسأل الله مَلِكَ الملوك ، وناصِرَ الجنود ، أن يُعِزَّ المسلمين بنصره ، وأن يُسْلِمَ[3] المشركَ الخاطِئَ بذنبه ، والسلام عليك » .

(فتوح الشأم ص ١٢٨)

---

(١) الكبت كضرب : الصرع . أى وأكثرهم صرعا وهدما .

(٢) زفاه يزفيه زفيا وزفيانا : طرده ودفعه ، يقال : زفت الريح السحاب إذا طردته واستخفته . وزفت الأمواج السفينة . (٣) أسلمه : خذله .

١٢٨ — رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ : فقد بلغني كتابك تأمرني فيه بحمد الله على ما أفاء الله علينا من الأرض ، وفتَحَ علينا من القِلاع ، ومَكَّن لنا في البلاد ، وصَنَع لنا ولكم وأبلانا وإياكم من حسن البَلاَء ، فالحمد لله حمداً كثيرًا ليس له نَفَادٌ ، ولا يُحْصَى له تَعْداد ، وذكرتَ أنك وجَّهتَ الخيول نحو البلاد التي فيها ملك الروم وجموعهم ، فلا تَفْعَل ، وابعَثْ إلى خيلك فاضمُمْها إليك ، وأقِمْ حتى يَمْضِيَ هذا الحَوْلُ ، ونرى من رأينا ، ونستعين بالله ذي الجلال والإكرام على جميع أمورنا ، والسلام » . (فتوح الشأم ص ١٢٩)

١٢٩ — كتاب أبي عبيدة إلى ميسرة بن مسروق

وكان أبو عبيدة رضي الله عنه قد قَدَّم مَيْسرة بن مسروق إلى ناحية حَلَب ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فإذا لَقِيَك رسولي فَأَقْبِلْ معه ، ودَعْ ما كنتُ وجَّهْتك فيه ، حتى نرى مِنْ رَأْينا ، وننظر فيما يأمر به خليفَتنا ، والسلام عليك » .

فأقبل ميسرة في أصحابه حتى انتهى إلى أبي عبيدة بحمص فنزل معه .

(فتوح الشأم ص ١٣٠)

١٣٠ — كتاب أبي عبيدة إلى عمر

وبعث أبو عبيدة بن الجراح ليلَةَ غَدًا من حِمْص إلى دمشق سُفْيان ابن عَوْف بن مَعْقِل رسولا إلى عمر رضى الله عنه ، وكتب معه :

« أما بعدُ : فإن عُيُونِى قَدِمَتْ علىّ من أرض عدونا من القرية التى فيها مَلِكُ الروم ، فحدَّثُونى بأن الروم قد توجَّهوا إلينا ، وجمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه لأمة قَطُّ كانت قبلنا ، وقد دعوتُ المسلمين ، وأخبرتهم الخبرَ ، واستشرتُهُم فى الرأى ، فأجمَعَ رأيُهم على أن يتنحَّوا عنهم حتى يأتِيَنا رأيُك ، وقد بعثتُ إليك رجلا عنده عِلْمُ ما قِبَلَنا ، فسلْه عما بدا لك، فإنه بذلك عليم، وهو عندنا أمين ، ونستعين بالله العزيز العليم ، وهو حَسْبُنا ونِعم الوكيل ، والسلام عليك » . (فتوح الشأم ص ١٣٨)

١٣١ — رد عمر على أبي عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة ابن الجراح ، وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، والمجاهدين فى سبيل الله ، سلام عليكم ، فإنى أَحْمَدُ إليكم اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنه بلغَنى توجُّهكم من أرض حِمْص إلى أرض دمشق ، وتركِكم بلاداً قد فتحها الله عليكم ، وخَلَّيْتموها[1] لعدوكم وخرجتم منها طائعين

(١) فى الأصل « وعليتموها » بالعاء وهو تحريف

فكرِهتُ هذا من رأيكم وفِعْلكم ، وسألت رسولكم : أعَنْ رَأْيٍ من جميعكم كان ذلك ؟ فزَعم أن ذلك كان من رَأْى خِيارِكم وأُولِى النُّهَى[1] منكم وجماعتكم ، فعلمتُ أن الله عز وجل لم يكن ليجمع رأيَكم إلا على توفيق وصواب ورشد فى العاجلة والعاقبة ، فهوَّنَ ذلك علىّ ما كان دَخَلَنى من الكراهية قبل ذلك لتحوُّلكم[2] ، وقد سألنى رسولكم المَدَدَ لكم ، وأنا مُمِدُّكم قبل أن يُقرَأ عليكم كتابى هذا ، وأُشْخِصُ إليكم المدد من قِبَلِى إن شاء الله ، واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كنا نَهْزِم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله يُنْزِلُ النصر عليهم ، ولربما خَذَلَ الله الجموعَ الكثيرة ، فوَهَنت وفُلَّت وفشِلَتْ ، ولم تُغْنِ عنهم فئتهم شيئاً ، ولربما نَصَر الله العِصابة القليلَ عَدَدُها على الكثير عَدَدُها من أعداء الله ، فأنزل الله عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله وأعداء المسلمين بأسَه ورِجْزَه ، والسلام عليكم » . (فتوح الشأم ص ١٤١)

١٣٢ — كتاب عمرو بن العاص إلى أبى عبيدة

وخرج أبو عبيدة حتى قَدِم دمشق ، وبها خالد بن الوليد ، فأتاه خالد وضَمَّ عسكره إلى عسكره ، ثم قَدِم على أبى عبيدة عبدُ الله بن عمرو ابن العاص بكتاب من أبيه :

(١) النهى : العقل يكون واحدا وجمعا لنهية كمرصة .

(٢) فى الأصل « لتحويلكم » وهو تحريف .

« بسم الله الرحمٰن الرحيم . أما بعدُ : فإن أهل إيليا وكثيراً ممن كنا صالَحْناهم من أهل الأُرْدُنّ قد نقضوا العَهْد فيما بيننا وبينهم ، وذكروا أن الروم قد أقبلت إلى الشأم بقَضِّها وقَضِيضِها[1] ، وأنكم قد خلَّيتم لهم عن الأرض ، وخرجتم منها ، وأقبلتم منصرفين عنها ، وقد جرَّأهم ذلك عليَّ وعلى من قِبَلي من المسلمين ، وقد تَراسَلوا وتَواثَقوا وتَعاقَدوا لَيَسِيرُنَّ إليَّ ، فاكتب إليَّ برأيك ، فإن كنت تريد القدوم عليَّ أقمتُ لك حتى تَقْدَم ، وإن كنت تريد أن تنزل مَنْزِلا من الشأم ، أو من غيرها ، وأَنْ أَقْدَم عليك ، فأعلمني برأيك أُوافِك فيه ، فإني صائر إليك أينما كنت ، فابْعثْ إليَّ مَدَدًا أَقْوَى بهم على عدوى ، وعلى ضبط ما قِبَلي ، فإنهم قد أَرْجَفُوا[2] بنا ، وأُغتمزوا فينا[3] ، واستعدُّوا لنا ، ولو يجدون فينا ضعفاً أو يَرَون فينا فُرْصةً ما ناظرونا[4] ، والسلام عليك » . (فتوح الشأم ص ١٤٣)

١٣٣ — رد أبي عبيدة على عمرو

فكتب إليه أبو عبيدة بن الجراح :

« أما بعدُ : فقد قَدِم عليَّ عبد الله بن عمرو بكتابك ، تذكر فيه إرْجاف المُرْجفين ، واستعدادهم لك ، وجُرْأتهم عليك ، لِلَّذِي[5] بَلَغهم من انصرافنا عن الروم ، وما خَلَّينا لهم من الأرض ، وإن ذلك ــ والحمدُ لله ــ لم يكن من

---

(١) القض : ما كبر من الحجارة . القضيض : ماتكسر وصغر منها . أى جاءوا بالكبير والصغير .

(٢) أرجف القوم : خاضوا فى أخبار الفتن . (٣) اغتمزه : طعن عليه ووجد بذلك مغمزا .

(٤) المراد : ما أنظرونا . أى ما أخرونا بل سارعوا بالهجوم علينا .

(٥) فى الأصل « الذى » وهو تحريف .

المسلمين عن ضعف من بصائرهم ولا وهْن من عدوهم ولكنه كان رأيا من جماعتهم كادوا به عدوهم من المشركين ليخرجوهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم وليجتمع بعض من المسلمين إلى بعض ، ويجتمعوا من أطرافهم ، وينضمّ إليهم من كان قُرْبَهم، وينتظرون قدوم أمدادهم عليهم، ثم يناهضونهم إن شاء الله ، وقد اجتمعت خيلهم وتتامَّتْ فُرْسانهم ، ووثِقنا بنصر الله أولياءه ، وإنجازِ مَوْعِدِه ، وإعزاز دينه ، وإذلال المشركين، حتى لا يتنعَ أحدهم أُمَّه ، ولا حَليلتَه ، ولا نفسه ، حتى يتوقَّلوا[1] فى رءوس الجبال ، ويَعْجَزوا عن منع الحصون ، ويَجْنَحُوا للسَّلم[2] ، ويلتمسوا الصلح ، « سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قدْ خَلَتْ مِنْ قَبلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً » .

ثم أعلمْ من قبلك من المسلمين أنى قادم عليهم بجماعة أهل الإسلام إن شاء الله ، فليُحْسِنوا بالله الظنّ ، ولا يجدن أهل حربكم وعدوكم فيكم ضعفاً ، ولا وَهَناً ، ولا فَشَلاً ، فيغتمزُوا فيكم ، ويتجرَّءوا عليكم ، أعزَّنا الله وإياكم بنصره ، وألبَسنا وإياكم عافيتَه وعفوه ، والسلام عليك » . (فتوح الشام ص ١٤٤)

١٣٤ — كتاب عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء

فلما ورد على عمرو كتاب أبى عبيدة سار إلى إيلياء « بيت المقدس » وكتب إلى بطارقتها :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمَن بالله العظيم الذى لا إله إلا هو ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فإنا نُثْنى على ربنا خيراً ، ونَحْمَده حمداً كثيراً

---

(١) وقل فى الجبل كوعد وتوقل : صعد . (٢) السلم : الصلح .

كما رحمنا بنبيّه ، وشرّفنا برسالته ، وأكرمنا بدينه ، وأعزّنا بطاعته ، وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته ، فلسنا ـ والحمد لله ـ نجعل له نِدًّا ، ولا نتخذ من دونه إلهاً ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَنْ شَطَطًا ، سبحانه وبحمده وجَلّ ثناؤه ، والحمد لله الذى جعلكم شِيَعاً ، وجعلكم فى دينكم أحزابًا بكفركم بربكم ، فكلُّ حِزْب بما لَدَيهم فَرِحون . فمنكم من يزعم أن لله وَلَداً ، ومنكم من يزعم أن الله ثانى اثنين ، ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة ، فبُعْدًا لمن أشرك بالله وسُحْقًا ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، والحمد لله الذى قتل بطارقتكم ، وسلب عِزَّكم ، وطرد من هذه البلاد ملوككم ، وأورثَنا أرضكم وديارَكم وأموالكم ، وأذلكم بكفركم بالله ، وشِرْككم به ، وترككم ما دعونا كم إليه من الإيمان بالله ورسوله ، فأعقبكم اللهُ الجُوعَ والخوفَ والذّل بما كنتم تصنعون ، فإذا أتاكم كتابى هذا فأَسْلِمُوا تَسْلَموا ، وإلاّ فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابًا أمانا على دمائكم وأموالكم ، وأَعْقِد لكم عَقْدًا تؤدّوا إلىّ الجزية عن يَدٍ وأنتم صاغِرون ، وإلاّ فوالله الذى لا إله إلا هو لَأَرْمِيَنّكم بالخيل بعد الخيل ، وبالرجال بعد الرجال ، ثم لا اقْلِع عنكم حتى أَقْتل المقاتِلَةَ ، وأَسْبِيَ الذرية ، وتكونوا كأمة كانت ، فأصبحت كأنها لم تكن » .

(فتوح الشأم ص ١٤٧)

١٣٥ — كتاب أهل إيلياء إلى عمرو بن العاص

وكان أهل إيلياء قد بعثوا عيناً لهم ، فأتاهم فأخبرهم أن باهان قد أقبل من قِبَل ملك الروم فى ثلاثة عساكر ، كل عسكر منها أكثر من مائة ألف مقاتل ، وأن العرب لما بلغهم ماسار إليهم من تلك الجموع ، عَلِموا أنه لا قِبَل

لهم بما جاءهم ، فانصرفوا راجعين ، وقد كان أوائل العرب دخلوا أرض قِنَّسْرِين فأخرجوهم منها ، ثم أتَوْا أرض حمص فأخرجوهم منها ، ثم أتَوا أرض دمشق فأخرجوهم منها ، ثم أقبلت العرب نحو الأُرْدُنّ نحو صاحبهم الذى كتب إليكم ، والروم فى آثارهم يسوقونهم سَوقاً عنيفاً سريعاً إلى ماقِبَلكم من البلاد ، فتباشَرُوا بذلك وسُرُّوا به ، وكتبوا إلى عمرو :

« أما بعدُ : فإنك كتبت إلينا كتاباً تُزَكِّى فيه نفسَك، وتَعِيب مانحن عليه ، والقولُ بالباطل لاينفع به أحد نفسَه ، ولا يضرُّ به عدوَّه ، وقد فَهِمْنَا مادعوتنا إليه ، وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاءوكم ، فإن أَظْهَرَكم الله عليكم فذلك بلاؤه عندنا فى القديم ، وإن ابتلانا بظهوركم علينا ، فلعمرى لَنُقِرَّنّ(١) لكم بالصَّغار ، وما نحن إلا كمن ظَهَرْتم عليهم من إخواننا ، ثم دَانُوا لكم ، فأعطوْكم ما سألتم » . (فتوح الشام ص ١٤٩)

١٣٦ — كتاب أبى عبيدة إلى عمر

وخرج أبو عبيدة من دمشق بالمسلمين إلى بلاد الأُرْدُنّ ، وعلى مقدمته خالد بن الوليد حتى نزل اليَرْموك وأقبل عمرو حتى نزل معه ، وجاشت الروم على المسلمين ودَنَوْا منهم ، فقال مُعاذ بن جَبَل ، ورجال معه من المسلمين لأبى عبيدة : ألاَ تكتبُ إلى أمير المؤمنين تُعْلِمه علم هذه الجيوش التى قد جاءتنا وتسألُه المَدَد ؟ فكتب إليه مع عبد الله بن قُرْط الثُّمالِىّ :

« أما بعدُ : أخبر أمير المؤمنين — أكرمه الله — أن الروم نَفَرت إلى

---

(١) فى الأصل « لقرب» وهو محرف ، والصغار : الذل ، ودانوا : خضعوا .

المسلمين برًّا وبحراً ، ولم يخلّفوا وراءهم رجلا يُطيق حمل السلاح إلاَّ جاشُوا به ، وأخرجوا معهم القِسِّيسين والأَساقِفة ، ونزلت إليهم الرُّهبان من الصوامع ، واستجاشوا بأهل أَرْمِينِيَةَ ، وأهل الجزيرة ، وجاءونا وهم نحو من أربعمائة ألف رجل ، وإنه لما بلغني ذلك من أمرهم كرِهْتُ أن أغُرّ المسلمين من أنفسهم ، أوأَكْتُمَهم ما بلغني عنهم ، فكشفتُ لهم عن الخبر ، وشرحت لهم عن الأمر ، وسألتهم عن الرأى ، فرأَى المسلمون أن يتنَحَّوا[1] إلى أرض من أرض الشام ، ثم يضم إلينا أطرافنا وقواصينا ، ونكون بذلك المكان جماعتنا حتى يَقْدَم علينا من قبل أمير المؤمنين المددُ لنا ، فالعَجَلَ العجَلَ يا أمير المؤمنين بالرجال بعد الرجال ، وإلاَّ فاحتسِبْ أنفُسَ المؤمنين إن هم أقاموا ، ودينَهم منهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم مالا قِبَلَ لهم به ، إلاَّ أَن يُمِدهم الله بملائكتِه ، أو يأتيهم بغياثٍ من قِبَله ، والسلام عليك » . (فتوح الشام ص ١٦٠)

١٣٧ — رد عمر على أبي عبيدة

فكتب عمر إلى أبي عبيدة :

« أما بعدُ : فقد قَدِم عليّ أخو ثُمَالة بكتابك يخبرني فيه بنَفِير الروم إلى المسلمين برًّا وبحراً ، وبما جاشوا عليكم من أساقفتهم وقِسِّيسهم ورهبانهم ، وإن ربنا المحمود عندنا ، والصانِع لنا ، والعظيم ذا المنّ والنعمة الدائمة علينا ، قد رأى مكان هؤلاء الأسافقة والرهبان حيثُ بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحقّ ، وأعزه بالنصرة ، ونصره بالرعب على عدوه ، وقال ـ وهو لا يخاف

---

(١) في الأصل « نحوا » .

الميعاد : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » فلا تهولنَّك كثرةُ ماجاءك منهم ، فإن الله منهم برىء ، ومن بَرِئَ الله منه كان قَمِناً[١] أنْ لا تنفعَه كثرة ، وأن يكِلَه الله إلى نفسه ويخذُله ، ولا توحِشْك قلةُ المسلمين فى المشركين[٢] فإن الله معك ، وليس قليلاً مَن كان الله معه ، فأَقِمْ بمكانِك الذى أنت به حتى تَلْقَى عدوك وتُناجِزَهم ، وتستظهِرَ بالله عليهم ، وكفى به ظَهيراً ووَلِيًّا ونصيرًا ، وقد فهمت مقالتك : « احتسب أنفس المسلمين إن هم أقاموا ، ودينَهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم مالا قِبَلَ لهم به ، إلا أن يُمِدَّهم الله بملائكته ، ويأتيهم بغِيَاث من قِبله » وايمُ اللهِ لولا استثناؤك بهذا لقد كنتَ أسأتَ ، ولعمرى إن أقام[٣] لهم المسلمون وصَبَرُوا فأُصِيبُوا ، لَمَا عند الله خيرٌ للأبرار . ولقد قال الله عز وجل : « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ[٤] وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » ، فطُوبَى[٥] للشهداء ، وإنّ لِمَنْ عَقَل عن الله ممن معك من المسلمين لَأُسْوَةً بالمُصرَّعين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطنه ، فما عَجَز الذين قاتلوا فى سبيل الله ، ولا هابُوا الموت فى جَنْبِ الله ، ولا وَهَن الذين بقُوا من بعده ، ولا استكانوا لمصيبتهم ، ولكنهم تأسَّوْا بهم ، وجاهدوا فى الله مَنْ خالفهم منهم ، وفارق دينَهم ، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال : « وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ[٦] كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا

(١) القمين كأمين ، والقمن ككتف وجمل : الخليق الجدير (والمحركة لا تثنى ولا تجمع) .

(٢) أى فى جنب المشركين . (٣) فى الأصل « أقاموا » وهو محرف .

(٤) النحب : الأجل . (٥) الطوبى : الحسنى والخير .

(٦) قيل الربيون : العلماء الأتقياء الصبر ، وقيل : الجماعات الكثيرة .

أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح ، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة .

وأقرأ كتابي هذا على الناس ، ومُرْهم فليقاتلوا فى سبيل الله ، وليَصْبِروا كيما يؤتيَهم الله ثواب الدنيا ، وحُسْنَ ثواب الآخرة .

فأما قولك : إنهم قد جاءهم مالا قِبَلَ لهم به ، فإن لا يكن لكم بهم قبل ، فإن لله بهم قِبَلا ، ولم يزل ربنا عليهم مقتدِراً ، ولو كنا والله إنما نقاتل الناس بحَوْلنا وقوّتنا وكثرتنا ، لهيهاتَ ما قد أبادونا[1] وأهلكونا ، ولكن نتوكل على الله ربنا ، ونَبْرأ إليه من الحَوْل والقوة ، ونسأله النصر والرحمة ، وإنكم منصورون إن شاء الله على كل حال ، فأخْلِصوا لله نيتكم ، وارفعوا إليه رَغْبتكم ، واصبِرُوا وَصابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . (فتوح الشأم ص ١٦٢)

وبعث إليه عمرُ سعيدَ بن عامر بن حِذْيَم فى جَيْشٍ مَدَدا له .

(١) ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيهات ، أى لوقعت إبادتهم لنا منذ زمن بعد .

١٣٨ — كتاب باهان إلى قيصر

وكتب باهان إلى قيصر :

« أما بعدُ : فإنا نسأل الله لك أيها الملك ولجندك وأهل مملكتك النصر، ولدينك وأهلِ سلطانك العِزَّ ، فإنك قد بعثتنى فيما لا يُحْصِيه من العدد إلا الله ، فقَدِمْتُ على قوم فأرسلت إليهم ، وهيَّبْتُهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطمعوا ، وخوَّفتهم فلم يخافوا ، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا ، وجعلت لهم الجُعْلَ على أن ينصرفوا فلم يفعلوا ، وقد ذُعِر منهم جندك ذُعْرًا شديداً ، وقد خشيت أن يكونوا الفشل قد عمَّهم ، والرعبُ قد دخل فى قلوبهم ، إلاّ أن منهم رجالا قد عَرَفتهم ليسوا بفُرَّار عن عدوهم ، ولا شُكَّاك[1] فى دينهم ، ولو قد لَقُوهم لم يَفِرّوا حتى يظهَروا أوْ يُقتلوا ، وقد جمعتُ أهل الرأى من أصحابى ، وأهل النصيحة لملكنا وديننا ، فاجتمع رأيهم على النهوض إليهم جميعاً فى يوم واحد ، ثم لا نُزَايلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم » .

ونشِبت بين الفريقين وقعة اليَرْمُوك ، وكانت النُّصرة فيها للمسلمين ، والدَّبْرة[2] على المشركين ، ولما انتهى خبر الهزيمة إلى ملك الروم وهو بأنطاكية ، نادى فى أصحابه بالرحيل إلى القُسْطَنْطِينِيَّة راجعاً ، فلما خرج من أرض الشأم ، وأشرف على أرض الروم ، استقبل الشأم بوجهه ، فقال : السلام عليك يا سُورية سلامَ مودِّع لا يرى أنه يرجع إليك أبدا » .

وكانت وقعة اليَرْمُوك فى رجب سنة خمس عشرة[3] . (فتوح الشأم ص ١٨٧)

---

(١) فرار وشكاك جمع فارّ وشاكّ . (٢) الدبرة : الهزيمة .

(٣) هذا فى رواية ، وفى رواية أخرى أن وقعة اليرموك كانت فى أواخر خلافة أبى بكر رضى الله عنه كما قدمنا انظر ص ١٥٤ .

١٣٩ — كتاب أبى عبيدة إلى ميسرة بن مسروق

ثم إن أبا عبيدة دعا مَيْسَرة بن مسروق فسَرَّحه فى ألفى فارس ، فمضى فى آثار القوم حتى قطع الدُّرُوب(١) ، وبلغ مرج القبائل وهى ناحية أنطاكية والمَصِيصة ، ثم انصرف راجعاً ، وكان أبو عبيدة قد أشفق عليهم حين بلغه أنهم أَدْربوا وجَزِع جزعا شديداً ، وندم على إرساله إياهم فى طلب الروم ، فكتب إلى ميسرة :

« أما بعدُ : فإذا أتاك رسولى هذا فأقبِلْ إلىَّ حين تنظر فى كتابى هذا ، ولا تُعَرِّجَنَّ على شىء ، فإن سلامة رجل واحد من المسلمين أحبُّ إلىَّ من جميع أموال المشركين ، والسلام عليك » .

فوافاه كتاب أبى عبيدة وقد هَبَط من الدروب راجعاً ، وأقبل حتى قَدِم على أبى عبيدة . (فتوح الشأم ص ٢١٨)

١٤٠ — كتاب أبى عبيدة إلى أهل إيلياء

وكتب أبو عبيدة إلى أهل إيلياء :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيليا وسُكَّانها ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمَن بالله العظيم ورسوله ، أما بعدُ : فإنا ندعوكم إلى شهادة أَنْ لا إلهَ إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، « وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَارَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللّٰهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى الْقُبُورِ » فإذا

---

(١) الدروب : جمع درب بالفتح : وهو كل مدخل إلى الروم ، وأدربوا : دخلوا الدرب .

شَهِدتم بذلك حَرُمَت علينا دماؤكم وأموالكم ، وكنتم إخواننا فى ديننا ، وإن أَبَيْتم فأقِرُّوا لنا بإعطاء الجزية عن يَدٍ وأنتم صاغرون ، وإن أَبَيْتم سِرت إليكم بقوم هم أشد حُبًّا للموت منكم للحياة واشُرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتُلَ مقاتِلتكم، وأسْبِىَ ذَرَارِيَّكم».

(فتوح الشأم ص ٢١٩)

١٤١ — كتاب أبى عبيدة إلى عمر

وكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين أظهره الله على أهل اليرموك وخرج يطلبهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لِعَبْدِ الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة ابن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فالحمد لله الذى أهلك المشركين ، ونَصَر المسلمين ، وقديمًا ما تَوَلَّى اللهُ أمرهم ، وأظهرَ فَلْجَهم ، وأعَزَّ دعوتهم ، فتبارك الله رب العالمين .

أُخْبِر أمير المؤمنين — أكرمه الله — أنَّا لَقِينا الرومَ ، وهم فى جموع لم تَلْقَ العربُ مثلها جموعا قطُّ ، فأتَوا وهم يَرَون أنْ لا غالبَ لهم من الناس أحد ، فقاتَلُوا المسلمين قتالا شديداً ما قُوتِل المسلمون مِثْلَه فى مَوْطِنٍ قَطُّ ، ورزق الله المسلمين الصبرَ ، وأنزل عليهم النصرَ ، فقتَلَهم اللهُ فى كل قرية ، وكل شِعْبٍ[١] ، وكل وادٍ وجبل وسهل ، وغَنِم المسلمون عسكرهم ، وما كان فيه من أموالهم ومَتاعهم ، ثم إنى أتبعتهم بالمسلمين حتى بلغتُ أقاصِىَ بلاد

(١) الشعب : الطريق فى الجبل .

الشأم ، وقد بعثت إلى أهل الشأم عُمّالى ، وقد بعثتُ إلى أهل إيلياء أدعوهم إلى الإسلام ، فإن قبلوا وإلاّ فليُؤَدُّوا إلينا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فإن أبَوا سرتُ إليهم حتى أنزِل بهم ، ثم لا أزايلهم حتى يفتح الله على المسلمين ، إن شاء الله ، والسلام عليك » . (فتوح الشأم ص ٢٢)

١٤٢ — رد عمر على أبى عبيدة

فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة بن الجراح ، سلام عليك فإنى أحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنه أتانى كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من إهلاك الله المشركين ، ونُصْرة المؤمنين ، وما صنع الله لأوليائه ، وأهل طاعته ، فأحمَدُ الله على حسن صنيعه إلينا ، وأستَتِمُّ اللهَ ذلك بشكره ، ثم اعلموا أنكم لم تظهَروا على عدوكم بعَدَد ، ولا عُدّة ، ولا حَوْلٍ ولا قوة ، ولكنه بعون الله ونصره ومَنِّه وفضله ، فلله الطَّوْل والمَنّ والفضل العظيم ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام » .

(فتوح الشأم ص ٢٢١)

١٤٣ — كتاب سعيد بن زيد إلى أبى عبيدة

وانتظر أبو عبيدة أهل إيلياء فأبَوا أن يأتوه فيصالحوه ، فأقبل إليهم حتى نزل بهم ، فحاصرهم حصاراً شديداً ، وضيَّق عليهم من كل جانب ، فخرجوا إليه ذات يوم فقاتلوا المسلمين ساعة ، ثم إن المسلمين شدُّوا عليهم

من كل جانب فقاتلوهم ساعة ، ثم انهزموا فدخلوا حِصْنهم، فكان الذى ولى قتالهم خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبى سفيان، كل واحد منهما فى جانب ، فبلغ ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وهو على دمشق ، فكتب إلى أبى عبيدة :

« من سعيد بن زيد إلى أبى عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فإنى أَحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنى لَعَمْرِى ما كنتُ لِأُوثِرك وأصحابَك بالجهاد فى سبيل الله على نفسى ، وعلى ما يقرِّبنى من مَرْضاة ربى عز وجل ، فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى عملك مَن هو أرغَبُ فيه منى ، فَلْيَعْمَل لك عليه ما بدا لك ، فإنى قادم عليك وَشِيكا إن شاء الله والسلام » .

فلما وصل كتابه إلى أبى عبيدة قال : أَشْهَد لَيَفْعَلَنَّها ، فقال ليزيد ابن أبى سفيان : اكْفِنى دمشق ، فوجّهه إليها ، فسار يزيد إليها فَوَلِيَها .

(فتوح الشأم ص ٢٢١)

١٤٤ — كتاب أبى عبيدة إلى عمر

فلما حصر أبو عبيدة أهلَ إيلياء ورأَوْا أنه غير مُقْلِع عنهم ، وأنهم لا طاقةَ لهم بحربه ، سألوه الصلح ، فقبل منهم فقالوا : أرسِلْ إلى خليفتكم عمر فيكونَ هو الذى يعطينا العهد ، وهو يصالحنا ويكتب لنا الأمان ، فقبل ذلك أبو عبيدة منهم وهَمَّ بالكتاب ، فقال له مُعاذ بن جبل . تكتب إلى أمير المؤمنين ، وتسأله القدوم عليك فلعلّه يَقْدَم عليك ، ثم يأبَى هؤلاء الصلح ، فيكون مسيره عناء وفضلا[1] ، فلا تكتب إليه حتى تتوثق من هؤلاء ،

(١) الفضل : الزيادة .

وتستحلفهم بأيمانهم المغلّظة لئن أنت سألت أمير المؤمنين القدوم عليهم ، وكتبت إليه بذلك فقدِم عليهم فأعطاهم الأمان ، وكتب لهم كتابا على الصلح لَيقْبَلُن ذلك ، ففعل أبو عبيدة ما أشار به مُعاذ ، ثم كتب إلى عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة ابن الجراح ، سلام عليك فإنى أحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنا أقمْنا على إيلياء ، وظنوا أن لهم فى المطاولة بهم فرَجا ورجاء ، فلم يَزِدْهم الله بها إلا ضِيقاً ونقصاً وهُزُلاً وأَزْلاً[1] ، فلما رأوا ذلك سألونا أن نُعطيهم ما كانوا به ممتنعين قبل ذلك ، وله كارهين ، وإنهم سألوا الصلح على أن يَقْدَم عليهم أمير المؤمنين فيكونَ هو المؤَمِّن لهم ، والكاتب لهم كتابا ، وإنا خشِينا أن يَقْدَم أمير المؤمنين ، ثم يغدر القوم ، فيرجعون ، فيكون مسيرك — أصلحك الله — عناء وفضلاً . فأخذنا عليهم المواثيق المغلّظة بأيمانهم : لئن أنت قَدِمتَ عليهم فأمّنتهم على أنفسهم وأموالهم ليقبلُنّ ذلك ، وليؤدُّن الجزية ، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ، ففعلوا وأخذنا عليهم الأيمان بذلك ، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تَقْدَم علينا فافعل ، فإن فى مسيرك أجْرًا وصلاحا وعافيةً للمسلمين ، أراك الله رَشَدك ، ويَسّرَ أمرك ، والسلام عليك » . (فتوح الشأم ص ٢٢٤)

(١) الأزل : الضيق والشدّة .

١٤٥ — كتاب عمر إلى معاوية

قال الطبري : وكتب عمر إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسرِّح معاوية إلى قَيْسَارِيَة ، وكتب إلى معاوية :

« أما بعد : فإني قد وَلَّيتك قَيْسارِيَة ، فسِرْ إليها واستنصِر الله عليهم وأكثر من قولِ : لا حَولَ ولا قوة إلا بالله ، اللهُ ربُّنا وثِقتُنا ورجاؤنا ومولانا ، نعم المولى ، ونعم النصير » .

فسار معاوية إلى قيسارية وفتحها سنة ١٥ هـ . (تاريخ الطبري ٤ : ١٥٦)

١٤٦ — كتاب أرطبون الرومي إلى عمرو بن العاص

وقال : وكتب عمر إلى عمرو بن العاص يأمره بصدم أَرْطَبُون — وكان أَدْهَى الروم وأبعدَها غَوْرا وأنكاها فعلا — فصَمَد إليه[1] ، والتقوا بأجنادَيْنِ ، فاقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم[2] ، ثم انهزم أرطبون فأَوَى إلى إيلياء ، ونزل عمرو أجنادين ، وكتب أرطبون إلى عمرو :

« إنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، واللهِ لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فارجع ولا تغترَّ فَتَلْقَى ما لَقِيَ الذين قبلك من الهزيمة » .

(١) وقد كتب إلى عمر يخبره أن أرطبون أعد لقتاله حداً عظيما ، فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عمَّ تنفرج .

(٢) ذكر الطبري خبر تلك الموقعة في حوادث سنة ١٥ ، وفي رواية أخرى له ولغيره أنها كانت في أواخر خلافة أبي بكر في جمادى الأولى سنة ١٣ ، كما قدمنا انظر ص ١٥٤ .

١٤٧ — رد عمرو على كتاب أرطبون

فكتب إليه عمرو :

«جاءني كتابك ، وأنت نظيري ومثلي في قومك لو أخطأتكَ خَصْلَةٌ ، تجاهَلْتَ فضيلتي ، وقد علمتَ أني صاحب فتح هذه البلاد ، وأَسْتعدِي[1] عليك فلانا وفلانا وفلانا — لوزرائه — فأقرِئْهُمْ كتابي ، ولْيَنْظروا فيما بيني وبينك[2] » . (تاريخ الطبري ٤ : ١٥٨)

١٤٨ — عهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء

ولما قدِمَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشأم ، ونزل بالجابية ، أتاه أهل إيلياء ، فصالحهم عمر ، وكتب لهم أمانا ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان .

أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصُلْبانهم ، وسقيمهم وبريئهم ، وسائر ملَّتهم ، أنه لا تُسْكَنُ كنائسهم ، ولا تُهْدم ، ولا يُنْتَقَص

---

(١) استعداه استعانه واستنصره .

(٢) ذكر الطبري أن عمرا لما جاءه كتاب أرطبون ، دعا رجلا يتكلم بالرومية ، فأرسله إلى أرطبون ، وأمره أن يغرب ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله ، فخرج الرسول إلى أرطبون ، فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر ، فاقترأه فضحكوا ، وأقبلوا على أرطبون ، فقالوا : من أين علمت أنه ليس صاحبها ؟ قال : صاحبها رجل اسمه عمر ، ثلاثة أحرف ، فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر ، وكتب إلى عمر يستمده ويقول : « إني أعالج حربا كئودا صدوما وبلادا ادخرت لك فرأيك » فنادى عمر في الناس . ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية ، وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بها ليوم سماه لهم ، وأن يستخلفوا على أعمالهم ، وقد قدمنا أن عمر قدم إلى الشأم ، لأن أهل إيلياء طلبوا أن يكون هو المتولي لعقد الصلح وهو الأرجح .

منها ، ولا من حيِّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكْرَهون على دينهم ، ولا يُضارُّ أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يُعْطوا الجزية ، كما يعطى أهل المدائن[1] ، وعليهم أن يُخْرِجُوا منها الروم واللُّصُوت[2] ، فمن خرج منهم . فإنه آمِنٌ على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مَأْمَنَهم ، ومن أقام منهم فهو آمِن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

ومن أحبَّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويُخَلِّيَ بِيَعهم وصُلُبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بِيَعهم وصلبهم حتى يبلغوا مَأْمَنَهم .

ومن كان بها من أهل الأرض قبل مَقْتَل « فلان » فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحْصَد حَصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب عَهْدُ الله ، وذمة رسوله . وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، إذا أعطَوْا الذى عليهم من الجزية » .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن ابن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان .

---

(١) أى مدائن الشأم .

(٢) اللصوت جمع لصت بفتح اللام، وهو اللص . قال رفيع بن عميرة الطائى :

رعيت الضأن أحميها بكلبى … من اللصت الخفى وكل ذيب

(انظر أسد الغابة ٢ : ١٥٦) .

وكتب وحضر سنة خمس عشرة

وكتب لأهل « لُدّ » ومن دخل معهم من أهل فلسطين أمانا كأمان أهل إيلياء . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٥٩)

وروى القلقشندى فى صبح الأعشى ج ١٣ : ص ٣٥٧ كتابا كتبه عمر لنصارى الشام حين صالحهم ، ونصّه نص عهد أبى عبيدة لأهل دمشق الذى ورد آنفاً مع تغيير يسير .

١٤٩ — كتاب عمر إلى عمار بن ياسر

ولما كان عمر رضى الله عنه بالشأم قال له عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين . إن أهل هذه البلاد يأتوننا بعصير قد عصَروه وطبخوه قبل أن يَغْلِىَ ، فيأتون به حُلْوا كأنه الرُّبّ[1] ، قد طبخوه حتى ذهب ثلثاه ، وبَقِى الثلث ، فنظر إليه عمر وقال : لا أظن بهذا بأساً ، ذهب حرامُه وبقِىَ حلالُهُ ثم قال : اشرب منه يا عمرو فلا بأس به ، وقال : كأن هذا طِلاء الإبل ، فسمى يومئذ « الطِّلاء » .

ثم إن عمر كتب فيه بعد ذلك إلى عَمَّار بن ياسر[2] . « أما بعد : فإنى هبطْتُ أرض الشأم ، فأتَوْنى بشراب لهم ، فسألتهم كيف تصنعون به ؟ فأخبرونى أنهم يطبخونه حتى يذهب ثلثاه ، ويبقى ثلثه ، وذلك حين يذهب رَتَبُه[3] ، وريحُ حَنُونه ، ويذهب حرامه ، ويبقى حلاله والطيِّب منه ، فمُر من قِبَلك من المسلمين فليستعينوا به فى شرابهم ، والسلام » . (فتوح الشأم ص ٢٣٠)

---

(١) الرب : سلافة كل ثمرة بعد اعتصارها . (٢) وكان عمر ولاه الكوفة سنة ٢١ هـ .

(٣) الرتب بالتحريك : الشدة ، وفى الأصل « ربته » وأراه محرفا ، والحنون : الريح التى لها حين كحنين الابل .

١٥٠ — كتب بين عمر وبين خالد

وبلغ عُمَرَ أن خالد بن الوليد دخل الحَمَّام فتدَلَّك بعد النُّورة[١] بثَخِين عُصْفُرٍ معجون بخَمْر ، فكتب إليه :

« بلغنى أنك تدَلَّكتَ بخمر ، وإن الله قد حَرَّم ظاهِرَ الخمر وباطنه ، كما حرَّم ظاهر الإثم وباطنه ، وقد حرَّم مَسَّ الخمر إلا أن تُغْسَل كما حرَّم شربَها ، فلا تُمِسُّوها أجسادَكم فإنها نَجَسٌ ، وإن فعلتم فلا تعودوا » .

⁂

فكتب إليه خالد :

« إنا قتلناها فعادتْ غَسُولاً[٢] غيرَ خَمْر » .

*

فكتب إليه عمر :

« إنى أظن آلَ المُغِيرَةِ[٣] قد ابْتُلُوا بالجَفاء ، فلا أماتكم الله عليه » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٠٤ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٦٣)

١٥١ — كتاب عمر إلى أبى عبيدة

وكان خالد بن الوليد بعد أن فتح قِنِّسرين أدْرَبَ وَرَاء هِرَقْل[٤] هو وعياض بن غَنْم (سنة ١٧ هـ) فأصابا أموالا عظيمة ، فلما قَفَل خالد ، انْتَجعه

(١) النورة : حجر يحرق ويسوّى منه الكلس ويحلق به شعر العانة .
(٢) قتل الخمر : مزجها بالماء وأزال بذلك حدّتها والغسول : ما يغتسل به .
(٣) المغيرة : جد خالد .
(٤) ولما بلغ عمر ما فعل خالد قال : أمّر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم بالرجال منى

رجال من أهل الآفاق ، فكان الأشعث بن قيس ممن انتجعه بقنسرين ، فأجازه بعشرة آلاف ـ وكان عمر لا يَخْفَى عليه شيء فى عمله : كُتب إليه من العراق بخروج من خرج ، ومن الشأم بجائزة من أُجيزَ فيها ـ فدعا البريد ، وكتب معه إلى أبى عبيدة :

« أن يقيم خالداً ويَعْقِله بعمامته ، وينزِ عَ عنه قَلَنْسُوته ، حتى يُعْلِمَهم من أين إجازة الأشعث : أمِنْ مالِه أم من إصابةٍ أصابها ؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها ، فقد أقرَّ بخيانة ، و إن زعم أنها من ماله فقد أسرف ، وأعزله على كل حال ، واُضْمم إليك عَمَلَه » .

فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ثم جمع الناس ، فقام البريد فقال : ياخالد ، أمِن مالك أجزْتَ بعشرة آلاف أم من إصابة ؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه ، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً ، فقام بلال إليه ، فقال : إن أمير المؤمنين أمَرَ فيك بكذا وكذا ، ثم تناول قلنسوته فَعَقَلَه بعمامته ، وقال ما تقول : أمِنْ مالك أم من إصابة ؟ قال : لا ، بل من مالى ، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عمَّمه بيده ، ثم قال : نسمع ونطيع لوُلاتنا ، ونفخِّم ، ونخدِمُ موالِينا[1] » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٠٥)

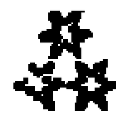
---

(١) قالوا : وأقام خالد متحيرا لا يدرى : أمعزول أم غير معزول ، وجعل أبو عبيدة لا يخبره ، حتى إذا طال على عمر أن يقدم ، ظن الذى قد كان ، فكتب إليه بالإقبال ، فأتى خالد أبا عبيدة فقال : رحمك الله ، ما أردت إلى ما صنعت ؟ كتمتنى أمرا كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم ، فقال أبو عبيدة : إنى والله ما كنت لأروّعك ما وجدت لذلك بدًّا ، وقد علمت أن ذلك يروّعك ، فرجع خالد إلى قنسرين فخطب أهل عمله وودعهم وتحمل ، ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ، ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال : لقد شكوتك إلى المسلمين ، وبالله إنك فى أمرى غير مجمل يا عمر . فقال عمر : من أين هذا الثرى ؟ قال : من الأنفال والسهمان (بالضم جمع سهم) وما زاد على الستين ألفاً فلك ، فقوّم عمر عروضه ، فخرجت إليه عشرون ألفاً ، فأدخلها بيت المال ، ثم قال : ياخالد والله إنك علىّ لكريم ، وإنك إلىّ لحبيب ، ولن تعاتبنى بعد اليوم على شىء ، ومات خالد رحمه الله سنة ٢١ هـ .

١٥٢ — كتب بين أبى عبيدة وبين عمر

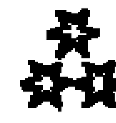
وكتب أبو عبيدة إلى عمر :

« إن نَفَرًا من المسلمين أصابوا الشرابَ ، منهم ضِرارٌ وأبو جَنْدل ، فسألناهم فتأوَّلوا ، وقالوا : خُيِّرنا فاخترنا ، قال : « فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ(١) » ولم يعزِم علينا » .



فكتب إليه عمر :

« فذلك بيننا وبينهم ، « فهل أنتم منتهون » يعنى فانتهوا » .

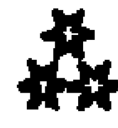


وجمع الناس ، فاجتمعوا على أن يُضْرَبوا فيها ثمانين جلدةً ، ويُضَمَّنوا الفسق ، ومن تأوَّل عليها بمثل هذا ، فإن أبَى قُتِل ، فكتب عمر إلى أبى عبيدة :

« أن ادْعُهم على رُءوس الناس واسألهم : أحرامٌ الخمرُ أم حلال ؟ فإن قالوا : حرام ، فاجلدهم ثمانين جلدة واستَتِبْهم ، وإن قالوا : حلال فاضرب أعناقهم » .

---

(١) قال تعالى : « يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » .



فدعا بهم فسألهم ، فقالوا : بل حرام ، فجلدهم ، وحُدَّ القوم ونَدِموا على لَجَاجتهم ، واستحيَوْا فلزِمُوا البيوت ، ووَسْوَس أبو جندل ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر :

« إن أبا جندل قد وسوس ، إلا أن يأتيَه الله على يديك بفرَج ، فاكتب إليه وذكِّره » .

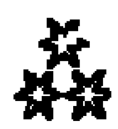


فكتب إليه عمر وذكَّره :

« من عمر إلى أبي جندل :

« إِنَّ اللهَ لاَ يَغفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » .

فتُبْ وارفع رأسك ، وابْرُز ولا تَقْنَط ، فإن الله عز وجل يقول : « يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .



فلما قرأه عليه أبو عبيدة ، تطلَّقَ وأسفر وجهه ، وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا ، وكتب إلى الناس :

« عليكم أنفسَكم ، ومن استوجب التغيير فغيِّروا عليه ، ولا تعيِّروا أحدا فيفشوَ فيكم البَلاء » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢٢ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧٣)

١٥٣ — كتاب عمر إلى أبى عبيدة

وقد كان أهل الشأم حَصَروا أبا عبيدة وأصحابه فأصابهم جَهْد ، فكتب إليه عمر :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإنه لم تكن شدة إلا جعل الله بعدها فرَجا ، ولن يغلب عُسْر يُسْرَيْن[1] « يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

١٥٤ — رد أبى عبيدة على عمر

فكتب إليه أبو عبيدة :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإن الله تبارك وتعالى قال : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ

---

(١) أى أن الله يبدل المؤمن بعسره يسراً فى الدنيا ويسرا فى الآخره ، أى فرجا عاجلا فى الدنيا وثوابا آجلا فى الآخرة .

« وجاء فى لسان العرب : قال الله تعالى : « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » روى عن ابن مسعود أنه قرأ ذلك وقال : لا يغلب عسر يسرين ، وسئل أبو العباس عن تفسير قول ابن مسعود ومراده من هذا القول . فقال : قال الفراء : العرب إذا ذكرت نكرة ثم أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنتين ، وإذا أعادتها بمعرفة فهى هى : تقول من ذلك : إذا كسبت درهما فأنفق درهما ، فالثانى غير الأول ، وإذا أعدته بالألف واللام فهى هى تقول من ذلك : إذا كسبت درهما فأنفق الدرهم فالثانى هو الأول قال أبو العباس : وهذا معنى قول ابن مسعود ، لأن الله تعالى لما ذكر العسر ثم أعاده بالألف واللام علم أنه هو ، ولما ذكر يسراً ثم أعاده بلا ألف ولام علم أن الثانى غير الأول ، فصار العسر الثانى العسر الأول ، وصار يسرثان غير يسر بدأ بذكره » .

وجاء فى حاشية الصبان فى أول باب النكرة والمعرفة : « قالوا إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى ، وإن أعيدت معرفة أو أعيدت المعرفة معرفة أو نكرة كانت نفس الأولى ، وحملوا على ذلك ما روى : لن يغلب عسر يسرين ، . . . . الخ » .

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

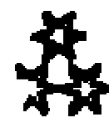
فلم يلبث أن ورد البشير على عمر بفتح الله على أبى عبيدة وهزم المشركين

(كتاب الخراج ص ١٧٢)

١٥٥ — كتب بين أبى عبيدة وبين عمر

ولما وقع بالشأم طاعون عمواس[1] سنة ١٨ هـ ، وقيل سنة ١٧ هـ — واشتعل الوَجَعُ فى الناس ، وبلغ ذلك عمر ، كتب إلى أبى عبيدة ليستخرجه منه :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإنه قد عَرَضَتْ لى إليك حاجةٌ أريد أن أُشافِهَك فيها ، فعَزَمْتُ عليك إذا نظرتَ فى كتابى هذا ألاّ تضعَه من يدك حتى تُقْبِلَ إلىّ » .



فعَرَف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء ، وقال : يغفر الله لأمير المؤمنين ! ثم كتب إليه :

---

(١) «ضبط فى لسان العرب بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقال ياقوت فى معجمه : رواه الزمخشرى بكسر أوله وسكون الثانى ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه ، وهى كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس على ستة أميال من الرملة ، ومنها كان ابتداء الطاعون فى أيام عمر بن الخطاب ثم فشا فى أرض الشأم» .

« يا أمير المؤمنين إنى قد عَرَفت حاجَتَك إلىّ ، وإنى فى جُنْدٍ من المسلمين لا أجد بنفسى رَغبةً عنهم ، فلستُ أُريد فِرافَهم حتى يَقْضِيَ اللهُ فىَّ وفيهم أمْرَه وقضاءه ، فحَلِّلْنى من عَزْمتك يا أمير المؤمنين ودَعْنى فى جندى » .

⁂

فلما قرأ عمر الكتاب بكى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، أمات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأنْ قَدْ ، ثم كتب إليه :

« سلام عليك ، أما بعدُ : فإنك أنزلت الناس أرضاً غَمِقَةً[1] ، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نَزْهة[2] » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١ ٢ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٧٥)

وفى لسان العرب ـ فى مادة غمق ـ أنه كتب إليه :

« إن الأُرْدُنَّ أرض غَمِقة ، وإن الجابية أرض نزهة ، فاظْهَرْ بمن معك من المسلمين إليها » .

١٥٦ — كتاب معاذ بن جبل إلى عمر

وعمَّ طاعون عمواس أهل الشأم ، ومات فيه بَشَر كثير ، منهم أبو عبيدة بن الجراح رحمه الله ، وكان قد استخلف مُعاذَ بن جَبَل رضى الله عنه ، فكتب إلى عمر رضى الله عنه يَنْعى أبا عبيدة :

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين من مُعاذ بن جَبَلٍ . سلام عليك ، فإنى

---

(١) أرض غمقة كفرحة : ذات ندى وثقل ووخامة ، أو قريبة من المياه ، وفى الأصل « عميقة » وهو محرف . (٢) أرض نزهة بفتح فسكون وتكسر الزاى ، ونزيهة : أى بعيدة عن الريف وعمق المياه وذبان القرى وومد البحار وفساد الهواء .

أَحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إلٰهَ إلا هو ، أما بعدُ : فاحتَسِبِ امرًا كان لله أميناً ، وكان اللهُ فى عَيْنه عظيما ، وكان علينا وعليك يا أميرالمؤمنين عزيزاً : أبا عُبَيْدة ابن الجَرّاح ، غَفَر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر : « وَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » وعند الله نحتسِبُه ، وبالله نَثِقُ له ، كتبتُ إليك ، وقد فشا الموتُ وهذا الوباء فى الناس ، ولن يُخْطِئَ أحداً أجَلُه من الموت ، ومن لم يَمُتْ فسيموت ، جعل الله لهُ ما عنده خيراً لنا من الدنيا ، إن أبقانا أو أهْلَكنا ، فجزاك اللهُ عن جماعة المسلمين ، وعن خاصّتِنا وعامّتنا رحمتَه ومَغفِرَتَه ورِضْوانَه وجَنَّته ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته » .

(فتوح الشام ص ٢٤٧)

١٥٧ — كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

ثم طُعِنَ مُعاذُ بن جَبَل فمات رحمه الله ، وكان قد استخلف عَمْرَو ابن العاص ، فكتب إلى عمر يَنْعى مُعاذاً :

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنى أَحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإن مُعاذ بن جبل رَحِمَه الله هَلَك ، وقد فشا الموت فى المسلمين ، وقد استأذنونى فى التنَحِّى عنه إلى البَرِّ ، وقد علمتُ أن إقامة المُقيم لا تقرِّبُه من أجَلَه ، وأن هرَب الهارب منه لا يُباعِدُه من أجله ، ولا يَدْفع به قَدَرَه ، والسلام عليك ورحمة الله » .

(فتوح الشام ص ٢٤٧)

١٥٨ — كتاب عمر إلى يزيد بن ابى سفيان

ثم إن عمر رضى الله عنه كتب إلى يزيد بن أبى سفيان :

« أما بعد ، فقد ولَّيتك أجناد الشأم كلِّه ، وكتبت إليهم أن يسمعوا لك ويُطيعوا ، وألاّ يخالفوا لك أمرا ، فاخرج فعسْكِر بالمسلمين ثم سر إلى قَيْسَارِيَة ، فانزِلْ عليها ثم لا تفارقْها حتى يفتَحَها الله عليك ، فإنه لا ينبغى افتتاح ما افتحتم من أرض الشأم مع مُقامِ أهل قيسارية فيها ، وهم عدوّكم وإلى جانبكم ، وإنه لايزال قيصر طامعاً فى الشأم ما بقِىَ فيها أحد من أهل طاعته مَنِيعاً[1] ، ولو قد فتحتموها قَطَعَ الله رجاءه من جميع الشأم ، والله عز وجل فاعل ذلك وصانع للمسلمين إن شاء الله » .

(فتوح الشأم ص ٢٥٠)

١٥٩ — كتاب عمر إلى أمراء الأجناد

فخرج يزيد بن أبى سُفيان فعسْكَر بالمسلمين ، وجاء كتاب من عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد نسخةً واحدة :

« أما بعدُ . فقد ولَّيتُ يزيد بن أبى سفيان أجنادَ الشأم كلِّه ، وأمرتُه أن يسير إلى أهل قَيْسارِية ، فلا تعصُوا له أمرا ، ولا تخالِفُوا له رأيًا ، والسلام »

(فتوح الشأم ص ٢٥٠)

---

(١) فى الأصل « مبيعا » ، وهو تحريف .

١٦٠ — كتاب يزيد بن أبي سفيان إلى أمراء الأجناد

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة :

« أما بعدُ : فإني قد ضربتُ على الناس بَعْثا أريد أن أسير بهم إلى قيسارية ، فأخرِجوا من كل ثلاثةٍ رجلاً ، وعجِّلوا إشخاصَهم إليّ والسلام » .

فلم يلبث إلا قليلا حتى توَافَتْ عنده عساكر الأجناد فسار إلى قيسارية وكان بها جموع من بطارقة الروم وفُرسانهم وأشدائهم كثيرة ، وكل من كَرِه الدخول في دين الإسلام من النصارى ، ومن كَرِه الجزية ، فحمل عليهم ، وقتل منهم مَقْتلة عظيمة ، وانهزموا انهزاما شديداً[١] » .

(فتوح الشأم : ص ٢٥١)

١٦١ — كتاب عمر إلى معاوية

وكتب عمر رضى الله عنه إلى معاوية[٢] كتابًا في القضاء يقول فيه :

« أما بعدُ ، فإني كتبت إليك بكتاب في القضاء لم آلُك[٣] ونفسِي فيه خيراً ، الْزَم خمسَ خِصال يَسْلَمْ لك دينُك ، وتأخذ فيه بأفضل حَظِّك : إذا تقدم إليك الخَصْمان فعليك بالبَيِّنة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وأَدْنِ الضعيفَ حتى يشتدَّ قلبُه ، وينبَسط لسانُه ، وتعهَّد[٤] الغَريب ، فإنك إن لم تتعهده

(١) وفى رواية الطبرى أن عمر كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يسرح معاوية إلى قيسارية ، وأن فتحها كان سنة ١٥ هـ ، انظر ما قدمناه فى ص ١٩١ .

(٢) ذكر الطبرى أن يزيد بن أبي سفيان توفى فى طاعون عمواس ، فلما انتهى مصابه إلى عمر ، أمر أخاه معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها .

(٣) ألا كعدا : قصر ، وهو لا يألوك نصحا أى لا يقصر .

(٤) وفى العقد الفريد « وتعاهد » وتعهده وتعاهده واعتهده : تفقده .

تَرَكَ حقه ، ورجع إلى أهله ، وإنما ضيّع حَقه مَن لم يَرْفُق به ، وآسِ بين الناس فى لَحْظك وطَرْفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبِنْ لك فَصْلُ القضاء[1] » .

(البيان والتبيين ٢ : ٧٥ ، والعقد الفريد ١ : ٢٧ ، وكتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٤٠)

١٦٢ — كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

ولمّا قَدِم عمر الشام سنة ١٨ هـ خلا به عمرو بن العاص ، وجعل يرغّبه فى فتح مصر ، وما زال به حتى أجابه فعَقَد له على أربعة آلاف رجل ، وقال له : سر وأنا مستخيرٌ الله فى مسيرك ، وسيأتى كتابى إليك سريعاً إن شاء الله ، فإن أدركك كتابى وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها ، أو شيئاً من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك ، واستعِنْ بالله واستنصره ، فسار إليها عمرو ، واستخار عمرُ اللهَ فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك ، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين ، فأدرك الكتاب عمراً وهو برَفَح ، فتخوّف إنْ هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافَعَه وسار حتى نزل قرية فيما بين رَفَح والعَريش ، فسأل عنها فقيل إنها من مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه على

---

(١) روى أبو يوسف فى كتاب الخراج هذا الكتاب ، وذكر أنه كتبه عمر إلى أبى عبيدة بالشأم ، وقد جاء فيه موضع قوله : « وإنما ضيع حقه من لم يرفق به » هذه العبارة « وإن الذى أبطل من لم يرفع به رأساً » وهو تحريف ، وصوابه « وإنما الذى أبطل حقه من لم يرفع له رأساً » أوهو : « وإنما الذى أبطل حقه من لم يرفق به ، وآس . . . . » ثم حرّف « وآس » إلى « رأساً » . ورواه ابن أبى الحديد فى شرحه جزءا من كتاب كتبه عمر إلى أبى موسى الأشعرى كما سيرد عليك بعد

المسلمين ، ثم قال : ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر؟ قالوا . بلى ، فقال إن أمير المؤمنين عهد إلىّ وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع ، وإن لم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ، وكان كتاب عمر إليه :

« من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، أما بعدُ : فإنك سرت إلى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم ، وإنما معك نَفر يسير ، ولعمرى لو نُكِّل بك ما سِرْتَ بهم ، فإن لم تكن بلغتَ مصر فارجع » .

(خطط المقريزى ١ : ٢٨٨ ، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ١ : ٤٦)

١٦٣ — كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وسار عمرو بن العاص إلى أن بلغ « الفرَما » فقاتله بها الروم قتالا شديداً ثم فتحها الله على يديه ، وتقدم إلى بُلْبَيْس ففتحها ، ومضى حتى أتى أمّ دُنَيْن[1] فناهضوه مناهضة عنيفة وأبطأ عليه الفتح . فكتب إلى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف ، فسار بمن معه حتى نزل على حصن بابلْيُون[2] وقاتلهم قتالا شديداً يصبّحهم ويمسّيهم ، فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر يستمده ، فأمده بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجلٍ منهم رجلٌ وكتب إليه :

---

(١) هى قرية كانت على النيل . وموقعها الآن ما بين عابدين والأزبكية بالقاهرة — ومن ذلك تعلم أن النيل غير مجراه منذ ذلك العهد وتحول إلى الغرب . (٢) هو حصن قديم لا يعرف مؤسسه ، وقيل بناه الفرس أيام ملكوا مصر ، وقد جدّده الامبراطور تراجان على الطراز الرومانى ، ولا تزال بعض بقاياه باقية إلى الآن بالقرب من كنيسة مارى جرجس بمصر القديمة . وكان العرب يسمونه قصر الشمع

« إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، منهم رجال مقام الألف : الزُّبير بن العوام ، والمِقْداد بن الأسود ، وعُبادة بن الصَّامِت ، ومَسْلَمَة ابن مَخْلَد ، واعلم أن معك اثنى عشر ألفاً ، ولا يُغْلَب اثنا عشر ألفاً من قِلَّة » .

وحاصر عمرو الحصن سبعة أشهر حتى فتحه .

(حسن المحاضرة ١ : ٤٧ ، وخطط المقريزى ١ : ٢٨٩)

١٦٤ — عهد عمرو بن العاص لأهل مصر

ولما رأى القِبط أَنْ لا طاقةَ لهم بحرب قومٍ فلُّوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم ، طلبوا الصلح ، فقبل منهم عمرو بن العاص ، وكتب لهم كتاباً . صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمانِ على أنفسهم وملَّتهم وأموالهم ، وكنائسهم وصُلُبهم ، وبرِّهم وبحرهم ، لا يُدْخَل عليهم شىء من ذلك ، ولا يُنْتَقَص ، ولا تساكنهم النُّوبَة .

وعلى أهل مصر أن يُعْطُوا الجزيةَ ـ إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم ـ خمسين ألفَ ألفٍ ، وعليهم ما جَنَى لُصَوتُهم[1] ، فإن أَبَى أحدٌ منهم أن يُجيبَ رُفِعَ عنهم من الجزاء[2] بقَدْرِهم ، وذمَّتنا ممن أَبَى بريئة .

وإن نَقَصَ نهرهم عن غايته إذا انتهى ، رُفِعَ عنهم بقدر ذلك ، ومَن

(١) اللصوت جمع لصت مثلث اللام وهو اللص ، وفى رواية صبح الأعشى « وعليه نصر من جنى عليهم » أى وعلى عمرو أن ينصرهم ويعينهم على من اعتدى عليهم ، مقابل دفعهم الجزية .

(٢) الجزية ماتؤخذ من الذمى ، والجمع جزى كإلى وجزى كحمل وجزاء كحال .

دَخَلَ فى صُلْحهم من الروم والنّوبة ، فله مثلُ مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أَبَى واختار الذهاب فهو مِنٌ حتى يبلغ مَأْمَنه ، أو يخرج من سلطاننا ، وعليهم ما عليهم أثلاثاً ، فى كل ثُلُثٍ جِبايةُ ثلثِ ما عليهم .

على ما فى هذا الكتاب عهدُ الله وذمته ، وذمة رسوله ، وذمة الخليفة أمير المؤمنين ، وذمم المؤمنين .

وعلى النّوبة الذين استجابوا أن يُعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً ، وعلى أن لا يُغْزَوا ، ولا يُمْنَعُوا مِن تجارة صادرة ولا واردة » .

شهد الزُّبير ، وعبد الله ، ومحمد ابناه ، وكتب وَرْدانُ وحضر .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢٩ ، وصبح الأعشى ١٣ : ٣٠٤ ، والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ : ٢٤)

١٦٥ — كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

ثم خرج عمرو إلى الإسكندرية لقتال من تجمع بها من الروم ، وأقام على حصارها أربعة عشر شهراً ، حتى فتحها يوم الجمعة مستهلّ المحرم سنة عشرين هـ .

وذكروا أنه لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتحُ مصر (يعنى الإسكندرية) كتب إلى عمرو بن العاص .

أما بعدُ : فقد عجِبْتُ لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونهم منذُ سنتين . وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبَّ عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لاينصر قومًا إلا بِصِدْق نياتهم ، وقد كنتُ وجَّهت إليك أربعةَ نَفَر . وأعلمتُك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت

أعرِف ، إلا أن يكون غيَّرهم ما غيَّرهم ، فإذا أتاك كتابى فاخطُب الناس ، وحُضَّهم على قتال عدوهم ورغِّبْهم فى الصبر والنية ، وقدِّم أولئك الأربعةَ فى صدور الناس ، ومُرِ الناس جميعاً أن يكون لهم صَدْمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزَّوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل لرحمة فيها ، ووقتُ الإجابة ، وليَعِجّ(١) الناسُ إلى الله ، ويسألوه النصر على عدوهم » .

فلما أتى عمراً الكتابُ جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئك النفر فقدَّمهم أمامَ الناس ، وأمَرَ الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا إلى الله تعالى ، ويسألوه النصر على عدوهم ، ففعلوا ، ففتح الله عليهم . (حسن المحاضرة ١ : ٥٣ ، وخطط المقريزى ١ : ١٦٥)

١٦٦ — كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وأرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص : إن أحببتَ أن أعطيك الجزية على أن تردَّ علىّ ما أصبتم من سبايا أرضى فعلت ، فبعث إليه عمرو : إنّ ورائى أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه ، فإن شئت أن أُمسِكَ عنك وتمسك عنى حتى أكتب إليه بالذى عَرَضْت علىّ ، فإن هو قبل ذلك منك قبلتُ ، وإن أمرنى بغير ذلك مضيتُ لأمره ، فقال : نعم ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب فى ذلك ، فجاءه كتاب عمر ، وفيه : « أما بعدُ : فإنه جاءنى كتابك تذكُرُ أن صاحب الإسكندرية

---

(١) عج يعجّ كفرّ وملّ : صاح ورفع صوته .

عَرَض أن يُعْطِيَكَ الجِزية ، على أن تردَّ عليه ما أصيب من سَبَايَا أرضه ، ولَعَمْرِى لِجَزْيةٌ قائمة تكون لنا ولمن بَعْدَنَا من المسلمين أَحَبُّ إلىّ من فَىْء يُقْسَم ، ثم كأنه لم يكن ، فاْعرِضْ على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية ، على أن تُخَيِّروا مَن فى أيديكم من سَبْيهم بين الإسلام وبين دين قومه ، فمن اختار منهم الإسلام ، فهو من المسلمين ، له مالهم وعليه ماعليهم ، ومن اختار دين قومه وُضِعَ عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه ، فأمَّا مَن تَفَرَّق مِنْ سبيهم بأرض العرب فبلغ مكةَ والمدينة واليمن ، فإنا لا نقدِر على ردهم ، ولا نحبُّ أن نصالحه على أمر لا نَفِى له به » .

فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يُعْلِمه الذى كتب به أمير المؤمنين ، فقال قد فعلت . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢٧)

١٦٧ — كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وروى أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية همَّ أن يسكنها ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك ، فسأل عمر الرسول : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب إلى عمرو :

« إنى لا أحب أن تُنْزِل المسلمين منزلا يَحُول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف » .

فتحوَّل عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط .

(خطط المقريزى ١ : ١٦٧ ، حسن المحاضرة ١ : ٥٧)

١٦٨ - كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

ولما استقرّ عمرو بن العاص على ولاية مصر، كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنْ صِفْ لى مصر، فكتب إليه:

« وَرَدَ كتاب أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يسألنى عن مصر: اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرْية غَبْراء[1]، وشجرة خضراء، طُولُها شَهْر، وعَرْضُها عشْر[2]، يَكْنُفُها جبلٌ أغْبَر، ورمل أعْفَر[3]، يخطُّ وسَطَها نيلٌ مُبارَكُ الغُدُوات، مَيمونُ الرَّوْحات، تَجْرِى فيهِ الزيادةُ والنقصانُ كَجَرْيِ الشمس والقمر، له أوَانٌ يَدُرّ حِلاَبُه[4]، ويكثر فيه ذُبابُه، تُمدُّه عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا ما اصْلَخَمَّ عَجَاجه[5]، وتعظَّمت أمواجُه، فاض على جانبيه، فلم يمكن التخلص من القُرَى بعضها إلى بعض إلا فى صغار المراكب، وخِفاف القوارب، وزَوارق كأنهن فى المَخَايِلِ وُرْقُ الأصائل[6]، فإذا تكامل فى زيادته نَكَصَ على عَقِبَيْه كأوَّل ما بدأ فى جَرْيته، وطَمَا فى دِرَّته[7]، فعند ذلك تخرج أهلُ مِلَّةٍ مَحْقُورة،

---

(١) غبراء وصف من الغبرة بالضم، وهى لون الغبار، مثل صحارى مصر بقرية غبراء، وواديها الخصيب بشجرة خضراء. (٢) المراد عشرة أيام (وإذا حذف المعدود جاز تذكير العدد وتأنيثه كحديث: وأتبعه ستا من شوال) والمعنى أن عرضها أقل من طولها.

(٣) الأعفر: الرمل الأحمر. والأعفر أيضاً: الأبيض وليس بالشديد البياض.

(٤) الدر بالفتح اللبن، وقد درّ الضرع كنصر وضرب، والحلاب: استخراج ما فى الضرع من اللبن كالحلب (واستعمل هنا لما يحلب) والمعنى: له وقت يغزر فيه ماؤه ويفيض.

(٥) اصلخمّ: اشتد، بحر مصلخم: أى جسيم شديد ماض، ونهر عجاج: أى كثير الماء يسمع لمائه المتدفق عجيجاً أى صوتا. (٦) المخايل جمع مخيلة كمعيشة، خال الشيء مخيلة: ظنه، والأصائل جمع أصيل وهو العشى، والورق جمع ورقاء، وهى الحمامة فى لونها بياض إلى سواد،

(٧) نكص: رجع، وطما الماء يطمو ويطمى: علا، والدرة بالكسر: اسم من الدر بالفتح وهو اللبن كما تقدم، والمعنى فى زيادته وفيضه.

وذِمَّة مَخْفُورة(١) ، يَحْرُثون الأرض ، ويبذُرُون بها الحبّ ، يرجُون بذلك النَّماء من الربّ ، لغيرهم ما سَعَوا من كَدِّهم ، فنالَهُ منهم بغير جِدّهم(٢) ، فإذا أحْدَقَ(٣) الزرع وأشْرَقَ ، سقاه النّدى ، وغَذَاه من تحته الثَّرَى ، فبينما مصرُ يا أميرَ المؤمنين لؤلؤةٌ بيضاء ، إذْ هى عَنْبَرة سوداء ، فإذا هى زُمُرُّذَةٌ خضراء ، فإذا هى دِيباجَة رَقْشاء(٤) ، فتبارك اللهُ الخالق لما يشاء ، والذى يُصْلِحُ هذه البلادَ ويُنَمِّيها ، ويُقِرّ قاطِنِها فيها ، ألاَّ يُقبَلَ قولُ خَسِيسها فى رئيسها ، وألاَّ يُسْتَأْدَى(٥) خَراجُ ثمرة إلا فى أوانها ، وأن يُصْرف ثلثُ ارتفاعها فى

---

(١) خفره كضرب : نقض عهده وغدره كأخفره ، ومعنى قوله « أهل ملة محقورة ، وذمة مخفورة » أن الرومان كانوا يحقرونهم ويمتهنونهم ويستذلونهم ، ولا يرعون لهم عهداً ولا ذمة ، وكذا قوله « لغيرهم ما سعوا من كدهم » أى إنهم كانوا يكدون فى حرث الأرض وزرعها ثم يستحوذ الرومان على محصولها ، وقد ذكر المؤرخون أن أهل مصر فى آخر الحكم الرومانى كانوا بمثابة آلات لإنبات القمح ، وأن مصر كانت مزرعة تصدره إلى رومة .

(٢) الضمير فيه يعود على « غيرهم » وأعاد الضمير مجموعا مراعاة لمعنى غير ، فهى مفردة لفظاً متعددة معنى ونص الأصل « بغير جده » ثم حرف ، وهو الأظهر .

(٣) أحدق : أى استدار ، وأشرق : تفتح نوره . (٤) الديباجة : الخد ، والرقشاء المنقطة بسواد وبياض ، يصف بذلك طريقة إرواء الحياض التى كانت مستعملة فى ذلك العهد (وما زالت حتى اليوم فى أعالى الصعيد) إذ تطلق المياه فى حيانها فتغمر الأرض فتبدو كأنها لؤلؤة بيضاء ، ثم تصفى منها وترسب على وجهها ما حملته المياه من الغرين الأسود (والغرين : كأمير ودرهم : الطين) فتبدو كأنها عنبرة سوداء ، ثم نبت فيها الزرع الأخضر وينمو ، فكأنها زمردة خضراء ، ثم يتلون بألوانه عند النضج فتصير كأنها صفحة رقشاء ، وقد جاء فى خطط المقريزى (١ : ٢٦).

ووصف بعضهم مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء ، فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر فى أشهر أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء ، وضياعها على روابى وتلال مثل الكواكب قد أحيطت بالمياه من كل وجه ، فلا سبيل إلى قرية من قراها إلا فى الزوارق ، وأما المسكة السوداء فإن فى أشهر بابه وهاتور وكيهك ينكشف الماء عن الأرض فتصير أرضاً سوداء ، وفى هذه الأشهر تقع الزراعات ، وأما الزمردة الخضراء فإن فى أشهر طوبة وأمشير وبرمهات يكثر نبات الأرض وربيعها فتصير خضراء كأنها زمردة ، وأما السبيكة الحمراء فإن فى أشهر برمودة وبشنس وبئونة يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد ، فيكون كالسبيكة التى من الذهب منظراً ومنفعة » (٥) أى يطلب إليه أداؤه .

عَمَل جُسُورِها وتُرعها ، فإذا تقرّر الحال مع العمال على هذه الأحوال ، تضاعَف ارتفاعُ المـال ، والله تعالى يوفّقُ فى المَبْدأ والمآل » .

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لله دَرُّك يابن العاص ! لقد وَصَفْتَ لى خبراً كأنى أشاهده .

(النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ : ٣٢)

١٦٩ — كتاب معاوية إلى عمر

وألحّ معاوية على عمر فى غزو البحر ، وكتب إليه كتابًا يرغّبه فيه ، ويقول :

« يا أمير المؤمنين ، إن بالشأم قريةً يسمع أهلُها نُباحَ كلاب الروم ، وصِياح ديوكهم ، وهم تِلْقَاء ساحل من سواحل حِمْص[١] » .

فاتّهمه عمر ، لأنه المُشِير ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو عامله على مصر أن صِفْ لى البحر وراكبَه ، فكتب إليه عمرو .

١٧٠ — كتاب عمرو بن العاص إلى عمر

« يا أمير المؤمنين ، إن البحر خلق عظيم ، يَرْكَبُه خلق صغير . إنْ رَكَنَ[٢] خرّق القلوبَ ، وإن تحرّك أزاغ العقُولَ ، يزداد فيه اليقين قِلّةً والشكُّ كثرةً ، ليس إلا السماء والماء . وإنما هم فيه كَدُودٍ على عُودٍ ، إن مال غَرِقَ ، وإن نجا بَرِقَ[٣] » .

(١) يعنى جزيرة « قبرس » وقد غزاها معاوية وفتحها فى خلافة عثمان سنة ٢٨ هـ .
(٢) أى هدأ وسكن ، ويقال رجل ركين إذا كان ساكنا وقورا رزينا ، وقد ركن ركانة كفصح . (٣) برق كفرح وصر : تحيّر حتى لا يطرف ، أو دهش فلم يبصر .

. فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية : « لا ، والذى بعث محمداً بالحق لا أَحْمِلُ فيه مُسْلِماً أبدا » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٥١ ، والعقد الفريد ١ : ٢٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧)

١٧١ — كتاب عمر إلى عمرو بن العاص

وروى أنه لما ولى عمرو بن العاص مصرَ ، أتاه أهلها حين دخل شهر بَؤُونة ، فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا سُنَّةً لا يجرى إلا بها ، فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إنه إذا كان فى اثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عَمَدْنا إلى جارية بِكرمن عند أبويها ، فأرضينا أبويها وأخذناها وجعلنا عليها من الحُلِىِّ والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى النيل فيجرى ، فقال لهم عمرو بن العاص : إن هذا لا يكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يَهْدِم ما كان قبله . فأقاموا بؤونة ، وأبيب ، ومِسْرَى ، لا يجرى النيل قليلاً ولا كثيرًا ، حتى همّوا بالجَلاء . فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب إليه عمر بن الخطاب أن :

« قد أصبتَ ، إن الإسلام يهدم ما قبله . وقد بعثتُ إليك ببِطاقةٍ فألْقِها فى النيل إذا أتاك كتابى »

فلما قدم الكتاب على عمرو بن العاص ، فتح البطاقة ، فإذا فيها :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر :

أما بعدُ ، فإن كنت تجرى من قِبَلِكَ فلا تَجْرِ ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يُجْرِيك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يُجْرِيَك » .

فعرّفهم عمرو بكتاب أمير المؤمنين ، وبالبطاقة ، ثم ألقى البطاقة فى النيل قبل يوم عيد الصّليب بيوم ، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها، لأنه لا يقوم بمصالحهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم عيد الصليب، وقدأجراه الله ستة عشرَ ذراعًا فى ليلة واحدة ، وقطع تلك السنة القبيحة عن أهل مصر ببركة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه » .

(النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ : ٣٦ ، وخطط المقريزى ١ : ٥٨)

١٧٢ — كتاب عمر إلى عمرو

وأصاب الناس بالمدينة جَهْد شديد فى خلافة عمر، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك . أما بعدُ : فلَعَمْرِى ياعمرو ما تُبالى إذا شَبِعْتَ أنت ، ومن معك أن أهْلِكَ أنا ومن معى ، فيا غَوْثاه ، ثم يا غوثاه » .

(حسن المحاضرة ١ : ٦٨ ، وخطط المقريزى ٢ : ١٤١)

١٧٣ — رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عبد الله عمرو بن العاص ، أما بعد ، فيا لبَّيْك ثم يا لبَّيْك ، قد بعثْتُ إليك بِعِيرٍ[1] أوّلها عندك ، وآخرها عندى والسلام عليك ورحمة الله » .

---

(١) العير : القافلة ، أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد من لفظها .

فبعث إليه بعِيرٍ عظيمة ، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يَتْبع بعضها بعضاً . (حسن المحاضرة ١ : ٦٨ ، وخطط المقريزى ٢ : ١٤١)

١٧٤ — كتاب عمر إلى عمرو

وذكروا أن أول من بَنَى غُرْفة بمصر خارجة بن حُذَافة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب إلى عمرو بن العاص :

« سلام عليك ، أما بعد : فإنه بلغنى أن خارجة بن حُذَافة بنى غُرفة أراد أن يطَّلع على عَوْراتِ جِيرانِه ، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدِمْها إن شاء الله ، والسلام » . (حسن المحاضره ١ : ٥٩)

١٧٥ — كتاب عمرو إلى عمر ورده عليه

ولما اختطَّتِ القبائل استحبَّت هَمْدانُ ومن والاها « الجِيزَة » وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يُعْلِمُه بما صَنَع الله للمسلمين ، وما فتح الله عليهم ، وما صنعوا فى خِطَطهم ، وما استحبَّتْ همدان ، ومن والاها من النزول بالجيزة . فكتب إليه عمر : يَحْمَد الله على ما كان من ذلك ، ويقول له : كيف رضيتَ أن تفرِّق أصحابك . ولم يكن ينبغى لك أن تَرْضَى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بَحْرٌ ، لا تَدْرِى ما يَفْجَؤهم ، فلعلك لا تقدر على غِياثهم حين ينزل بهم ما تكره ، فاجمعهم إليك ، فإن أبَوْا ، وأعجبهم موضِعُهم ، فابْنِ عليه من فَىْءِ المسلمين حِصْنا » .

فعرض ذلك عمرو عليهم ، فأبَوا وأعجَبَهم موضِعُهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رَهْطهم نافع وغيرها ، وأحبُّوا ما هنالك ، فبنى لهم عمرو بن العاص الحِصْن بالجيزة فى سنة إحدى وعشرين . وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين . (حسن المحاضرة ١ : ٥٩)

١٧٦ — كتاب عمر إلى عمرو

وكتب عمر إلى عمرو بن العاص :

« أما بعدُ : فإنى فَرَضْتُ لمن قِبَلى فى الديوان[1] ، ولمن وَرَد علينا فى المدينة من أهل المدينة وغيرهم ممن توجه إليك وإلى البُلدان ، فانظر من فرضتُ له ، ونزل بك فاردُد عليه العطاءَ وعلى ذرِّيته ، ومَن نَزَل بك ممن لم أفرِضْ له فافرِض له على نحوٍ مما رأيتَنى فرضتُ لأشباهه ، وخذ لنفسك مائتى دينار[2] ، فهذه فرائض أهل بَدْرٍ من المهاجرين والأنصار ، ولم أبلغ بهذا أحداً من نُظرائك غَيْرَك ، لأنك من عمال المســـلمين فألحقتُك بأرفَعِ ذلك .

(١) أى فرضت لهم عطاءهم .

(٢) علق على ذلك صاحب « أشهر مشاهير الإسلام » قال : « ليس هذا الفرض الذى فرضه لعمرو هو جرايته »(مرتبه) على عمله لا فرض العطاء ، إذ أن عمر رضى الله عنه كان يجرى على العمال جراية هى غير نصيبهم من العطاء ، فقد ذكر فى «سراج الملوك» أن عمر أجرى على عمار فى كل شهر ستمائة درهم مع عطائه لولايته وكتابه ومؤذنيه ومن كان يلى معه لما بعثه وبعث معه عثمان بن حنيف ، وابن مسعود إلى العراق وأجرى عليه فى كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها وأكارعها ، ونصف جريب كل يوم ، وأجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان عطاؤه خمسة آلاف درهم) وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم فى كل شهر وربع شاة فى كل يوم ، وأجرى على شريح القاضى مائة درهم فى كل شهر وعشرة أجربة ومن هذا نعلم أن عماله كان لهم جرايات على هذه النسبة وهى غير العطاء ، كما يتضح ذلك من قوله مع عطائه» اهـ .

وقد علمتَ أن مُؤَنًا تَلزمُك ، فَوفِّر الخراج وخذه مِن حَقِّه ، ثم عِفَّ عنه بعد جَمْعِه ، فإذا حصل إليك وجَمَعْتَه أَخرجتَ عطاءَ المسلمين وما يحتاج إليه مما لا بُدَّ منه ، ثم أنظر فيما فَضَل بعد ذلك فاحمِلْه إلىّ .

وأعلم أن ما قبَلك من أرض مصر ليس فيها خُمُسٌ . وإنما هى أرض صُلح[1] ، وما فيها للمسلمين فَىْءٌ : تَبْدَأ بمن أغنى عنهم[2] فى ثغورهم ، وأجْزَأَ عنهم فى أعمالهم ، ثم أَفِضْ ما فَضَل بعد ذلك على من سَمَّى اللهُ .

وأعلم ياعمرو أن الله يراك ويرى عملك ، فإنه قال تبارك وتعالى فى كتابه : « وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » يريد أن يقتدى به ، وأن معك أهل ذِمّة وعَهْد ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبط فقال : « استوْصُوا بالقبط خيراً فإن لهم ذِمّةً وَرَحِمًا[3] » وَرحِمُهم أن أم إسمٰعيل[4] منهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهَدًا أو كلَّفه فوق طاقته فأنا خَصْمُه يوم القيامة » احذر ياعمرو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خَصْماً ، فإنه من خاصَمَه خَصَمَه[5] واللهِ ياعمرو لقد ابتُليتُ بولاية

---

(١) اختلف المؤرخون فى فتح مصر : هل فتحت صلحا أو عنوة ، ومما قيل فى ذلك إن مصر فتحت صلحا (بعقد [illegible] عمرو بن العاص [illegible]) غير الأسكندرية وثلاث قريات ظاهروا الروم على المسلمين فهى فتحت عنوة ، فجعلها عمر بن الخطاب جميعا ذمة ، وأجرى ما فتح عنوة مجرى [illegible] فى خطط المقريزى «١ : ٢٩٤» وفى حسن المحاضرة «١ : ٥٥»)

(٢) أى عنهم ، [illegible] عنهم [illegible] مثبتة [illegible] ، وكذا أجزأ عنهم .

(٣) ورد فى حديث شريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما » وفى رواية أخرى : « إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم [illegible] » .

(٤) هى هاجر [illegible] مصرية [illegible] مصر (ويظن أنه أحد ملوك الأسرة [illegible] ٢٠٤٥ [illegible] سنة ٢١٦٠ قبل الميلاد) سارة زوج إبراهيم [illegible] مصرية .

(٥) أى غلبه فى الخصومة .

هذه الأمة ، وآنَسْت من نفسي ضَعْفاً ، وانتشَرَتْ[1] رعيتي ، ورَقَّ عَظْمي ، فأسأَلُ الله أن يقبضني إليه غيْرَ مُفَرِّط ، والله إني لأخشى لو مات جمل بأقصى عملك ضَيَاعا أن أُسْأَلَ عنه »
(أشهر مشاهير الإسلام : ج ٣ : ص ٦١٤)

١٧٧ — كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم   من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإني أحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإني فكّرتُ في أمرك والذي أنت عليه ، فإذا أرضُك أرضٌ واسعة ، عريضةٌ رفيعة ، قد أعطى الله أهلها عَدَدَا وجَلَداً وقوةً في بر وبحر ، وإنها قد عالجَتْها الفراعنةُ ، وعَمِلوا فيها عَمَلاً مُحْكَما مع شِدة عُتُوّهم وكفرهم ، فعجِبتُ من ذلك ، وأَعْجَبُ مما عجِبْتُ أنها لا تؤدّى نصفَ ما كانت تؤدّيه من الخراج قبل ذلك على غير قُحُوطٍ ولا جَدْب ، ولقد أكثرتُ في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج ، وظننتُ أن ذلك سيأتينا على غير تريُّث[2] ، ورجوتُ أن تُفيقَ فترفعَ إليّ ذلك ، فإذا أنت تأتيني بمَعَارِيض[3] تعبأُ بها ،

(١) أي رق وذاب .

(٢) التريث والريث : الإبطاء ، وفي نسخ المخاصرة «ترابث» وهو تحريف وقد أصلحته كما ترى ، وفي خطط المقريزي «نزر» ونزر الشيء ككرم نزرا كنصر : قلّ .

(٣) التعريض : خلاف التصريح ، والمعاريض : التورية بالشيء عن الشيء ، والمعاريض من الكلام ما عرّض به ولم يصرح ، جمع معراض من التعريض ، وأعرض الكلام ، ومعارضه ومعاريضه : كلام يشبه بعضه بعضا في المعاني ، كالرجل تسأله : هل رأيت فلانا فيكره أن يكذب وقد رآه . فيقول

لا توافقُ الذى فى نفسى ، ولستُ قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ، ولست أدرى مع ذلك ، ما الذى نفَّرك من كتابى وقَبَضَك ، فلئن كنتَ مجرِّبا كافيًا صحيحًا إن البراءة لنافعة ، ولئن كنت مُضَيِّعًا نطِعًا[1] إن الأمر لعَلَى غير ماتحدِّث به نفسَك ، وقد تركتُ أنْ أبتَلِيَ[2] ذلك منك فى العام الماضى ، رجاءَ أن تُفِيقَ فترفعَ إلىَّ ذلك ، وقد علمتُ أنه لم يمنعك من ذلك إلاَّ عُمَّالك عمال السوء ، وما توَالِسُ[3] عليك وتُلَفِّفُ ، اتخذوك كَهْفًا ، وعندى بإذن الله دواءٌ فيه شفاء عما أسألك عنه ، فلا تجزَعْ أبا عبد الله أن يُؤخذ منك الحق وتُعطاه . فإن النهر يُخْرِج الدُّرَّ ، والحقُّ أبْلَجُ[4] ، ودَعْنى وما عنه تَلَجْلَجُ ، فإنه قد بَرِحَ الخَفاءُ . والسلام » .

(حسن المحاضرة ١ : ٦٤ ، خطط المقريزى ١ : ٧٨)

١٧٨ — رد عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ، سلام عليك . فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعدُ فقد

[illegible] . أى [illegible]

(١) [illegible] كراء [illegible] وأنه [illegible]

(٣) [illegible] عليه [illegible] كدحل [illegible] وصح الأمر .

بلغنى كتاب أمير المؤمنين ، فى الذى استبطأنى فيه من الخراج ، والذى ذكر فيه من عمل الفراعنة قَبْلى ، وإعجابه من خراجها[١] على أيديهم ، ونقصِ ذلك منها منذ كان الإسلام ، ولَعَمْرِى لَلْخَراجُ يومئذ أَوْفَرُ وأكثر ، والأرض أَعْمَرُ ، لأنهم كانوا على كفرهم وَعُتُوِّهم أَرْغَبَ فى عمارة أرضهم منّا منذ كان الاسلام ، وذكرتَ أن النهر يخرج الدّرّ فَحَلَبْتُهَا حَلْباً قَطَعَ دَرَّها ، وأكثرتَ فى كتابك وأَنَّبْتَ وَعَرَّضْتَ وَتَرَّبْتَ[٢] ، وعلمتُ أن ذلك عن شيء تُخفيه عَلَى غير خُبْر[٣] ، فجئتَ لعمرى بالمُفْظِعات المُقْذِعَات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رَصِينٌ صارِمٌ ، بليغٌ صادق ، وقد عمِلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده ، فكنا بحمد الله مؤدِّين لأماناتنا ، حافظين لما عظَّم الله من حق أئمتنا ، نرى غير ذلك قبيحاً والعملَ به سَيْئا ، فيُعْرَف ذلك لنا ، ويصدق فيه قلبنا ، مَعاذَ الله من تلك الطُّعَم ، ومن شر الشِّيَم ، والاجتراء على كل مَأْثَم ، فاقبِضْ عملك فإن الله قد نزَّهنى عن تلك الطُّعَم الدنيَّة والرغبة فيها ، بعد كتابكَ الذى لم تستبْقِ فيه عِرْضاً ، ولم تُكرِم فيه أخاً ، والله يابن الخطاب : لأَنا حين يُراد ذلك منى أشدُّ لنفسى غضباً ، ولها إنزاهاً[٤] وإكراماً ، وما عَمِلْتُ من عملٍ أَرَى علىَّ فيه مُتَعَلَّقا ، ولكنى حفِظتُ ما لم تحفظ ، ولو كنتُ من يهود يثربَ ما زِدْتَ ، يغفرِ الله

(١) أى من خراج مصر . (٢) تربه : جعل عليه التراب ، فتترب أى تلوث و تلطخ بالتراب ولعل : وصفتنى بالعاب والمثالب ، وفى نسخة أخرى من حسن المحاضرة « وربت » من ربت الطفل كنصرت إذا ربيت . أقول : وربما كان الأصل « وثبت » أى توثبت وسرعت .

(٣) أى خبره ومعرفته ، وفظع الأمر ككرم ، وأفظع : اشتدت شناعته وجاوز المقدار فى ذلك وقذعه كمنعه ، وأقذعه وأقذع له : رماه بالفحش وسوء القول ، وقول مقذع بكسر الذال : فيه فحش وقذف وسب يقبح نشره . (٤) أى إبعادا وتنحية عن القبائح .

لك ولَنا وسكتُّ عن أشياءَ كنتُ بها عالما ، وكان اللسان بها منى ذَلُولا ، ولكن الله عظّم من حقك ما لا يُجْهل ، والسلام » .

(حسن المحاضرة ١ : ٦٤ ، خطط المقريزى ١ : ٧٨)

١٧٩ — رد عمر على عمرو

فكتب إليه عمر بن الخطاب :

« من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنى أحمَد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فقد عجِبْتُ من كثرة كتبي إليك فى إبطائك بالخراج ، وكتابك إلىّ بِبُنَيَّاتِ الطرق[1] ، وقد علمتَ أنى لست أرضى منك إلا بالحق البيّن . ولم أُقْدِمْك إلى مصر أجعلها لك طُعْمَةً ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوتُ من توفيرك الخَراجَ وحُسْن سياستك ، فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج فإنما هو فَىْء المسلمين ، وعندى مَن قد تعلم ، قوم محصورون ، والسلام » (حسن المحاضرة ١ : ٦٥ ، خطط المقريزى ١ : ٧٨)

١٨٠ — رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص ، سلام عليك . فإنى أحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو . أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج . ويزعم أنى أعنَدُ[2] عن الحق ، وأنكُبُ عن

(١) بنيات الطرق : هى الطرق الصغار تتشعب من الجادّة وهى الترهات (جمع ترّهة كقبرة) أى الأباطيل ، وفى الأصل « ببنيات طرق » وهو تحريف . (٢) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عنودا : مال ، ونكب عنه كنصر وفرح نكبا (كشمس وسبب) ونكوبا : عدل .

الطريق ، وإنى والله ما أرغبُ عن صالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تُدْرِكَ غَلَّتهم ، فنظرتُ للمسلمين ، فكان الرِّفْقُ بهم خيراً من أن نَخْرُقَ[1] بهم فيَصيروا إلى بيع ما لا غِنى بهم عنه ، والسلام » .

(حسن المحاضرة ١ : ٦٥ ، خطط المقريزى ١ : ٧٩)

١٨١ — كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص — وهو يومئذ أمير مصر — :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، أما بعدُ : فقد بلغنى أنه فَشَت لك فاشِيَة[2] من خيل وإبل وغنم وبقر وعَبِيد ، وعَهْدِى بك قبل ذلك ولا مَالَ لك ، فاكْتُبْ إلىَّ: من أينَ أصلُ هذا المال، ولا تكتُمه» . (صبح الأعشى ٦ : ٣٨٦ ، والعقد الفريد ١ : ١٦)

١٨٢ — رد عمرو بن العاص على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

«لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك ، فإنى أحمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ ، فإنه أتانى كتابُ أمير المؤمنين يذكُر فيه فاشيةَ مالٍ فشالى ، وأنه يعرِفنى قبل ذلك ولا مالى لى .

---

(١) الخرق كعنق وسبب : ضد الرفق وفعله كفرح.

(٢) الفاشية : كل ما انتشر من المال كالغنم السائمة والإبل وغيرها ، لأنها تفشو أى تنتشر فى الأرض ، وجمعها الفواشى .

وإنى أُعْلِم أمير المؤمنين أنى ببلدٍ ، السِّعْرُ فيه رخيصٌ ، وأنى أُعالِجُ من الحِرفة[١] والزراعة ما يعالِجُ أهله ، وفى رزق أمير المؤمنين[٢] سَعةٌ ، ووالله لو رأيتُ خيانتك حلالاً ما خُنتك ، فأَقْصِرْ[٣] أيها الرجلُ ، فإن لنا أحسابا هى خير من العمل لك ، إن رجَعْنا إليها عِشْنا بها ، ولَعَمْرِى إن عندك مَن لا تَذُمّ معيشتَه ، ولا تُذَمُّ له[٤] فإن كان ذلك فلم نَفْتَح قُفْلَك ، ولم نَشْرَكْك فى عملك » (صبح الأعشى ٦ : ٤٧٧ ، والعقد الفريد ١ : ١٦)

١٨٣ — رد عمر على عمرو بن العاص

فكتب إليه عمر :

« أما بعد ، فإنى وَاللهِ ما أنا من أساطيرك التى تسطِّر[٥] ، ونَسْقِك الكلامَ فى غير مَرْجِع ، لا يُغْنِى عنك أن تُزَكِّىَ نفسك ، وقد بعثتُ إليك محمد بن مَسْلَمَة فشاطِرْه مالك ، فإنكم أيها الرَّهْطُ الأمراء جلستم على عُيون[٦] المال لم يُعْزِكم عذر ، تجمعون لأبنائكم ، وتمهدون لأنفسكم ، أما إنكم تجمعون العار ، وتورِّثون النار ، والسلام » (العقد الفريد ١ : ٦)

---

(١) الحرفة : كل ما اشتغل الانسان به . يريد بها هنا التجارة كما سيأتى .
(٢) أى أن الرزق الذى فرضه لى أمير المؤمنين عظيم يسع حاجاتى ويفضل عنها فأدخر الفضل وأثمّره .
(٣) أقصر عن الشىء : كفّ عنه وانتهى .
(٤) فى هذه العبارة وما بعدها تحريف فى صبح الأعشى والعقد ، وقد أصلحتها بما يستقيم به المعنى وسيتضح لك المراد حينما تقرأ الروايات التالية .
(٥) الأساطير : الأباطيل والأحاديث لا نظام لها جمع إسطار وإسطير بالكسر ، وأسطور بالضم وبالهاء فى الكل ، وقيل جمع أسطار بالفتح وأسطار جمع سطر ، وسطر فلان علينا : أتانا بالأساطير وفى الأصل : « من أساطيرك آنسطر » وهو تحريف ، ونسق الشىء كنصر نسقا ونسقه : نظمه على السواء ، وربما كان الأصل « وتشقيقك الكلام » كما سيأتى فى الرواية الثالثة . فى غير مرجع : أى فى غير فائدة . يقال رجع كلامى فيه أى أفاد ، وهو متعلق بنسقك وخبر ما محذوف أى فى شىء كما سيأتى
(٦) أى خياره .

رواية ثانية

ورويت هذه المكاتبات بصورة ثانية ، وهى :

كتب عمر إلى عمرو بن العاص :

« إنه قد فشَتْ لك فاشِيةٌ من مَتاع ورقيقٍ وآنيةٍ وحيوانٍ لم يكن حين وَلِيتَ مصر »

فكتب إليه عمرو :

« إنِ أرضنا أرض مُزْدَرَع وَمُتَّجَر[1] ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا »

فكتب إليه عمر :

« إنى قد خَبَرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سُؤْتُ بك ظنا[2] ، وقد وجهت إليك محمد بن مَسْلَمة ليقاسمك مالك ، فأَطْلِعْه طِلْعه[3] وأخرج إليه ما يطالبك ، وأعْفِه من الغلظة عليك فإنه قد برِح الخَفاء » . (فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٢٦)

رواية ثالثة

وفى رواية ثالثة : أنه لما قلد عُمَرُ عمرَو بن العاص مصرَ ، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامِتٍ ، فكتب إليه :

---

(١) مصدران ميميان ، أى أرض زراعة وتجارة ، والفضل : الزيادة .

(٢) يقولون ؛ سؤت به ظنا وأسأت به الظن ، يثبتون الهمزة إذا جاءوا بالألف واللام ، وإنما نكر ظنا فى الأول لأنه منصوب على التميز ، وأما الظن فمفعول به .

(٣) أطلعه على الأمر : أعلمه به ، والاسم الطلع بالكسر ، وأطلعه طلعه : أعلمه إياه .

« أما بعدُ ، فقد ظهر لى من مالك ما لم يكن فى رزقك ، ولا كان لك مال قبل أن أستعمِلَك ، فأنىّ لك هــــذا ؟ فوالله لو لم يُهمَّنى فى ذات الله إلا من اختان(١) فى مال الله لـكَثُر همى ،وانتثر أمرى ، ولقد كان عندى من المهاجرين الأولين من هو خيرٌ منك ، ولـكنى قلَّدْتك رجاءَ غَنائِك(٢) ، فاكتب إلىّ : من أين لك هذا المالُ ؟ وعجِّلْ » .

فـكتب إليه عمرو :

« أما بعدُ : فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين ، فأمَّا ما ظَهَر لى من مال فإنا قَدِمنا بلادًا رخيصة الأسعار كثيرةَ الغزْو ، فجعَلْنا ما أصابنا فى الفُضُول التى اتصل بأمير المؤمنين نَبَؤُها ، ووالله لو كانت خيانتك حَلالا ما خنتك ، وقد ائتمنتنى ، فإن لنا أحسابا إذا رَجَعنا إليها أغنتنا عن خيانتك ، وذكرتَ أن عندك من المهاجرين الأولين مَن هو خير منى ، فإذا كان ذاك فوالله ما دققتُ لك يا أمير المؤمنين بابا ، ولا فتحتُ لك قُفْلاً » .

فـكتب إليه عمر :

« أما بعدُ ، فإنى لستُ مِن تسطيرِك الـكتابَ وتشقيقك(٣) الـكلامَ فى شىء ، ولـكنكم مَعْشَرَ الأمراء قَعَدْتم على عُيُونِ المـال ، ولن تَعْدَمُوا عُذْراً ، وإنما تأكلون النار ، وتتعجَّلون العار ، وقد وجَّهت إليك محمد بن مَسْلَمة ، فسلِّم إليه شَطْرَ مالك »

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٥٨)

---

(١) خان واختان بمعنى . (٢) أى كفايتك .

(٣) شقق الـكلام : أخرجه أحسن مخرج .

رواية رابعة

وفى رواية رابعة أن عمر كتب إلى عمرو :

« أما بعد ، فقد بلغنى أنه قد ظهر لك مال من إبل وغنم وخَدَم وغِلْمان . ولم يكن لك قبله مالٌ ، ولا ذلك من رزقك ، فأنَّى لك هذا ؟ ولقد كان لى من السابقين الأولين مَن هو خيرٌ منك ، ولكنى استعملتك لغَنائك ، فإذا كان عملك لك وعلينا[1] فبِمَ نُؤثِرك على أنفسنا ؟ فاكتب إلىَّ : من أين مالك ؟ وَعجِّل ، والسلام »

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« قرأت كتاب أمير المؤمنين ، ولقد صدق ، فأمَّا ما ذكره من مالى فإنى قدِمْتُ بلدةً الأسعارُ فيها رخيصةٌ ، والغزوُ فيها كثير ، فجعلت فُضُول ما حصل لى من ذلك فيما ذكره أمير المؤمنين ، واللهِ يا أمير المؤمنين لو كانت خيانتك لنا حَلالا ما خُنَّاك حيث ائتمنتنا ، فأقصِرعنا عناك ، فإن لنا أحسابا إذا رَجَعنا إليها أَغْنَتْنا عن العمل لك ، وأما من كان لك من السابقين الأولين فهلَّا استَعملتَهم ! فواللهِ ما دقَقْتُ لك بابًا »

فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ ، فإنى لست مِن تسطيرك وتشقيقك الكلامَ فى شىء ، إنكم مَعْشَر الأمراء أكلتم الأموال ، وأخلدتم إلى الأعذار ، فإنما تأكلون

---

(١) أى لك غنمه وعلينا جرمه .

النار وتورثون العار ، وقد وجّهت إليك محمد بن مسلمة ليشاطرك ما فى يديك ، والسلام »[١]. (شرح ابن أبى الحديد م ٣ ص : ١٠٤)

١٨٣ — كتاب أبى عبيد بن مسعود الثقفى إلى عمر

ولما انتصر أبو عُبَيْد بن مسعود الثَّقَفى على جيش الفرس فى وَقْعة السَّقَاطِيَة[٢] سنة ١٣ هـ ، وجمع الغنائم بعث بخُمْسها إلى عمر بن الخطاب ، وكتب إليه :

«إن الله أطعَمَنا مَطاعِمَ ، كانت الأكاسرة يَحْمُونها ، وأحبَبْنا أن تَرَوها ، لِتَذْكروا إنعام الله وإفضاله » (تاريخ الطبرى ٤ : ٦٥)

---

(١) فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا وقدمه اليه ، فأبى أن يأكل منه شيئا ، فقال له عمرو : مالك لا تأكل! أتحرمون طعامنا ؟ فقال : لو قدمت إلىّ طعام الضيف لأكلته ، ولكنك قدمت إلىّ طعاما هو تقدمة الشر ، نح عنى طعامك ! وأحضر لى مالك واكتب لى كل شىء هو لك ولا تكتمه . فشاطره ماله بأجمعه حتى بقيت نعلاه فأخذ إحداهما وترك الأخرى ، فلما رأى عمرو ما حاز محمد من المال غضب وقال : قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل ! والله إنى لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها ، وما منهما إلا فى نمرة لا تبلغ رسغيه (والنمرة بفتح فكسر : شملة فيها خطوط بيض وسود ، أو بردة من صوف يلبسها الأعراب) والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزررا بالذهب . فقال له محمد : إيها يا عمرو ، فعمر والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه ففى النار ، ووالله لولا ما دخلت فيه من الاسلام لألفيت معتقلا عنز عفراء ذرت سمنك عزرها ، ويسوءك بكؤها (غزرت الماشية ككرم غزارة وغزارا بالفتح وغزرا بالضم : درت ألبانها ، وبكأت الشاة والناقة كجعل وكرم ، بكأ وبكاءة بالفتح وبكوءا وبكاء بالضم : قل لبنها) فقال له عمرو : أنشدك الله أن تخبر عمر بقولى فان المجالس بالأمانة . فقال : لا أذكر شيئا مما جرى بيننا وعمر حىّ .

(٢) كان أول ما عمله عمر رضى الله عنه فى خلافته أن ندب الناس إلى أهل فارس مع المثنى بن حارثة الشيبانى أمير حرب العراق ، فكان أوّل منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى . فقدم العراق وهو الأمير على المثنى وغيره ، وكان الفرس قد عسكروا بالنمارق ، فقاتلهم أبو عبيد قتالا شديدا ، وهزم الفرس ، وتوجهوا نحو كسكر (كجعفر) وكانت قطيعة لنرسى ابن خالة كسرى ، فسار إليهم أبو عبيد والتقوا بالسقاطية أسفل من كسكر ، ودارت الدائرة على جيش الفرس ، وهرب نرسى وغلب على عسكره وأرضه ، وجمع أبو عبيد الغنائم ، وأخذت خزائن نرسى وفيها النرسيان بكسر النون والسين وهو تمر كان نرسى يحميه ، لا يأكله إلا ملوك الفرس ، أو من أكرموه بشىء منه ، ولا يغرسه غيرهم — [illegible] يطعمونه الأعلاج ، وبعث أبو عبيد بخمسه إلى عمر . وكتب إليه الكتاب المذكور .

١٨٤ — كتاب عمر إلى المثنى بن حارثة الشيبانى

ولما ملَّكَ الفرسُ يَزْدَجِرْدَ بن كسرى، واطمأنت فارس واستوثقت[١]، كتب المُثَنَّى بن حارِثة[٢] إلى عمر بما ينتظر المسلمون ممن بين ظَهْرَانَيْهم[٣]، فجاءه كتاب عمر :

« أما بعدُ، فاخرُجوا من بين ظَهْرَيِ الأعاجم، وتفرَّقوا فى المياه التى تلى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم، ولا تَدَعوا فى ربيعةَ ولا مُضَرَ ولا حُلَفائِهم أحداً من أهل النَّجَدات ولا فارساً إلا اجْتلَبْتُموه، فإن جاء طائعاً وإلَّا حَشَرْتُموه، احمِلُوا العرب على الجِدِّ إذ جَدَّ العَجَمُ، فلْتَلْقَوا جِدَّهم بِجِدِّكم »

فكانوا فى أمواه العراق من أولها إلى آخرها مَسَالِحَ[٤] يُغِيثُ بعضهم بعضاً إن كان كَوْن . (تاريخ الطبرى ٤ : ٨٢)

---

(١) كان الفرس قد شغلوا عن المسلمين بما شجر بينهم من خلاف على من يلى أمر الملك، ثم نصبوا بوران بنت كسرى. فدعت رستم إلى القيام بأمر أهل فارس، وشكت إليه تضعضعهم وإدبار أمرهم على أن تملكه عشر سنين، ثم يكون الملك فى آل كسرى، وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا. فدانت له فارس بعد قدوم أبى عبيد، ولكنهم لم يلبثوا حتى انشعبوا فرقتين : فرقة معه، وفرقة مع الفيرزان، فلما رأوا المسلمين يمخرون السواد ويتقدمون فى الفتح. قالوا لرستم والفيرزان : أين يذهب بكما؟ لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أمر فارس وأطمعتما فيهم عدوهم، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت، فبحثوا حتى وجدوا غلاما يدعى يزدجرد من ولد شهريار ابن كسرى، فجاءوا به فملكوه واجتمعوا عليه واتحدت كلمتهم .

(٢) وكان أبو عبيد بن مسعود قد مات فى « وقعة الجسر » التى نشبت بين الفرس والمسلمين بعد وقعة السقاطية . إذ كانت الفيلة كثيرة فى جيش الفرس، فهابتها خيل المسلمين واشتد الأمر عليهم، فقال أبو عبيد : احتوشوا الفيلة واقطعوا بطانها واقلبوا عنها أهلها، ووثب هو على الفيل الأبيض ففعل به ذلك، فخبطه الفيل بيده فسقط، ووطئه الفيل فمات .

(٣) ولم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد : من كان له منهم عهد، ومن لم يكن، ويقال : هو بين ظهريهم وظهرانيهم (ولا تكسر النون) وبين أظهرهم : أى وسطهم وفى معظمهم .

(٤) مسالح جمع مسلحة كمرحلة : وهى القوم ذوو سلاح .

١٨٥ — كتاب عمر إلى عماله

وكان أول ما عَمِل به عمر حين بلغه أن فارس قد ملَّكوا يزدجردَ أن كتب إلى عُمَّال العرب على الكُوَر والقبائل — وذلك في ذي الحِجَّة سنة ثلاث عشرة —:

« لاَ تَدَعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نَجْدَة أو رأى إلا انتخبتموه ، ثم وجِّهتموه إلىّ ، والعَجَلَ العَجَل »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٢)

١٨٦ — كتاب سعد بن أبي وقاص إلى عمر

وكان سعد بن أبي وَقَّاص على صَدَقات هَوَازِن . فكتب إليه عمر فيمن كتب إليه بانتخاب ذوى الرأى والنجده ممن كان له سلاح أو فرس ، فجاءه كتاب سعد :

« إنى قد انتخبتُ لك ألفَ فارسٍ مُؤْدٍ[1] ، كلهم له نَجْدة ورأى . وصاحب حِيطة يَحُوطُ حَرِيمَ قومه ، ويمنع ذِمَارَهم ، إليهم انتهت أحسابهم ورأيُهم ، فشأنك بهم » .

وقد أرسل عمر إلى سعد فقَدِم عليه . فأمَّره على حرب العراق[2] .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٤)

---

(١) [illegible] مؤد . قوى ، [illegible] [illegible] حماه وحماته .

(٢) [illegible] أهل النجدة — [illegible] من المد [illegible] ولا سرى ناس [illegible] العامة : [illegible] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] كتاب سعد بن أبي وقاص [illegible] مشورتهم [illegible] انتهى إلى قولهم .

١٨٧ — كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر إلى سعد مُرْتَحَلَه من زَرُود(١) :

« أن ابعث إلى فَرْج الهند رجلا ترضاه يكون بحِياله ، ويكون رِدْءا لك من شيء إن أتاك من تلك التُّخُوم » .

فبعث المُغيرة بن شُعْبة في خمسمائة ، فكان بحِيال الأُبُلَّة من أرض العرب.

١٨٨ — كتاب عمر إلى سعد

فلما نزل سعد بشَراف(٢) كتب إلى عمر بمنزله ، فكتب إليه عمر :

« إذا جاءك كتابي هذا ، فعشِّر الناس وعرِّف عليهم ، وأمِّر على أجنادهم ، وعَبِّهم ، ومُرْ رؤساء المسلمين فليَشْهَدوا وقدِّرْهم وهم شهود ، ثم وجِّههم إلى أصحابهم ، وواعِدْهم القادِسِيَّة(٣) واضمُم إليك المُغيرة بن شُعْبة في خَيْلِه ، واكتب إليَّ بالذي يستقر عليه أمرهم » .

فأنفذ سعد ما أمره به عمر(٤) . (تاريخ الطبري ٤ : ٨٧)

---

(١) على طريق الحاج من الكوفة ؛ والردء : العون .
ولما كان سعد بزرود بلغه أن المثنى بن حارثة مات من جراحة كان جرحها يوم الجسر .

(٢) ماء بنجد . (٣) بقرب الكوفة . (٤) بعث إلى المغيرة فانضم إليه ، وإلى رؤساء القبائل فأتوه ، فقدر الناس وعباهم ، وأمر أمراء الأجناد ، وعرّف العرفاء ، فعرف على كل عشرة رجلا كما كانت العرافات زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر على الرايات رجالا من أهل السابقة وعشر الناس ، وأمر على الأعشار رجالا لهم وسائل في الإسلام ، وولى الحروب رجالا ، فلم يفصل إلا عن تعبية ، ولم يفصل منها إلا بكتاب عمر وإذنه .

١٨٩ — كتاب عمر إلى سعد

وقَدِم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بن الخطاب، وفيه :

« أما بعد : فسِرْ من شَرَاف نحو فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكَّلْ على الله ، واستعِنْ به على أمرك كُلِّه ، واعلم فيما لديك أنك تَقْدَمُ على أمّةٍ عَدَدُهم كثير ، وعُدَّتُهم فاضِلة[١] ، وبأسُهم شديد ، وعلى بلد مَنيع وإن كان سهلا ـ كَئُودٍ[٢] ، لبُحُوره وفُيُوضه ودَآدِئِه[٣] إلا أن تُوافِقوا غَيْضاً من فَيْض[٤] .

وإذا لقِيتم القومَ ، أو أحداً منهم فأبدءوهم الشَّدَّ والضربَ ، وإياكم والمناظرةَ لجموعهم ، ولا يخدَعُنّكم فإنهم خَدَعةٌ مَكَرة ، أمْرُهم غير أمْركم ، إلا أن تجادُّوهم ، وإذا انتهيتَ إلى القادِسِيَّة ـ والقادسيةُ بابُ فارس فى الجاهلية، وهى أجمع تلك الأبواب لِمَادَّتهم ، ولِما يريدونه من تلك الآصُلِ[٥] ، وهو منزل رَغِيبٌ ، خَصِيبٌ حَصِين ، دونه قناطِرُ ، وأنهارٌ ممتنعة ـ فتكون مَسَالِحك[٦] على أَنْقابها ، ويكون الناس بين الحَجَر والمَدَر ، على حَافَاتِ الحَجَر ، وحَافَاتِ المَدَر ، والجِرَاعُ بينهما ، ثم الزَمْ مكانَك فلا تبرَحْه ، فإنهم إذا أَحَسُّوك أنْغَضْتَهم[٧] رَمَوك بجَمْعهم الذى يأتى على خَيْلهم ورَجْلهم ،

---

(١) زائدة . (٢) عقبة كئود وكأداء : صعبة .

(٣) الدآدئ جمع دأداء وهو الفضاء وما اتسع من التلاع والأودية .

(٤) غاض الماء غيضاً : قل ، وفاض فيضاً : كثر ، والمعنى قليلا من كثير .

(٥) الآصل والأصول : جمع أصل ، ورغيب : أى يرغب فيه لملاءمته .

(٦) المسالح : جمع مسلحة كمرحلة، وهى القوم ذوو سلاح . والأنقاب جمع نقب بالفتح ، وهو الطريق بين الجبلين . والمدر : قطع الطين اليابسة ، والمدن والحضر ، والجراع . جمع جرعة كوردة وتحرك : وهى الرملة الطيبة المنبت لاوعوثة فيها . (٧) أى حركتهم وأثرتهم .

وحَدِّهم وجِدِّهم ، فإن أنتم صَبَرْتم لعدوكم ، واحتسبتم لقتاله ، ونويتم الأمانة ، رجوتُ أن تُنْصروا عليهم ، ثم لا يَجتمع لكم مثلهم أبداً ، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبُهم ، وإن تكن الأخرى كان الحَجَر فى أدباركم ، فانصرفتم من أدنى مَدَرةٍ من أرضهم ، إلى أدْنَى حَجَر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجْرأَ ، وبها أعْلَمَ ، وكانوا عنها أجْبَنَ ، وبها أَجْهَلَ ، حتى يأتى الله بالفتح عليهم ، ويرُدَّ لكم الكَرَّة » .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذى يرتحل فيه من شَرَاف .

« فإذا كان يوم كذا وكذا ، فارتحل بالناس حتى تنزلَ فيما بين عُذَيْب الهِجَانات ، وعُذَيب القَوادِس ، وشَرِّق بالناس ، وغرِّب بهم » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٩)

١٩٠ — كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد ، ومن معه من الأجناد :

« أما بعدُ : فإنى آمُرُك ، ومَن معك من الأجناد بتقْوَى الله على كل حال ، فإنَّ تقْوَى الله أفضلُ العُدَّة على العدو ، وأقوى المَكيدة فى الحرب ، وآمُرُك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم ، وإنما يُنْصَر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عَدَدنا ليس كعَدَدهم ، ولا عُدّتنا كعدّتهم ، فإن استوَيْنا فى المعصية ، كان لهم الفضلُ علينا فى القوّة ، وإلاَّ نُنْصَرْ عليهم بفضلنا لم نغلِبْهم بقوّتنا ، فاعلموا أن عليكم فى سَيْركم حَفَظَةً

من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحْيُوا منهم ، ولا تَعْمَلوا بمعاصِي الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا : إن عدونا شرٌّ منا ، فلن يُسَلَّط علينا ، فرُبَّ قومٍ سُلِّط عليهم شرٌّ منهم ، كما سُلِّط على بنى إسرائيل — لمّا عَمِلوا بمَساخِط الله — كُفَّارُ المَجُوس ، فَجَاسُوا خلال الدِّيَارِ ، وكانَ وَعْدًا مَفْعُولاً ، واسْأَلُوا الله العَوْنَ على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم .

وتَرَفَّقْ بالمسلمين فى مسيرهم ، ولا تُجَشِّمْهم مَسِيرًا يُتْعِبُهُم ، ولا تُقَصِّر بهم عن مَنْزِلٍ يرْفُق بهم ، حتى يبلغوا عدوَّهم (والسَّفَرُ لم يَنْقُصْ قوَّتَهم) فإنهم سائرون إلى عدو مُقِيمٍ ، حَامِي الأنفُس والكُراع[1] ، وأقِمْ بمن معك فى كل جمعة يومًا وليلة ، حتى تكون لهم راحةٌ يُحْيُون فيها أنفسَهم ، ويَرُمُّونَ[2] أسلحتهم وأمتعتهم ، ونَحِّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذِّمَّة فلا يدخُلْها من أصحابك إلا من نَثِقُ بدينه ، ولا يَرْزَأْ[3] أحداً من أهلها شيئًا ، فإن لهم حُرْمةً وذِمَّةً ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابْتُلُوا بالصبر عليها ، فما صَبَرُوا لكم فتولَّوهم خيرًا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وَطِئْتَ أرضَ العدوّ فأَذْكِ[4] العُيُونَ بينك وبينهم ، ولا يَخْفَ عليك أمرهم ، وليكن عندك من العَرب أو من أهل الأرض مَن تطمئنّ إلى نُصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خَبَرُهُ ، وإنْ صَدَقَك فى بعضه ، والغاشّ عَيْن عليك ، وليس عينا لك . وليكن منك عند دُنُوِّك من أرض العدو أنْ

---

(١) الكراع من كل شيء طرفه ، واسم يجمع الخيل . (٢) رمه كضرب ونصر : أصلحه .
(٣) رزأه ماله : أصاب منه شيئاً . (٤) أذكى عليه العيون : أرسل عليه الطلائع .

تُكثِرِ الطلائع ، وتَبُثَّ السَّرايا[1] بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومَرَافِقَهم ، وتتَبَّع الطلائعُ عَوْرَاتِهم ، وتَنَقَّ[2] للطلائع أهلَ الرأى والبأس من أصحابك ، وتخَيَّرْ لهم سوابقَ الخيل ، فإن لقُوا عدوًّا كان أول ماتلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمْرَ السرايا إلى أهل الجهاد . والصَّبرِ على الجلاد ، ولا تَخُصَّ بها أحداً بهوًى فتضيِّعَ من رأيك وأمرك أكثرَ مما حابَيْتَ به أهل خاصّتك ، ولا تبعَثَنَّ طَليعةً ، ولا سَرِيَّةً فى وجهٍ تتخوَّف فيه غَلَبَة أو ضَيْعةً أو نِكاية ، فإذا عاينتَ العدو ، فاضمُم إليك أقاصِيَك وطلائعَك وسَراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوَّتك ، ثم لا تعاجلْهم المناجَزَةَ ، مالم يستكرِهْك قتال ، حتى تُبصِرَ عَورة عدوك ومَقاتِلَه ، وتَعرِفَ الأرضَ كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصُنْعه بك ، ثم أذْكِ أحراسَك على عسكرك ، وتيقَّظْ من البَيات جُهْدَك . ولا تُؤْتَى بأسير ليس له عَقْد[3] إلا ضربْتَ عُنُقه ، لِتُرْهِبَ به عدوَّ الله وعدوك ، والله وليُّ أمرك ومن معك ، ووليُّ النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان » (العقد الفريد ١ : ٤٠)

١٩١ — كتاب عمر إلى سعد

وكتب إليه :

« أما بعدُ : فتعَاهَدْ قلبك ، وحادِثْ جندكَ بالموعظة والنيَّة والحِسْبَة[4] ، ومن غَفَلَ فلْيُحْدِثْهما ، والصَّبْرَ الصَّبْرَ . فإن المعونة تأتى من الله على قَدْر

(١) السرية : وهى القطعة من الجيش . (٢) نقاه وانتقاه : اختاره . (٣) عهد .
(٤) الحسبة : اسم من الاحتساب ، احتسب بكذا أجراً عند الله : اعتده ينوى به وجه الله .

النية ، والأَجْرَ عَلَى قَدْر الحِسْبة ، والحَذَرَ الحَذَرَ على من أنت عليه ، وما أنت بسبيله ، واسألوا اللّهَ العافِيَة ، وأكثِرُوا من قولِ « لا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله » وأكتب إلىّ : أين بَلَغَكَ جَمْعُهم ؟ ومَن رأْسُهم الذى يَلِى مُصَادَمَتَكم ؟ فإنه قد مَنَعَنى من بعض ما أردتُ الكتابَ به ، قِلَّةُ علمى بما هَجَمْتم عليه ، والذى استقرّ عليه أمْرُ عدوكم ، فصِفْ لنا مَنازلَ المسلمين ، والبلَدَ الذى بينكم وبين « المدائن » صِفَةً كأنى أَنْظُرُ إليها ، واجعلنى من أمركم على الجَلِيَّةِ[1] وخَفِ اللّهَ وارْجُه ، ولا تُدِلَّ بشىء ، واعلم أن اللّه قد وَعَدَكم ، وتوكَّلَ لهذا الأمر بما لا خُلْفَ له ، فاحذَرْ أن تَصْرِفَه عنك ، ويستبدل بكم غيركم » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٩)

١٩٢ — رد سعد على كتاب عمر

فكتب إليه سعد بصفة البُلْدان :

« القادسية بين الخَنْدق والعَتِيق ، وإن ما عن يسار القادسية بحرٌ أخضرُ فى جَوْفٍ[2] لاحٍ إلى الحِيرَة بين طريقين ، فأمَّا أحدهما فعلى الظَّهر ، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يُدْعى « الحَضُوض[3] » يَطْلُع بمن سَلَكه على ما بين الخَوَرْنق والحِيرة ، وإنّ ما عن يمين القادسية إلى الوَلَجَة فَيْضٌ من فُيُوض مياههم ، وإن جميع مَنْ صالحَ المسلمين من أهل السَّواد قِبَلِى ، أَلْبٌ[4] لأهل فارس قد خَفُّوا لهم . واستعدُّوا لنا . وإن الذى أعدُّوا

---

(١) الجلية : الخبر اليقين . (٢) الجوف : المطمئن من الأرض ، ومكان لاحٍ ولحج كمنع ولحلج كجعفر : أى ضيق . (٣) ضبطه صاحب القاموس فقال : الحضوض : نهر كان بين القادسية والحيرة . (٤) يقال : هم عليه ألب واحد : أى مجتمعون عليه بالظلم والعداوة .

لمصادمتنا رُسْتَم فى أمثالٍ له منهم ، فهم يحاولون إنْغَاضَنا[1] وإقْحَامَنا ، ونحن نحاول إنغاضَهم وإبرازَهم ، وأمرُ اللّٰهِ بعدُ ماضٍ ، وقضاؤه مُسَلِّمٌ إلى ما قُدِّر لنا وعلينا ، فنسأل الله خيرَ القضاء ، وخير القَدَر فى عافيةٍ » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٩٠ ، ومعجم البلدان ٧ : ٦)

١٩٣ — رد عمر على كتابه

فكتب إليه عمر

« قد جاءنى كتابك وفهِمتُهُ ، فأقِمْ بمكانك حتى يُنْغِضَ اللّٰهُ لك عدوَّك ، واعلم أنَّ لها ما بعدها ، فإنْ مَنَحَكَ اللّٰهُ أدبارَهم ، فلا تَنْزِعْ[2] عنهم حتى تقتحِم عَليهم « المدائنَ » ، فإنه خَرابُها إن شاء الله » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٩٠)

١٩٤ — كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد رضى الله عنهما :

« إنى قد أُلْقِيَ فى رُوعِي[3] أنكم إذا لَقِيتم العدو هزمتموهم ، فاطَّرِحُوا الشكَّ ، وآثِرُوا التَّقِيَّةَ عليه ، فإن لاعَبَ أحد منكم أحداً من العجم بأمان ، أو قَرَفَه[4] بإشارة ، أو بلسان كان لايدرى الأعجمى ما كلَّمه به ، وكان عندهم أمانًا ، فأجْرُوا ذلك له مُجْرَى الأمان ، وإياكم والضَّحِكَ ، والوفاءَ الوفاءَ ، فإن الخطأ بالوفاء بَقِيَّة ، وإن الخطأ بالغَدْر الهَلَكَة ، وفيها وَهْنُكم ، وقوة

---

(١) أسغضه : حرّكه . (٢) أى فلا تكفّ .

(٣) الروع : القلب . (٤) أى داناه .

عدوكم ، وذهابُ رِيحكم[١] ، وإقبال ريحهم ، واعلموا أنى أحذِّركم أن تكونوا شَيْناً على المسلمين ، وسَبَباً لتوهينهم » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٩٠ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٧٤)

١٩٥ — كتاب سعد إلى عمر

ونزل سعد القادسيةَ ، فأقام بها شهراً ، ثم كتب إلى عمر : « لم يوجِّهِ القوم إلينا أحداً ، ولم يُسْنِدوا حربا إلى أحد علِمْناه ، ومتى ما يَبْلُغنا ذلك نكتبْ به ، واستنصِرِ اللهَ فإنا بمَنْحَاةِ[٢] دُنْيَا عريضةٍ دُونَها بأسٌ شديد ، قد تقدَّمَ إلينا فى الدعاء إليهم ، فقال : « سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٩١)

١٩٦ — كتاب عمر إلى سعد

وبعث سعد عيوناً ليعلموا له خبر أهل فارس ، فرجعوا إليه بالخبر بأن الملك قد ولى رستم حَرْبَه ، فكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

« لا يَكْرُبَنَّكَ[٣] ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله ، وتوكَّلْ عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل المَنْظَرَة[٤] والرأى والجَلَدِ يَدْعُونه ، فإن الله جاعِلٌ دعاءهم توهيناً لهم ، وفَلْجًا عليهم ، واكتُبْ إلىَّ فى كل يوم » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٩٢)

---

(١) أى قوتكم . (٢) أى ناحية . (٣) كربه الغم كنصر : اشتد عليه
(٤) المنظرة : منظر الرجل إذا نظرت إليه أعجبك .

١٩٧ — كتاب سعد إلى عمر

ولما عسكر رستم بساباط، كتب سعد إلى عمر .

«إن رستم قد عسكر بساباط، وزحف إلينا بالخُيول والفيُولِ، وزُهاء[1] فارس، وليس شيء أهمَّ إليّ، ولا أنَالَهُ أكثر ذكراً مني، لما أحببتَ أن أكون عليه، ونستعينُ بالله ونتوكل عليه، وقد بعثتُ فلاناً وفلاناً وهم كما وصفتَ[2]» .   (تاريخ الطبري ٤ : ٩٢)

١٩٨ — كتاب عمر إلى سعد

وسار رستم بجيشه حتى نزل القادسية، ونشِبَت الحرب بين الفريقين، فدارت الدائرة على جيش الفرس، وحَمَل هِلالُ بن عُلَّفَة على رستم فقتله، وحمل زُهْرَه بن الحَوِيّه على الجالِينُوس ـ أحد عظماء الفرس ـ فقتله . وجاء بسَلَبه[3] إلى سعد بن أبي وَقَّاص فنفَّلَه[4] سلَبه

وكان سعد قد استكثر له سَلَبه، فكتب فيه إلى عمر، فكتب إليه عمر

« تَعْمِدِ إلى مثل زُهْرَة ، وقد صَلِيَ بمثل ما صَلِيَ به ، وقد بقِيَ عليك من حَرْبك ما بقِيَ ، تكْسِر قرْنه ، وتُفْسِد قلبه ! أَمْضِ له سَلَبه . وفضِّله على أصحابه عند العطاء بخمسمائة » .

---

(١) يقال: هم قوم ذوو زهاء، أي ذوو عدد كثير، والزهاء أيضا: القدر والحزر كالزهو

(٢) جمع سعد جماعة من وجوه أصحابه، منهم النعمان بن مقرن وحنظلة بن الربيع والمغيرة بن زرارة ابن النباش وعطارد بن حاجب والأشعث بن قيس وعاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبة، وبعثهم دعاة إلى يزدجرد بالمدائن، وقد جرى بينه وبينهم حوار أوردناه في جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١١٣ . (٣) السلب: ما يسلب .

(٤) النفل بالتحريك: الغنيمة، والجمع أنفال، ونفَّله وأنفله: أعطاه إياه .

وفى خبر آخر أن عمر كتب إلى سعد :

« أنا أعلم بزهرة منك ، وإن زهرة لم يكن ليغيِّب من سَلَبِ سَلَبه شيئًا ، فإن كان الذى سَعَى به إليك كاذبًا فلقَّاه الله ، مِثلُ زُهرةَ فى عَضُدَيه يَارَقان(١) ، وإنى قد نفَّلْتُ كلَّ من قَتَل رجلا سَلَبَه » .

فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفًا . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٢٥)

١٩٩ — كتاب سعد إلى عمر

وبعد أن تم الظفر للمسلمين فى هذه الوقعة « وقعة القادسية ، وكانت سنة ١٤ هـ » كتب سعد إلى عمر : بالفتح .

« أمَّا بعدُ : فإن الله نَصَرَنا على أهل فارس ، وَمَنَحَهم سُنَنَ مَن كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل ، وزِلْزَالٍ شديد ، وقد لَقُوا المسلمين ، بعِدَّة لم يَرَ الرَّاءون مثلَ زُهائها(٢) ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سَلَبَهُموه ونَقَله عنهم إلى المسلمين .

واتَّبعهم المسلمون على الأنهار ، وعلى طفُوفِ(٣) الآجام ، وفِى الفِجَاج ، وأُصيب مِن المسلمين سعد بن عُبَيد القارئ ، وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا نَعْلَمهم ، الله بهم عالم ، كانوا يَدْوُونَ بالقرآن إذ جَنَّ عليهم الليلُ

---

(١) اليارق : السوار ، كنى بذلك عن عظم شأنه ، أى ومن كان فى مثل منزلته فلا يعيب من سلب سلبه شيئاً . (٢) يقال : هم زهاء مائة بضم الزاى وكسرها . أى قدر مائة .

(٣) الطفوف : جمع طف بالفتح . وهو الجانب والشاطئ . الآجام : جمع أجمة بالتحريك ، وهى الشجر الكثير الملتف . الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع .

دوِيٌّ النحل ، وهم آسادُ الناس لا يُشْبِهم الأسود ، ولم يفضُلْ مَن مَضى منهم مَن بَقِيَ إلا بفضْل الشهادة ، إذ لم يُكْتَبْ لهم » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٤٤)

٢٠٠ - كتاب سعد إلى عمر

وكتب سعد إلى عمر مع أَنَس بن الحُلَيْس يستفتيه فى شأن أهل السَّواد وقد نقضوا عهودهم مُدَّعِين أن الفرس أكرهوهم وحشروهم :

« إن أقواما من أهل السَّواد ادَّعَوْا عهوداً ، ولم يُقِمْ على عهد أهل الأيّام لنا ولم يَفِ به أحدٌ علِمْناه ، إلا أهلُ بانِقيا وبَسما وأهل أُلَّيْس الآخِرة ، وادَّعى أهل السَّواد أنّ فارس أكرهوهم وحَشَروهم ، فلم يُخالفوا إلينا ولم يذهبوا فى الأرض » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٤٥)

٢٠١ - كتاب سعد إلى عمر

وكتب إليه أيضاً مع أبى الهياج بن مالك الأَسَدى :

« إن أهل السواد جَلَوا فجاءنا من أمسك بعهده ولم يُجْلِب علينا ، فتمّمْنا لهم ما كان بين المسلمين قبْلنا وبينهم ، وزعموا أن أهل السواد قد لَحِقوا بالمدائن ، فأحدِثْ إلينا وفيمن تَمَّ[1] وفيمن جَلاَ ، وفيمن ادَّعى أنه استُكْرِه وحُشِر فهَرَب ولم يقاتل أو استسلَم ، فإنا بأرضٍ رَغِيبةٍ ، والأرضُ خَلاء من أهلها ، وعددنا قليل ، وقد كثُر أهلُ صلحنا ، وإنَّ أَعْمَر لها وأوهنَ لعدوّنا تألّفُهم » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٤٥)

(١) تمّ على الأمر وتمم عليه باظهار الإدغام : استمر عليه .

٢٠٢ — كتاب عمر الى سعد

فجمع عمر الناس ، واستشارهم فى الأمر ، فأشاروا عليه بما يَرَون ، فكتب إلى سعد جواب كتاب أنس بن الحليس :

« أما بعدُ ، فإن الله جل وعلا أنزل فى كل شىء رُخْصَةً فى بعض الحالات ، إلا فى أمرين : العَدْلِ فى السِّيرة ، والذِّكْرِ ، فأمّا الذِّكرُ فلا رُخصةَ فيه فى حالة ، ولم يَرْضَ منه إلا بالكثير ، وأما العَدْلُ فلا رُخصةَ فيه فى قريب ولا بعيد ، ولا فى شدة ولا رخاء ، والعدلُ وإن رُئِى ليِّناً فهو أقوى وأطفأ للجَوْر ، وأقمع للباطل من الجَوْر ، وإن رُئى شديداً ، فهو أنكَش(١) للكفر ، فمن تَمَّ على عهده من أهل السواد ، ولم يُعِنْ عليكم بشىء ، فلهم الذمة وعليهم الجزية ، وأمّا من ادَّعَى أنه استُكْرِه ممن لم يخالفهم إليكم ، أو يذهب فى الأرض فلا تصدِّقوهم بما ادَّعَوا من ذلك ، إلا أن تشاءوا وإن لم تشاءوا فانبِذْ إليهم ، وأبْلِغوهم مأمَنَهُمْ » .

٢٠٣ — كتاب عمر إلى سعد

وأجاب فى كتاب أبى الهياج :

« أما من أقام ولم يَجْلُ وليس له عهد فلهم ما لِأهل العهد بمُقامِهم لكم وكفِّهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك ، وكل من ادَّعى ذلك فصُدِّق فلهم الذمة ، وإن كُذِّبوا نُبِذَ إليهم ، وأما من أعان وجلا فذلك أمر

---

(١) نكشه كنصر وضرب : استخرج ما فيه .

جعله الله لكم ، فإن شئتم فادعوهم إلى أن يُقيمُوا لكم فى أرضهم ، ولهم الذمة وعليهم الجزية ، وإن كرِهُوا ذلك فاقسِمُوا ما أفاء الله عليكم منهم » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٤٥)

٢٠٤ — كتاب عمر الى سعد بن أبى وقاص

وكتب عمر رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وَقَّاص حين افتتح السَّوَادَ :

« أما بعدُ : فقد بلغنى كتابُك تذكر فيه أن الناس قد سألوك أن تَقسم بينهم مَغَانِمَهم وما أفاء اللهُ عليهم ، فإذا أتاك كتابى هذا ، فانظر ما أجلَبَ الناس عليك به إلى العَسكر من كُرَاعٍ[1] ، ومال ، فاقْسِمْهُ بين من حضر من المسلمين ، وأتركَ الأَرَضِينَ والأنهار لعُمَّالها[2] ، ليكون ذلك فى أَعْطِيَاتِ المسلمين ، فإنك إن قسمتها بين مَنْ حضر لم يكن لمن بعدهم شىء .

وقد كنتُ أمرتُك أن تدعوَ مَن لقيتَ إلى الإسلام قبل القتال . فمن أجاب إلى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين ، له مالهم وعليه ما عليهم ، وله سَهْم فى الإسلام ، ومن أجاب بعد القتال ، وبعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين ، وماله لأهل الإسلام ، لأنهم قد أحْرَزُوه قبل إسلامه ، فهذا أمرى وعَهْدِى إليك » .

(كتاب الخراج ص ٢٨ ، وفتوح البلدان ص ٢٧٤ ، ومعجم البلدان ٥ : ١٦٣)

---

(١) الكراع : اسم يجمع الخيل ، وفى فتوح البلدان ومعجم البلدان : « فانظر ما أجلب عليه أهل العسكر بخيلهم وركابهم من مال أو كراع فاقسمه بينهم بعد الخمس » .

(٢) وفى معجم البلدان « بحالها » .

٢٠٥ — كتاب عمر الى قطبة بن قتادة

وكان قُطْبة بن قتَادة السَّدُوسِيّ يُغير بناحية الخُرَيْبة من البصرة (كما كان المثنى بن حارثة يغير بناحية الحيرة) فكتب إلى عمر يُعْلمه مكانَه، وأنه لو كان معه عدد يسير ظفِرَ بمن قِبَلَه من العجم، فنفاهم من بلادهم، فكتب إليه عمر:

«إنه أتانى كتابك أنك تُغِير على من قِبَلَك من الأعاجم، وقد أصبتَ ووُفِّقْتَ، أقِمْ مكانك واحْذَر على من معك من أصحابك حتى يأتيك أمرى[1]»

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٥)

٢٠٦ — كتاب عمر الى عتبة بن غزوان

ووجه عمر بن الخطاب عُتْبة بن غَزْوان إلى البصرة سنة ١٤هـ[2] وأمره بنزولها بمن معه، وقَطْع مادّةِ أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم.

وروى صاحب العقد قال:

كتب عمر بن الخطاب إلى عُتْبة بن غَزْوان عامله على البصرة:

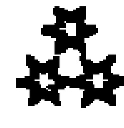
«أما بعدُ: فقد أصبحتَ أميراً تقول فيُسْمَع لك، وتأمر فيُنْفَذُ أمرُك، فيالَها نِعْمَةً إن لم ترفَعْك فوق قدرك، وتُطْغِك على مَن دونك، فاحترس

---

(١) وقد وجه عمر شريح بن عامر إلى البصرة ليكون ردءا للمسلمين، فأقبل إليها ثم مضى إلى الأهواز فقتله الأعاجم، وبعث عمر عتبة بن غزوان.

(٢) قال الطبرى: هذا فى قول المدائنى وروايته، وزعم سيف أن البصرة مصرت فى ربيع سنة ١٦ هـ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء، وتكريت والحصنين، وجهه إليها سعد بأمر عمر.

من النعمة أشدَّ من احتراسك من المعصية ، وإياك أن تسقُطَ سَقْطَةً لا شَوَى[1] لها ، وتعثُر عَثْرَةً لا لَعَالها[2] » (العقد الفريد ١ : ٣٠٠)



وروى الطبرى قال :

قال عمر لعُتْبة بن غَزْوان إذ وجَّهه إلى البصرة :

« يا عتبةُ : إنى قد استعملتك على أرضِ الهند[3] ، وهى حَوْمة[4] من حَوْمة العدو ، وأرجو أن يكفِيَك اللهُ ما حوْلَها ، وأن يُعِينَك عليها ، وقد كتبتُ إلى العَلاء بن الحَضْرَمِيّ أن يُمِدَّك بعَرْفَجَةَ بن هَرْثَمَة ، وهو ذو مُجاهدة للعدو ومكايدة ، فإذا قدِمَ عليك فاستشِرْه وقرِّبْه ، وادعُ إلى الله ، فمَن أجابَك فاقبَلْ منه ، ومن أبَى فالجِزيةُ عن صَغَارٍ وذِلَّة ، وإلاَّ فالسيفُ فى غير هوَادة .

واتَّقِ اللهَ فيما وُلِّيتَ وإياك أن تنازعَك نفسُك إلى كِبْرٍ يُفسِدُ عليك إخوتَك ، وقد صَحِبْتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعَزَزْتَ به بعد الذِّلَّة ، وقَوِيتَ به بعد الضعف ، حتى صرتَ أميراً مسلَّطًا ، وملكا مُطاعا تقول فيُسْمع منك ، وتأمر فيُطاع أمرك ، فيالها نعمةً إن لم ترفعْك فوق قدرك ، وتُبْطِرْك على من دونك ، احتفِظْ من النعمة احتفاظَك من المعصية ، ولِهِىَ أخوفُهما

(١) أشوى من الشيء : أبقى منه بعضا ، والاسم الشوى ، ولا شوى لها : أى لا إبقاء لها ، أو لا برء لها . (٢) لعا : كلمة يدعى بها للعاثر معناها الارتفاع ، قد دعى له بأن ينتعش فيقال : لعاً له ، ويقال : لالعا له أى لا أقامه الله . (٣) وكانت البصرة يومئذ تدعى أرض الهند ، فيها حجارة بيض خشن ، والبصرة كل أرض حجارتها جص — انظر الطبرى ٤ : ١٤٩ ومروج الذهب ١ : ٤٢٦ .
(٤) حومة القتال وغيره : أشد موضع فيه .

عندى عليك أن تستدرجَك وتخدَعَك ، فتسقُطَ سَقْطةً تصير بها إلى جهنَّمَ ، أُعِيذكَ بالله ونفسى من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حين رُفِعتْ لهم الدنيا فأرادوها ، فأرِدِ الله ولا تُرِدِ الدنيا ، واتَّقِ مَصَارِعَ الظالمين » .

وكانت إمارة عتبة على البصرة ستة أشهر . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٥٠)

٢٠٧ — كتاب عمر إلى عتبة بن غزوان

وكان العَلاء بن الحَضْرَمِىّ على البَحْرَين ، وكان يُبارِى سعد بن أبى وقّاص ، فلما رأى ما أحرزه سعد من الظفر والفتح ، رام أن يبلغ مكانته ، فنَدَبَ أهل البحرين إلى فارس ، وحَمَلهم فى البحر إليها بغير إذن عمر ـ وكان عمر لا يأذنُ لأحد فى ركوبه غازِيًا ، يَكْرَه التَّغرير بجنده ـ وعَبَرَتْ جنود العلاء إلى فارس فخرجوا فى إصْطَخْر ، ولَقِيَهم الفرس ، فحالوا بينهم وبين سفنهم ، واُقتتلوا قتالا شديداً ، قُتِل فيه بعض قواد جيش العلاء ، وكثير من الفرس .

ثم رأى المسلمون أن يقصِدوا إلى البصرة ، ولم يجدوا إلى الرجوع فى البحر سبيلاً إذ غُرِّقت سفنهم ، ووجدوا الفرس قد أخذوا عليهم الطرق ، فعسكروا وامتنعوا .

ولما بلغ عمر ماصنع العلاء ، كتب إلى عتبة بن غزوان :

« إن العلاء بن الحضرمىّ حَمَل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصانى ، وأظنُّه لم يُرِدِ اللهَ بذلك ، فخشيتُ عليهم إنْ لا يُنْصروا أن يُغْلَبوا ويَنْشَبوا(١) ، فاندُبْ إليهم الناس ، واُضمُمْهم إليك من قَبل أن يُجْتاحوا » .

(١) أى يُؤسروا ، من نشب الصيد فى الحبالة كفرح إذا علق بها .

فندب عتبة جيشاً لقى الفرس فهزمهم، وأصاب المسلمون منهم ماشاءوا، واُشتد غضب عمر على العلاء ، وكتب إليه بعزله ، وأمره بأثقل الأشياء ، وأبغض الوجوه إليه ، بتأمير سعد عليه ، وقال : الْحَقْ بسعد فيمن قِبَلك ، فخرج بمن معه نحو سعد . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢١٣)

٢٠٨ — كتاب عمر إلى عتبة بن غزوان

« وكتب عمر إلى عُتْبة بن غزْوان :

« أن أعْزِبِ[1] الناسَ عن الظلم ، واتَّقُوا واحذَروا أن يُدَالَ[2] عليكم لِغَدْر يكون منكم أو بَغْى ، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم ، على عَهْدٍ عاهَدَكم عليه ، وقد تقدَّم إليكم فيما أَخَذَ عليكم ، فأوْفُوا بعهد الله ، وقوموا على أمره يكن لكم عَوْناً وناصراً » . (تارغ الطبرى ٤ : ٢١٢)

٢٠٩ — كتاب عمر إلى المغيرة بن شعبة

واستعمل عمرُ على البصرة بعد عُتْبة بن غزْوان الْمُغيرةَ بن شعبة . فبقى بها سنتين ، ثم رُمِىَ بما رُمِىَ[3] به ، فعزله عمر وولّى مكانه أبا موسى الأشعرى

---

(١) أبعد . (٢) الإدالة : الغلبة . يقال : اللهم أدلى على فلان وانصرنى عليه .

(٣) وذلك أن أبا بكرة — أخا زياد بن أبيه — ونفرا معه اتهموه بأنه زنى بأم جميل بنت الأفقم ، وكتبوا بذلك إلى عمر . فعزله وولى مكانه أبا موسى الأشعرى ، وارتحل المغيرة وخصومه وهم أبو بكرة وزياد ونافع بن كلدة وشبل بن معبد ، حتى قدموا على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، وقد أقسم بين يدى عمر أنه ما أتى إلا امرأته — وكانت شبهها — فبدأ عمر بأبى بكرة فشهد عليه أنه زنى بأم جميل ، وشهد شبل ونافع بمثل ذلك ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم ، إذ سأله هل تعرف المرأة ؟ قال : لا

سنة ١٧ هـ وكتب إلى المغيرة ـ قال الطبرى : وإنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس : أربع كَلِم عزل فيها وعاتب واستحث وأمّر ـ

« أما بعدُ فإنه بلغنى نَبأٌ عظيم . فبعثتُ أبا موسى أميراً ، فسلِّمْ ما فى يدك ، والعَجَلَ » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٠٧ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٦٦)

٢١٠ ــ كتاب عمر الى أهل البصرة

وكتب إلى أهل البصرة :

« أما بعدُ : فإنى قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخُذ لضعيفكم من قويكم ، وليُقاتِلَ بكم عدوَّكم ، وليَدْفَع عن ذمّتكم ، وليُحْصِيَ لكم فَيْئَكم ، ثم ليَقْسِمَه بينكم وليُنَقِّيَ لَكُمْ طُرُقكم » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٠٧)

٢١١ ــ كتاب عمر الى ابى موسى الأشعرى

وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى :

أما بعدُ: فإن للناس نُفْرَةً عن سلطانهم، فأعوذُ بالله أن تُدْرِكَني، وإيّاك عَمْيَاءَ[1] مجهولة ، وضغائنَ محمولة ، وأهواءً مُتّبَعة ، ودُنْيا مُؤْثَرة[2] ، فأَقِمِ الحُدُودَ ولو

ولكن أشبهها . فمحاه وأمر بالثلاثة فجلدوا الحدّ وقرأ : « فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ » فقال المغيرة : اشفنى من الأعبد . فقال : اسكت أسكت الله نأمتك (والنأمة كوردة : الصوت أى أماتك الله) أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك .

(١) العمياء والعماية : الغواية والضلال ، واللجاجة فى الباطل .

(٢) آثره : فضله وقدمه .

ساعةً من النهار ، وإذا عَرَض لك أمران : أحَدُهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثِرْ نصيبَك من الآخرة على نصيبك من الدنيا . فإن الدنيا تَنْفَدُ ، والآخرة تبْقَى، وكن من خَشْية الله على وَجَل ، وأَخِفِ الفُسَّاق واجْعَلْهم يَدًا يدًا ، ورِجْلاً رِجْلاً[1] وإذا كانت بين القبائل نائرةٌ[2]، وتَدَاعَوا ، يا لفلان ، فإنما تلك نَجْوَى[3] الشيطان . فاضربهم بالسيف حتى يَفيئوا[4] إلى أمر الله ، وتكون دعوتهم إلى الله والإسلام ، واستدِمِ النعمةَ بالشكر ، والطاعةَ بالتألُّف ، والمقدرةَ والنُّصْرَةَ بالتواضع والمحبةِ للناس .

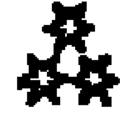
وقد بلغ أميرَ المؤمنين أن ضَبَّة تدعو يا لَضبَّه ، وإنى واللهِ ما أعلمُ أنه ضَبَّةَ ساقَ الله بها خيراً قطُّ ، ولا مَنَع بها من سوء قطّ ، فإذا جاءك كتابى هذا فانْهكهم عُقُوبةً[5]، حتى يتفرقوا إن لم يَفْقهوا ، والصِقْ بغَيْلان بن خَرَشَة من بينهم ، وعُدْ مَرْضَى المسلمين ، واشْهَدْ جنائزهم ، وافتح بابك لهم ، وباشِرْ أمرهم بنفسك ، فإنما أنت أمرُؤٌ منهم . غيْرَ أن الله جَعَلَك أثْقَلَهم حِمْلا .

وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنه فَشَت لك ولأهل بيتك هيئةٌ فى لباسك ومطْعَمك ومَرْكَبك ليس للمسلمين مِثْلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البَهيمة التى مَرَّت بِوادٍ خِصْب ، فلم يكن لها هِمَّةٌ إلا السِّمَن ، وإنما حَتْفُها فى السِّمَن .

واعلم أن للعامل مَرَدًّا إلى الله ، فإذا زاغ العامِلُ زاغت رعيتُه وأن أشْقَى الناسِ من شَقِيَتْ به رعيّته ، والسلام »

(البيان والتبيين ٢ . ١٥٥ ، والعقد الفريد ١ . ٢١)

(١) أى كل أيديهم وأرجلهم بالأغلال والقيود . (٢) النائرة : العداوة والشحناء .
(٣) النجوى : اسم من المناجاة وهى المسارة ، وفى العقد «فإنما تلك نجوى من الشيطان» والنجوة . الكبر والعظمة (٤) أى يرجعوا .
(٥) نهكه السلطان عقوبة من باب نفع وتعب وأنهكه : بالغ فى عقوبته .



وجاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف :

كتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى :

«أما بعدُ : فإنَّ أَسْعَدَ الرُّعاةِ عند الله مَنْ سَعِدَتْ به رعيَّتُه ، وإن أَشْقَى الرُّعاةِ مَنْ شَقِيَت به رعيَّتُه ، وإياكَ أن تَزِيغَ فَيزيغ عُمَّالُك ، فيكون مَثَلُك عند الله مثل البهيمة : نظرَتْ إلى خُضْرة من الأَرض فَرَتَعَتْ فيها ، تبتغى بذلك السِّمَن ، وإنما حَتْفُها فى سِمَنها ، والسلام[1] » . (كتاب الخراج ص ١٧)

٢١٢ — كتاب عمر إلى أبى موسى

وكتب إلى أبى موسى وهو بالبصرة :

« بلغنى أنك تأذَنُ للناس الجَمَّاءَ الغَفِيرَ[2] ، فإذا جاءكَ كتابى هذا فأْذَنْ لأهل الشَّرَف ، وأهل القرآن والتقوى والدين ، فإذا أَخذوا مجالِسَهم فأْذَنْ للعامة ، ولا تؤخِّرْ عمل اليوم لغد ، فتَتَدَاكَّ[3] عليك الأعمالُ فتَضِيعَ ، وإياكَ واتِّباعَ الْهَوَى ، فإن للناس أهواءً مُتَّبَعة ، ودُنْيا مُؤْثَرة ، وضغائنَ محمولة وحاسِبْ نفسك فى الرَّخاء قبل حساب الشدة ، فإنه من حاسب نفسَه فى الرَّخاء قبل حساب الشدة كان مَرْجِعُه إلى الرضا والغِبْطة ، ومن أَلْهَتْهُ حياتُه ،

---

(١) أورد ابن أبى الحديد أيضا هذا الكتاب فى شرحه (م ٣ : ص ١١٩) وقال فى ديباجته كتبه عمر إلى بعض عماله ، وفيه « فيزيغ رعيتك» محل « فيزيغ عمالك » .

(٢) تقول : جاءوا الجماء الغفير : أى جاءوا مجتمعين كثيرين ، وأصل الجماء من الجموم وهو الاجتماع والكثرة ، والغفير من الغفر (كشمس) وهو التغطية والستر ، فجعلت الكلمتان فى موضع الشمول والإحاطة . (٣) أى تزدحم ، من تداكّ الناس عليه إذا ازدحموا .

وشَغَلَتْهُ أهواؤه ، عاد أمره إلى الندامة والحَسْرة ، إنه لا يقيمُ أمْرَ الله فى الناس إلا حَصِيفُ[1] العُقْدَة ، بعيدُ القَرارة[2] ، لا يَحْنق على جِرَّة[3] ، ولا يطَّلِع الناسُ منه على عَوْرة ، ولا يخاف فى الحقّ لَوْمَةَ لائم .

الزَم أربعَ خِصال يسلَمْ لك دينُك ، وتَحْظَ بأفضل حظّك : إذا حضر الخَصْمان فعليك بالبينات العُدُول ، أو الأيمان القاطعة ، ثم أَدْنِ للضعيف حتى ينبسطَ لسانُهُ ويجترئَ قلبه ، وتعاهَدِ الغريب فإنه إذا طال حبسُه ترَك حاجته وانصرف إلى أهله ، واحرِصْ على الصلح ما لم يَبِنْ لك القضاء[4] » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ١١٩)

٢١٣ — كتاب عمر إلى أبى موسى

وكتب عمر إلى أبى موسى :

« إنه لم يزل للناس وُجُوهٌ[5] يرفعون حوائجهم ، فأكرِمْ مَن قِبَلَك من وجوه الناس ، وبِحَسْبِ المسلم الضعيف من العدل أَنْ يُنْصَف فى الحُكم وفى القَسْم » . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٨)

---

(١) حصف ككرم : استحكم عقله فهو حصيف ، وأحصف الحبل : أحكم فتله .

(٢) فى الأصل « القرة » وأراه محرفا عن القرارة ، والقرارة والقرار : ما قرّ فيه الماء ، كنى بذلك عن حصافة عقله وبعد نظره . (٣) أحنق : حقد حقدا لا ينحل . والجرة : ما فيض به البعير فيأكله ثانية ، والمراد أنه لا يضمر الحقد والحنق .

(٤) انظر ص ٢٠٤ . (٥) سادة وكبراء .

٢١٤ — كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس : سلام عليك ، أما بعدُ : فإن القضاء فريضة مُحْكَمة ، وسُنَّة مُتَّبَعة ، فافهمْ إذا أُدْلِىَ[1] إليك ، وانفُذْ إذا تبيَّن لك ، فإنه لاينفع تكلُّم بحَق لانفَاذَ له ، آسِ[2] بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمَعَ شريف فى حَيْفك[3] ، ولا ييأسَ ضعيف من عدلك[4] ، البيِّنَةُ على من ادَّعَى واليمينُ على من أنكر ، والصلحُ جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً أحَلَّ حرامًا ، أو حَرَّم حلالا ، ولا يمنعَنَّك قضاء قضيتَه اليومَ[5] فراجَعْتَ فيه عقلَك ، وهُدِيت فيه لِرُشْدك ، أن ترجِعَ إلى الحق[6] ، فإن الحق قديم ، ومُراجعَة الحق خير من التمادى فى الباطل .

الفهمَ الفهمَ فيما تَلَجْلَجَ[7] فى صدرك مما ليس فى كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اعرفِ الأشباهَ والأمثالَ ، فَقِسِ الأمورَ عند ذلك بنظائرها ، واعمِدْ إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادَّعى

---

(١) أدلى بحجته : احتج بها .

(٢) آس : سوِّ بينهم ، ويروى : اجعل بعضهم أسوة بعض .

(٣) أى فى ميلك معه لشرفه . (٤) وفى البيان والتبيين والعقد الفريد : « ولا يخاف ضعيف من جورك » وفى صبح الأعشى : « ولا ييأس ضعيف من عونك » .

(٥) فى البيان والتبيين ، والعقد الفريد وصبح الأعشى وإعجاز القرآن : « بالأمس » .

(٦) فى البيان والتبيين والعقد الفريد « أن ترجع فيه » . (٧) تلجلج : تردد ، وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل فى فيه ، ولا يزال يتردد إلى أن يسيغها أو يقذفها ، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى ، ويقال للعيّ لجلاج ، ومن أمثال العرب : « الحق أبلج والباطل لجلج » أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا .

حقًّا غائبًا أو بيِّنةً أمَدًا يَنتهى إليه ، فإن أحضر بيِّنَتَه أخَذْتَ له بحقِّه ، وإلاَّ استحلَلْتَ عليه القضيةَ ، فإن ذلك أنْفَى للشك ، وأجْلَى للعَمَى ، وأبلغُ فى العُذر .

المسلمون عُدولٌ بعضُهم على بعض إلا مجلوداً فى حَدّ ، أو مجرَّبا عليه شَهادَةُ زور ، أو ظَنِينا[1] فى وَلاَءٍ أو نَسَب ، فإن الله قد تولَّى منكم السرائرَ ، ودَرَأ[2] بالبينات والأَيْمان ، وإياك والغَلَقَ[3] ، والضَّجَرَ ، والتأذِّيَ بالخصوم ، والتنكُّر عند الخصومات ، فإن الحقَّ فى مواطِنِ الحق يُعْظِمُ الله به الأجْرَ ، ويُحْسِن بهِ الذُّخْرَ ، فمن صحَّت نيتُه ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله مابينه وبين الناس ، ومَن تخلَّق[4] للناس بمـا يعلم اللهُ أنه ليس من نفسه ، شانَه اللهُ ، فمـا ظنُّك بثوابٍ عند الله[5] عزّ وجل فى عاجِلِ رزقه . وخزائن رحمته ! والسلام »

(الكامل للمبرد ١ : ٧ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٤ ، والعقد الفريد ١ : ٢٧ ، وصبح الأعشى ١٠ : ١٩٣ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٣ ص ١١٩ ، وإعجاز القرآن ص ١١٧ ، وكتاب الخراج ص ١٤٠)

---

(١) ظنيناً : متهما ، وهو فعيل بمعنى مفعول من ظنّ المتعدية إلى واحد ، تقول ظننت زيدا وظننت زيدا أى اتهمته ، وفى قراءة : « وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ » وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لمـا جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ملعون ملعون من انتمى إلى غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه »

(٢) درأ : دفع . قال صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود بالشبهات » وفى البيان والتبيين : « ودرأ عنكم بالشبهات » وفى العقد الفريد : « ودرأ عنكم الشبهات » .

(٣) الغلق : ضيق الصدر وقلة الصبر ، وأصله من أغلق عليه أمره إذا لم ينفتح ولم يتضح ، ومن ذلك قولهم « غلق الرهن » كفرح : أى استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتكه فى الوقت المشروط ، وفى البيان والتبيين : « ثم إياك والغلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ، ويحسن بها الذخر ، فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه ، هتك الله ستره ، وأبدى فعله ، والسلام عليك » وكذا فى العقد الفريد .

(٤) أى تكلف وتصنع . (٥) فى الكامل للمبرد « بثواب غير الله » وهو تحريف .

٢١٥ — كتاب سعد بن أبي وقاص إلى عمر

وسار سعد بن أبي وقَّاص بعد انتصاره فى وَقْعة القادسيَّة ، حتى نزل على بَهُرَسِيرَ[1] ، فبثَّ الخيول ، فأغارت على ما بين دِجْلَةَ إلى من له عهدٌ من أهل الفرات ، فأصابوا مائة ألف فلاح ، فكتب سعد إلى عمر :

« إنا وَرَدْنا بَهُرَسِيرَ بعد الذى لَقِينا فيما بين القادسية وبهرسير . فلم يأتنا أحد لقتال ، فبثَثْتُ الخيول . فجمعتُ الفلاَّحين من القُرَى والآجام ، فَرَ رأيك » .

٢١٦ — رد عمر على كتاب سعد

فأجابه عمر :

« إنَّ مَن أتاكم من الفلاحين ، إذا كانوا مقيمين لم يُعِينوا عليكم ، فهو أمانُهم ، ومن هرَب فأدركتموه فشأْنكم به » .

فلما جاءه الكتاب خَلّى عنهم . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٦٨)

٢١٧ — كتاب عمر إلى سعد

وفتح سعد المدائن (سنة ١٦ هـ) وغادرها يزدجرد هاربا إلى حُلْوان ، ثم أتاه الخبر أن الفرس قد عسكروا بجَلُولاء بقيادة مِهْران ، وأن أهل المَوْصِل قد عسكروا بتَكْرِيت بقيادة الأَنطاق .

---

(١) هى المدينة الدنيا الغربية من مدائن كسرى على نهر دجلة .

فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إلى سعد :

« أن سَرِّح هاشم بن عُتْبة إلى جَلُولاء فى اثنى عشر ألفاً . واجعل على مقدِّمته القَعْقَاعَ بن عمرو ، وعلى ميمنته سِعْر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو ابن مالك بن عُتْبة ، واجعل على ساقته عمرو بن مُرَّة الجُهَنِيّ » .

فسار إليها هاشم وافتتحها سنة ١٦ هـ ، وبلغ ذلك يزدجرد ، فخرج من حلوان سائرا نحو الرّيّ . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٧٩)

٢١٨ — كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد :

« إنْ هَزَم الله الجندين : جند مِهْرَان وجند الأنطاق ، فقَدِّم القعقاعَ حتى يكون بين السَّواد وبين الجبل على حَدِّ سوادكم » (تاريخ الطبرى ٤ : ١٧٩)

وفى خبر آخر أنه كتب إلى سعد :

« إنْ فَتَح الله عليكم جَلُولاء ، فسَرِّح القَعْقاعَ بن عمرو فى آثار القوم ، حتى ينزل بحُلْوان ، فيكون رِدْءا للمسلمين ، ويُحْرِز الله لكم سوادكم » .

فلما فتح هاشم بن عُتبة جَلولاء ، أقام بها ، وخرج القعقاع فى آثار القوم إلى خانِقِين ، فهزمهم وقتل مهران ، ثم سار إلى حُلوان ، وافتتحها سنة ١٦ هـ . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٥)

٢١٩ — كتاب عمر إلى سعد

وجمع سعدٌ مَنْ وراء المدائن ، وكتب فى ذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

« أن أَقِرَّ الفلاحين على حالهم ، إلا من حارَبَ أو هرَب منك إلى عدوك فأدركْتَه ، وأَجْرِ لهم ما أجْرَيْتَ للفلاحين قبْلَهم ، وإذا كتبتُ إليك فى قوم ، فأَجْرُوا أمثالهم مُجراهم » .

فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحا ، فأجابه :

« أمّا مَن سِوى الفلاّحين ، فذاك إليكم مالم تَغْنَموه « يعنى تقتسموه » ومَن تَرَكَ أرضَه من أهل الحرب فخلاّها فهى لكم ، فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزَاء ، ورَدَدْتموهم قبل قسمتها فذِمّةٌ ، وإن لم تدعوهم ففَىْءٌ لكم ، لمن أفاء الله ذلك عليه » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٣)

٢٢٠ — كتاب عمر إلى سعد

وكتبوا إلى عمر فى الصَّوافى[١] ، فكتب إليهم :

« أنِ اعْمِدوا إلى الصوافى التى أَصْفا كُموها[٢] اللهُ ، فوزِّعُوها على من أفاءها اللهُ عليه ، أربعة أخماس للجند ، وخُمُس فى مواضعه إلىّ ، وإن أحبُّوا أن يَنزِلوها فهو الذى لهم » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٤)

---

(١) الصوافى : الأملاك والأرض التى جلا عنها أهلها ، أوماتوا ولا وارث لها ، واحدها صافية وذلك أنه لم يبق أحد من أهل السواد على العهد إلا أهل قريات أخذت عنوة ، فلما دعوا إلى الرجوع صاروا ذمة وعليهم الجزاء إلا ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم فإنه صافية فيما بين حلوان والعراق .

(٢) أصفاه بكذا : آثره .

٢٢١ — كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر :

« أن احتازُوا فَيْئَكم ، فإنكم إن لم تفعلوا فتقادُمُ الأمْرِ يُلْحِجُ[1] ، وقد قضيتُ الذي علىّ ، اللهمّ إنى أُشْهِدك عليهم فاشْهَدْ » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٤)

٢٢٢ — كتاب عمر إلى سعد

وكتب عمر إلى سعد :

« أنْ سَرِّحْ إلى الأنطاق عبدَ الله بن الْمُعْتَمّ ، واستعمِلْ على مقدمته رِبْعِيّ بن الأَفْكَل العَنَزِيّ ، وعلى مَيْمَنَته الحارث بن حَسَّان الذُّهْلِي ، وعلى مَيْسرته فُرَات بن حَيَّان العِجْلِيّ ، وعلى ساقته هانئ بن قيس ، وعلى الخيل عَرْفَجَة بن هَرْثَمَة » .

ففَصَل عبد الله بن الْمُعْتَمّ من المدائن إلى تكريت ففتحها سنة ١٦ هـ .
(تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٦)

٢٢٣ — كتاب عمر إلى سعد

ولما رجع هاشم بن عُتْبة من جَلُولاء إلى المدائن ، بلغ سعداً أن ابن الهُرْمُزان قد جمع جمعاً ، فخرج بهم إلى سَهْل ماسَبَذان . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

---

(١) لجج بهم شر (كفرح) نشب ، فهو لجج : يدعو إلى الخلاف عليه بسبب حدوده وضوابطه ، ويفضي إلى نشوب الشر .

«ابعث إليهم ضِرَار بن الخطاب فى جند ، واجعل على مقدمته ابن الهُذَيل الأَسَدى ، وعلى مجنِّبَتَيه عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبىّ ، والمُضارب العِجْلىّ » .

فخرج ضرار إليهم فهزمهم وقتل ابن الهرمزان . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٧)

٢٢٤ — كتاب عمر إلى سعد

واجتمعت جموع أهل الجزيرة بعد وقعة جَلُولاء ، فأمدوا هِرَقْل على أهل حِمْص ، وبعثوا جنداً إلى أهل هِيت ، وكتب بذلك سعد إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

« أن أبعث إليهم عمر بن مالك بن عُتْبة بن نَوْفل بن عبد مناف فى جند ، وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامرى ، وعلى مجنبتيه رِبْعِىّ ابن عامر ، ومالك بن حبيب » .

فسار إليها عمر بن مالك وفتحها . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٧)

٢٢٥ — كتب بين سعد وبين عمر

وقَدِمَتْ الوفود على عمر رضى الله عنه بفتح جَلُولاء وحُلوان وتكريت فلما رآهم قال : واللهِ ما هيئتكم بالهيئة التى أَبْدَأْتم بها ، ولقد قَدِمَت وفود القادسية والمدائن ، وإنهم لكما أبدءوا ، فما غيَّرَكم ؟ قالوا : وُخُومة البلاد ، فنظر فى حوائجهم ، وعَجَّل سَرَاحهم .

وكتب حُذَيفة بن اليَمان — وهو يومئذ مع سعد — إلى عمر :

« إن العرب قد أُتْرِفَتْ بطونُها ، وخفَّتْ أعضادُها ، وتغيَّرتْ ألوانُها »

فكتب عمر إلى سعد : « أنبئني : ما الذي غيَّر ألوان العرب ولحومهم ؟ » ، فكتب إليه سعد : « إن العرب خدَّدهم[١] ، وكَفَأَ ألوانَهم ، وُخُومةُ المدائن ودجلة » ، فكتب إليه عمر : « إن العرب لا يوافقُها إلا ما وَافقَ إبلَها من البُلدان » فابعث سَلْمان رائِدًا وحُذَيفةَ ـ وكانا رائِدَى الجيش ـ فلْيَرْتادَا منزلاً بَرِّيا بَحْرِيا . ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جِسر » .

فبعث سعد حذيفة وسَلمان ـ الفارسي ـ فسار كل من جهة حتى اجتمعا بالكوفة ، والكوفة على حَصْباء[٢] ، فأعجبتهما البُقْعة وأخبرا سعداً بها ، فتحول بالناس من المدائن إليها .

ولما نزل سعد الكوفة كتب إلى عمر :

« إني قد نزلتُ بكوفةٍ مَنْزِلاً بين الحِيرة والفُرات بَرِّيا بَحْرِيا يُنْبِت الحَلِيَّ والنَّصِيَّ[٣] ، وخيَّرتُ المسلمين بالمدائن ، فمن أَعجبه المُقَامُ فيها تركتُه فيها كالمَسْلَحَة : فبقي أقوام من الأَفناء[٤] ، وأكثرهم بنو عَبْس » .

وكان اختطاط الكوفة سنة ١٧ هـ . (تاريخ الطبري ٤ : ١٨٩)

٢٢٦ — كتاب عمر إلى سعد

وخرج الروم وقد تكاتبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحِمْص ، فكتب إلى عمر بخروجهم عليه ، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقّاص :

---

(١) أي هزل لحمهم ، وكفأ ألوانهم : أي غيرها من كفأ الإناء إذا كبه وقلبه .

(٢) وكل رملة حمراء يقال لها سهلة (بالكسر) ، وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة .

(٣) النصي: نبت ، يقال له نصيّ مادام رطبا ، فإذا ضخم ويبس فهو الحليّ ، وهو من خير مراتع أهل البادية للنعم والخيل . (٤) الأفناء الأخلاط جمع فنو بالكسر ، ويقال هو من أفناء القبائل : أي لا يدرى من أي قبيلة هو .

« أن انْدُب الناس مع القَعْقاع بن عمرو ، وسَرِّحهم من يومهم الذى يأتيك فيه كتابى إلى حِمْص ، فإن أبا عبيدة قد أُحِيط به ، وتقدَّمْ إليهم فى الجِدّ والحَثّ » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٩٥)

٢٢٧ — كتاب عمر إلى سعد

وكتب أيضاً إليه :

« أن سَرِّح سُهَيل بن عَدِىّ إلى الجزيرة فى الجند ، ولْيَأْتِ الرَّقَّةَ ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حِمْصَ ، وإن أهل قَرْقِيسِياء لهم سَلَف ، وسَرِّح عبد الله بن عِتْبان إلى نَصِيبِين ، فإن أهل قَرْقِيسِياء لهم سَلَف ، ثم لْيَنْفُضَا[1] حَرَّان والرُّهاء ، وسرِّح الوليد بن عُقْبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتَنُوخ ، وسَرِّح عِياضاً فإن كان قتال فقد جعلتُ أمرهم جميعاً إلى عِياض بن غَنْم » . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٩٥)

٢٢٨ — كتاب عمر إلى أبى عبيدة

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم ، واستثاروهم أن الجنود قد ضَرَبت من الكوفة ولم يدروا : الجزيرة يريدون أم حِمْص ، تفرقوا إلى بُلدانهم ، وخلّوا الروم ، وعندئذ قاتل أبو عبيدة الروم فانتصر عليهم ، وقدم القعقاع فى أهل الكوفة فى ثلاث من يوم الوَقْعة ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بالفتح ، وبقدوم المدد عليهم فى ثلاث . وبالحكم فى ذلك . فكتب إليه عمر :

(١) أى ليحركا ، والمعنى ليقاتلا .

« أن أَشْرِكوهم فإنهم قد نفروا إليكم ، وتفرّق لهم عدوكم » وقال :

« جَزَى الله أهلَ الكوفة خيراً ، يكفُون حَوْزَتَهم ويُمِدّون أهلَ الأمصار »

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٩٦)

٢٢٩ — كتاب عمر إلى سعد

وفى خبر أن عمر كتب إلى سعد :

« إن الله قد فتح على المسلمين الشأم والعراق ، فابعَثْ من عندك جنداً إلى الجزيرة ، وأمِّر عليهم أحد الثلاثة : خالد بن عُرْفُطَة ، أو هاشم بن عُتْبة ، أو عِياض بن غَنْم » .

فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر ، قال : ما أَخَّر أمير المؤمنين عياض ابن غنم آخِرَ القوم إلا أنه له فيه هَوًى أَنْ أُوَلِّيَه ، وأنا مُوَلِّيه .

وخرج عياض هو ومن معه إلى الجزيرة فافتتحوها سنة ١٧ هـ .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٩٦)

٢٣٠ — عهد عياض بن غنم لأهل البصرة

وكتب عِياض بن غَنْم لأهل الرَّقَّة كتابا ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عِياض بن غَنْم أهلَ الرَّقة يوم دَخَلها : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تُخْرَب ولا تُسْكَن إذا أعطَوا الجِزية التى عليهم ، ولم يُحْدِثوا غِيلةً[1] . وعلى أن لا يُحْدِثوا كنيسةً

(١) الغيلة : الخديعة والاغتيال ، وفى الأصل «معيلة» ولم أجدها ، وفى لسان العرب : فلان قليل الغائلة والمغالة : أى الشر .

ولا بِيعةً ، ولا يُظْهِروا ناقوساً ، ولا باعُوثاً[١] ، ولا صليبا ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً » .

(فتوح البلدان للبلاذري ص ١٨١)

٢٣١ — كتاب عياض إلى أسقف الرها

وكتب عياض إلى أُسْقُفّ الرُّها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عياض بن غنم لأُسْقُفّ الرُّها ، إنكم إن فتحتم لى باب المدينة على أن تُؤَدّوا إلى عن كل رجل ديناراً ومُدَّىْ[٢] قمح ، فأنتم آمِنون على أنفسكم وأموالكم ومن تَبعكم ، وعليكم إرشادُ الضَّالِّ ، وإصلاحُ الجسور والطُّرُق ، ونصيحةُ المسلمين ، شَهِدَ اللهُ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا » (فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٨٢)

٢٣٢ — عهد عياض لأهل الرها

وكتب لأهل الرُّها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عياض بن غَنْم ومن معهُ من المسلمين لأهل الرها ، إنى أمَّنتهم على دمائهم وأموالهم ، وذَرارِيِّهم ونسائهم ، ومدينتهم وطواحينهم ، إذا أدَّوا الحق الذى عليهم ، ولنا عليهم أن يُصْلحوا جسورنا ، ويَهْدُوا ضالَّنا ، شَهِدَ اللهُ وَمَلاَئِكَتُهُ وَالْمُسْلِمُونَ » .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٨٢)

---

(١) الباعوث عند النصارى كالاستسقاء عندنا . (٢) المد : مكيال ، وهو ملء كفى الانسان المعتدل إذا ملأهما ومد يديه بهما .

٢٣٣ — كتاب عمر إلى ملك الروم

وفى أثناء فتح الجزيرة ارتحلت إياد بن نِزار ، واقتحموا أرض الروم ، فكتب بذلك الوليد بن عُقْبة إلى عمر ، فكتب عمر إلى ملك الروم :

« إنه بلغنى أن حَيًّا من أحياء العرب تَرَكَ دارَنا وأَتَى دارك ، فوالله لتُخْرِجَنَّه ، أو لَنَنْبِذَنَّ[١] إلى النصارى ، ثم لَنُخْرِجَنَّهُمْ إليك » .

فأخرجهم ملك الروم . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٩٨)

٢٣٤ — كتاب عمر إلى حرقوص بن زهير

وافتتح حُرْقُوص بن زُهَيْر السَّعْدى سُوقَ الأَهواز ، وانهزم الهُرْمُزَان وتوجَّه إلى رَامَهُرْمُز ، ثم طلب الصلح فأُجيب إليه ، وبلغ عمر أن حُرْقوصا نزل جبل الأهواز ، والناس يختلفون إليه ، والجبل كَئُود[٢] يَشُقُّ على مَنْ رامه ، فكتب إليه :

« بلغنى أنك نزلتَ مَنْزِلا كَئُودًا ، لا تُؤْتَى فيه إلا على مشَقَّة ، فأَسْهِلْ[٣] ، ولا تشُقَّ على مُسْلِم ، ولا مُعاهَد ، وقُمْ فى أمرك على رِجْل[٤] تُدْرِكِ الآخرة ، وتَصْفُ لك الدنيا ، ولا تُدْرِكَنَّك فَتْرةٌ ، ولا عَجَلَة ، فتُكَدِّرَ دنياك ، وتُذْهِبَ آخِرتك . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢١٢)

---

(١) يقال : نابذناهم الحرب ، ونبذنا إليهم الحرب على سواء ، والمنابذة : أن يكون بين فريقين مختلفين عهد وهدنة بعد القتال ، ثم أرادا نقض ذلك العهد ، فينبذ كل فريق منهما إلى صاحبه العهد الذى تهادنا عليه . (٢) كئود : صعب .

(٣) أى انزل السهل ، وشق عليه الأمر : صعب ، وشق على فلان أوقعه فى المشقة .

(٤) الرجل بالكسر : الخوف والفزع من فوت الشيء ، يقال : أنا من أمرى على رجل : أى على خوف من فوته .

٢٣٥ — كتاب عمر إلى سعد

ولم يزل يَزْدَجِرْدُ يثير أهلَ فارس ، أسَفاً على ما خرج منهم ، فتحركوا وكاتبوا أهل الأهواز ، وتعاقدوا وتواثقوا على النُّصرة ، وبلغ ذلك عمر ، فكتب إلى سعد ـ أمير الكوفة ـ :

أن أبْعَثْ إلى الأهواز بَعْثا كَثِيفا مع النُّعمان بن مُقَرِّن وعجِّل ، وأبعث سُوَيْد بن مُقَرِّن ، وعبد الله بن ذى السَّهمين ، وجَرير بن عبد الله الحِمْيَرى ، وجَرِير بن عبد الله البَجَلى ، فلْيَنْزِلوا بإزاء الهُرْمُزان حتى يتبيَّنوا أمره .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢١٥)

٢٣٦ — كتاب عمر إلى أبي موسى

وكتب إلى أبي موسى ـ أمير البصرة ـ

« أن أبْعَث إلى الأهواز جندًا كثيفاً ، وأمِّر عليهم سَهْل بن عَدِىّ أخا سُهَيل بن عدىّ ، وابعث معه البَرَاء بن مالك ، وعاصم بن عمرو ، ومَجْزَأة ابن ثَوْر ، وكَعْب بن سُور ، وعَرْفَجَة بن هَرْثَمَة ، وحُذَيفَة بن مِحْصَن ، وعبد الرحمن بن سَهْل ، والحُصَيْن بن مَعْبَد ، وعلى أهل الكوفة ، وأهل البصرة جميعاً أبو سَبْرة بن أبى رُهْم ، وكل من أتاه مُمِدٌّ له » .

وخرجت جيوش المسلمين إلى الأهواز ، والهُرْمُزان يومئذ برامَهُرْمُز ، فلما سمِع بمسيرهم إليه بادرَهم الشَّدَّةَ ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً ، وهزم الهرمزان ، ولحق بتُسْتَر ، فتبعه المسلمون إليها ، وحاصروها ثم فتحوها وأسروا الهرمزان ، وأوفده أبو سَبرة إلى عمر ، وقد أسلم بين يديه .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢١٥)

٢٣٧ — كتاب عمر إلى أبي سبرة

وساروا إلى السُّوسِ ففتحوها ، ثم نزلوا على جُنْدَيْسَابُور فحاصروها ، وما زالوا مقيمين عليها ، حتى رُمِىَ إليهم بالأمان من عسكر المسلمين ، فإذا أبوابها تفتح ، فأرسل إليهم المسلمون أنْ مالكم ؟ قالوا : رميتم إلينا بالأمان فقبِلناه ، فقالوا : ما فعلْنا ، فقالوا : ما كذَبْنا ، فسأل المسلمون فيما بينهم ، فإذا عَبدٌ يُدعَى مُكنِفاً كان أصله منها هو الذى كتب لهم ، فقالوا : إنما هو عبد ، فقالوا : إنا لا نعرف حُرَّكم من عبدكم ، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه ولم نُبدِّل ، فإن شئتم فاغدِروا ، فأمسَكوا عنهم ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، فكتب إليهم :

« إن الله عظَّم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تَفُوا مادمتم فى شك ، أَجِيزُوهم وَفُوا لهم » .

فَوَفوا لهم وانصرفوا عنهم . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢١)

٢٣٨ — كتاب النعمان بن مقرن إلى عمر

وكان النُّعمان بن مقرِّن عاملا على كَسْكَر ، فكتب إلى عمر رضى الله عنه يخبره « أن سعد بن أبى وقَّاص استعمله على جِباية الخراج ، وقد أحببتُ الجهاد ، ورغبتُ فيه » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣١)



وروى أنه كتب إلى عمر :

« يا أمير المؤمنين إن مَثَلى ومثل كَسْكَر كمثل رجل شابٍّ إلى

جَنْبه مُومِسَة[1] تَلَوَّنُ له وتَعَطَّرُ ، فأَنْشُدُكَ اللهَ لَمَا عزَلْتَنِي عن كَسْكَر ، وبعثْتَنى إلى جيش من جيوش المسلمين » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٩ ، وكتاب الخراج ص ٣٨)

٢٣٩ — كتاب عمر إلى سعد

فكتب عمر إلى سعد :

« إن النعمان كتب إلىَّ يذكر أنك استعملته على جباية الخراج ، وأنه قد كَرِه ذلك ورَغِب فى الجهاد ، فابْعَث به إلى أهم وجوهك : إلى نَهاوَنْد » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣١)

٢٤٠ — كتاب عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى عمر

وكانت جموع الفرس قد تجمَّعت بنَهاوَنْد ، وتأهَّبوا لقتال المسلمين ، وبلغ الخبر سعدًا ، وقد استخلف عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان على الكوفة ، وشَخَص إلى عمر فلَقِيه بالخبر مُشافَهةً ، وقد كان كتب إلى عمر بذلك وقال : إن أهل الكوفة يستأذنونك فى الإنسياح فى أن يبادروهم الشَّدَّةَ — وقد كان عمر مَنَعَهم من الإنسياح فى الجبل — وكتب إليه أيضاً عبد الله :

« إنه قد تَجَمَّع منهم خمسون ومائة ألفِ مقاتل ، فإن جاءونا قبل أن نُبادرهم الشَّدَّةَ ، ازدادوا جُرْأةً وقوة ، وإن نحن عاجَلْناهم كان لنا ذلكم عليهم »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٣٧)

---

(١) امرأة مومس ومومسة : فاجرة أو مجاهرة بالفجور ، من الومس كوعد ، وهو احتكاك الشيء بالشيء حتى ينجرد ، وأومست : أمكنت من الومس .

٢٤١ — كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

فكتب عمر إلى النعمان بن مُقَرِّن :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان ابن مقرن ، سلام عليك ، فإني أحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنه قد بلغني أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جَمَعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فسِرْ بأمر الله ، وبعَوْن الله ، وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا تُوطِئْهم وَعْراً فتُؤْذيَهم ، ولا تَمْنَعْهم حقَّهم فتُكفرهم ، ولا تُدْخِلَنهم غَيْضَةً ، فإن رجلا من المسلمين أحبُّ إليّ من مائة ألف دينار ، والسلام عليك » . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٢)

٢٤٢ — كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

وكتب عمر إليه أيضاً :

« إني قَدْ وَلَّيتك حَرْبَهم، فسِرْ من وجهك ذلك ، حتى تأتِيَ «ماهَ» فإني قد كتبتُ إلى أهل الكوفة أن يُوافُوك بها ، فإذا اجتمع لك جنودك فسِرْ إلى الفَيْرُزان ، ومن تجمَّع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصِرُوا الله ، وأكْثِروا من قول : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٣٩)

٢٤٣ ـ كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان

وكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان :

« أنِ اسْتَنْفِرْ من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا ، فإني قد كتبتُ إليه بالتوجُّه من الأهواز إلى « ماه » فليُوافُوه بها ، وليَسِرْ بهم إلى نهاوند ، وقد أمَّرتُ عليهم حُذَيفَة بن اليمان ، حتى ينتهِيَ إلى النعمان بن مقرِّن ، وقد كتبت إلى النعمان إن حَدَثَ بك حَدَثٌ فعلى الناس حُذيفة بن اليمان ، فإن حَدَث بحذيفة حَدَثٌ . فعلى الناس نُعَيم بن مُقرِّن » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢٩)

٢٤٤ ـ كتاب عمر إلى القواد بفارس

وكتب عمر إلى قوّاد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز :

« أن أشْغَلوا فارس عن إخوانكم ، وحُوطوا بذلك أمَّتَكم وأرضكم ، وأقيموا على حدودِ ما بين فارس والأهواز حتى يأتِيَكم أمرى »

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢٩)

٢٤٥ ـ عهد النعمان بن مقرن لأهل ماه بهراذان

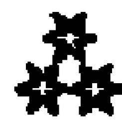
وأتى النعمان بن مُقَرِّن ماه بَهْرَاذَان فجاءه أهلها يطلبون الصلح فأجابهم وكتب لهم كتابًا ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى النعمان بن مُقَرِّن أهل ماه بَهْرَذان: أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأَرضيهم. لا يُغيَّرون عن ملّة ،

ولا يُحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم الْمَنَعَةُ ما أدَّوا الجِزية فى كل سنة إلى مَن وَلِيَهم ، على كل حَالِمٍ فى ماله ونفسه على قدر طاقته ، وما أرشَدُوا ابنَ السبيل ، وأصلحوا الطرقَ ، وقَرَوا[1] جنودَ المسلمين ممن مَرَّ بهم فأَوى إليهم يوما وليلة ، ووَفَوْا ونصَحُوا ، فإن غشُّوا وبدَّلوا فذِمَّتنا منهم بريئة »

شهد عبد الله بن ذى السَّهْمين والقعقاع بن عمرو وجرير بن عبد الله .

وكتب فى المحرم سنة تسع عشرة .



وكتب حُذَيفة بن اليَمان لأهل ماه دينار كتابا صورته كذلك .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٥)

٢٤٦ — كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن

ولما قَدِم أهل الكوفة على النعمان بالطَّزَر جاءه كتاب عمر :

« إن معك حَدَّ العرب ورجالهم فى الجاهلية فأَدْخِلْهم دون من هم دونهم فى العلم بالحرب ، واستعِنْ بهم ، وَأَشْرِبْ[2] برأيهم ، وسَلْ طُلَيْحة وعَمراً وعَمراً[3] ، ولا تولِّهم شيئاً » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٠)

---

(١) أى أضافوهم وأكرموهم .

(٢) سرب : أى روى ، والمعنى : وتقوَّ برأيهم .

(٣) هم طليحة بن خويلد الأسدى ، وعمرو بن أبى سلمى العنزى ، وعمرو بن معديكرب الزبيدى ، وقد بعث بهم النعمان طليعة من الطزر ليكتشفوا له الطريق إلى نهاوند ، ونجح منهم فى ذلك طليحة ، فأتى النعمان وأعلمه أن ليس بينه وبين نهاوند شىء يكرهه .

٢٤٧ — كتاب عمر إلى النعمان

وسار النعمان بجيشه إلى نهاوند حتى نزل عليها ، وكتب إليه عمر :

« إذا لَقِيتم العدوّ فلا تفِرّوا ، وإذا غَنِمْتم فلا تغُلُّوا[1] » .

(كتاب الخراج ص ٤٠)

ونشِب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش الفرس ، وفتحت نهاوند سنة ١٩ هـ ، غير أن النعمان اُستُشْهِد فى أثناء المعركة ، فسَجّاه[2] أخوه نُعَيم بن مُقَرّن بثوب ، وكَتم قَتْلَه عن الجند لئلا يَهِنوا حتى فَتَح الله عليهم .

٢٤٨ — كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

وانهزم الفرس هاربين نحو هَمَذان فكتب عمر إلى نُعَيم بن مُقَرِّن :

« أن سِرْ حتى تأتِىَ هَمَذان ، وابعث على مُقَدّمتك سُوَيْد بن مُقَرِّن ، وعلى مجنّبتيك رِبْعِىّ بن عامر ومُهَلْهِل بن زيد

فسار إليها نعيم وافتتحها (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥١)

٢٤٩ — كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان

ولما أتى عمر فتحُ نهاوند، ورأى أن يَزْدَجرد يبعث عليه فى كل عام حرباً، أَذِن للناس فى الانسياح فى أرض العجم ، فكتب إلى عبد الله بن عبد الله بن عِتبان :

---

(١) غل : كنصر . وأغل : خان . (٢) تسجية الميت : تغطيته .

« أَنْ سِرْ من الكوفة حتى تنزِلَ المدائن ، فانْدُبهم ولا تنتخِبْهم ، واكتب إلى بذلك » ثم سَيَّره إلى إِصبَهان ، (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٦)

٢٥٠ — كتاب عمر إلى أهل الكوفة

وكتب عمر إلى أهل الكوفة :

« إنى بعثتُ إليكم عَمَّار بن ياسر أميراً ، وجعلت عبد الله بن مسعود مُعَلِّما ووزيراً ، وولّيت حُذَيفة بن اليَمَان ما سَقَتْ دِجْلة وما وراءها ، ووليّتُ عثمان بن حُنَيف الفُراتَ وما سَقَى » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٧)

٢٥١ — عهد عبد الله بن عبد الله للفاذوسفان وأهل أصبهان

وسار عبد الله بن عبد الله إلى أصبَهان ، ومَلِكها يومئذ الفاذُوسفان ، ونزل بالناس على « جَىّ » فحاصرهم ، ثم طلب الفاذوسفان المصالحة ، فصالحه عبد الله ، وكتب له كتابًا ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبد الله بن عبد الله للفاذوسفان وأهل أَصْبَهان وما حوالَيْها .

إنكم آمنون ما أدَّيتم الجزية ، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم فى كل سنة ، تُؤَدُّونها إلى الذى يَلِى بلادكم ، عن كل حالم ، ودَلالةُ المسلم ، وإصلاحُ طريقه ، وقِرَاهُ يومًا وليلةً ، وحُمْلانُ[1] الرَّاجِلة إلى مَرْحَلة ، لا تُسَلطوا على مسلم .

(١) الحملان مصدر حمل كالحمل . والمرحلة : المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم .

وللمسلمين نُصْحُكم وأداء ما عليكم ، ولكم الأمانُ ما فعلتم ، فإذا غيَّرتم شيئاً أو غيّره مغيِّرٌ منكم ولم تُسَلّموه فلا أمانَ لكم ، ومن سَبَّ مسلماً بُلِغ منه فإن ضربه قتلناه » .

وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن وَرْقاء وعصمة بن عبد الله

(تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٨)

٢٥٢ — كتاب عمر إلى عبد الله بن عبد الله

وكتب عبد الله بن عبد الله بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

« أنْ سِرْ حتى تَقْدَم على سُهيَل بن عدِىّ ، فتجامِعَه على قتال من بكَرْمان ، وخلِّف فى جَىٍّ مَنْ بَقِى عن جَىٍّ ، واستخلِفْ على أَصْبَهان السائِبَ ابن الأقرع » . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٨)

٢٥٣ — كتب بين عمر وبين حذيفة بن اليمان

وبعث عمر إلى حُذَيفة بن اليَمان بعد ماولاَّه المدائن :

« إنه بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلِّقْها » فكتب إليه :

« لاأفعلُ حتى تُخبِرَنى : أَحَلالٌ أم حَرَامٌ ؟ وماأردتَ بذلك » فكتب إليه :

« لا ، بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خِلابة[1] ، فإن أقبلتم عليهن غَلَبْنكم على نسائكم » .

فقال : الآن « فَطَلِّقْها » : (تاريخ الطبرى ٤ : ١٢٠٧)

---

(١) خلبه كنصره : خلبا بالفتح وخلابا وخلابة بالكسر : خدعه .

٢٥٤ — كتب بين عمر وبين عثمان بن حنيف

وأقطع عمرُ رضى الله عنه نفراً منهم جَرير بن عبد الله ، فكتب إلى عثمان بن حُنيف مع جرير :

« أما بعدُ : فأَقْطِع جرير بن عبد الله قَدْرَ ما يقُوته ، لا وَكْسَ[1] ، ولا شَطَطَ » ، فكتب عثمان إلى عمر:

« إن جريراً قَدِم علىّ بكتاب منك تُقْطِعه ما يقوته ، فكرِهت أنْ أُمْضِيَ ذلك حتى أراجعَك فيه » .

فكتب إليه عمر :

« أنْ قد صَدَقَ جرير فأَنفِذْ ذلك ، وقد أحسنتَ فى مُؤَامرتى[2] » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٤٨)

٢٥٥ — كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

وبينا نُعَيم بن مُقَرِّن فى هَمَذان ، تكاتب الدَّيْلمُ ، وأهلُ الرَّىِّ ، وأهل أذْرَبِيجان ، واجتمعت جموعهم بواج رُوذ ، وبلغ الخبر نعيمًا فاستخلف يزيد ابن قيس ، وخرج إليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً كان النصر فيه حليف المسلمين ، ثم كتب إلى عمر بالفتح ، فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ : فاستخلِفْ على هَمَذانَ ، وأمِدَّ بُكَيْر بن عبد الله بسِماك

(١) الوكس : التنقيص . (٢) المؤامرة : المشاورة .

ابن خَرَشَةَ[1] ، وسِرْ حتى تَقْدَمَ الرَّيَّ ، فتَلْقَى جمعهم ، ثم أَقِمْ بها فإنها أوسطُ تلك البلاد وأجمعُها لِمَا تريد » .

فأقرَّ نعيم يزيدَ بن قيس الهَمْدانى على هَمَذان ، وسار إلى الرىّ ففتحها ، وكتب إلى عمر بالفتح . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٢)

٢٥٦ — عهد نعيم بن مقرن لأهل الرى

وكتب نعيم لأهل الرى كتابا ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى نُعَيم بن مُقَرِّن الزينبي ابن قُوله ، أعطاه الأمانَ على أهل الرَّيِّ ، ومن كان معهم من غيرهم ، على الجِزاء طاقةَ كلِّ حالِمٍ فى كل سنة ، وعلى أن يَنْصحوا وَيدُلُّوا ، ولا يَغُلُّوا ولا يَسُلُّوا[2] ، وعلى أن يَقْرُوا المسلمين يوما وليلةً ، وعلى أن يفخِّموا المسلمَ ، فمن سب مسلماً ، أو استخفَّ به ، نُهِكَ عُقوبةً[3] ، ومن ضربه قُتِلَ ، ومن بدَّل منهم فلم يُسَلِم بِرُمَّته فقد غيَّر جماعَتَكم » ، وكتب وشهد : (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٣)

٢٥٧ — عهد نعيم بن مقرن لأهل دنباوند

وأرسله المصْمَغان فى الصلح على شيء يفتدى به منهم من غير أن يسأله النصر والمنعة ، فقبل منه ، وكتب بينه وبينه كتابًا ، نصه :

---

(١) ليعينه على فتح أذربيجان .

(٢) غل كنصر ، وأغلّ : خان ، وسلّ كنصر أيضا وأسل : سرق .

(٣) أى بولغ فى عقوبته .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من نُعيم بن مقرِّن لِمَرْدانْشاه مَصْمَغان دُنْباوَنْد ، وأهلِ دُنْباوَند ، والخُوَار ، واللارِز ، والشِّرِّز :

« إنك آمِنٌ ومن دخل معك ، على الكَفِّ : أن تكُفَّ أهل أرضك ، وتتقى مَنْ وَلِي الفَرْجَ(١) بمائتى ألف درهم وَزْنَ سَبعةٍ(٢) فى كل سنة ، لا يُغار عليك ، ولا يُدْخل عليك إلا بإذن ، ما أقمتَ على ذلك حتى تغيِّر ، ومن غيَّر فلا عهدَ له ، ولا لِمَن لم يُسلِّمه » .

وكتب وشهد . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٢)

٢٥٨ — كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن

ولما كتب نُعيم بفتح الرَّىِّ إلى عمر ، كتب إليه عمر :

« أَنْ قَدِّمْ سُوَيد بن مُقَرِّن إلى قُومِس ، وابعَثْ على مقدِّمته سِمَاك ابن مَخْرَمة ، وعلى مجنِّبَتيه عُتَيْبة بن النَّهَّاس ، وهِند بن عمرو الجَملى » .

ففَصَل سُوَيد نحو قومِس وفتحها . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٤)

---

(١) الفرج : الثغر وموضع المخافة .

(٢) أى وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وذلك أن الدراهم فى عهد عمر كانت مختلفة ، فنها ما كان وزن عشرة دراهم منه على وزن عشرة مثاقيل ، ومنها ما وزن العشرة منه على وزن ستة مثاقيل ، ومنها وزن العشرة منه على وزن خمسة مثاقيل ، فاختلف أصحاب الأموال وعمال بيت المال ، فأراد الأولون أن يؤدوها من النوع الثالث ، وأبى الآخرون أن يأخذوها إلا من النوع الأول ، فجمع عمر رضى الله عنه الأنواع الثلاثة وأخذ ثلثها فكان سبعة ، فصار المعتبر من ذلك الوقت أن وزن عشرة دراهم سبعة مثاقيل فى كل المقدرات الشرعية ، حتى فى الزكاة ونصاب السرقة والمهر وتقدير الديات، منعاً للخصومة فى المعاملة . انظر حاشية ابن عابدين على الدر ج٢ : ص ٢٨ ، وشرح العناية على الهداية ، وشرح فتح القدير ج ١ ص ٥٢١ وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٤٧١ .

٢٥٩ — عهد سويد بن مقرن لأهل قومس

وكتب سويد لأهل قومس كتابًا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سُوَيد بن مُقَرِّن أهل قومس ، ومن حَشَوا ، من الأمان على أنفسهم ومِلَلهم وأموالهم ، على أن يُؤَدُّوا الجزية عن يَدٍ ، عن كل حالم بقدر طاقته ، وعلى أن ينصحوا ، ولا يَغُشّوا ، وعلى أن يَدُلُّوا ، وعليهم نُزُل[1] مَن نَزَل بهم من المسلمين يوما وليلةً من أوسطِ طعامهم ، وإن بَدَّلوا واستخفُّوا بعهدهم فالذِّمة منهم بريئة » .

وكتب وشهد . (تاريخ الطبرى ٤ . ٢٥٤)

٢٦٠ — عهد سويد بن مقرن لأهل جرجان

وسار سويد إلى جُرْجان فبادره ملكها بالصلح على أن يؤدى الجِزاء فأجابه ، وكتب له كتابًا ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سُوَيد بن مُقَرِّن لرُزْبان صُول بن رُزْبان ، وأهل دِهِسْتان ، وسائر أهل جُرْجان .

إن لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجِزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ، ومن استعَنا به منكم فله جَزاؤه فى معونته عِوَضًا من جزائه ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومِللهم وشرائعهم ، ولا يغيَّر شىء من ذلك هو إليهم ، ما أدَّوا وأرشدوا ابنَ السبيل ، ونَصَحوا وقَرَوا

---

(١) النزل كعنق وقفل : ما هيئ للضيف أن ينزل عليه ، أى القرى .

المسلمين ولم يَبْدُ منهم سَلٌّ ولا غَلٌّ ، ومن أقام فيهم فله مثلُ ما لهم ، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمَنَهُ ، وعلى أن من سَبَّ مسلماً بُلِغَ جَهْدُهُ ، ومن ضربه حَلَّ دمه » .

شهد سَواد بن قُطْبة ، وهند بن عمرو ، وسِمَاك بن مَخْرَمة ، وعُتَيْبة ابن النَّهَّاس ، وكتب فى سنة ثمانى عشرة . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٤)

٢٦١ — عهد سويد بن مقرن لأهل طبرستان

وراسله صاحب طَبَرِسْتان فى الصلح ، فقبل منه ، وكتب له كتابا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سُويد بن مُقَرِّن للفَرُّخان أَصْبَهْبَذْ خُراسان على طَبَرِسْتان وجِيل جِيْلان من أهل العدو .

إنك آمِنٌ بأمان الله عز وجل على أن تَكُفَّ لُصُوتَك(١) ، وأهل حَوَاشِى أرضك ، ولا تُؤْوِى لنا بُغْيَةً ، وتتَّقى من وَلِىَ فَرْج أرضك ، بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك ، فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يُغِير عليك ، ولا يَطْرُق أرضك ، ولا يدخل عليك إلا بإذنك ، سبيلُنا عليكم بالإذن آمِنَةٌ ، وكذلك سبيلكم ، ولا تُؤْوُون لنا بُغْيَة ، ولا تَسُلُّون لنا إلى عدو ولا تَغُلُّون ، فإن فعلتم فلا عَهْدَ بيننا وبينكم » .

شهد سواد بن قُطْبة التميمى ، وهند بن عمرو المُرَادى ، وسِماك بن مَخْرَمة الأسدى ، وسِمَاك بن عُبَيد العبسى ، وعُتَيْبة بن النَّهَّاس البكرى ، وكتب سنة ثمانى عشرة . (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٤)

(١) اللصوت : اللصوص جمع لصت مثلث اللام .

٢٦٢ — عهد عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان

وسار بُكَير بن عبد الله إلى أَذْرَبيجان ، وأمدَّه نعيم بن مقرن بسِماك ابن خَرَشة ، وعُتْبة بن فَرْقد ففتحوها ، ثم ولَّى عمر عتبةَ على أذربيجان ، فكتب بينه وبين أهلها كتابًا ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عُتْبة بن فَرْقد عامل عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أهلَ أَذْرَبيجان سَهْلها ، وجَبَلها ، وحواشيها ، وشِفارِها(١) ، وأهل مِلَلِها كلهم ، الأمانَ على أنفسهم ، وأموالهم ، ومِلَلهم ، وشرائعهم ، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ، ليس على صبي ، ولا امرأة ولا زَمِن(٢) ليس فى يديه شيء من الدنيا ، ولا متعبِّد مُتَخلٍّ ليس فى يديه من الدنيا شيء ، لهم ذلك ولمن سكن معهم ، وعليهم قِرَى المسلم من جنود المسلمين يوما وليلةً ودلالتُه ، ومن حُشِرَ(٣) منهم فى سنة وُضِعَ عنه جِزاءُ تلك السنة ، ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حِرْزه » .

وكتب جُنْدُب ، وشهد بكير بن عبد الله الليثى ، وسماك بن خَرَشة الأنصارى ، وكتب فى سنة ثمانى عشرة . (تاريخ الطبرى ٤ : ١٥٥)

---

(١) الشفر بالضم والشفير : ناحية كل شيء . (٢) الزمانة بالفتح : العاهة ، زمن كفرح فهو زمن وزمين . (٣) أى ندب إلى المغازى .

٢٦٣ — عهد سراقة بن عمرو أهل لأرمينية

وسار سُرَاقة بن عمرو إلى الباب ـ وملكها يومئذ شَهْرَبَرَاز ـ فكلّم سرافة فى الصلح فأجابه ، وكتب لهم كتابا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سُرافة بن عمرو عاملُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شَهْرَبَرَازَ ، وسُكّان أَرْمِينيَة والأرمن ، من الأمان ، أعطاهم أمانًا لأنفسهم ، وأموالهم ، ومِلّتهم : أَلاَّ يُضَارُّوا ، ولا يُنْتَقَصوا ، وعلى أهل أرمينية والأبواب : الطُّرّاء منهم والتُّنَّاء(١) ، ومن حَولهم فدَخَل معهم أن يَنفِرُوا لكل غارة ، ويَنْفُذوا لكل أمر ناب أو لم يَنُبْ رآه الوالى صلاحا ، على أن توضعَ الجِزاء عمن أجاب إلى ذلك : إلى(٢) الحَشْر ، والحشرُ عِوَضٌ من جِزائهم ، ومن استُغْنِى عنه منهم وقعد فعليه مثلُ ما على أهل أَذْرَبيجان من الجِزاء والدّلالة ، والنُّزْل يومًا كاملا ، فإن حُشِروا وُضِع ذلك عنهم ، وإن تركوا أُخذوا به » .

شهد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسَلْمان بن ربيعة ، وبُكَيْر بن عبد الله ، وكتب مَرْضِيّ بن مُقَرِّن وشهد .

ووجّه سُراقة بعد ذلك ، بُكير بن عبدالله ، وحبيب بن مَسْلَمة ، وحُذَيفة ابن أَسِيد ، وسلمان بن ربيعة إلى أهل الجبال المحيطَة بأرمينية ، فوجّه بكيراً إلى مُوقان ، وحبيباً إلى تَفْلِيس ، وحُذَيفة إلى جبالِ اللّان ، وسلمان إلى الوجه الآخر . (تاريخ الطبرى ٤ . ٢٥٧)

---

(١) طرأ على القوم كمنع : طلع عليهم من بلد آخر ، فهو طارئ والجمع طرّاء ، وتنأ بالمكان كمنع أيضا فهو تانئ ، والجمع تنّاء . (٢) فى الأصل «إلا» وهو تحريف .

٢٦٤ — عهد بكير بن عبد الله لأهل موقان

ومضى أولئك القواد، فلم يفتتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير، فإنه فَضَّ مُوقان، ثم تراجعوا على الجزية، فكتب لهم كتابًا، نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى بُكَيْر بن عبد الله أهلَ مُوقان من جبال القَبج: الأمانَ على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجِزاء دينار عن كل حالم أو قيمته، والنُّصح ودلالة المسلم، ونُزُله يومَه وليلَته، فلهم الأمان ما أقرُّوا ونَصَحوا، وعلينا الوفاء، والله المستعان، فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمانَ لهم إلا أن يسلِّموا الغَشَشَة برُمَّتهم، وإلاّ فهم متمالِئون[1] ».

شهد الشَّمّاخ بن ضِرار، والرُّسارِسُ بن جُنادِب، وحَمَلة بن جُوَية، وكتب سنة إحدى وعشرين. (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٥٧)

٢٦٥ — كتاب عمر إلى الأحنف بن قيس

وسار الأحنف بن قيس إلى خُراسان لملاقاة يزدجرد ـ وقد نزل بمَرْو يُثير أهل فارس على المسلمين ـ فلاقى جموعه، وانهزم يزدجرد حتى عَبَر النهر، وكتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان، فكتب إليه عمر:

« أما بعدُ: فلا تجوزَنَّ النهر، واقتصر على ما دونه، وقد عرَفتم بأى شىء دخلتم خراسان، فداوموا على الذى دخلتم به خراسان يَدُمْ لكم النصر، وإياكم أن تَعبُروا فتنفضُّوا ». (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٦٤)

---

(١) مالأه على الأمر: ساعده وشايعه، وتمالئوا عليه.

٢٦٦ — كتاب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله رضى الله عنهما :

« أمّا بعدُ : فإنه من اتقى اللهَ وَقَاه ، ومن توكّل عليه كَفاه ، ومن شَكَر له زادَه ، ومن أقْرَضَه[1] جَزَاه ، فاجعل التقوى عِمَادَ قلبك ، وجِلاء بصرك ، فإنه لا عَمَلَ لمن لا نيّةَ له ، ولا أجْرَ لمن لا حَسَنةَ له ، ولا مال لمن لا رِفقَ له ، ولا جَدِيدَ لمن لا خُلَقَ له » .

(زهر الآداب ١ : ٤١ ومجمع الأمثال ٢ : ٢٧٧)

٢٦٧ — كتاب عمر إلى شريح

وعن شُرَيْح[2] بن الحارث أن عمر رضى الله عنه كتب إليه :

« لا تُشارِ[3] ، ولا تُمارِ ، ولا تَبِعْ ، ولا تَبْتَعْ فى مجلس القضاء ، ولا تقضِ بين اثنين وأنت غضبان » . (البيان والتبيين ٢ : ٧٥)

---

(١) أى أنفق ماله فى سبيل الله ، وقدم العمل الصالح الذى يطلب به ثواب الله فى الآخرة ، قال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً » . وقال : « وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً ، وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وأَعْظَمَ أَجْرًا » .

(٢) كان من كبار التابعين وأدرك الجاهلية ، واستقضاه عمر على الكوفة ، فأقام قاضيا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء فى فتنة ابن الزبير ، واستعفى الحجاج ابن يوسف من القضاء فأعفاه ، وتوفى سنة ٨٧ هـ وهو ابن مائة سنة ، وقيل غير ذلك .

(٣) المشاراة : الملاجّة ، يقال هو يشارى فلانا أى يلاجّه .

٢٦٨ — كتاب عمر إلى النعمان بن عدىّ

واستعمل عمر النُّعْمانَ بن عَدِىٍّ بن نَضْلَةَ على مَيْسانَ[1] ، فبلغه عنه الشعر الذى قاله ، وهو :

ومَنْ مُبْلِغُ الْحَسْنَاءِ أَنَّ خَلِيلَها ... بِمَيْسانَ يُسْقَى من زُجاجٍ وحَنْتَمِ[2]

إذا شئْتُ غَنَّتْنِي دَهاقِينُ قريةٍ ... وصنَّاجَةٌ تَحْدُو على كل مَنْسِمِ[3]

فإن كنتَ نَدْمانِي فبالأكبرِ اسْقِنِي ... ولا تَسْقِنِي بالأصغرِ المتثلِّمِ[4]

لعلّ أميرَ المؤمنين يسوءه ... تَنادُمُنا بالجَوْسَقِ المتهدِّمِ[5]

فكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . حٰم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ[6] لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ » ، أما بعد : فقد بلغَنى قولك : « لعل أمير المؤمنين يسوءه . . . . . البيت ، وايمُ الله إنه ليسوءنى ، فاقْدَم فقَدْ عزلتك » فلما قَدِم عليه ، قال : يا أمير المؤمنين . واللهِ ما شربتها قط ، وإنما هو شعر طَفَح على لسانى ، وإنى لشاعر ، فقال عمر : أظنّ ذاك ، ولكن لا تعمَلُ لى على عَمَلٍ أبداً .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٩٨)

---

(١) اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط .

(٢) الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة ، ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم ، واحدتها حنتمة . (٣) الدهاقين جمع دهقان بالكسر والضم : وهو زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم ، معرب ، والصنج كشمس : شىء يتخذ من صفر (بالضم أى نحاس) يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة بأوتار يضرب بها ، معرب ، واللاعب به يقال له : الصناج والصناجة (وكان أعشى بكر يسمى صناجة العرب لجودة شعره) وحدا الإبل وحدا بها : غنى لها ، والمنسم الطريق والمذهب والوجه (والمنسم أيضا : خف البعير) .

(٤) الندمان : النادم وجمعه ندامى (وقد يكون الندمان جمعا) .

(٥) الجوسق : القصر . (٦) الطول : الفضل والقدرة .

٢٦٩ - كتاب نصر بن حجاج إلى عمر

وروى أنه بينا كان عمر بن الخطاب يَعُسُّ[١] ذات ليلة فى سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمرٍ فأشربَها ... أم من سبيل إلى نصر بن حَجَّاج؟

فقال عمر : أمّا ما عِشتُ فلا ، لا أَرَى معى فى المدينة رجلاً تهتِفُ به العوَاتِق[٢] فى خُدورهن ، علىّ بنصر بن حجاج ، فلما أصبح أُتى به ، فإذا هو من أحسن الناس وجهاً وعيناً وشَعْراً ، فقال له : فَتَنْتَ نساء المدينة يابن حجاج ، واللهِ لا تساكننى ببلدة أنا فيها ، فقال يا أمير المؤمنين : ما ذنبي ؟ قال : هو ما أقول لك ، وسيّره إلى البصرة .

وأبرَدَ عمر بَريداً إلى عُتْبة بن أبى سفيان بالبصرة فأقام بها أياما ، ثم نادى منادى عُتبة : من أراد أن يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئاً فليكتب ، فإن بريد المسلمين خارج ، فكتب الناس ، ودسّ نصر ابن حجاج كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر ابن حجاج ، سلام عليك ، أما بعد يا أمير المؤمنين :

لعَمْرِى لئن سَيَّرْتَنى أو حَرَمْتَنِى ... لَمَا نِلْتَ من عِرْضى عليك حرامُ

أأَنْ غنّتِ الذلفاءُ يوما بمُنْيَةٍ ... وبعضُ أمانِيِّ النساء غرامُ[٣]

---

(١) عسّ كرد : طاف بالليل .
(٢) العواتق ، جمع عاتق : وهو الجارية أول ما أدركت ، أو التى لم تتزوج .
(٣) الذلفاء اسم امرأة ، وأصلها من الذلف بالتحريك وهو صغر الأنف واستواء الأرنبة .

ظننتَ بىَ الظنَّ الذى ليس بعده بقاءٌ ، وما لى جُـرْمُه فألامُ(١)
فأصبحتُ منفيًّا على غير رِيبة وقد كان لى بالمكّتَيْنِ مُقامُ(٢)
سيمنعنى مما تظنُّ تكرُّمى وآباءُ صدقٍ سالفون كِرامُ
ويمنعها مما تمنّتْ صلاتُها وحالٌ لها فى دينها وصِيامُ
فهاتان حالانا ، فهل أنت راجِعِى ؟ فقد جُبَّ منى كاهِلٌ وسَنامُ(٣)

فقال عمر : أما وَلِى ولايةٌ فلا ، وأقطعَه أرضاً بالبصرة وداراً ، فلما قتل عمر ركب راحلته ، ولحق بالمدينة .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٩٩ ، وثمرات الأوراق ص ٢٤٦)

٢٧٠ — كتاب عمر لأنس بن مالك

عن أنس بن مالك قال : بعثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العشور ، وكتب لى عهداً : « أن آخُذَ من المسلمين مما اختلفوا فيه لتجاراتهم ربع العُشْر ، ومن أهل الذِّمّة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر »

(كتاب الخراج ص ١٦١)

---

(١) وفى شرح ابن أبى الحديد « بقاء ، فما لى فى الذىّ كلام » .

(٢) أى مكة والمدينة ، على التغليب .

(٣) راجعى : أى رادّى ، وجب : قطع ، والكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق ، عبر بذلك عما لقيه فى غربته من الشدة والشقاء .

وذكروا أن المتمنية : هى الفارعة أم الحجاج ، ولما تمنت كانت تحت المغيرة بن شعبة ، وقيل إن المتمنية هى جدة الحجاج أم أبيه وهى كتابية — انظر ابن خلكان ١ : ١٢٤ .

٢٧١ — كتاب أبي موسى الأشعرى إلى عمر

وكتب أبو موسى الأشعرى إلى عمر بن الخطاب :

« إن تجارا من قِبَلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر » .

٢٧٢ — رد عمر عليه

فكتب إليه عمر :

« خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً ، وليس فيما دون المائتين شيء ، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم ، وما زاد فبحسابه » .

(كتاب الخراج ص ١٦١)

٢٧٣ — كتاب عمر إلى عماله

وكتب عمر إلى عماله يوصيهم ، فقال فى جُمْلة الكتاب :

« اُرْتَدُوا وأْتَزِرُوا وانْتَعِلُوا ، وَأَلْقُوا الخِفافَ والسَّراويلاتِ[١] ، وألقوا الرُّكُب[٢] ، وانْزُوا نَزْوًا على الخيل ، واخْشَوْشِنوا وعليكم بالمَعَدِّيَّةِ ـ أو قال

(١) السراويل : فارسى معرب ، مؤنث ويذكر على لفظ الجماعة ، وهو مفرد وجمعه سراويلات وقيل جمع سروال وسروالة ، وأنشدوا :

عليه من اللؤم سروالة فليس يرقّ لمستعطف

والسراوين بالنون لغة فيه ، والشروال بالشين لغة أيضا .

(٢) الركب جمع ركاب ككتاب وهو للسرج كالغرز للرحل ، ونزا ينزو : وثب .

وتَمَعْدَدُوا[١] ـ وارْمُوا الأغراضَ ، وعَلِّموا فِتْيانَكم العَوْمَ والرِّمَايَة ، وذَرُوا التنعُّم وزِيَّ العَجَم ، وإياكم والحريرَ ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عنه وقال : لا تلبَسوا من الحرير[٢] إلا ما كان هكذا وأشار بإصبعيه » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ١١٩)

٢٧٤ — كتاب أمير الطائف إلى عمر

وكتب بعض أمراء الطائف إلى عمر :

« إن أصحاب النخل لا يُؤَدُّون إلينا ما كانوا يؤدُّون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسألون مع ذلك أن نَحْمِيَ أوديتهم ، فاكتب إليّ برأيك في ذلك » .

٢٧٥ — رد عمر عليه

فكتب إليه عمر :

« إن أدَّوْا إليك ما كانوا يؤدُّون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاحْمِ لهم أوديتهم ، وإن لم يؤدُّوا إليك ما كانوا يؤدون إليه فلا تَحْمِ لهم » .

(كتاب الخراج ص ٦٦)

(١) تمعددوا : تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا أهل تقشف وغلظ في المعاش ، يقول : كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزي العجم ، وهكذا هو في حديثه الآخر : « عليكم باللبسة المعدّية » أي خشونة اللباس . (٢) وفي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحرير إلا هكذا ، وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام (أي السبابة والوسطى) يعني الأعلام (جمع علم بالتحريك وهو رسم الثوب ورقمه في أطرافه) ـ انظر باب اللباس .

٢٧٦ — كتاب عمر إلى يعلى بن أمية

عن يَعْلَى بن أُمَيَّة قال : لما بعثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه على خراج أرض نَجْرَان ـ يعنى نجران التى قُرْبَ اليمن ـ كتب إلىّ أن :

« انظر كل أرض جَلاَ أهلُها عنها ، فما كان من أرض بيضاء تُسْقَى سَيْحاً[1] ، أو تسقيها السماء ، فما كان فيها من نخيل أو شجر ، فادفعه إليهم يقومون عليه ويسقونه ، فما أخرج الله من شيء فلِعمَرَ وللمسلمين منه الثلثان ، ولهم الثلث ، وما كان منها يُسْقَى بغَرْب[2] ، فلهم الثلثان ، ولعُمَرَ وللمسلمين الثلث .

وادفع إليهم ما كان من أرض بيضاء يزرعونها ، فما كان منها يُسْقَى سَيْحاً أو تسقيه السماء ، فلهم الثلث ، ولعُمَرَ وللمسلمين الثلثان ، وما كان من أرض بيضاء تُسْقَى بغَرْب ، فلهم الثلثان ، ولعمر والمسلمين الثلث » .

(كتاب الخراج ص ٨٩)

٢٧٧ — كتاب غلام لعبد الله بن عمر إليه

وكتب غلام لعبد الله بن عمر إلى عبد الله بن عمر :

« أما بعدُ : فقد أُعْطِيت بفضل[3] مائَى تلاثين ألفاً بعدما أرويت زَرْعى ونَخْلى وأصلى ، فإن رأيتَ أنْ أبيعَه وأشترىَ به رَقِيقاً أستعينُ بهم فى عملك فعلت » .

---

(١) السيح : الماء الجارى الظاهر . (٢) الغرب : الدلو . (٣) الفضل : الزيادة .

٢٧٨ — رد عبد الله بن عمر على غلامه

فكتب إليه :

« قد جاءنى كتابك ، وفهمتُ ما كتبتَ به إلىّ ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مَنَعَ فضْلَ ماء ليمنَعَ به فضْل كَلَأٍ منعه الله فضله يوم القيامة » فإذا جاءك كتابى فاسْقِ نخلك وزرعك وأصلك ، وما فَضَل فاسْقِ جيرانك الأقربَ فالأقربَ ، والسلام .

(كتاب الخراج ص ١١٤)

٢٧٩ — كتاب عمر إلى الحصين بن الحر

وكتب الحُصَيْن بن الحُرّ كتابًا إلى عمر ، فلَحَن فى حرف منه ، فكتب إليه عمر : « أنْ قَنِّعْ[1] كاتِبَك سَوْطا » . (البيان والتبيين ٢ : ١١٢)

٢٨٠ — كتاب عمر إلى المغيرة بن شعبة

وكتب عمر إلى المغيرة بن شعبة :

« إن النساء يُعْطِينَ على الرَّغبة والرَّهْبة ، وأيُّما امرأةٍ نَحَلَتْ[2] زوجَها فأرادت أن تعْتَصِرَ[3] فهُوَ لها » . (لسان العرب ٦ : ٢٥٦)

---

(١) قنع رأسه بالسوط : غشاه به .

(٢) نحله : أعطاه . (٣) أعطيت فلانا عطية فاعتصرتها : أى رجعت فيها .

٢٨١ — كتاب المغيرة بن شعبة إلى عمر

وكان عمر رضى الله عنه لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة ، فكتب إليه المُغيرة بن شُعْبة :

« إن عندي غلاما نَقّاشاً نَجّاراً حداداً فيه منافعُ لأهل المدينة ، فإن رأيت أن تأذن لى فى الإرسال به فعلتُ » .

فأذِنَ له ، وكان يدعى أبا لُؤْلؤة ، وكان مجوسيّا من أهل نَهاوَند ، وهو الذى قتل عمر[1] . (مروج الذهب ١ : ٤٢٦)

خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

سنة ٢٤ — ٣٥

٢٨٢ — كتابه إلى عماله

كان أول كتاب كتبه عثمان بن عَفّان رضى الله عنه إلى عماله :

« أما بعدُ: فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رُعَاةً ، ولم يتقدّمْ[2] إليهم أن يكونوا جُبَاةً ، وإنّ صَدْرَ هذه الأمة خُلقوا رعاة لم يُخلَقوا جُباة ، وليوشِكَنّ أئمتكم

(١) كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين فلبث ما شاء الله ، ثم أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجه فقال له عمر : وما تحسن من الأعمال ؟ قال : نقاش نجار حداد ، فقال له عمر : ما خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ، قال : فاعمل لى رحى ، قال : لأصنعن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه وقد أضمر له السوء ، فقال عمر : لقد توعدنى العبد آنفا ، وترصد له وهو خارج لصلاة الفجر فقتله .

(٢) تقدم إليه فى كذا : أمره وأوصاه به .

أن يصيروا جُباة ، ولا يكونوا رُعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا وإن أعْدَلَ السِّيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين ، وفيما عليهم فتعطوهم مالهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تُثَنُّوا بالذِّمَّة فتعطوهم الذى لهم ، وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدوّ الذى تنتابون فاستفتِحُوا عليهم بالوفاء » . (تاريخ الطبرى ٥ : ٤٤)

٢٨٣ — كتابه إلى أمراء الأجناد

وكان أول كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد فى الفروج[١] :

« أما بعدُ : فإنكم حُمَاةُ المسلمين وذَادَتهم[٢] ، وقد وضع لكم عُمر مالم يَغِبْ عنا ، بل كان عن مَلَأٍ[٣] منا ، ولا يَبْلُغَنِّى عن أحد منكم تغيير ، ولا تبديل ، فيغيِّرَ الله ما بكم ، ويستبدلَ بكم غيرَكم ، فانظروا كيف تكونون ، فإنى أنظر فيما ألزمنى اللهُ انظرَ فيه ، والقيام عليه » . (تاريخ الطبرى ٥ : ٤٤)

٢٨٤ — كتابه إلى عمال الخراج

وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج :

« أما بعدُ : فإن الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق ، والأمانةَ الأمانةَ قوموا عليها ، ولا تكونوا أول من يُسْلَبها ، فتكونوا شركاء مَن بَعْدَكم إلى ما اكتسبتم ، والوفاءَ الوفاءَ ، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهَد فإن الله خَصْم لمن ظَلَمَهم » . (تاريخ الطبرى ٥ : ٤٤)

---

(١) فروج : جمع فرج وهو الثغر وموضع المخافة .

(٢) ذادة جمع ذائد من ذاد عنه أى دفع . (٣) الملأ : التشاور ، والجماعة .

٢٨٥ — كتابه إلى العامة

وكان كتابه إلى العامة :

« أما بعدُ : فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتِّباع ، فلا تلْفِتَنَّكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمْرَ هذه الأمة صائرٌ إلى الابتداع بعد اجتماعِ ثلاثٍ فيكم : تكامُلِ النعم ، وبلوغِ أولادكم من السَّبَايَا ، وقراءةِ الأعرابِ والأعاجمِ القرآنَ ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الكفر فى العُجْمة» فإذا استعجَم عليهم أمر تكلَّفوا وابْتَدَعوا » . (تاريخ الطبرى ٥ : ٤٥)

٢٨٦ — كتابه إلى عماله

وكتب إلى عُمَّاله :

« أما بعدُ : استعينوا على الناس وكلِّ ما ينُوبكم بالصَّبر والصلاة ، وأمْرَ الله أَقِيمُوه ، ولا تُدْهِنوا(١) فيه ، وإياكم والعَجَلَةَ فيما سوى ذلك . وارضَوا من الشرِّ بأَيْسَره ، فإن قليلَ الشرِّ كثير ، واعلموا أن الذى ألَّف بين القلوب هو الذى يفرِّقها ، ويباعِدُ بعضَها من بعض . سِيرُوا سِيرة قومٍ يريدون الله لِئَلا تكون لهم على الله حُجَّة » .

---

(١) الإدهان : إظهار خلاف ما يضمر والغش .

٢٨٧ — كتابه إلى عماله

وكتب إليهم أيضاً :

« إن الله ألَّف بين قلوب المسلمين على طاعته ، وقال سبحانه : « لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ » وهو مُفرِّقها على معصيته ، ولا تَعْجَلُوا على أحد بحدٍّ قبل استِيجابه ، فإن الله تعالى قال : « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ » من كفر داويناه بدوائه ، ومن تولَّى عن الجماعة أنصفناه وأعطيناه حتى تقطع حجته وعُذره ، إن شاء الله » .   (أشهر مشاهير الإسلام ج ٤ : ص ٧٥٥)

٢٨٨ — كتاب عثمان إلى الوليد بن عقبة

وولَّى عثمانُ الوليدَ بن عُقْبة الكوفةَ ، ومنع أهلُ أَذْرَبيجان وأَرْمِينية ما كانوا صالحوا المسلمين عليه أيام عمر ، فغزاهم الوليد ووَطِئهم بجيشه ، فانقادوا له ، وطلبوا إليه أَن يَتِمَّ لهم على ذلك الصلح ، فقبِلَ وقبض منهم المال — وكان ذلك سنة ٢٤ هـ —

ولما أصاب حاجته من أَرمينية ، ودخل المَوْصِلَ فنزل الحَدِيثَةَ ، أتاه كتاب من عثمان رضى الله عنه :

« أما بعدُ : فإن معاوية بن أبى سُفيان كتب إلىّ يُخبرنى أن الروم قد أَجْلَبَتْ على المسلمين بجموع عظيمة ، وقد رأيتُ أن يُمِدّهم إخوانُهم من أهل الكوفة ، فإذا أتاك كتابى هذا ، فابعث رجلا ممن ترضى نَجْدته وبأسه

وشجاعته وإسلامه ، فى ثمانية آلاف ، أو تسعة آلاف ، أو عشرة آلاف إليهم ، من المكان الذى يأتيك فيه رسولى والسلام » .

فسيّر الوليد إلى الشام ثمانية آلاف رجل بقيادة سَلْمان بن رَبيعة الباهلى ، فشنّوا الغارات مع جند الشام على أرض الروم ، فأصاب الناس ما شاءوا من سَبْى ، وملئوا أيديهم من المغنَم ، وافتتحوا بها حصونا كثيرة .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٤٦)

٢٨٩ — كتابه إلى عماله

وكتب عثمان إلى عماله :

« أما بعدُ : فقومُوا على ما فارقتم عليه عُمَرَ ولا تُبَدِّلوا ، ومهما أشكَل عليكم فرُدُّوه إلينا نَجْمَعْ عليه الأمة ثم نردّه عليكم ، وإياكم وأن تُغَيِّرُوا فإنى لست قابلا منكم إلا ما كان عُمَرُ يقْبل » . (تاريخ الطبرى ٥ : ٥٣)

٢٩٠ — كتابه إلى أهل الأمصار

وكتب عثمان إلى الناس فى الأمصار :

« أنِ ائتَمِرُوا بالمعروف ، وتناهَوْا عن المنكر ، ولا يُذِلَّ المؤمن نفسَه ، فإنى مع الضعيف على القوىّ ما دام مظلومًا ، إن شاء الله » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٤)

٢٩١ — كتاب عثمان إلى أهل الكوفة

وعزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة حين اتهم بشرب الخمر[١] سنة ٣٠ هـ ووّلاها سعيد بن العاص ، وكتب إلى أهل الكوفة :

« أما بعدُ : فإنى كنت ولَّيتكم الوليدَ بن عُقْبة غلاما حين ذهب شَرَهُه وثَابَ حِلْمُه ، وأوصَيْتُه بكم ولم أوصِكم به ، فلما أعْيَتكم علاَنِيتُه طعَنْتم فى سريرته وقد ولَّيتكم سعيدَ بن العاص وهو خيرُ عشيرته . وأُوصِيكم به خيراً ، فاستَوْصُوا به خَيْراً » . (العقد الفريد ٢ : ٢٢٣)

٢٩٢ — كتاب سعيد بن العاص إلى عثمان

ولما قدم سعيد بن العاص الكوفة سأل عن أهلها ، فأُقيمَ على حالهم ، فكتب إلى عثمان بالذى انتهى إليه :

« إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم ، وغُلب أهلُ الشَّرَف منهم والبيوتاتِ والسَّابقة والقُدْمة[٢] ، والغالبُ على تلك البلاد رَوَادِفُ[٣] رَدِفَتْ ، وأعرابٌ لَحِقَتْ ، حتى ما يُنظَر إلى ذى شرف ولا بَلاء من نازِلتها ، ولا نابِتتها »

---

(١) روى أنه شرب الخمر بالكوفة وسكر حتى دخل عليه ، وأخذ خاتمه من إصبعه وهو لا يعلم ، وصلى بالناس الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت إليهم فقال : وإن شئتم زدتكم ، وقامت عليه البينة بذلك عند عثمان ، فجلده عليّ عـابن .

(٢) القدمة : السابقة فى الأمر .

(٣) الروادف : أتباع القوم المؤخرون ، وردفه بالكسر . تبعه .

٢٩٣ — رد عثمان على كتاب سعيد

فكتب إليه عثمان :

«أمّا بعدُ : فَفَضِّلْ أهلَ السابقة والقُدْمة ممن فَتَحَ اللهُ عليه تلك البلادَ . ولىكن من نَزلها بسببهم تَبَعاً لهم ، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق ، وتركوا القيام به وقام به هؤلاء ، واحفَظْ لكلٍّ منزلَته ، وأعْطِهم جميعاً بقِسْطهم من الحق ، فإن المعرفة بالناس بها يُصاب العَدْلُ » . (تاريخ الطبرى ٥ : ٦٣)

٢٩٤ — كتب بين عثمان وبين سعيد بن العاص

وروى أن سعيد بن العاص تزوّج وهو على الكوفة هند بنت الفَرَافِصَة [١] بن الأحوص بن عمر بن ثَعْلَبة الكلبي ، فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه :

« أما بعد : فإنه قد بلغنى أنك تزوجت امرأة من كَلْب ، فاكتب إلىّ بنَسَبِها وجمالها » .

فكتب إليه :

« أما بعدُ : فإن نسبها أنها بنت الفَرافِصة بن الأحوص ، وجمالها أنها بيضاء مَدِيدة » .

فكتب إليه :

« إن كانت لها أخت فزوِّجْنيها . » .

فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان . فأمر الفرافصة ابنه ضَبًّا فزوجها إياه . (الأغانى ١٥ . ٦٧)

---

(١) قال صاحب اللسان : « ليس فى العرب من تسمى الفرافصة بالألف واللام غيره » .

٢٩٥ — كتاب معاوية إلى عثمان

وقام أبو ذَرٍّ الغِفَارِيّ[١] بالشام ـ سنة ٣٠ هـ ـ وجعل يقول : « يامَعْشَرَ الأغنياء ، واسُوا الفقراء ، بشِّر الذين يَكنِزُون الذهب والفضّة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاوٍ من نار تُـكوَى بها جِباهُهُم وجُنُوبهم وظُهورُهم » فما زال حتى وَلِعَ الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء ما يَلقَوْن من الناس[٢] ، فكتب معاوية إلى عثمان

« إن أبا ذَرٍّ قد أعضَلَ[٣] بى . وإنه تجتمع إليه الجموع ، ولا آمَنُ أن يُفْسِدهم عليك ، فإن كان لك فى القوم حاجة فاحْمِلْه إليك .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٦٦ ، ومروج الذهب ١ : ٤٣٨)

٢٩٦ — كتاب عثمان إلى معاوية

فكتب إليه عثمان :

« إن الفتنة قد أخرجَتْ خُطُمَها[٤] وعيْنَيها ، فلم يبق إلاّ أن تَثِبَ ،

---

(١) هو جندب بن جنادة أسلم والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة أول الاسلام ، وكان رابع أربعة ، وقيل خامس خمسة ، وقد هاجر إلى الشام بعد وفاة أبى بكر ، وتوفى بالربذة سنة ٣٢ هـ ـ انظر ترجمته فى أسد الغابة ١ : ٣٠١ ، والاصابة ٧ : ٦٠ .

(٢) كان الذى بعث أبا ذر هو عبد الله بن سبأ ، وهو يهودى من أهل صنعاء أمه سوداء ، وقد أسلم فى زمن عثمان ، ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فلما ورد الشام لقى أبا ذر . فقال : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية . يقول : المال مال الله ، ألا إن كل شىء لله ، كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين ، فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟ قال : فلا تقله ، قال : فإنى لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين .

(٣) أعضل به الأمر ، وأعضله وعضل به : اشتد وغلظ واستغلق .

(٤) الخطم . جمع خطام ككتاب وهو الزمام .

فلا تنكأ[1] القرح ، وجهز أبا ذر إلىّ وابعث معه دليلا وزوده ، وارفق به ، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت ، فإنما تمسك ما استمسكت .

فأشخصه معاوية إلى عثمان ، فقال له : يا أبا ذر ما لأهل الشأم يشكون ذربك[2] ؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا ، فقال : يا أبا ذر علىّ أن أقضي ما علىّ وآخذ ما على الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد . وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد ، قال : فتأذن لى فى الخروج ، فإن المدينة ليست لى بدار ؟ فأذن له فخرج فنزل الربذة[3] .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٦٦)

٢٩٧ — كتاب عثمان إلى عبد الرحمن بن ربيعة

وكتب عثمان إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على « الباب » .

« إن الرعية قد أبطر كثيراً منهم البطنة[4] ، فقصر ولا تقتحم بالمسلمين ، فإنى خاش أن يبتلوا » .

فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته ، وكان لا يقصر عن بلنجر ، فحصرها وقاتله الترك فأصيب وانهزم المسلمون وتفرقوا .

وكان ذلك سنة ٣٢ هـ . (تاريخ الطبرى ٥ : ٧٨)

---

(١) نكأ القرحة كمنع : قشرها قبل أن تبرأ فندت .

(٢) ذرب كفرح ذربا : صار حديدا ماضيا . (٣) قرب المدينة .

(٤) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام ، والبطر والأشر .

٢٩٨ — كتاب مرزبان مرو إلى الأحنف بن قيس

وسار الأحنف بن قيس سنة ٣٢ هـ إلى مَرْوَرُوذ فَحَصَر أهلها ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حِصْنهم ، فأشرفوا عليهم فقالوا : أمهِلونا ننظُرْ يومنا وارجعوا إلى عسكركم ، فرجع الأحنف ، فلما أصبح غاداهم ، فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة فإذا رسول من مَرْزُبان مَرْو : ابن أخيه وتَرْجُمانه ، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف . فقرأ الكتاب فإذا هو :

« إلى أمير الجيش :

إنا نحمَد اللهَ الذى بيده الدُّوَلُ يغيِّر ما شاء من الملك ، ويرفع من شاء بعد الذِّلة ، ويَضَع من شاء بعد الرِّفعة :

إنه دعانى إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جَدِّى ، وما كَانَ رَأَى من صاحبكم من الكرامة والمنزِلة ، فَمَرْحَبًا بكم وَأَبْشِروا ، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا ، على أن اؤدِّىَ إليكم خراجًا ستين ألفَ درهم : وأن تقِرُّوا بيدى ما كان مَلِك الملوك كسرى أَقْطعَ جَدَّ أبى ، حيث قتل الحية التى أكلت الناس ، وَقطَعَتِ السُّبُلَ من الأرَضِين والقُرَى بما فيها من الرجال ، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتى شيئًا من الخراج ، ولا تخرج المَرْزَبة[1] من أهل بيتى إلى غيرهم : فإن جعلتَ ذلك لى خرجتُ إليك وقد بعثتُ إليك ابن أخى «ماهك» ليستوثقَ منك بما سألت » .

---

(١) المرزبة كمرحلة : رياسة الفرس .

٢٩٩ — رد الأحنف على كتابه

فكتب إليه الأحنف :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مَرْزُبَان مَرْوَرُوذ ، ومن معه من الأساورة[1] والأعاجم :

سلام على من اتبع الهدى ، وآمَنَ واتقى ، أما بعد : فإن ابن أخيك ماهك قَدِم عليّ ، فَنَصَح لك جُهْدَه ، وأبلغ عنك ، وقد عرضتُ ذلك على من معى من المسلمين ، وأنا وهم فيما عليك سَواء ، وقد أجبناك إلى ما سألتَ وعَرَضْتَ ، على أن تؤدى عن أكَرَتك[2] وفلاّحيك والأَرَضين ستين ألف درهم ، إلىّ وإلى الوالى من بعدى من أمراء المسلمين ، إلا ما كان من الأرَضين التى ذكرتَ أن كسرَى الظالمَ لنفسه أقطع جَدَّ أبيك ، لِمَا كان من قَتْلِه الحيّةَ التى أفسدت الأرض ، وقَطَعَتِ السُّبُلَ ، والأرضُ لله ولرسوله يُورِثُها من يشاء من عباده ، وإن عليك نُصرةَ المسلمين ، وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحبّ المسلمون ذلك ، وأرادوه ، وإن لك على ذلك نُصرة المسلمين على من يقاتل مَن وراءك من أهل مِلّتك ، جارٍ لك بذلك منى كتاب يكون لك بعدى ، ولا خراجَ عليك ، ولا على أحد من أهل بيتك من ذوى الأرحام .

وإن أنت أسلمتَ واتبعتَ الرسول ، كان لك من المسلمين العطاءُ والمنزِلةُ والرزقُ ، وأنت أخوهم ، ولك بذلك ذمتى وذمة أبى ، وذمم المسلمين وذمم آبائهم » .

---

(١) الأساورة : قوم من العجم .

(٢) الأكار ـ المحدث : الحراث وجمعه أكرة كأنه جمع آكر فى التقدير .

شهد على ما فى هذا الكتاب جَزْء بن معاوية السّعدى ، وحمْزة ابن الهِرْماس ، وحميد بن الخِيار المازِنيّان ، وعِياض بن وَرْقاء الأَسِيدِيُّ .
وكتب كَيْسان مولى بنى ثعلبة ، يوم الأحد من شهر الله المحرم سنة ٣٢ هـ وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس ، ونَقْش خاتم الأحنف « نعبد الله »
(تاريخ الطبرى ٥ : ٨١)

٣٠٠ — عهد حبيب بن مسلمة لأهل دبيل

وكتب عثمان إلى معاوية وهو عامله على الشام يأمره أن يوجِّه حَبيب ابن مَسْلَمَة الفِهْرى إلى أَرْمِينية — وقيل بل كتب عثمان إلى حبيب يأمره بغزو أرمينية — فنهض إليها ففتح ما مرّ به إلى أن وصل إلى دَبيل فغَلَب عليها وعلى قُراها ، فطلب أهلها منه الأمانَ والصلح ، فصالحهم ، وكتب لهم كتابًا نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِى لنصارى أهل دَبِيل ومَجُوسِها ويهودها ، شاهدِهم وغائبهم : إنى أمَّنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبِيَعكم وسُور مدينتكم ، فأنتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ماوَفَيتم وأدَّيتم الجزية والخراج ، شَهِد الله وكفى بالله شهيداً » ، وختم حبيب بن مسلمة .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٠٨ ، ومعجم البلدان ٤ : ٥)

٣٠١ — كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل جرزان

وافتتح حبيب أكثر مدن أرمينية، ثم سار يريد جُرْزان[1] ، فجاءه بالطريق رسول بِطريق جُرْزان وأهلها يسأله الصلح وأمانًا يكتبه لهم، فكتب حبيب إليهم :

أما بعد : فإن « نقلى » رسولكم قَدِم علىّ وعلى الذين معى من المؤمنين، فذكر عنكم أنكم قلتم إننا أمّة أكرَمَنا اللهُ وفضَّلنا، وكذلك فعل الله بنا، وله الحمد كثيراً، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وخِيرته من خلقه وعليه السلام.

وذكرتم أنكم أحببتم سِلْمنا، وقد قوّمْت هديتكم وحَسَبْتها[2] من جزيتكم، وكتبت لكم أمانًا، واشترطت فيه شَرْطًا فإن قبِلتموه ووفيتم به، وإلاَّ فأْذنوا بحرب من الله ورسوله، والسلام على من اتبع الهدى » .

(فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٠٩ ، ومعجم البلدان ٢ : ٣٩٦)

٣٠٢ — عهد حبيب لأهل جرزان

ثم ورد تَفليس، وكتب لهم كتابًا بالصلح والأمان، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من حبيب بن مَسْلَمة لأهل تَفليس من رُسْتاق[3] مَنْجَلِيس من جُرْزان الهُرْمُز ، بالأمان على أنفسهم

(١) اسم لناحية بأرمينية، وكانت قصبتها تفليس . (٢) حسب كنصر : عدّ .

(٣) الرستاق : يستعمل فى الناحية التى هى طرف الإقليم ، معرب .

وبِيَعهم وصوامعهم وصلواتهم ودينهم ، على إقرار بالصَّغار[1] والجِزْية على كل أهل بيتٍ دينارٌ ، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية ، ولا لنا أن نفرِّق بينهم استكثاراً منها .

ولنا نصيحتكم وضَلَعكم[2] على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما استطعتم ، وقِرَى المسلم المحتاج ليلةً بالمعروف من حَلَالِ طعام أهل الكتاب لنا ، وإن انقُطِعَ[3] برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه إلى أدْنَى فِئةٍ من المؤمنين ، إلا أن يُحال دونهم .

وإن أنَبْتم وأقمتم الصلاة فإخواننا فى الدين ، وإلاَّ فالجِزيةُ عليكم ، وإن عَرَض للمسلمين شغل عنكم فقهَرَكم عدوُّكم فغير مأخوذين بذلك ، ولا هو ناقِض عهدكم ، هذا لكم ، وهذا عليكم ، شهِد الله وملائكته وكفى بالله شهيداً[4] » . (فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٠٩ ، ومعجم البلدان ٢ : ٢٩٧)

٣٠٣ — كتاب سعيد بن العاص إلى عثمان

ولما قَدِم سَعيد بن العاص الكوفةَ ، جعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه ويَسْمُرُون عنده فسَمَرَ عنده ليلة وجوهُ أهل الكوفة ، وفيهم مالِكٌ

(١) الذل . (٢) الضلع بالتحريك : القوة واحتمال الثقيل ، والمعنى وتقويتكم .
(٣) انقطع — بالبناء للمجهول — عجز عن سفره .
(٤) هذه رواية البلاذرى فى فتوح البلدان ، وياقوت فى معجم البلدان ، وفيها التصريح بأن كتاب حبيب بن مسلمة لأهل جرزان وعهده لهم كان فى خلافة عثمان ومعاوية أمير على الشام ، وروى الطبرى فى تاريخه (ج ٤ : ص ٢٦٠) قال : « وكفر أهل أرمينية زمان معاوية ، وقد أمّر حبيب بن مسلمة على الباب ، وحبيب يومئذ بجرزان ، وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال ثم ناجزهم حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب وكتب بينه وبينهم كتابا بعد ما كاتبهم » ثم أورد الكتاب والعهد — وفيهما اختلاف عن الصورة التى أوردناها — ومن ذلك نرى أنهما كتبا فى خلافة معاوية ، وسنورد لك رواية الطبرى فى الجزء الثانى إن شاء الله .

الأَشْتَر فى رجال ، فقال سعيد : إنما هذا السَّواد بُسْتانٌ لقريش ، فقال الأشتر: أتزعُم أن السَّواد الذى أفاءه الله علينا بأسيافنا بستانٌ لك ولقومك ؟ والله ما يَزيد أوفاكم فيه نصيباً إلاَّ أن يكون كأَحَدِنا ، وتكلَّمَ معه القوم ، فقال عبد الرحمن الأَسَدىّ — وكان على شُرْطَة سعيد — أتردُّون على الأمير مقالته ؟ وأغلظَ لهم ، فقال الأشتر : مِن هاهنا لا يفوتنكم الرجل ، فوثبوا عليه ، فوطِئوه وَطْأً شديداً حتى غُشِيَ عليه ، ثم جُرَّ برجله فأُلْقِيَ فنُضِح[1] بماء فأفاق ، فقال له سعيد : أبِكَ حياةٌ ؟ فقال : قتلَنى من انتَخَبْتَ — زَعَمْتَ — للإسلام ، فقال : والله لا يَسْمُرُ منهم عندى أحد أبداً ، فجعلوا يجلسون فى مجالسهم وبيوتهم يشتُمون عثمان وسعيداً ، واجتمع الناس إليهم ، حتى كثر من يختلف إليهم ، فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك ، ويقول :

« إن رَهْطًا من أهل الكوفة سَمَّاهم له ، عشرة ، يؤلِّبون[2] ويجتمعون على عَيْبك وعَيبى ، والطعْن فى ديننا ، وقد خشِيتُ إن ثَبَتَ أمرهم أنْ يكثُروا »

فكتب عثمان إلى سعيد أنْ سَيِّرهم إلى معاوية — وهو يومئذ على الشأم —

٣٠٤ — كتاب عثمان إلى معاوية

وكتب عثمان إلى معاوية .

« إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفَرًا خُلقوا للفتنة . فراعِهم وقُمْ عليهم ، فإن آنَسْتَ منهم رُشْداً فاقبل منهم ، وإن أعْيَوكَ فارْدُدهم عليهم .

فلما قَدِموا على معاوية أنزلهم ، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجرى

---

(١) أى رش . (٢) يحرضون .

عليهم بالعراق ، وجعل ينصح لهم بلزوم الجماعة ، وكراهة الفُرقة ، وأن يوقِّروا أئمتهم ، ويدلّوهم على كل حسن ما قَدَروا ، ويَعِظوهم فى لين ولُطْف فى شىء إن كان منهم ، وطال بينه وبينهم الجَدَلُ واللَّجَاجُ ، حتى وثبوا عليه فأخذوا برأسه ولِحْيته .

٣٠٥ — كتاب معاوية إلى عثمان

فكتب إلى عثمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية ابن أبى سفيان : أما بعدُ ، يا أمير المؤمنين فإنك بعثْتَ إلىّ أقوامًا يتكلمون بألسنة الشياطين وما يُمْلُون عليهم ، ويأتون الناسَ — زعموا — من قِبَل القرآن ، فيُشَبِّهُون[1] على الناس ، وليس كلُّ الناس يعلم ما يريدون ، وإنما يريدون فُرْقةً ، ويقرِّبون فتنةً . قد أثقلهم الإسلامُ وأضْجَرهم ، وتمكَّنَتْ رُقَى[2] الشيطان من قلوبهم ، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظَهْرانَيهم من أهل الكوفة ، ولست آمَنُ إن أقاموا وسط أهل الشأم أن يَغُرُّوهم بسحرهم وفجورهم ، فارْدُدهم إلى مصرهم . فلتكن دارُهم فى مِصْرهم الذى نَجَمَ[3] فيه نفاقُهم والسلام » .

وفى خبر آخر أن معاوية كتب إلى عثمان :

« إنه قَدِم علىّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ، أثقلهم الإسلامُ

---

(١) أى يلبسون عليهم ويأتون لهم بالشبه . (٢) الرقى جمع رقية كعرفة وهى العوذة .
(٣) أى ظهر .

وأضجرهم العدلُ ، لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة ، إنما همُّهم الفِتنه وأموال أهل الذمة ، والله مُبْتليهم ومختبرهم ، ثم فاضِحُهم ومُخْزِيهم ، وليسوا بالذين يَنْكُون(١) أحداً إلا مع غيرهم ، فَانْهَ سعيداً ومن قِبَله عنهم ، فإنهم ليسوا لأكثر من شَغَب أو نَكِير » .

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردهم إليه ، فلم يكونوا إلا أطْلَقَ ألسنةً منهم حين رجعوا ، وكتب سعيد إلى عثمان يضِجُّ منهم ، فكتب عثمان إلى سعيد :

« أن سَيِّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد » وكان أميراً على حِمْص .

٣٠٦ — كتاب عثمان إلى الأشتر وأصحابه

وكتب إلى الأشتر وأصحابه :

« أما بعدُ : فإني قد سيَّرتكم إلى حمص، فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها ، فإنكم لستم تَألُون الإسلامَ وأهلَه شرا ، والسلام » .

فلما قرأ الأشتر الكتاب ، قال : اللهم أسْوَأنا نظرا للرعية ، وأعمَلنا فيهم بالمعصية ، فعجِّل له النِّقمةَ ، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص ، فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل ، وأجرى عليهم رزقاً .

وكان ذلك سنة ٣٣ هـ . (تاريخ الطبري ٥ : ٩٠)

(١) نكى العدو ، وفيه : قتل وجرح .

٣٠٧ ـ كتاب عثمان إلى أهل الكوفة

واستغوَى يزيدُ بن قيس الناسَ على سعيد بن العاص ، واستعفَوا عثمانَ منه ، وطلبوا أبا موسى الأشعرى ، فكتب إليهم عثمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد أمَّرْتُ عليكم مَن اخترتم ، وأعفيْتكم من سعيد ، والله لأفرِشنَّكم(١) عِرْضى ، ولأبذُلَنَّ لكم صَبْرى ، ولأستصلِحنَّكم بجُهْدى ، فلا تَدَعوا شيئاً أحببتموه لا يُعْصَى اللهُ فيه إلا سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه لا يُعْصَى اللهُ فيه إلا استعفَيْتم منه . أَنزِل فيه عند ما أحببتم حتى لا يكون لكم علىَّ حُجَّةٌ » .

وكتب بمثل ذلك فى الأمصار ـ وكان ذلك سنة ٣٤ هـ .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٩٦)

٣٠٨ ـ كتاب عثمان إلى أهل الأمصار

وفَشَت المقالة فى الطعن على عثمان ووُلاَته ، ونسبوا إليه أموراً ، ونَقِموا منه أحداثاً ـ أهمُّها إيثارُ أقربائه ـ ونَمَتْ هذه الأنباء إلى أهل المدينة فأتَوا عثمان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذى يأتينا ؟ قال : لا والله ، ما جاءنى إلا السلامة ، فأخبروه بما نَمَى إليهم ، فكتب إلى أهل الأمصار :

« أما بعدُ : فإنى آخُذُ العمال بمُوَافاتى فى كل مَوْسِم ، وقد سلَّطْتُ الأمة منذ وَلِيتُ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلا يُرْفَع علىَّ شىء

(١) تقول : فرشت فلانا بساطا ، وأفرشته وفرّشته أى بسطته له .

ولا على أحد من عُمَّالى إلا أعطيتُه ، وليس لى ولِعِيالى حقٌّ قِبَل الرعية إلا متروكٌ لهم ، وقد رَفَع إلىّ أهلُ المدينة أن أقوامًا يُشْتَمون ، وآخرون يُضْرَبون ، فيامَنْ ضُرِب سرًّا ، وشُتِم سرًّا ، من ادَّعَى شيئًا من ذلك فليوافِ المَوْسِم ، فلْيأخُذْ بحقِّه حيث كان : منى ، أو من عُمَّالى ، أو تَصدَّقوا فإن الله يَجْزِى المُتَصَدِّقين » .

فلما قرئ الكتاب فى الأمصار أبْكَى الناسَ وَدَعَوا لعثمان ، وقالوا : إن الأمة لَتَمَخَّضُ بشَرٍّ . (تاريخ الطبرى ٥ : ٩٩)

٣٠٩ — كتاب أهل المدينة إلى من بالآفاق

وروى الطبرى قال :

« لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب مَنْ بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مَنْ بالآفاق منهم ، وكانوا قد تفرَّقوا فى الثغور :

« إنكم إنما خرجتم أنْ تجاهدوا فى سبيل الله عزّ وجل تطلُبُونَ دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن دين محمد قد أُفْسِد مِن خِلْفكم وتُرِك ، فهلُمُّوا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وسلم »

فأقبلوا من كل أفُق حتى قتلوه .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١١٥)

٣١٠ — كتاب أهل المدينة إلى أهل مصر

وروى ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة أنه جاء أهلَ مصر كتابٌ من المدينة صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من المهاجرين الأولين ، وبقية الشُّورَى إلى مَن بمصر من الصحابة والتابعين :

أما بعدُ : أنْ تعالَوا إلينا وتداركُوا خلافة رسول الله قبل أن يُسْلَبها أهلُها ، فإن كتاب الله قد بُدِّل ، وسُنَّة رسوله قد غُيِّرت ، وأحكام الخليفتين قد بُدِّلت ، فنَنْشُد اللهَ مَن قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان إلاَّ أقبلَ إلينا ، وأخَذَ الحق لنا وأعطاناه ، فأَقْبِلُوا إلينا إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحقَّ على المِنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيَّكم وفارقكم عليه الخلفاء ، غُلِبْنا على حقنا ، واستُولِيَ على فَيْئنا ، وحِيلَ بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نُبُوَّة ورحمة ، وهى اليوم مُلْك عَضُوض[1] ، من غَلَبَ على شىء أكَلَه » . (الإمامة والسياسة ١ : ٢٩)

٣١١ — كتاب مفتعل على عثمان

وتكاتب أهلُ الأمصار المنحرفون عن عثمان ، وتواعدوا جميعاً أن يخرجوا فى شوّال (سنة ٣٥ هـ) مُظهرين الحجَّ ، فخرجت جموعهم من البصرة والكوفة ومصر ، ونزلوا فى ضواحى المدينة ، وعَلِم بأمرهم عثمان فبعث إلى علىّ كرم الله وجهه ، وسأله أن يخرج إليهم ، ويضمَن لهم عنه كل ما يريدون من العدل ، وحسن السيرة ، فركب إليهم ، وردهم عنه ، فسمِعوا لقوله ، وانصرفوا مظهرين الرجوع إلى بلادهم ، ثم كرّوا راجعين ،

(١) ملك عضوض . أى شديد فيه عسف وعنف ، وفى الحديث « ثم يكون ملك عضوض » أى يصيب الرعية فيه عسف وظلم ، كأنهم يعضون فيه عضاً ، وفى الأصل « عضود » بالدال ، وهو تحريف .

فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبيرُ فى نواحى المدينة ، وأحاطوا بعثمان ، فأتاهم الناس فكلموهم وفيهم علىّ فقال : ما ردَّكم بعد ذهابكم ؟ قال المصريون : أخذنا مع بَرِيدٍ كتابا بقتلنا ، وذكروا أنهم بيناهم سائرون إذا بغلام على بعير وهو مُقْبِل من المدينة ، فتأمّلوه فإذا هو ورش غلام عثمان ، ففتّشوه فوجدوا معه كتابا إلى عبد الله بن أبى سَرْح عامل مصر ، ونصه (كما ورد فى مروج الذهب) .

« إذا قَدِم عليك الجيش فاقطع يد فلان ، واقتل فلانًا ، وافعل بفلان كذا » وأحصَى أكثر من فى الجيش وأمر فيهم بما أمر » .

وفى إحدى روايتى الطبرى : « أما بعد ، فانظر فلانًا وفلانًا فاضرب أعناقهم إذا قَدِموا عليك ، وانظر فلانًا وفلانًا فعاقِبْهم بكذا وكذا » .

وفى روايته الأخرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإذا قَدِم عليك عبد الرحمن ابن عُدَيْس فاجْلِده مائةً ، واُحلِقْ رأسَه ولحيته ، وأطِلْ حبسه حتى يأتيك أمرى ، وعمرو بن الحَمِق فافعل به مثل ذلك ، وسودان بن حُمْران مثل ذلك وعروة بن النبّاع اللّيثى مثل ذلك[1] » .

وفى رواية العقد الفريد : « إذا جاءك محمد[2] وفلان وفلان ، فاحتَلْ لقتلهم ، وأبطِلْ كتابهم ، وقِرَّ على عملك حتى يأتيك رأيى ، واحتبِسْ من جاء يتظلم منك . ليأتيك فى ذلك رأيى إن شاء الله » .

(١) هؤلاء الأربعة : هم رؤساء الخارجين من المصريين .
(٢) يعنى محمد بن أبى بكر ، وكان الثائرون من المصريين ضنوا إلى عثمان أن يستعمله عليهم ، فكتب عهده وولاه ، ورواية الامامة والسياسة نحو من رواية العقد وتنقص عنها الفقرة الأخيرة .

وسألوا عثمان عن الكتاب، فأقسمَ أنه ما كتب، ولا أمَر، ولا عَلِم، فقال عليّ ومن معه من كبار الصحابة: صدق عثمان، وقال محمد بن مَسْلَمة، والله إنه لصادق، ولكن هذا عمل مَرْوان، قالوا: يُكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام، وأنت لا تدرى؟ قال: نعم، قالوا: ما أنت إلا صادق، أو كاذب، فإن كنت كاذبا فقد استحققتَ الخلع، لِمَا أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها، وإن كنت صادقاً فقد استحققتَ الخلع، لضعفك وغفلتك وخُبْث بِطانتك، ولا ينبغى لنا أن نترك على رقابنا من يُقتطَع مثل هذا الأمر دونه.

(تاريخ الطبرى ٥ : ١١٥ ، ١١٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٢١٦ ، ومروج الذهب ١ : ٤٤٠ ، والإمامة والسياسة ١ : ٣١)

٣١٢ — كتاب عثمان إلى أهل الأمصار

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم:

« بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعدُ، فإن الله عزّ وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، وبلَّغ عن الله ما أمَرَه به، ثم مَضَى وقد قَضَى الذى عليه، وخلَّف فينا كتابه، فيه حَلالُه وحَرامه وبيانُ الأمور التى قدَّرَ، فأمضاها على ما أحبَّ العبادُ وكرِهوا. فكان الخليفة أبو بكر رضى الله عنه، وعمر رضى الله عنه، ثم أُدخلتُ فى الشُّورَى عن غير علم ولا مسألة، عن مَلَإٍ من الأمة، ثم أجمع أهل الشُّورَى عن مَلَإٍ منهم. ومن الناس على غير طَلَب منى ولا محبَّة، فعمِلت فيهم ما يعرِفون، ولا يُنْكِرون، تابعاً غير مُسْتَتْبِع، متَّبِعا غير مُبْتَدِع، مقتديا غير متكلِّف، فلما انتهت الأمور،

وانتكث[1] الشرُّ بأهله ، بَدَتْ ضغائنُ وأهواء على غير إجرام ، ولا تِرَةٍ[2] فيما مضى إلا إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً ، وأعلَنوا غيرَه بغير حُجَّة ، ولا عُذر ، فعابوا علىّ أشياء مما كانوا يرضَون ، وأشياء عن ملإٍ من أهل المدينة لا يَصْلح غيرها ، فصَبَرْتُ لهم نفسى ، وكففْتُها عنهم منذ سنين ، وأنا أرى وأسمع ، فازدادوا على الله عز وجل جُرْأة ، حتى أغاروا علينا فى جِوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحَرَمه ، وأرض الهجرة ، ونابت إليهم الأعرابُ ، فهم كالأحزاب[3] أيام الأحزاب ، أو مَن غَزانا بأُحُدٍ إلاّ ما يُظْهِرون[4] ، فمن قَدَر على اللّحاق بنا فليَلْحَق » .   (تاريخ الطبرى ٥ : ١٠٥)

٣١٣ — كتاب أهل مصر إلى عثمان

وكتب أهل مصر — الذين ساروا إلى عثمان — بكتاب ، فكان فيما كتبوا إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم   أما بعدُ فاعلَمْ أنّ الله لا يُغَيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم ، فاللهَ اللهَ ، ثم اللهَ اللهَ ، فإنك على دُنيا فاستَتِمَّ إليها معها آخرةً ، ولا تنْس نصيبك من الآخرة فلا تَسُوغ[5] لك الدنيا . واُعلم أنا واللهِ للهِ نغضبُ ، وفى الله نرْضَى ، وإنا لن نضع سيوفنا عن عَواتِقِنا ، حتى

---

(١) من انتكث الحبل إذا انتقض .   (٢) الترة : الثأر .

(٣) هم قريش وغطفان وبنو مرة وأشجع وسليم وأسد الذين تحزّبوا واجتمعوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الأحزاب (غزوة الخندق) وكانت سنة خمس للهجرة ، وكانت عدتهم عشرة آلاف قائدهم العام أبو سفيان .

(٤) أى من الاسلام ، فلا فرق بينهم وبين هؤلاء إلا إظهارهم الاسلام .

(٥) ساغ الشراب : سهل مدخله فى الحلق .

تأتينا منك توبةٌ مُصَرِّحة[١] ، أو ضلالة مُجَلِّحة مُبْلِجَة ، فهذه مقالتنا لك ، وقضيَّتُنا إليك ، والله عَذِيرنا منك والسلام .

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويُقْسمون له بالله لا يُمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١١٦)

٣١٤ — كتاب عثمان إلى الإمام على

وتفاقمت الفتنة واستطار شررها ، حتى حصر الثوار عثمان فى داره ، وكانوا يهتِفون بأسم الإمام على كرم الله وجهه للخلافة ، فبعث عثمان عبد الله ابن عباس إلى الإمام على وقال : قل له فليخرج إلى ماله بينْبُع[٢] فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بى ، فخرج علىّ إلى ينبع ، فكتب إليه عثمان حين اشتد الأمر :

«أما بعدُ: فإنه قد بلغ السَّيْلُ الزُّبَى[٣]، وجاوز الِحزامُ الطُّبْيَيْن[٤] ، وتجاوز الأمر بى قَدْرَهُ[٥] ، وطمِعَ فِيَّ من لا يدفع عن نفسه[٦] .

---

(١) مصرحة :أى خالصة ، يقال صرّحت الخمر تصريحا : انجلى زبدها فخلصت . قال الأعشى :

كميتا تكشف عن جمرة   إذا صرّحت بعد إزبادها

والتجليح : المكاشفة فى الكلام ، والاقدام الشديد والتصميم فى الأمر والمضىّ فيه والجراءة ، وضلالة مجلحة : أى مجلح صاحبها ، ومبلجة : أى واضحة ظاهرة ، بلج الصبح وأبلج : أضاء وأشرق.

(٢) وكان فيها نخل للامام على . (٣) الزبى جمع زبية كغرفة : وهى حفرة تحفر فى ربوة من الأرض وتغطى ويجعل عليها طعم ، فيراه الأسد من بعيد فيأتيه . فاذا استوى عليها انقضّ غطاؤها فيهوى فيها ، وأصل الزبية : الرابية لايعلوها الماء ، فاذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا ، وهو مثل يضرب للأمر يبلغ غايته فى الشدة والصعوبة .

(٤) الطبى بالضم والكسر لذات الحافر والسباع كالضرع لغيرها والجمع أطباء ، وهو مثل يضرب أيضا عند بلوغ الشدة منتهاها ، ورواية الكامل للمبرد : « فانه قد جاوز الماء الزبى ، وبلغ الحزام الطبيين » . (٥) ورواية الامامة والسياسة : « وارتفع أمر الناس فى شأنى فوق قدره ، وزعموا أنهم لا يرضون دون دمى » .

(٦) ورواية العقد : « وطمع فىّ من كان يضعف عن نفسه » .

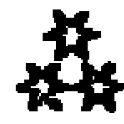
وإنك لم يَفْخَر عليك كَفَاخِرٍ : ضعيفٍ ، ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغَلَّبِ[1]

ورأيت القوم لا يقصِّرون دون دمى ، فأقبِل إلىَّ ، على أىّ أمريك أحببتَ : معى كنت أو علىَّ ، صديقاً كنت أو عدوًّا .

فإن كنتُ مأكولاً فكن أنت آكِلِي وإلاَّ فَأَدْرِكْنى وَلَمَّا أُمَزَّقِ[2]

فرجع علىّ .

(الكامل للمبرد ١ : ٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٢٤ ، وزهر الآداب ١ : ٤٤ ، ومجمع الأمثال ١ : ١١١ ، وجمهرة الأمثال ١ : ١٥٥ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٨٨ ، والإمامة والسياسة ١ : ٢٨ ، وإعجاز القرآن ص ١١٩)



ثم جاءه ابن عباس برسالة من عثمان وهو محصور ، يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ، ليقلّ هَتْفُ الناس باسمه للخلافة ـ بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، كما رأيت ـ فقال :

« يابن عباس ، ما يريد عثمان إلا أن يجعلنى جملا ناضِحاً بالغَرْب[3] أُقبِل وأُدْبِر ، بعث إلىّ أن أخرج ، ثم بعث إلىّ أن أقْدَمَ ، ثم هو الآن يبعث إلىّ أن أخرج ، واللهِ لقد دفعتُ عنه ، حتى خشِيتُ أن أكون آثما » .

(نهج البلاغة ١ : ٢٩٥)

---

(١) المغلب : المغلوب مرارا (وهو أيضاً المحكوم له بالغلبة ، ضد) ورواية زهر الآداب بدل هذا البيت : « ولم يعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلب » ورواية الإمامة والسياسة بين هذا البيت والذى بعده : « وقد كان يقال : أكل السبع خير من افتراس الثعلب ، فأقبل علىّ أولى » .

(٢) ورواية الكامل للمبرد والعقد وإعجاز القرآن وصبح الأعشى والامامة والسياسة « فكن خير آكل » وقال صاحب زهر الآداب: «وهذا البيت للممزق العبدى ، وبه سمى الممزق، واسمه شاس وإنما تمثل به عثمان رضى الله عنه ، وحذاق أهل النظر يدفعون هذا ويستشهدون على فساده بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها » .

(٣) نضح الجمل الماء : حمله ليسقى به الزرع ، والغرب : الدلو العظيمة .

٣١٥ — كتاب عثمان إلى معاوية وأهل الشام والبصرة

وروى الطبري قال :

فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد أنبعث عليه من الناس ، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشأم :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيْعة ، فابعث إليّ من قِبَلك من مُقاتِلة أهل الشأم على كل صَعْب وذَلول » .

فلما جاء معاويةَ الكتابُ تربَّص به ، وكَرِه إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علِمَ اجتماعَهم . فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسَد بن كُرْز وإلى أهل الشأم « يستنفِرُهم ويعظِّم حقَّه عليهم ، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزّ وجل به من طاعتهم ومناصحتهم ، ووَعَدهم أن يخذهم جُنداً أو بِطانةً دون الناس ، وذكَّرهم بَلاءه عندهم وصنِيعَه إليهم ، فإن كان عندكم غِيَاثٌ فالعَجَلَ العَجَلَ ، فإن القوم مُعاجِلِيّ » .

فلما قُرِئ كتابه عليهم قام يزيد فعظَّم حق عثمان، وحضّهم على نصره، وأمرهم بالمسير إليه ، فتابعه ناس كثير ، حتى إذا كانوا بوادي القُرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أمير البصرة أن أندُبْ إليّ أهل البصرة — نسخة كتابه إلى أهل الشأم — فصار إليه جمع كثير حتى إذا نزلوا الرَّبَذة[1] ونزلت مقدِّمتهم عند صِرَار أتاهم قتلُ عثمان . (تاريخ الطبري ٥ : ١١٥)

---

(١) الربذة : قرب المدينة ، وكذا صرار .

٣١٦ — كتاب عثمان إلى معاوية واهل الشام

وروى ابن قُتيبة فى الإمامة والسياسة قال :

وكتب عثمان إلى أهل الشأم عامة ، وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة :

« أما بعدُ : فإنى فى قوم طال فيهم مُقامِى ، واستعجلُوا القَدَرَ فىَّ ، وقد خيَّرونِى بين أن يَحْمِلُونى على شارِفٍ[1] من الإبل الدَّخيل[2] ، وبين أن أَنْزِعَ لهم رداء الله الذى كسانى ، وبين أن أُقِيدَهم[3] ممن قتلتُ ، ومَن كان على سُلطانٍ يخطئ ويصيب ، فيا غوثاه يا غوثاه ، ولا أمير عليكم دونى ، فالعجَلَ العَجَلَ يا معاوية ، وأَدْرِكْ ثم أَدْرِكْ ، وما أراكَ تُدْرِكُ » (الإمامة والسياسة : ٢٠)

٣١٧ — كتاب عثمان إلى أهل الموسم

وأمر عثمانُ عبد الله بن عباس أن يحجَّ بالناس فى السنة التى قتل فيها — سنة ٣٥ هـ — وكتب معه إلى أهل المَوْسِم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حَصَره ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين : سلامٌ عليكم ، فإنى أَحمَدُ اللهَ إليكم الذى لا إلهَ إلا هو ، أما بعدُ :

---

(١) التارف من الوق : المسنة الهرمة كالشارفة.

(٢) الدخيل : أى العربه ، يعى : من الابل الضعيفة المهروله . يقال فلان دخيل فى بى فلان : إذا كان من عىرهم فتدخل فيهم ، والأتى دخيل ، وكلمة دخيل : أدحلت فى كلام العرب وليست منه ويقال أيضا : بعير مدحول أى مهزول داخل فى جوفه الهزال ، ويجوز أن يكون فعيل هنا بمعى مفعول ، والمعى : من الابل الدخيل : أى المدحولة المهرولة ، ولم تلحقه التاء لأنه تبع موصوفه — وفى نسخة من الامامه والسياسة «الدحيل» بالحاء وهو محرف .

(٣) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

فإنى أذكركم بالله جل وعزّ الذى أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضّلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيِّنات ، وأوسع عليكم من الرزق ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم نِعَمَه ، فإن الله عزّ وجل يقول ، وقولُه الحقُّ : « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ » ، وقال عزّ وجل : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ[1] وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا[2] حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » وقال وقوله الحق : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » ، وقال وقوله الحق : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ[3] وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، فَضْلاً مِنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » وقال عزّ وجل : « إِنَّ

(١) أى حق تقواه ، وأصل تقاة : وقية ، قلبت واوها المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة ، وقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها . (٢) الشفا : الحرف .

(٣) أى لوقعتم فى العنت ، والعنت بالتحريك : دخول المشقة على الانسان .

الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لاَ خَلاَقَ(١) لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » ، وقال وقوله الحق : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» وقال وقوله الحق : « وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ(٢) غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » وقال وقوله الحق : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

---

(١) الخلاق : النصيب من الخير .

(٢) نقضت : أفسدت ، أنكاثا جمع نكث بالكسر: وهو ماينكث أى ينقض ليغزل ثانية، وأنكاثا منصوب على الحال ، أو مفعول ثان لنقضت فإنه بمعنى صيرت، والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه، وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فإنها كانت خرقاء تفعل ذلك، دخلا : أى مفسدة وخديعة ، ومعنى الآية : تتخذون أيمانكم فساداً ودخلا بينكم لأن تكون جماعة أزيد عدداً ، وأوفر مالا من جماعة ، أى لاتغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم ، أو لكثرة منابذيهم وقوتهم ، وذلك أن قريشاً كانوا يحالفون الحلفاء ، فإذا رأوا شوكة فى أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم ، وحالفوا أعداءهم ، يبلوكم : أى يختبركم ، فتزل قدم ، أى فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام ، ينفد : أى يفنى وينقضى .

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً » وقال ـ قوله الحق : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» وقال وقوله الحق : إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيمًا » .

« أما بعدُ : فإنالله جلَّ وعزَّ رضى لكم السَّمْعَ والطاعة والجماعة ، وحذَّركم المعصيةَ والفُرقةَ والاختلاف ، ونبَّأكم ما قد فعله بالذين من قبلكم ، وتقدَّمَ إليكم فيه، ليكون له الحُجَّةُ عليكم إن عصَيْتموه، فاقبلُوا نصيحةَ الله جلَّ وعزَّ واحذرُوا عذابَه ، فإنكم لن تجدوا أمَّةً هلكتْ إلا من بعد أن تختلف ، إلا أن يكون لها رأسٌ يجمَعها ، ومتى ما تفعلون ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً، وسُلِّطَ عليكم عدوكم ، ويستحلّ بعضُكم حُرَم بعض ، ومتى يُفعل ذلك لا يَقُمْ لله سبحانه دين ، وتكونوا شِيَعاً ، وقد قال الله جل وعزّ لرسوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله ، وأحذِّركم عذابَهُ ، فإن شُعَيْباً صلى الله عليه وسلم قال لقومه : « وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ(١) شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ

(١) لا يجرمنكم : أى لا يحملنكم .

أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ، وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ».

أما بعدُ: فإن أقواما ممّن كان يقول فى هذا الحديث أظهَرُوا للناس أنّما يدْعُون إلى كتاب الله عزّ وجل والحقّ، ولا يريدون الدنيا ولا مُنَازَعةً فيها، فلما عُرِض عليهم الحقُّ إذا النّاسُ فى ذلك شتّى(١)، منهم آخِذٌ للحق ونازعٌ(٢) عنه حين يُعْطاه، ومنهم تاركٌ للحق ونازلٌ عنه فى الأمر يريد أن يبتزّه(٣) بغير الحق، طال عليهم عُمْرِى، وَراثَ(٤) عليهم أَمَلُهم الإِمْرَةَ، فاستعجَلُوا القَدَرَ، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رَجَعوا بالذى أعطيتُهم، ولا أعلم أنى تركتُ من الذى عاهَدْتُهم عليه شيئاً، كانوا زَعَموا أنهم يطلبون الحدودَ فقلتُ: أَقِيمُوها على من عَلِمْتم تعدّاها فى أَحَد، أَقِيموها على من ظَلَمَكم من قريبٍ أو بعيد، قالوا: كتابُ الله يُتْلَى، فقلتُ: فلْيَتْلُه مَن تَلاَه غيرَ غَالٍ فيه بغير ما أنزل الله فى الكتاب، وقالوا المحرومُ يُرْزَق، والمال يُوَفَّى لِيُسْتَنّ فيه السُّنَّةُ الحَسَنةُ، ولا يُعْتَدَى فى الخُمْس ولا فى الصّدقة، ويؤمَّر ذو القوة والأمانة، وتُرَدُّ مَظالمُ الناس إلى أهلها، فَرضِيتُ بذلك واصطَبَرْتُ له، وجئتُ نِسْوة النبي صلى الله عليه وسلم حتى كلّمتهنّ فقلتُ: ما تأْمُرْنَنِى؟ فقلن: تُؤَمِّر عمرو بن العاص(٥)، وعبد الله بن قيس(٦)، وتَدَعُ معاويةَ،

---

(١) أى مختلفون مفترقون، وهو جمع شتيت.

(٢) نزع عن الأمر كضرب: كفّ وأبى. (٣) أى يستلبه.

(٤) راث: أبطأ، وأمر عليهم إذا ولى، والاسم الإمرة.

(٥) مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، فلما ولى عثمان أقره على عمله أربع سنين أو نحوها، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبى سرح — وهو أخو عثمان من الرضاع.

(٦) هو أبو موسى الأشعرى، وكان عاملا على البصرة لما قتل عمر، فأقره عثمان عليها، وظل

فإنمـا أمّره أمير قبلك ، فإنه مُصْلِح لأرضه ، راضٍ به جندهُ ، واردُد عَمْرا فإن جُنْدَه راضون به، وأمّره فليُصْلِح أرضه، فـكلّ ذلك فعلتُ(١)، وإنه اعْتُدِى علىّ بعد ذلك، وعُدِى عَلَى الحق، كتبت إليكم وأصحابى الذى زَعَموا فى الأمر استعجَلوا القْدَر، ومنعوا منّى الصلاة(٢)، وحالوا بينى وبين المسجد، وابتَزّوا ما قَدَروا عليه بالمدينة، كتبت إليكم كتابى هذا وهم يخيّرونى إحدى ثلاث : إمّا يُقيدُونى بكل رجل أصبْتُه خطأً أو صوابًا غير مَتروكٍ منه شىء ، وإمّا أعْتَزِل الأمر فيؤمّرون آخرَ غيرى ، وإمّا يُرْسِلون إلى من أطاعهم من الأجناد ، وأهل المدينة فيتبرّءون من الذى جعل اللهُ سبحانَه لى عليهم من السمع والطاعة ، فقلت لهم : أمّا إقَادتى من نفسى فقد كان مِنْ قَبلى خلفاء تُخطِئ وتُصيب، فلم

عامل عثمان على البصرة ست سنين ، ثم عزله عنها سنة ٢٩ وولاها عبد الله بن عامر — وهو ابن خال عثمان — فسار أبو موسى من البصرة إلى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص وطلبوا من عثمان أن يستعمل أبا موسى عليهم فاستعمله سنة ٣٤ ، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان فعزله علىّ عنها — انظر تاريخ الطبرى ٥ : ٥٤ وأسد الغابة ٣ : ٢٤٦ —

(١) إن كان المراد بهذا القول وهو « اردد عمرا » تثبيته فى ولايته ، فالأمر ظاهر ، إذ قد أقره عثمان على ولاية مصر أربع سنين أو نحوها ثم عزله كما قدمنا ، وإن كان المراد به رده بعد عزله ، فلا يعرف فى التاريخ أن عثمان رد عمرا إلى ولاية مصر — ولا إلى غيرها — بل الثابت أنه لما عزله عن مصر قدم المدينة وجعل يطعن على عثمان ، فلما حصر عثمان الحصر الأول خرج عمرو من المدينة إلى أرض له بفسطين فنزل بها وكان يقول : والله إن كنت لألقى الراعى ، فأحرضه عليه — كما سيأتى — فقول عثمان فى تلك الرسالة « فـكل ذلك فعلت » لم يتحقق بالنسبة لعمرو بن العاص ، ولعله كان قد أزمع أن يرده إلى مصر تهدئة لثورة الثائرين عليه ، ثم حالت الظروف دون تنفيذ ذلك ، أو لعله يقصد الحادث الآتى :

روى أنه لما عزل عمرو عن مصر وولى عبد الله بن سعد ، نزلت الروم بالإسكندرية ، فسأل أهل مصر عثمان أن يقرّ عمرا حتى يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحروب وهيبة فى قلب العدو ففعل ، وخرج عليهم عمرو فى البر والبحر ، فلما انهزم الروم أراد عثمان عمرا أن يكون على الحرب وعبد الله ابن سعد على الخراج ، فقال عمرو : أنا إذن كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها ، وأبى ذلك — انظر حسن المحاضرة ١ : ٦٩ — .

(٢) معناه : لم يمكنونى من الصلاة .

وأما تمييزُك بين أهل الشأم والبصرة ، و بينك وبين طَلْحَةَ والزُّبَيْر ، فلعمرى فما الأمر هناك إلا واحد ، لأنها بَيْعَةٌ عامّة ، لا يتأتّى فيها النظر ، ولا يُستأنف فيها الخِيار .

وأما شرفى فى الإسلام وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من قريش ، فلعمرى لو استطعت دَفْعَه لَدَفَعْتُه » .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٣ ، والكامل للمبرد ١ : ١٥٧ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٥٢ ، والامامة والسياسة ١ : ٧٧ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥)

٣٩١ — كتاب معاوية إلى علىّ

وفى رواية عن جرير قال : إن معاوية لما جاءه كتاب الوليد بن عُقْبة الأخير ، وصَلَ بين طُومارين أبيضين ، ثم طواهما وكتبَ عنوانهما :

«من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب » ودفعَهما إلىّ لا أعلم ما فيهما ، ولا أظنهما إلا جوابا ، وبعث معى رجلا من بنى عَبْس لا أدرى مامعه ، فخرجنا حتى قدِمْنا الكوفةَ ، واجتمع الناس فى المسجد لا يشكون أنها بيعة أهل الشأم ، فلما فتح علىّ عليه السلام الكتاب لم يجد شيئاً ، وقام العَبْسِىّ فدفع إلى على كتابا من معاوية ففتحه فوجد فيه :

أَتَانِىَ أمْرٌ فيه للنفس غُمَّةٌ وفيه اجْتداعٌ للنفوس أصِيلُ
مُصابُ أميرِ المؤمنين ، وهَدَّةٌ تكاد لها صُمُّ الجبالِ تَزولُ

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٣٠١)

٣٩٢ — كتاب معاوية إلى أهل مكة والمدينة

وكتب معاوية — أيام كان جرير عنده ينتظر جوابه — إلى أهل مكة والمدينة :

«أما بعد ، فإنه مهما غاب عنا من الأمور ، فلم يغِبْ عنّا أن عليًّا قتل عثمان ، والدليل على ذلك أن قتَلَته عنده[١] ، وإنما نطلب بدمه حتى يدفعَ إلينا قتلته ، فنقتلَهم بكتاب الله تعالى ، فإنْ دفعَهم إلينا كفَفْنا عنه ، وجعلناها شُورَى بين المسلمين ، على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب ، فأمّا الخلافةُ فلسنا نطلبها ، فأعِينونا على أمرنا هذا يرحمكم الله ، وانهضوا من ناحيتكم ، فإن أيدينا وأيدَيكم إذا اجتمعت على أمرٍ واحد هابَ عليٌّ ما هو فيه والسلام» .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٥٨)

٣٩٣ — رد المسور بن مخرمة على معاوية

فلما قرئ عليهم كتابه ، اجتمع رأيهم على أنْ يُسْنِدوا أمرهم إلى المِسْوَر ابن مَخْرَمة ، فجاوب عنهم ، فكتب إليه :

« أما بعد : فإنك أخطأتَ خطأً عظيما ، وأخطأتَ مواضع النُّصرة ، وتناولتَها من مكان بعيد ، وما أنت والخلافةُ[٢] يا معاوية ، وأنت طَلِيق وأبوك من الأحزاب ؟ فكُفَّ عنا فليس لك قِبَلنا وَلِيٌّ ولا نصير » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٥)

---

(١) وفي ابن أبي الحديد : « والدليل على ذلك مكان قتلته منه » .

(٢) الأرجح فيه الرفع ، ويجوز فيه النصب على تقدير ما تكون والخلافة ثم حذف الفعل وانفصل الضمير .



وفى رواية ابن أبى الحديد :

فكتب عبد الله بن عمر إلى معاوية ، وعمرو بن العاص :

« أما بعدُ : فلعمرى لقد أخطأتما موضعَ النُّصْرة ، وتناولتماها من مكان بعيد ، وما زاد اللهُ مَن شَكَّ فى هذا الأمر بكتابكما إلا شَكًّا ، وما أنتما والمشورةُ ؟ وما أنتما والخلافةُ ؟ أمّا أنت يا معاوية فطليق ، وأما أنت يا عمرو فظَنِين(١) ، ألاَ فكُفَّا أنفسكما ، فليس لكما فينا وَلِيٌّ ، ولا نصير » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص٢٥٨)

٣٩٤ — كتاب رجل من الأنصار إلى معاوية وعمرو

قال أيضاً : وكتب رجل من الأنصار إلى معاوية وعمرو بن العاص مع كتاب عبد الله بن عمر :

مُعاوِىَ : إنَّ الحقَّ أَبْلَجُ واضِحٌ ... وليس بما ربَّصْتَ أنت ولا عَمْرو(٢)

نصَبْتَ ابنَ عفَّانَ لنا اليومَ خُدعةً ... كما نَصَبَ الشيخان إذ قُضِيَ الأَمْرُ(٣)

فهذا كها ذاكَ البلاَ حَذْوَ نَعْلِهِ ... سواءٌ كرَقْراقٍ يُغَرُّ به السَّفْرُ(٤)

رمَيْتُمْ علِيًّا بالذى لا يَضِيرُه ... وإنْ عظُمَتْ فيه المَكِيدةُ والمَكْرُ(٥)

وما ذَنْبُهُ أَنْ نال عثمانَ مَعْشَرٌ ... أتَوْه من الأحياء تجمَعُهم مِصْرُ

---

(١) الظنين : المتهم .

(٢) أبلج : مضيء مشرق ، وربص فلان وتربص : انتظر به خيرا أو شرا يحل به .

(٣) يعنى بالشيخين : طلحة والزبير . (٤) من أمثالهم : « حذو النعل بالنعل » وهو مثل يضرب فى التسوية بين الشيئين ، والرقراق : ترقرق السراب (وكل شىء له بصيص وتلألؤ فهو رقراق) والسفر : المسافرون . (٥) ضاره : ضرَّه .

فثار إليــــــه المسلمون ببَيْعةٍ … عَلاَنيــــة ما كان فيها لهم قَسْرُ[1]
وبايَعَه الشيخانِ ثم تحمَّلا … إلى العُمْرَة العظمى وباطِنُها الغَدْرُ[2]
فكان الذى قد كان، مما اقتصاصُه … يَطُولُ، فيا للهِ ما أحْدَثَ الدهرُ
وما أنتما والنصرُ منا؟ وأنتما … بَعِيثَا حُرُوب ما يَبُوخُ لها جَمْرُ[3]
وما أنتما؟ لِلّه دَرُّ أبيكما! … وذِكْرُكما الشُّورَى وقد وضح الفجرُ[4]

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٥٨)

٣٩٥ — كتاب معاوية إلى ابن عمر

وكتب معاوية إلى عبد الله بن عمر كتابًا خاصًّا دون كتابه إلى أهل المدينة:

«أما بعد: فإنه لم يكن أحد من قريش أَحَبّ إلىّ أن يجتمع الناس عليه بعد قتل عثمان منك، فذكرتُ خَذْلَك إياه، وطَعْنَك على أنصاره، فتغيّرتُ لك، وقد هوّن ذٰلك علىّ خِلافُك عليًّا[5] وطَعْنُك عليه، ومحا عنك بعضَ ما كان منك، فأعِنّا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم، فإنى لست

(١) القسر: القهر. (٢) انظر ص ٣٣٤، وتحمل: ارتحل وذهب.
(٣) البعيث: الرسول، وهو فعيل بمعنى مفعول، وباخت النار: سكنت.
(٤) لله دره، كلمة تقال لمن يتعجب منه، والدرّ: اللبن، والمراد هنا اللبن الذى ارتضعه من ثدى أمه، وأضيف إلى الله تعالى تشريفا، أى أن اللبن الذى تغذى به يستحق أن ينسب إلى الله تعالى لشرفه وعظمه، وقيل: معناه لله اللبن الذى أرضعه وهو قريب من الأول، والدرّ أيضا العمل والنفس، أى أن عمله عظيم جليل جدير به أن يضاف إلى الله تعالى، أو أن نفسه شريفة كريمة كذلك.
(٥) قال الطبرى (ج ٥: ص ١٥٤) «وبايع الناس عليا بالمدينة، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه منهم سعد بن أبى وقاص، ومنهم ابن عمر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن وقش، وأسامة بن زيد».

أريد الإمارة عليك ، ولكنى أريدها لك ، فإن أنت أبَيْت كانت شُورَى بيز المسلمين » . (الإمامة والسياسة ١ : ٧٥ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ ص ٢٦٠)

٣٩٦ — رد ابن عمر على معاوية

فكتب إليه عبد الله بن عمر :

« أما بعدُ : فإن الرأى الذى أطمعك فىّ هو الذى صَيّرك إلى ما صَيّرك إليه ، تركتُ عِلِيّا فى المهاجرين والأنصار ، وتركتُ طلحة والزبير وعائشة وأتّبعُك ؟ وأمّا قولُك إنى طعنتُ على علىّ ، فلعمرى ما أنا كعلى فى الإسلام والهجرة ومكانِه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أَحْدَثَ أمراً لم يكن إلينا فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عَهْد ، ففزِعْتُ إلى الوقوف ، وقلتُ : إن كان هذا هُدًى ، فَفَضْلٌ تركته، وإن كان ضلالة،فشَرٌّ منه نجوتُ، فأَغْنِ عنى نفسَك ، والسلام » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٦ ، وشرح ابن أبى الحديدم ١ : ص ٢٦٠)

٣٩٧ — كتاب معاوية إلى سعد بن أبى وقاص

وكتب معاوية إلى سعد بن أبى وقاص ، يدعوه إلى القيام معه فى دم عثمان :

« سلام عليك ، أما بعد : فإن أحقّ الناس بنُصْرة عثمان أهل الشورى من قريش ، الذين أثبتوا حقّه واختاروه على غيره ، وقد نصره طلحة والزبير ، وهما شريكاك فى الأمر والشورى ، ونظيراك فى الإسلام ،

وخفَّتْ لذلك أم المؤمنين ، فلا تكرَهن مارَضُوا ، ولا تردّنَّ ما قبِلُوا ، وإنما نريد أن نردَّها شُورَى بين المسلمين ، والسلام » .

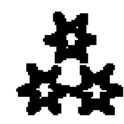
العقد الفريد ٢ : ٢٣٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٧٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص٢٦٠

٣٩٨ — رد سعد على معاوية

فأجابه سعد :

« أما بعد ، فإن عمر رضى الله عنه لم يُدْخِل فى الشُّورى إلا من تحلّ له الخلافة ، فلم يكن أحد منا أولَى بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه ، غير أن عليًّا كان فيه مافينا ولم يكن فينا ما فيه ، ولو لم يطلبها ولَزِم بيته لطلَبَته العرب ولو بأقصى اليمن ، وهذا الأمر قد كرِهْنا أوّلَه وكرهنا آخره ، وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيراً لهما ، والله يغفِر لأم المؤمنين ما أتَتْ ، والسلام » .

العقد الفريد ٢ : ٢٣٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦



وفى رواية الإمامة والسياسة :

فكتب إليه سعد : « أما بعد فإن أهل الشورى ليس منهم أحد أحق بها من صاحبه ، غير أن عليا كان من السّابقة ، ولم يكن فينا ما فيه ، فشاركَنا فى محاسننا ولم نشاركه فى محاسنه ، وكان أحقَّنا كلنا بالخلافة ، ولكن مقادير الله تعالى التى صرفتها عنه حيث شاء لِعلْمه وقَدَرِه ، وقد علمنا أنه أحقُّ بها منا ، ولكن لم يكن بُدّ من الكلام فى ذلك والتشاجر فدَعْ ذا ، وأما أمرك يامعاوية فإنه أمر كرِهْنا أوّله وآخره ، وأما طلحة والزبير فلو لزما بيتهما لكان خيراً لهما ، والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين » .

الإمامة والسياسه ١ : ٧٦

٣٩٩ — كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصارى

وكتب معاوية إلى محمد بن مَسْلَمَة الأنصارى ـ وكان فارس الأنصار وذا النجدة فيهم ـ : .

« أما بعدُ : فإنى لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك ، ولكنى أردت أن أذكّرك النعمة التى خرجت منها ، والشكّ الذى صِرْتَ إليه ، إنك كنت فارس الأنصار وعُدّة المهاجرين ، وقد ادّعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً لم تستطع أن تَمْضِيَ عليه ، وهو أنه نهاك عن قتال أهل القِبْلة . أفلا نَهَيْتَ أهل القبلة عن قتال بعضِهم بعضاً ؟ فقد كان عليك أن تكرَهَ لهم ما كرِهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألم ترَ عثمان وأهل الدار(١) من أهل القِبلة ؟ فأمّا قومُك الأنصار فقد عَصَوُا اللهَ تعالى ، وخَذَلُوا عثمان ، والله سائِلهم وسائِلُك عن الذى كان يوم القيامة والسلام » .

(الامامة والسياسه ١ : ٧٦ ، وشرح ابن أبى الحديد ١ : ص ٢٦٠)

٤٠٠ — رد ابن مسلمة على معاوية

فكتب إليه ابن مسلمة :

« أما بعدُ : فقد اعتزل هذا الأمرَ مَن ليس فى يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مِثْلُ الذى فى يدى ، وقد أخبرنى رسول الله بالذى هو كائن قبل أن يكون ، فلما كَانَ كسَرْتُ سيفى ، ولزِمْتُ بيتى ، واتّهمت الرأيَ

(١) هم الذين تسوّروا الدار على عثمان وقتلوه .

على الدين ، إذ لم يَصِحّ لى معروف آمُرُ به ، ولا مُنكر أنْهَى عَنه ، ولعمرى يا معاوية ما طلبتَ إلا الدنيا ، ولا اتَّبعتَ إلا الهوى ، ولئن كنت نصرت عثمان ميِّتاً ، لقد خَذَلته حيًّا ، ونحن ومَن قبَلنا من المهاجرين والأنصار أَوْلَى بالصواب » .

(الامامة والسياسة ۱ : ۷۷ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۲٦۰)

٤٠١ ـ كتاب معاوية إلى أبي أيوب الأنصارى

وروى ابن أبي الحديد قال :

كتب معاوية إلى أبي أيّوب خالد بن زيد الأنصارى ـ وكان سيداً معظماً من سادات الأنصار ، وكان من شيعة علىّ عليه السلام ـ كتاباً : سطراً واحداً ، وهو :

« حاجَيتك[1] : لا تَنْسَى الشَّيْباءُ أبا عُذْرِها[2] ، ولا قاتِلَ بِكْرِها »

فلم يدْرِ أبو أيوب ما هو ؟ فأتى به عليًّا عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين إن معاوية كهف المنافقين كتب إلىّ بكتاب لا أدرى ما هو ؟ قال علىّ : فأين الكتاب ؟ فدفعه إليه فقرأه وقال : « نعم ، هذا مثل ضربه لك ، يقول : لا تنسى الشيباء أبا عُذرها ، والشيباء : المرأة البكر ليلة افتضاضِها[3] ،

---

(۱) حاجاه : فاطنه أى باراه فى الفطنة .

(۲) العذر بالضم : البكارة ، وافتضاض الجارية ، ويقال : فلان أبو عذر فلانة وأبو عذرتها : إذا كان افترعها وافتضها (بالفاء وبالقاف) .

(۳) وجاء فى لسان العرب فى مادة شيب : «وكانت العرب تقول للبكر إذا زفت إلى زوجها فدخل بها ولم يفترعها ليلة زفافها : باتت بليلة حرة (بالاضافة) وإن افترعها تلك الليلة قالوا : باتت بليلة شيباء (بالاضافة أيضا) وقيل : ياء شيباء بدل من واو لأن ماء الرجل شاب ماء المرأة ، غير أنا لم نسمعهم قالوا بليلة شوباء ، جعلوا هذا بدلا لازما كعيد وأعياد » وقال أيضا فى مادة شوب : « وباتت المرأة

لا تنسى بَعْلها الذى افترعها أبداً ، ولا تنسى قاتل بكرها وهو أول ولدها ،
كذلك لا أنسى أنا قتل عثمان » .

وروى أن معاوية كتب فى أسفل كتابه إلى أبى أيوب :

أَبْلِغْ لدَيْك أبا أيُّوبَ مَأْلُكَةً — أنَّا وقومك مثل الذئب والنَّقَد (١)
إمّا قتلتم أميرَ المؤمنين فلا — تَرْجُوا الهَوادةَ منا آخِرَ الأبد
إن الذى نِلْتموه ظالمِينَ له — أبقَتْ حَزَازَتُه صَدْعًا على كَبِدِى (٢)
إنى حلفْتُ يمينًا غيرَ كاذبةٍ — لقد قتلتم إمامًا غيرَ ذى أَوَدِ (٣)
لا تحسَبوا أننى أنْسَى مُصِيبتَه — وفى البلاد من الأنصار من أحد
قد أبدلَ اللهُ منكم خيرَ ذى كَلَعٍ — واليَحْصَبِيِّين أهلَ الجَوْفِ والجَنَدِ (٤)
إن العراقَ لنا فَقْعٌ بِقَرْقَرَةٍ — أو شَحْمَة بَزَّها شاوٍ ولم يَكَدِ (٥)
والشامُ يَنزِلها الأبرارُ ، بَلْدَتُها — أمْنٌ ، وبَيْضَتُها عِرِّيسَةُ الأسد (٦)

(شرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٨٠)

بليلة شيباء : قيل إن الياء فيها معاقبة (بكسر القاف) ، وإنما هو من الواو لأن ماء الرجل خالط ماء المرأة » ويقال باتت بليلة شيباء ، وباتت بليلة الشيباء .

(١) المألكة بضم اللام وتفتح : الرسالة ، والنقد : جنس من الغنم قبيح الشكل .

(٢) الحزازة : وجع فى القلب من غيظ ونحوه ، والصدع : الشق .

(٣) الأود : الاعوجاج ، وفعله كفرح .

(٤) يعنى بنى كلع ذا الكلاع (كسحاب) الحميرى ، وكان من أعظم أصحاب معاوية شأنا وقدرا وهو ذو الكلاع الأصغر سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان. وهما من أذواء اليمن ، ويحصب مثلث الصاد : حىّ باليمن ، والنسب إليه يحصبى مثلث الصاد أيضا ، والجوف بالجيم : موضع بناحية عمان ، وكذا الحوف بالحاء (وفى الأصل بالخاء وهو تصحيف) والجند : بلد باليمن .

(٥) الفقع بالفتح ويكسر : البيضاء الرخوة من الكمأة ، والقرقرة : أرض مطمئنة لينة كالقرقر ويقال للذليل : « هو أذل من فقع بقرقرة » لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل ، وبزها : نزعها وأخذها بجفاء وقهر ، وشاو : اسم فاعل من شوى اللحم (والشاوى أيضا صاحب الشاة) . (٦) البيضة : حوزة كل شىء وساحة القوم ، والعريس والعريسة : مأوى الأسد .

٤٠٢ — رد أبي أيوب على معاوية

فكتب أبو أيوب إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإنك كتبتَ « لا تنسى الشيباء أبا عذرها ، ولا قاتل بكرها » فضربتَها مَثَلا بقتل عثمان ، وما نحن وقتل عثمان ؟ إنّ الذى تربّصَ بعثمان ، وثبّط يزيدَ بن أَسَدٍ وأهلَ الشأم عن نُصْرته لأنت[1] ، وإن الذين قتلوه لغَيْرُ الأنصار » .

وكتب فى آخر كتابه :

لا تُوعِدَنّا ابنَ حربٍ ، إننا نفَرٌ ... لا نبتغِى وُدَّ ذى البَغْضاء من أحدِ
واسْعَوا جميعاً بنى الأحزاب كلُّكمُ ... لسنا نُريد رضاكم آخرَ الأَبَدِ
نحن الذين ضرَبْنا الناس كلَّهمُ ... حتى استقاموا وكانوا بَيِّنى الأَوَدِ
والعامَ قَصْرُكَ منّا إنْ ثَبَتَّ لنا ... ضرْبٌ يُزَيِّل بين الرُّوح والجسد[2]
أَمّا علِىٌّ فإنا لا نُفارقُه ... ما رَفَّتِ الآلُ فى الدَّوِّيّة الجَرَدِ[3]
إمّا تبدَّلْتَ منا بعــدَ نُصْرتنا ... دينَ الرسولِ أُناساً ساكِنى الجَنَدِ
لا يعرفون (أَضَلَّ الله سَعْيَهمُ) ... إلاَّ اتِّباعَكمُ يا راعِىَ النَّقَدِ
فقد بَغَى الحقّ هَضْماً شرُّ ذى كَلَعٍ ... واليَحْصَبِيُّون طُرًّا بَيْضَةُ البَلَدِ[4]

فلما أتى معاويةَ كتاب أبى أيوب كسره .

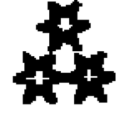
(شرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٨١)

---

(١) انظر ص ٣١٤ . (٢) يزيل : يفرق .

(٣) الآل : السراب ، أو خاص بما فى أوّل النهار ، ويؤنث ، ورف لونه كضرب : برق وتلألأ وفى الأصل «ما رفرف الآل» من رفرف الطائر إذا حرك جناحيه ، والمعنى عليه صحيح على المجاز ، والأظهر عندى أنه « ما رفت الآل » كما أوردته ، والدوّ والدوّية والداوية ويخفف : الفلاة ، والجرد : فضاء لا نبت فيه .

(٤) طرّا : جميعا ، وجاء فى أمثال العرب « هو أذل من بيضة البلد » وهى بيضة تتركها النعامة



وروى ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة قال :

وكتب معاوية إلى أبى أيوب الأنصارى ـ وكان أشد الأنصار على معاوية ـ : « أما بعدُ : فإنى نَسِيتك مالا تَنْسَى الشَّيْباء » .

فلما قرأ كتابه أتى به عليًا ، فأقرأه إياه ، قال على : يعنى بالشيباء المرأة الشَّمْطاء لا تَنْسَى ثُـكْلَ ابنها[1] ، فأنا لا أنسى قتل عثمان .

فكتب إليه أبو أيوب :

« إنه لا تَنْسَى الشيباء ثُـكْلَ ولدها ، وضربتَها مَثَلا لقتل عثمان ، فما نحن وقتلةُ عثمان ؟ إن الذى تربَّصَ بعثمان ، وثبَّط أهل الشأم عن نُصْرته لأنت ، وإن الذين قتلوه غير الأنصار ، والسلام » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٨٢)

فى الفلاة فلا تحضنها، فتبقى تريكة بالفلاة، وهى من الأضداد تستعمل مدحا وذما ، يقولون للرجل الكريم هو بيضة البلد ، يمدحونه ، ويقولون للآخر : هو بيضة البلد ، يذمونه ، فاذا ذم بها فهى التى قد خرج الفرخ منها ورمى بها الظليم ، فتقع فى البلد القفر فيدوسهاالناس والإبل ، ومن ذلك قول الراعى يهجو ابن الرقاع العاملى :

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم ... يابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسباً ... وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(وأن تعرف بالجزم على لغة من يجزم بأن المصدرية) وإذا مدح بها فهى التى فيها الفرخ ، لأن الظليم حينئذ يصونها ويوقيها الأذى ، والمعنى على المدح أن ذلك الرجل هو واحد البلد الذى يجتمع إليه ، ويقبل قوله ، أو هو فرد ليس أحد مثله فى شرفه

(١) هذا ما رواه ابن قتيبة ، وقد جاء فى لسان العرب : « ويقال : رجل أشيب ، ولا يقال امرأة شيباء ، لا تنعت به المرأة ، اكتفوا بالشمطاء عن الشيباء ، وقد يقال شاب رأسها » وفى القاموس المحيط « وهو أشيب ولا فعلاء له » والثكل : الفقد .

٤٠٣ — كتاب شرحبيل بن السمط إلى معاوية

وروى ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة : أن معاوية دعا أهل الشأم إلى الطلب بدم عثمان ، فقاموا إليه فقالوا : هو ابن عمك وأنت وَلِيُّه ، ونحن الطالبون معك بدمه ، فبايَعُوه أميراً عليهم ، وكتب وبعث الرسل إلى كُوَر الشأم ، وكتب إلى شُرَحْبِيل بن السِّمْط الكِنْديّ ، وهو بحمص أن يبايع له بحمص كما بايع أهلُ الشأم ، فقال شرحبيل : هذه سَقْطة ، ولكنا نبايع له بالخلافة ، ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة ، فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص ، ثم كتب إليه :

« أمَّا بعدُ : فإنك أخطأتَ خطأ عظيما حين كتبتَ إلىَّ أن أُبايع لك بالإمْرة ، وأنك تريد أن تطلب بدم الخليفة المظلوم ، وأنت غير خليفة ، وقد بايعتُ ومَن قِبَلى لك بالخلافة » .

فلما قرأ معاوية كتابه سَرَّه ذلك ، وأخبر الناس بما قال شرحبيل ، ودعاهم إلى بيعته بالخلافة ، فأجابوه ولم يتخلف منهم أحد[1] .

(الامامة والسياسه ١ : ٦٢)

---

(١) الوارد فى تاريخ الطبرى أن عمرو بن العاص بعد أن خدع أباموسى الأشعرى فى مجلس التحكيم انصرف هو وأهل الشأم إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة (انظر ج ٦ : ص ٤٠) .

وروى أيضا : أن أهل الشأم لما انصرفوا من صفين ، كانوا ينتظرون ما يأتى به الحكمان ، فلما انصرفا وتفرقا ، بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد إلا قوة (ج ٦ : ص ٥٥) وفى مروج الذهب أن عمرا بعد فشل التحكيم رجع إلى الشأم ، وأحضر معاوية الخوّاص من أهل الشأم ، فقال لهم عمرو : قد رأيت أن أبايع معاوية ، فلم أر أحدا أقوى على هذا الأمر منه ، فبايعه أهل الشأم ، وانصرف إلى منزله خليفة — انظر ج ٢ : ص ٣٥ — .

٤٠٤ — كتاب معاوية إلى على

قال ابن قتيبة : فلما بايع القوم له بالخلافة ، واستقام له الأمر ، كتب إلى على :

« سلام الله على من اتبع الهدى .

أما بعدُ : فإنا كنا نحن وإيا كم يداً جامعة ، وأُلْفَةً أَلِيفةً ، حتى طمِعْتَ يا بن أبى طالب ، فتغيَّرتَ وأصبحتَ تَعُدُّ نفسك قويا على من عاداك بِطَغَامِ[1] أهل الحجاز ، وأوباش أهل العراق ، وحَمْقَى الفُسْطاط[2] ، وغَوْغاء السَّواد ، وأَيْم الله لَيَنْجَلِيَنَّ عنك حَمْقاها ، ولَيَنْقَشِعَنَّ عنك غَوغاؤها انقشاعَ السَّحاب[3] عن السماء .

قتلتَ عثمان بن عفّان ، ورَقِيتَ سُلَّما أَطْلَعَك الله عليه مُطْلَع سوء عليك لالك ، وقتلت الزبير وطلحة ، وشَرَّدت أمك عائشة ، ونزلتَ بين المِصْرين فمَنَّيت وتمنّيت ، وخُيِّل لك أن الدنيا قد سُخِّرت لك بخَيْلها ورَجْلها[4] ، وإنما تعرفُ أُمْنِيَّتَك ، لو قد زرتُك فى المهاجرين من أهل الشأم بَقِيَّة الإسلام ، فيُحيطون بك مِن ورائك ، ثم يَقْضِى الله عِلْمَه فيك والسلام على أولياء الله » . (الإمامة والسياسة ١ : ٦٢)

---

(١) الطغام : أوغاد الناس .

(٢) الفسطاط : علم مصر العتيقة التى بناها عمرو بن العاص ، يعنى مصر .

(٣) انقشع السحاب : انكشف . (٤) رجل : جمع راجل ، وهو ضد الفارس .

٤٠٥ — ردّ عليّ على معاوية

فأجابه عليّ :

« أما بعد ، فقدِّر الأمور تقديرَ مَن ينظر لنفسه دُون جُنده ، ولا يشتغل بالهَزْل من قوله ، فلعمرى لئن كانت قوّتى بأهل العراق أوثق عندى من قوتى بالله ومعونتى به ، ليس(١) عند مَنْ كان على هذا بالله تعالى يقين ، فناج نفسك مناجاةَ مَنْ يستغنِي بالجِدّ دون الهَزْل ، فإن فى القول سَعَةً ، ولن يُعْذَر مِثْلُك فيما طَمَحَ إليه الرجال .

وأما ماذكرتَ من أنا كنا وإياكم يداً جامعة، فكنا كما ذكرت، ففرّق بيننا وبينكم أن الله بعثَ رسولَه منا فآمَنَّا به وكفرتم ، ثم زعمتَ أنى قتلت طلحة والزبير ، فذلك أمرٌ غِبْتَ عنه ولم تَحْضُرْه ، ولو حَضَرْته لَعَلِمْتَه ، فلا عليك ، ولا العُذْرُ فيه إليك ، وزَعمت أنك زائرى فى المهاجرين ، وقد انقطعت الهِجْرةُ حين أُسِرَ أخوك(٢) ، فإن كان فيك عَجَلٌ فاسْتَبْقِهِ ، وإن أَزُرْك فجَديرٌ أن يكون الله بَعَثَنى عليك للنِّقْمة منك ، والسلام » .

(الامامه والسياسة ١ : ٦٢)

ورُوِى هذان الكتابان بصورة أخرى ، وها كها :

---

(١) جملة ليس جواب القسم ، وبالله متعلق بيقين، وفى الأصل: « ليس عند الله تعالى يقين من كان على هذا » وهى عبارة مضطربة ، وقد أصلحتها كما ترى

(٢) فى الأصل «أبوك» وهو تحريف ، يعنى أخاه يزيد بن أبى سفيان ، أسر يوم فتح مكة فى باب الخندمة ، وكان خرج فى نفر من قريش يحاربون ويمنعون المسلمين من دخول مكة ، فقتل منهم قوم وأسر يزيد ، أسره خالد بن الوليد ، فخلصه أبو سفيان منه وأدخله داره فأمن ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، والمعنى : ليس معك مهاجر ، لأن أكثر من معك ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أبناء الطلقاء ومن أسلم بعد الفتح ، وقد قال عليه السلام « لا هجرة بعد الفتح » .

٤٠٦ — كتاب معاوية إلى عليّ

روى ابن أبي الحديد قال :

كتب معاوية إلى عليّ :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب :

أما بعدُ : فإنا بَنى عبد مَنَافٍ لم نَزَلْ من قَلِيبٍ[1] واحد ، ونَجْرى فى حَلْبَةٍ واحدة ، ليس لبعضنا على بعض فَضْل ، ولا لِقَائِمِنا على قاعدنا فخر ، كلمتُنا مؤتلفة ، وأُلْفتُنا جامعة ، ودارنا واحدة ، يجمعنا كَرَمُ العِرْق[2] ، ويَحْوينا شَرَفُ النِّجار ، ويحنُو قويُّنا على ضعيفنا ، ويُواسى غنيُّنا فقيرَنا ، قد خَلَصَت قلوبنا من غِلِّ الحسد ، وطَهُرت أنفسنا من خُبْث النيّة ، فلم نَزَل كذلك حتى كان منك ما كَان من الإِدْهان[3] فى أمر ابن عمك والحَسَدِ له ، وتضريبِ[4] الناس عليه ! حتى قُتِل بمَشْهَد منك لا تدفعُ عنه بلسان ولا يد ، فليتك أظهرت نصره حيث أسرَرْتَ خَتْرَه[5] ، فكنتَ كالمتعلّق بين الناس بعُذر وإن ضعُف ، والمتبرّى من دمه بدَفْعٍ وإن وَهَنَ ، ولكنك جلست فى دارك تَدُسُّ إليه الدواهى ، وتُرْسِل إليه الأفاعى ، حتى إذا قضيتَ وَطَرك[6] منه أظهرتَ شماتةً ، وأبديتَ طَلَاقةً ، وحَسَرت[7] للأمر عن ساعدك ، وشمّرتَ عن ساقك ، ودعوتَ الناس إلى نفسك ، وأكرهت أعيان المسلمين على بَيْعتك .

---

(١) القليب : البئر ، والمعنى : من أصل واحد ، والحلبة : الخيل تجتمع للسباق .
(٢) العرق : أصل كل شيء ، والنجار : الأصل أيضا .
(٣) الإدهان : الغش وإظهار خلاف ما يضمر ، وعنى بابن عمه عثمان .
(٤) التضريب بين الناس : الإغراء . (٥) الختر : الغدر والخديعة ، أو أقبح الغدر .
(٦) الوطر : الحاجة . (٧) حسر عن ساعده : كضرب : كشف .

ثم كَان منك بعدُ ما كَان من قتلِك شَيْخَيِ المسلمين أبي محمد طَلْحة ، وأبي عبد الله الزبير ، وهما من الموعودين بالجنة ، والمبشَّر قاتِلُ أحدهما[1] بالنار في الآخرة ، هذا إلى تشريدك[2] بأم المؤمنين عائشة ، وإحلالِها مَحَلَّ الهُون[3] ، مُبتذَلَةً بين أيدي الأعراب ، وفَسَقة أهل الكوفة ، فمن بين مُنْتَهِرٍ[4] لها ، وبين شامتٍ بها ، وبين ساخرٍ منها ، ترى ابن عمك كَان بهذه العَوْراء[5] راضياً ؟ أم كَان يكون عليك ساخطاً ، ولك عنه زاجراً أن تُؤذِيَ أهلَه ، وتشرِّد بحَليلته ، وتَسْفكَ دماء أهل ملته !

ثم تركْتَ دار الهجرة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : « إن المدينة لَتَنْفِي خَبَثَها ، كما يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحديد[6] » فلعمري لقد صَحَّ وعدُه ، وصدق قولُه ، ولقد نَفَتْ خَبَثَها ، وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها ، فأقمتَ بين المِصْرَيْن ، وبَعُدْتَ عن بَرَكَة الحَرَمين ، ورضيتَ بالكوفة بدلاً من المدينة ، وبمجاورة الخَوَرْنَق والحِيرة ، عِوَضاً عن مجاورة خاتَم النبوة .

---

(١) هو الزبير بن العوام ، وذلك أنه لما انهزم أصحاب عائشة يوم الجمل ، انصرف الزبير حتى أتى وادي السباع ، فتبعه عمرو بن جرموز فقتله في الصلاة وأتى عليا بسيفه فقال علي : سيف طالما جلّى الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه الحين ومصارع السوء ، وبشر قاتل ابن صفية بالنار ، قال ابن أبي الحديد « وقوله : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، اختلف فيه فقال قوم من من أرباب السير وعلماء الحديث هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام غير مرفوع ، وقوم منهم جعلوه مرفوعا ، وعلى كل حال فهو حق لأن ابن جرموز قتله موليا خارجا من الصف مفارقا للحرب ، فقد قتله على توبة وإنابة ورجوع عن الباطل ، وقاتل هذه حاله فاسق مستحق للنار » .

(٢) شرده : طرده ، وشرّد به : سمع بعيوبه .

(٣) الهون : الذل . (٤) انتهره ونهره : زجره .

(٥) العوراء : الفعلة (والكلمة) القبيحة ، ويعني بابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحليلته : زوجته ، يعني عائشة .

(٦) كير الحداد : منفاخه ، وخبث الحديد : ما نفاه الكير منه ، وهو ما لا خير فيه .

ومن قبل ذلك ما عِبْتَ خليفتَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياتهما، فقعدت عنهما، وألَّبت[1] عليهما، وامتنعت من بيعتهما، ورُمْتَ أمراً لم يرك الله تعالى له أهلا، ورَقِيتَ سُلَّما وَعْراً، وحاولت مَقاما دَحْضاً[2]، وادَّعيتَ مالم تجد عليه ناصرًا، ولعمرى لو وَلِيتَها حينئذ لَمَا ازدادت إلا فسادا واضطرابا، ولا أعقبَتْ ولايتُكَها إلا انتشاراً وارتداداً، لأنك الشامخ بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده.

وهَأَنا سائر إليك فى جَمْع من المهاجرين والأنصار، تحُفُّهم سيوف شامية، ورِماح قَحطانيّة، حتى يُحاكموك إلى الله، فانظر لنفسك وللمسلمين، وادفع إلىَّ قتلةَ عثمان، فإنهم خاصّتك وخُلَصاؤك[3] والمُحْدِقون بك، فإن أبيْتَ إلا سلوكَ سبيل اللَّجاج والإصرار على الغىّ والضلال، فاعلم أن هذه الآية إنما نزلت فيك، وفى أهل العراق معك: « وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً

---

(١) التأليب: التحريص. (٢) مكان دحض بالفتح ويحرك: زلق.

(٣) الخلصاء: جمع خلص بالكسر كخدن، وهو الصاحب.

وأنت إذا تدبرت هذا الكتاب وجدت أسلوبه أسلوب مغالطه فى إلصاق هذه التهم بعلى، فإن عليا لم يقتل طلحة والزبير، وإنما قتلا فى خروجهما عليه، ولم يشرد بعائشة بل هى شردت بنفسها، وخرجت إلى البصرة تطلب بدم عثمان فتعرضت لما نالها، على أن عليا بعد أن هزم أصحابها أمر أخاها محمد بن أبى بكر أن يضرب عليها قبة، وقال: انظر هل وصل إليها شىء من جراحة؟ فوجدها سليمة لم تصب بشىء، ثم جاءها فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير يغفر الله لك. قال: ولك، ثم جهزها بكل ماينبغى لها من مركب أو زاد أو متاع، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات يرافقنها إلى المدينة، وقال: تجهز يامحمد فبلغها، وشيعها هو أميالا، وسرح بنيه معها يوما، والعجب كل العجب أن يصم عليا بتركه دار الهجرة، وأن يقول له إن المدينة قد نفتك عنها لأنك خبث، مع أن هذا القول مردود عليه هو، فقد نفته المدينة عنها منذ ولى الشام من عهد عمر فهل هو إذن خبث! وكذلك طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا إلى البصرة، والذين يتعصب لهم ويحتج بهم! والكلام فى ذلك طويل نجتزئ منه بهذا القدر اليسير.

قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٢٠١)

٤٠٧ — رد علىّ على معاوية

وروى الشريف الرضى رحمه الله أن عليًا عليه السلام كتب إلى معاوية جوابا عن كتابه :

« أما بعدُ : فإنا كنا نحن وأنتم على ما ذكرتَ من الأُلفة والجماعة ، ففرّق بيننا وبينكم أَمْسِ أَنَّا آمنَّا وكفرتم ، واليومَ أَنَّا استقمنا وفُتِنْتم ، وما أسلم مُسْلِمُكم إلا كَرْهاً[1] ، وبعد أن كان أَنْفُ[2] الإسلام كلّه لرسول الله

---

(١) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثمان افتتح مكة فى جيش عدته عشرة آلاف مقاتل ، ومضى حتى نزل مر الظهران ، فأمر أصحابه أن يوقدوا النار ، وبعثت قريش أبا سفيان وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار ، وسمع العباس بن عبد المطلب أبا سفيان ، وهو يقول لبديل : مارأيت كالليلة نيرانا قط ولاعسكرا ، فعرف صوته ، فقال له : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله فأستأمنه لك ، فركب خلفه ورجع صاحباه ، حتى مرّ به عمر بن الخطاب ، فلما رآه على عجز البغلة ، قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، وخرج يشتد نحو رسول الله ، وقال له : دعنى فلأضرب عنقه ، فقال العباس : يارسول الله إنى قد أجرته ، وأكثر عمر فى شأنه، فقال رسول الله : اذهب به ياعباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به ، فلما أصبح غدا به إلى رسول الله ، فقال له : ويحك ياأبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أباسفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً بعد ، فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، فتشهد وأسلم ، فقال العباس : يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً ، فقال : نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن — انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ وشرح ابن أبى الحديد م ٤ ص ٢٠٨ وقد أسلم معاوية يوم الفتح كما قدمنا .

(٢) أنف كل شىء : أوله ، أى وبعد أن كان من أسلم منكم محاربا لرسول الله طوال أول

صلى الله عليه وآله حَرْبًا .

وذكرتَ أنى قتلتُ طلحة والزبير ، وشرَّدت بعائشة ، ونزلت المِصْرَين ، وذلك أمرٌ غِبْتَ عنه ، فلا عليك ، ولا العُذْرُ فيه إليك .

وذكرتَ أنك زائِرِى فى المهاجرين والأنصار ، وقد انقطعَتِ الهِجرة يوم أُسِرَ أخوك(١) ، فإن كان فيك عَجَلٌ فاسْتَرْفِهْ(٢) ، فإنى إنْ أَزُرْك فذلك جَدِيرٌ أن يكون الله إنما بعثنى إليك للنِّقْمة منك ، وإنْ تَزُرْنى فكما قال أخو بنى أَسَد :

مستقبلين رياحَ الصَّيف تَضْرِبُهم ... بحاصِبٍ بين أَغْوارٍ وَجُلْمودِ(٣)

وعندى السيفُ الذى أَعْضَضْتُه(٤) بجَدِّك وخالِك وأخيك فى مَقام واحد ، وإنك واللهِ ـ ما علِمْتُ الأَغْلَفُ(٥) القلب ، المُقارِبُ العقل ، والأَوْلَى أن يقال

الإسلام ، وقد كان أبو سفيان قائد الجيوش الغازية لرسول الله يوم أحد والخندق، وأنف هنا منصوب على الظرفية واسم كان ضمير مستتر يعود على مسلمكم .

(١) هو يزيد بن أبى سفيان أسر يوم الفتح كما قدمنا « وقد أسر أيضا أخوه عمرو بن أبى سفيان يوم بدر ـ انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٣١ ـ ولكن ليس هو المراد هنا كما جاء فى تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده ، لقوله وقد انقطعت الهجرة » . (٢) أى فكن ذا رفاهية واسترح ولا ترهقن نفسك بالعجل فلا بد من تلاقينا ، فأى حاجة بك إلى أن تعجل ؟

(٣) ريح حاصب : أى تحمل الحصباء وهى صغار الحصى ، وأغوار : جمع غور بالفتح، وهو ماسفل من الأرض ، والجلمود : الصخر ، ولا يخفى أن ريح الصيف إذا كانت كذلك كانت شديدة اللفح عظيمة الضرر ، والمعنى : وإن تغزونا تكونوا مستقبلين . . الخ أى تعرّضوا أنفسكم لأشد الأخطار .

(٤) يقال : أعضضته الشىء : جعلته يعضه ، وأعضضته سيفى : ضربته به ، فهمزته للتعدية ، وقوله : أعضضته بجدك أى جعلته يعضه ويضربه والباء فيه زائدة ، وقال ابن أبى الحديد : وأعضضته أى جعلته معضوضا برءوس أهلك ، وأكثر ما يأتى أفعلته أن تجعله فاعلا ، وهو هنا من المقلوب أى أعضضت رءوس أهلك به » وجده هو عتبة بن ربيعة جده لأمه ، وخاله الوليد بن عتبة ، وأخوه حنظلة بن أبى سفيان ، قتلهم علىّ يوم بدر .

(٥) الأغلف القلب : الذى لا بصيرة له كأن قلبه فى غلاف . مقارب العقل : ناقصه ضعيفه ، كأنه يكاد يكون عاقلا وليس به .

لك إنك رَقِيتَ سُلَّما أطْلَعَك مُطْلَع سوءٍ عليك لا لك ، لأنك نَشَدْت غير ضالَّتك(١) ، ورعَيْتَ غير سائمتك ، وطلبتَ أمرا لست من أهله ولا فى مَعْدِنه ، فما أبْعَدَ قولَك من فعلك(٢) ، وقريبٌ ما أشْبَهْتَ(٣) من أعمامٍ وأخْوالٍ حَمَلَتهم الشقاوةُ ، وتَمَنِّى الباطِل على الجُحود بمحمد صلى الله عليه وآله، فصُرِعوا مَصارِعَهم ، حيث لم يدفعوا عظيما ، ولم يَمْنَعوا حَرِيمًا ، بوَقْع سُيوفٍ ما خَلاَ منها الوَغَى ، ولم تُماشِها(٤) الهُوَيْنَى .

وقد أكثرتَ فى قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكِم القومَ إلىّ ، أحْمِلْك وإياهم على كتاب الله تعالى ، وأمّا تلك التى تُريد فإنها خُدْعة الصبىّ عن اللّبن (فى أوّل الفِصال(٥) ، والسلامُ لأهله) » .

(نهج البلاغة ٢ : ٨٩)

٤٠٨ — كتاب على إلى معاوية

وكتب على إلى معاوية :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان :

أما بعد : فإن الدنيا دار تجارة ، ورِبْحُها أو خُسرها الآخرةُ ، فالسعيد مَن كانت بضاعَته فيها الأعمال الصالحة ، ومَنْ رَأى الدنيا بعينها وقدَّرها

---

(١) الضالة : ما فقدته من مال ونحوه ، ونشد الضالة : طلبها وعرّفها ، والسائمة : المال الراعى ، والمعنى طلبت ما ليس لك.

(٢) كان معاوية ينادى الأمر يزعم أنه إنما نهض للطلب بدم عثمان الذى قتل مظلوما ، وأنه لن يكفّ حتى يقتل قتلته ، ثم تكون الخلافة شورى بين المسلمين ، ولكنه كان يعمل لنيل الخلافة وبها غرضها

(٣) ما مصدرية ، أى وقريب شبهك . (٤) لم تماشها : أى لم تصاحبها ، بل مضت مسرعة فى الرءوس والأعناق . (٥) الفصال : فطم المولود ، وما بين القوسين زائد فى رواية ابن أبى الحديد

بقَدْرها ، وإنى لأَعِظُك مع علمى بسابق العِلم فيك مما لا مَرَدَّ له دون نَفاذه ، ولكنَّ الله تعالى أخذَ على العلماء أن يُؤَدّوا الأمانة ، وأن ينصَحوا الغَوِىَّ والرَّشيد ، فاتّقِ الله ولا تكن ممَّن لا يَرْجُون لِلهِ وَقَاراً ، ومَنْ حَقَّت عليه كلِمَةُ العذاب ، فإن الله بالمِرْصاد ، وإن دنياك ستُدْبِر عنك ، وستَعُودُ حَسْرةً عليك ، فأَقْلِع عما أنت عليه من الغَىّ والضلال على كِبَرِ سِنّك ، وفَناء عمرك ، فإن حالك اليوم كحال الثوب المُهَلْهَلِ[1] الذى لا يُصْلَح من جانب إلا فَسَدَ من آخَر .

وقد أرْدَيْتَ جِيلا[2] من الناس كثيراً خَدَعْتَهم بغَيِّك ، وألقَيْتهم فى مَوْج بحرك ، تَغْشاهم الظُّلُمات ، وتتلاطم بهم الشُّبُهات ، فجارُوا عن وجْهَتهم ونَكَصُوا[3] على أعقابهم ، وتَوَلَّوْا على أدبارهم ، وعَوَّلوا على أحسابهم ، إلا من فَاءَ[4] من أهل البصائر ، فإنهم فارقوك بعد مَعْرفتك ، وهَرَبوا إلى الله من مُوَازَرتك ، إذ حَمَلْتَهُم على الصَّعْب ، وعَدَلْتَ بهم عن القَصْد[5] ، فاتَّقِ الله يا معاوية فى نفسك ، وجاذِبِ الشيطان قيادَك ، فإن الدنيا منقطعة عنك ، والآخرة قريبة منك ، والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٠ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤١)

٤٠٩ — رد معاوية على علىّ

فكتب إليه معاوية :

« من معاوية بن أبى سفيان إلى علىّ بن أبى طالب :

---

(١) ثوب مهلهل : أى رقيق سخيف النسج ، وفى الأصل «المهيل» وهو تحريف .
(٢) أى أهلكت قبيلا وصنفا . (٣) أى رجعوا .
(٤) أى رجع ، والموازرة : المعاونة والمعاضدة . (٥) القصد : استقامة الطريق .

أما بعد : فقد وقفْتُ على كتابك ، وقد أَبَيْتَ على الفِتَن إلا تَمادِيًا ، وإني لَعالِمٌ أن الذي يدعوك إلى ذلك مَصْرَعُك الذي لا بُدَّلك منه ، وإن كنت مُوائِلاً[1] ، فازْدَدْ غَيًّا إلى غيك ، فطالما خَفَّ عقلُك ، ومَنَّيْتَ نفسَك ما ليس لك ، والْتَوَيْت على من هو خير منك ، ثم كانت العاقبةُ لغيرك ، واحتمَلْتَ الوِزْرَ بما أحاط بك من خَطِيئتك ، والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٠)

٤١٠ — رد عليّ على معاوية

فكتب عليّ عليه السلام إليه :

« أما بعد : فإن ما أتيتَ به من ضلالك ليس ببعيد الشَّبَه مما أتى به أهلُك وقومُك ، الذين حَمَلَهم الكفر ، وتَمَنِّي الأباطيل على حَسَدِ محمد صلى الله عليه وآله حتى صُرِعوا مَصَارِعَهم حيث علمتَ ، لم يمنعوا حَرِيمًا ، ولم يدفعوا عظيمًا ، وأنا صاحِبُهم في تلك المواطن ، الصَّالِي[2] بحربهم ، والفَالُّ لحدِّهم ، والقاتل لرءوسهم رءوس الضَّلالة ، والمُتْبِع إن شاء الله خَلَفَهم بسَلَفِهم ، فبئس الخَلَفُ خَلَفٌ اتَّبع سَلَفًا مَحَله ومَحَطُّه النارُ ، والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٠)

---

(١) واءل : طلب النجاة. (٢) صلى النار كرضى وصلى بها : قاسى حرها ، وفلّ حده : ثلمه

٤١١ — رد معاوية على علىّ

فكتب إليه معاوية :

« أما بعدُ : فقد طال فى الغَىِّ ما استمْررت أَدْرَاجَك[1] ، كما طالما تَمادَى عن الحرب نُكُوصُك وإبطاؤك ، فتُوعِدُ وَعِيدَ الأسد ، وتَرُوغُ رَوَغَانَ الثعلب ، فحتَّامَ تَحِيدُ عن لِقاء مباشِرَة[2] اللُّيوث الضارية ، والأفاعى القاتلة ، ولا تستبعدنَّها فكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ ، إن شاء الله ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م٤ : ص٥٠)

٤١٢ — رد علىّ على معاوية

فكتب إليه علىّ عليه السلام :

« أما بعدُ : فما أَعْجَبَ ما يأتينى منك ، وما أَعلَمَنى بمنزلتك التى أنت إليها صائر ، ونحوَها سائرٌ ، وليس إبطائى عنك إلا ترقُّبا لوقت أنت له مُكَذِّبٌ وأنا به مُصَدق ، وكأنِّى بك غدًا وأنت تضِجُّ من الحرب ضَجِيجَ الجِمال من الأثقال ، وستدعونى أنت وأصحابُك إلى كتابٍ تعظِّمونه بألسنتكم ، وتَجْحَدونه بقلوبكم ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٥٠ ، وم ٣ ص ٤١١)

---

(١) الأدراج : جمع درج بالتحريك وهو الطريق ، ويقال : استمرّ فلان درجه وأدراجه : أى استمر فى طريقه كما يقال : رجع فلان درجه وأدراجه أى رجع فى طريقه الذى جاء منه ، والنكوص الاحجام . (٢) أى عن لقاء جودى مباشرة الليوث : أى مقاتلتها .

٤١٣ — رد معاوية على على

فكتب إليه معاوية :

« أما بعدُ : فدَعْنى من أساطيرك ، واكفُفْ عنى من أحاديثك ، وأقْصِر(١) عن تقوُّلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافترائك من الكذب مالم يقل ، وغُرورِ مَن معَك والخداعِ لهم ، فقد استغْوَيتَهم ويُوشِكُ أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ، ويعلموا أنَّ ما جئتَ به باطل مُضْمَحِلٌّ ، والسلام » . (شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٥٠)

٤١٤ — رد علىّ على معاوية

فكتب إليه علىّ عليه السلام :

« أما بعدُ : فطالما دعوتَ أنت وأولياؤك أولياءِ الشيطانِ الرجيمِ الحقَّ أساطيرَ ، ونَبَذْتموه وراء ظُهوركم ، وحاولتم إطفاءَ نُورِ الله بأيديكم وأفواهكم ، وَيَأْبَى ٱللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ، ولعمرى ليَتِمَّنَّ النورُ على كُرْهك ، ولينفُذَنَّ العلم بصَغارك(٢) وقَمْأَتِك ، ولتَخْسَأَنَّ طَرِيدًا مَدْحورًا ، أو قتيلاً مَثْبورًا ، ولَتُجزَيَنَّ بعملك حيث لا ناصِرَ لك ولا مُصْرِخَ(٣) عندك ، فعِثْ فى دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك ، فكأنك بباطلك وقد انقضى ،

---

(١) أقصر عن الشىء : كف عنه وانتهى .

(٢) الصغار : الذل ، وكذا القمأة والقماءة ، وخسأه كمنع : طرده ، ودحره كمنع : طرده أيضا ، مثبورا : هالكا ، ثبره الله ثبورا كقعد : أهلكه ، وثبر هو ثبورا ، يتعدى ولا يتعدى .

(٣) المصرخ : المغيث ، وعاث يعيث : أفسد .

وبعملك وقد هَوَى ، ثم تصير إلى لَظَى[١] ، لم يظلمك الله شيئاً ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

وقد أسهبتَ فى ذكر عثمان ، ولعمرى ما قتله غيرُك ، ولا خَذَلَه سواك ، ولقد تربَّصْتَ به الدوائرَ[٢] ، وتمنَّيْتَ له الأمانىَّ ، طمعاً فيما ظهر منك ، ودل عليه فعلُك ، وإنى لأرجو أن أُلحِقك به على أعظمَ من ذنبه ، وأكبرَ من خطيئته ، فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف ، وإن قائمته[٣] لَفِى يدى ، وقد علمتَ مَن قتلتُ به من صَنَاديد بنى عبد شمْس ، وفَرَاعنةِ بنى سَهْم وجُمَح وبنى مَخْزوم ، وأيتمْتُ أبناءهم ، وأيَّمْت نساءهم .

وأذكِّرك ما لستَ له ناسياً يوم قتلتُ أخاك حَنْظلة ، وجرَرْتُ برجله إلى القَليب[٤] ، وأسرتُ أخاك عَمراً فجعلتُ عنقه بين ساقَيْه رِباطًا ، وطلبتك ففرَرْتَ ، ولك حُصَاص[٥] ، فلولا أنى لا أتبَع فارًّا لجعلتُك ثالثهما ، وأنا أُولِى[٦] لك بالله أَلِيَّةً بَرَّةً غيرَ فاجرة : لَئِن جَمَعَتْنى وإياك جَوامِعُ الأقدار ، لأَتركنَّك مَثَلاً يتمثّل به الناس أبداً ، ولأُجَعْجِعَنَّ[٧] بك فى مُناخك ، حتى

---

(١) أى جهنم .

(٢) الدوائر : جمع دائرة وهى الهزيمة ، وتربص به : انتظر به شرا (أو خيرا) يحلّ به .

(٣) قائمة السيف وقائمه : مقبضه، والصناديد جمع صنديد بالكسر : وهو السيد الشجاع، وبنو سهم وجمح ومخزوم : بطون من قريش ، وأيمها : جعلها أيما (ككيد) أى بلا زوج .

(٤) القليب : البئر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أمر بالقليب أن تغور ، ثم أمر بقتلى المشركين فطرحوا فيها ، وكان علىّ قتل حنظلة وأسر عمرا يوم بدر كما قدمنا .

(٥) الحصاص : أن يصر الحمار بأذنيه ويمصع بذنبه (أى يحركه ويضرب به) ويعدو ، والحصاص أيضا الضراط . قال ابن أبى الحديد : سألت النقيب أبا زيد عن معاوية هل شهد بدرا مع المشركين ؟ فقال : نعم ، شهدها ثلاثة من أولاد أبى سفيان : حنظلة وعمرو ومعاوية ، قتل أحدهم ، وأسر الآخر، وأفلت معاوية هاربا على رجليه ،فقدم مكة وقد انتفخ قدماه وورمت ساقاه، فعالج نفسه شهرين حتى برأ . (٦) آلى : أقسم ، والألية : اليمين .

(٧) جعجع الابل ، وجعجع بها : حركها للإناخة أو النهوض .

يحكمَ اللهَ بينى وبينك وهو خير الحاكمين ، ولئن أنْسأَ الله[1] فى أجَلى قليلا ، لأُغزِينَّك سَرَايَا المُسْلِمِينَ ، ولأَنْهَدَنّ إليك فى جَحْفَل من المهاجرين والأنصار ، ثم لا أقبَلُ لك مَعْذِرة ولا شفاعة ، ولا أُجيبك إلى طلب وسؤال ، ولتَرْجِعَنّ إلى تحيُّرك ، وتردُّدك وتَلدُّدك[2] ، فقد شاهدتَ وأبصرتَ ، ورأيت سُحُبَ الموت كَيْفَ هَطَلَتْ عليك بصَيِّبها ، حتى اعتصمتَ بكتابٍ[3] أنت وأبوك أوَّلُ مَنْ كفر وكذَّبَ بنزوله .

ولقد كنتُ تفرَّستُها[4] وآذنْتُك أنك فاعِلُها، وقد مَضَى منها ما مضى، وانقضى من كيدك فيها ما انقضَى ، وأنا سائرٌ نحوك على أثَرِ هذا الكتاب ، فاْختر لنفسك وانْظُرْ لها وتَدارَكْها ، فإنك إن فَطَرْتَ[5] ، واستمررتَ على غَيِّك وغُلَوَائك حتى يَنْهَدَ إليك عبادُ الله ، أُرْتِجَتْ عليك الأمورُ ، ومُنِعْتَ أمراً هو اليوم منك مقبول .

يا بن حَرْب ، إنَّ لَجاجَك فى منازعة الأمرِ أهْلَه مِن سَفاهِ[6] الرأى ، فلا يُطْمِعَنَّك أهلُ الضلال ، ولا يُوبِقَنَّك سَفَهُ رأى الجهال ، فوالذى نفسُ علىٍّ بيده ، لئن بَرَقَتْ فى وجهك بارِقةٌ من ذى الفَقار[7] لَتُصْعَقَنَّ صَعْقةً لا تُفيق

---

(١) أنسأ : أخر ومدّ ، وسرايا جمع سرية بالفتح وتشديد الياء : وهى القطعة من الجيش ، وقوله : لأغزينك سرايا المسلمين : أى لأجعلها تغزوك ، ونهد كمنع : نهض ، والجحفل : الجيش العظيم .

(٢) تلدّد : تلفت يمينا وشمالا وتحير متلددا وتلبث ، وسحاب صيب : ذو صوب أى مطر .

(٣) أى حتى آمنت وصدقت بالقرآن فاعتصمت به من القتل .

(٤) ها فى تفرستها يعود على مفهوم من السياق ، أى تفرست فعلتك التى فعلت ، وهى مغالبتك لى على الخلافة ، وتفرستها أى عرفتها بفراستى ، وآذنتك : أى أعلمتك .

(٥) فطره كضرب ونصر : شقه ، أى إن شققت وحدة المسلمين وفرقت كلمتهم ، والغلواء : الغلو ، وأرتج الباب : أغلقه إغلاقا وثيقا . (٦) السفاه والسفه والسفاهة واحد ، وأوبقه : أهلكه .

(٧) ذو الفقار : هو سيف العاص بن منبه ، قتل يوم بدر كافراً فصار إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم صار إلى علىّ ، وسمى بذلك لأنهم شبهوا ما فيه من الحزوز بالفقار ، ويقال سيف مفقر (بتشديد القاف المفتوحة) : أى فيه حزوز مطمئنة عن متنه ، والفقور : الحزوز .

منها حتى يُنْفَخَ فى الصُّور النفخةُ التى يئستَ(١) منها كما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ » . (شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٥١، وم ٣ : ص ٤١١)

٤١٥ — رد معاوية على علىّ

فكتب إليه معاوية :

« أما بعد : فما أعظمَ الرَّيْنَ على قلبك(٢) ، والغِطاءَ على بَصَرك ، الشَّرَهُ من شِيمتك ، والحَسَد من خَليقتك ، فشَمِّرْ للحرب ، واصْبِرْ للضرب ، فوالله ليرجعَنَّ الأمرُ إلى ما علمتَ(٣) ، والعاقبةُ للمتقين ، هيهاتَ هيهاتَ ! أخطأكَ ما تَمَنَّى(٤) ، وهَوَى قلبك مع من هَوَى ، فارْبَعْ على ظَلْعِكَ(٥) ، وقِسْ شِبْرَكَ بِفِتْرِكَ ، لِتعلمَ أين حالُكَ مِن حال مَنْ يَزِنُ الجبالَ حِلْمُه ، ويَفصِلُ بين أهل الشك عِلْمُه ، والسلام » . (شرح ابن أبى الحديد م ٤ ص ٥١ ، وم ٣ ص ٤١٠)

٤١٦ — رد علىّ على معاوية

فكتب إليه علىّ عليه السلام :

« أما بعدُ : فإن مَسَاوِيَك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك وبين

---

(١) أى إياس كيئسهم ، فقد كانوا قبل الإسلام لا يؤمنون بالبعث والنشور
(٢) وفى الرواية الأخرى : « فإنك المطبوع على قلبك ، المغطى على بصرك ، الشر من شيمتك ، والعتو من خليقتك » والرين : الدنس ، وران ذنبه على قلبه رينا وريونا : غلب .
(٣) أى إلىّ ، يعنى أن يقول لعلى : (على سبيل المغالطة) إنك تعلم أن الخلافة صائرة إلىّ ولكنك تخفى ذلك وتتجاهله . (٤) أى ماتتمنى .
(٥) ظلع كمنع : غمز فى مشيه ، وربع كمنع أيضا : وقف وانتظر وتحبس ، ويقال : اربع على ظلعك أى إنك ضعيف فارفق بنفسك ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق ، أى اسكت على ما فيك من العيب ، وأبصر نقصك وعجزك .

أن يَصْلُح لك أمرُك ، وأن يرعَوِيَ قلبُك ، يابن صَخْر ، يابن اللَّعِين[1]، زعمتَ أَنْ يَزِن الجبالَ حِلمُك ، ويَفصِلَ بين أهل الشك عِلْمك ، وأنت الجِلْف المنافق، الأغلَف القلب، القليلُ العقلِ، الجبَان الرَّذل[2]، وقلتَ: فشمِّر للحرب، واصبِر للضرب ، فإن كنت صادقاً فيما تزعم ، ويُعينك عليه ابنُ النابغة[3] ، فدَعِ الناس جانباً ، وتيسَّرْ لِمَا دعوتَنى إليه من الحرب ، والصبر على الضرب ، وأَعْفِ الفريقين من القتال ، وابرُزْ إلىّ لِتعلَمَ أيُّنا المَرِينُ[4] على قلبه ، المُغَطَّى على بصره ؟ فأنا أبو الحسن قاتِلُ جَدِّك وأخيك وخالك شَدْخاً[5] يومَ بَدْرٍ ، وذلك السيفُ معى ، وبذلك القلب أَلْقَى عدوى ، وما أنت منهم ببعيد » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٥١ ، وم ٣ ص ٤١١)

٤١٧ — كتاب معاوية إلى علىّ

وروى صاحب العقد قال :

وكتب معاوية إلى علىّ :

« أما بعد : فإنك قتلتَ ناصِرَك ، واستنصرت واتِرَك[6] ، فأَيمُ اللهِ لَأَرْمِيَنَّك بشهاب تُذْكِيه الريحُ ، ولا يُطْفِئه المـاء ، فإذا وقع وَقَبَ[7] ، وإذا

---

(١) من كلام للحسن بن على رضى الله عنه يخاطب معاوية : « وأنشدك الله يامعاوية ، أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله ،فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق» — انظرشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ١٠٢

(٢) الجلف : الرجل الجافى ، والأغلف القلب : الذى لابصيرة له كأن قلبه فى غلاف ، وفى الرواية الأخرى : « وأنت الجاهل ، القليل الفقه ، المتفاوت العقل ، الشارد عن الدين » .

(٣) هو عمرو بن العاص السهمى ، وفى الرواية الأخرى : « ويعينك عليه أخو بنى سهم» والنابغة أم عمرو — انظرص ٣٨٩ .

(٤) المرين اسم مفعول من ران .

(٥) الشدخ : كسر الشىء الأجوف وبابه قطع ، شدخ رأسه فانشدخ .

(٦) الوتر:الثأر ، وقد وتره يتره كوعد . والشهاب : شعلة من نار ساطعه ، وأذكى النار:أوقدها

(٧) المعنى : أحرق كل ما يصادفه ، من وقب الليل إذا دخل فى كل شىء .

مَسَّ ثَقَبَ ، فلا تحسَبَنِّى كَسُحَيْمٍ[1] ، أوعَبْدِ القَيْس ، أوحُلْوان الـكاهن » .
(العقد الفريد ٢ : ٢٢٣)

٤١٨ — ردُّ علىّ على معاوية

فأجابه علىّ :

« أما بعدُ : فوالله ما قَتَل ابنَ عمك غيرُكَ ، وإنى أرجو أن أُلْحِقَك به ، على مِثْلِ ذنبه وأعظَمَ من خطيئته، وإن السيف الذى ضربتُ به أباكَ[2] وأهلكَ لَمَعى دائم ، والله ما استحدثتُ دينًا ، ولا استبدلتُ نَبِيًّا ، وإنى على المِنْهاج الذى تركتموه طائعين ، وأُدْخِلْتم فيه كارهين » .   (العقد الفريد ٢ : ٢٢٣)

٤١٩ — كتاب علىّ إلى معاوية

وروى الشريف الرضى رحمه الله فى نهج البلاغة قال :

ومن كتاب لعلىّ عليه السلام إلى معاوية :

« وكيف أنت صانِعٌ إذا تكشَّفَت عنك جَلابيبُ ما أنت فيه من دنيا: قد تَبَهَّجَت[3] بزِينتها ، وخَدَعَت بلذّتها ، دَعَتْك فأَجَبْتَها ، وقادتك فاتَّبَعْتَها ،

---

(١) سحيم : هو عبد بنى الحسحاس ، من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان حبشياً يرتضخ لـكنه حبشية ، وقتل فى خلافة عثمان — انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ : ص ٨٧ ، وقد نقل أخباره عن الـكامل للمبرد والأغانى ج ٢٠ ص ٢ وغيرهما وانظر أيضاً البيان والتبيين ج ١ : ص ٤٠ ، — والمعنى لا تظنى ممن لا يعتد بشأنه ولا يقام له وزن كسحيم ، وأما عبد القيس فلا أدرى المراد به ، وقد أورد صاحب الأغانى أخبارا لعبد قيس بن خفاف البرجمى مع حاتم الطائى (ج ٧ : ص ١٤٥) ومع النابغة الذبيانى (ج ٩ : ص ١٥٨) ولـكنها لا تدل على أنه المراد هنا إذ يقول فيه «وكان شريفاً شاعرا شجاعا » وحلوان الـكاهن : ما يعطاه الـكاهن ويجعل له أجرا على كهانته .

(٢) يعنى جده عتبة بن ربيعة ، وربما كان الأصل «أخاك» .   (٣) تبهجت : صارت ذات بهجة.

وأمرتْك فأطَعْتَهَا ، وإنه يوشك أن يَقِفَكَ واقِفٌ على مالا يُنْجيك منه مِجَنٌّ(١) ، فاقْعَسْ(٢) عن هذا الأمر ، وخُذْ أُهْبَةَ الحساب ، وشَمِّر لما قد نزل بك ، ولا تمكِّن الغُواةَ مِن سَمْعك ، وإلاَّ تفعَلْ أُعْلِمْك ما أغفلْتَ من نفسك ، فإنك مُتْرَف(٣) قد أخذ الشيطان منك مَأْخَذَه ، وبَلَغ فيك أَمَلَه ، وجرى منك مَجْرَى الرُّوح والدم(٤) .

ومتَى كنتم يا معاويةُ ساسَةَ الرَّعِيَّة ، ووُلاَةَ أمرِ الأُمَّة(٥) ، بغير قِدَم سابق ، ولا شرف باسِق(٦) ؟ ونعوذ بالله من لُزُوم سَوَابق الشقاء ، وأُحَذِّرك أن تكون متماديًا فى غِرَّة الأُمْنِيَّة ، مختلِفَ العلانية والسريرة .

وقد دعوتَ إلى الحرب ، فدَعِ الناس جانبًا واخرج إلىّ ، وأَعْفِ الفريقين من القتال ، لِتَعلم أيُّنا المَرِينُ على قلبه ، والمغطَّى على بصره ؟ فأنا أبو حَسَن قاتلُ جَدِّك وخالك وأخيك شَدْخًا يوم بدر ، وذلك السيفُ معى ، وبذلك القلب أَلْقَى عدوى ، ما استبدلتُ دينًا ، ولا استحدثتُ نبيًّا ، وإنى لعَلَى المِنْهاج الذى تركتموه طائعين ، ودخلتم فيه مُكْرَهين .

وزعمت أنك جئتَ ثَائِرًا(٧) بعثمان ، ولقد علمتَ حيثُ وقع دم عثمان ، فاطلبه من هناك إن كنت طالبًا ، فكأنى قد رأيتُك تضِجُّ من الحرب إذا عضتك ، ضجيجَ الجِمال بالأثقال ، وكأنى بجماعتك تدعونى ـ جَزَعًا من الضرب

---

(١) المجنّ : الترس ، وفى رواية ابن أبى الحديد : « مالا ينجيك منه منج » . (٢) أى تأخر .
(٣) أى قد أترفتك النعمة وأطغتك .
(٤) أخذها من قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم » .
(٥) يعنى الأمة الإسلامية ، وإلا فقد كان بنو عبد شمس فى الجاهلية ذوى رياسة وسيادة ـ لا على بنى هاشم ـ وكان عتبة بن ربيعة رئيس الجيش المحارب لرسول الله يوم بدر ، وأبو سفيان قائدهم يوم أحد والخندق . (٦) باسق : عال ، والغرة : الغفلة . (٧) ثأر به : طلب دمه .

المتتابع ، والقضاء الواقع ، ومَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ – إلى كتاب الله ، وهى كافِرة جاحِدَة ، أومُبَايِعَةٌ حائِدة » . (نهج البلاغة ٢ : ٧)

صورة أخـــرى

وقال ابن أبى الحديد فى شرح النهج :

إن هذه الخطبة – يريد الرسالة – قد ذكرها نصر بن مزاحم فى كتاب صِفِّين على وجه يقتضى أن ما ذكره الرضى رحمه الله منها قد ضم إليه بعض خطبة أخرى ، وهذه عادته ، لأن غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه .

والذى ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان :

سلام على من اتَّبعَ الهُدى ، فإنى أحْمَد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنك قد رأيت مُرورَ الدنيا وانقضاءها ، وتَصَرُّمها[1] ، وتصرُّفها بأهلها ، وخيرُ ما اكْتُسِب من الدنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى ، ومن يَقِسِ الدنيا بالآخرة يجدْ بينهما بعيداً .

وأعلم يا معاوية أنك قد ادَّعَيْت أمرًا لستَ من أهله ، لا فى القديم[2] ، ولا فى الحديث ، ولستَ تقول فيه بأمرٍ بَيِّنٍ يُعْرَف له أَثَر ، ولا عليك منه شاهد ، ولست متعلِّقا بآية من كتاب الله ، ولا عهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أى انقضاءها أيضا .

(٢) يعنى فى أول الإسلام ، لأن معاوية من الطلقاء كما تقدم ، وليس له سابقة فى الإسلام .

فكيف أنت صانع إذا تَقَشَّعَتْ عنك غَيَابة[1] ما أنت فيه من دنيا قد فُتِنْتَ بزينتها ، ورَكَنْتَ إلى لذّاتها ، وخُلِّىَ بينك وبين عدوك[2] فيها ، وهو عدُوّ كَلِب مُضِلّ جاهد مُلِحٌّ مُلِيحٌ ، مع ما قد ثبت فى نفسك من جهتها ، دَعَتْك فأجَبْتها ، وقادتك فاتبعتها ، وأمَرَتْك فأطعتها ، فاقْعَس عن هذا الأمر ، وخُذْ أُهْبَةَ الحساب ، فإنه يوشك أن يَقِفك واقِفٌ على مالا يُنجيك منه مِجَنّ .

ومتى كنتم يامعاويةُ ساسةَ الرعية ، أو وُلاةً لأمر هذه الأمة ، بلا قدم حسَن ، ولا شرف تَليد[3] على قومكم ؟ ، فاستيقظ من سِنَتك ، وارجع إلى خالقك ، وشمِّر لما سينزل بك ، ولا تمكِّن عدوك الشيطان من بُغْيته فيك ، مع أنى أعرف أن الله ورسوله صادقان ، نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء .

وإلاَّ تَفْعَلْ فإنى أُعْلِمك ما أغفَلْتَ من نفسك ، إنك مُتْرَف قد أخذ منك الشيطان مأخذه ، فجرى منك مَجْرَى الدم فى العروق ، ولستَ من أئمة هذه الأمة ، ولا من رُعاتها .

واعلم أن هذا الأمر لو كان إلى الناس ، أو بأيديهم ، لَحَسَدُوناه ولَامْتَنُّوا علينا به ، ولكنه قضاء ممن مَنَحَنَاهُ ، واختصَّنا به ، على لسان نبيه الصادق المصدَّق ، لاأفلح مَن شكَّ بعد العِرْفان والبيِّنة ، ربِّ أحكمْ بيننا وبين عدونا بالحق وأنت خير الحاكمين » . (شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ٤١٢)

---

(١) غيابة كل شىء : ماسترك منه (٢) أى الشيطان ، وكلب كفرح : اشتد ، وألاحه : أهلكه
(٣) أى قديم .

٤٢٠ — رد معاوية على علىّ

فكتب معاوية إليه :

« من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب :

أما بعدُ فَدَعِ الحسَدَ ، فإنك طالما لم تنتفِع به ، ولا تُفْسِد سابِقَة جِهادك بِشِرَّةِ نَخْوَتك[١] ، فإن الأعمال بخواتيمها ، ولا تُمَحِّص[٢] سابقَتك بقتالِ مَنْ لا حَقَّ لك فى حقه ، فإنك إن تفعل لا تضُرّ بذلك إلا نفسَك ، ولا تَمْحَق[٣] إلا عملَك ، ولا تُبطِل إلا حُجَّتَك ، ولعمرى إن ما مضى لك من السابقات ، لَشَبِيهٌ أن يكون مَمْحوقا ، لِمَا اجترأْتَ عليه من سَفْك الدماء ، وخِلافِ أهل الحق ، فاقرْأ السُّورة التى يُذْكر فيها الفَلَق[٤] ، وتعوَّذْ من نفسك ، فإنك الحَاسِدُ إذا حَسَدَ » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٤١٢)

٤٢١ — كتاب علىّ إلى معاوية

وكتب على إلى معاوية :

«أما بعدُ : فقد بلغنى كتابك تَذْكر مُشَاغَبتى ، وتستقبِحُ مُوَازَرَتى ،

(١) النخوة : الكبر والعظمة ، والشرة : النشاط والحدة .

(٢) التمحيص : التنقيص . (٣) محقه كمنع : أبطله ومحاه .

(٤) وأولها « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » والفلق : الصبح ، يشير إلى الآية الأخيرة فيها وهى « وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » .

وتزعُمُني متجبِّرًا ، وعن حقِّ الله مُقصِّرًا ، فسبحانَ الله ! كيف تستجِيزُ الغِيبَة ، وتستحسِن العَضِيهَةَ(١) ؟ إنى لم أُشاغِبْ إلا فى أمرٍ بمعروف ، أو نهيٍ عن مُنكر ، ولم أتَضجَّر إلا على باغٍ مارقٍ ، أو مُلْحِدٍ منافق ، ولم آخُذ فى ذلك إلا بقول الله سبحانه : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ(٢) اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ » .

وأما التقصير فى حق الله تعالى : فمَعاذَ اللهِ ! والمقصِّر فى حق الله جل ثناؤه مَن عطَّل الحقوق المؤكَّدَة ، وركَنَ إلى الأهواء المبتَدَعة ، وأخْلَدَ إلى الضَّلالة المحيِّرة .

ومن العَجَب أن تصف يا معاويةُ الإحسانَ ، وتخالِف البُرْهانَ ، وتنكُثَ الوثائق التى هى لله عزّ وجل طَلِبَة(٣) ، وعلى عباده حُجَّةٌ ، مع نَبْذِ الإسلام ، وتضييعِ الأحكام ، وطَمْس الأَعْلام ، والجَرْيِ فى الهَوَى ، والتَّهوُّس فى الرَّدَى !

فاتَّقِ الله فيما لديك ، وانظر فى حقه عليك ، وارجع إلى معرفة ما لا تُعْذَر بجهالته ، فإن للطاعة أعْلاما واضحة ، وسُبُلا نَيِّرة ، ومَحَجَّةً نَهْجَة(٤) ، وغايةً مُطْلِبَة(٥) ، يَرِدُها الأَكْيَاسُ(٦) ، ويخالفها الأَنكاسُ ، مَن نَكَبَ

---

(١) العضيهة : الإفك والبهتان . (٢) حادّه : عاصيه وعاداه وخالفه .

(٣) الطلبة : ما تطلب . (٤) المحجة : الطريق الواضحة ، والنهجة : الواضحة أيضا .

(٥) يجوز أن تكون «مطلبة» بتشديد الطاء المفتوحة بمعنى مطلوبة أى يطلبها المطيعون (وقد جاءت مطلوبة فى نهج البلاغة شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده) من اطلبه كافتعل أى طلبه ، ويجوز أن تكون مطلبة بسكون الطاء وكسر اللام من أطلبه إذا أعطاه ما طلبه ، أى تؤتى أصحابها ما يطلبون من ثواب الله ورحمته ، وهذا أحسن .

(٦) الأكياس : جمع كيس كجيد ، وهو العاقل . والأنكاس : جمع نكس كقرد ، وهو الدنىء الخسيس ، ونكب عنه كنصر وفرح : عدل ، وخبط : مشى على غير هدى ، والتيه : الضلال .

عنها جار عن الحق ، وخَبط فى التِّيه ، وغيَّر اللهُ نِعمتَه ، وأحلّ به نِقْمَتَه ، فنفسَك نفسَك ، فقد بيَّن الله لك سبيلَك .

وحيثُ تناهَتْ بك أمورُك ، فقد أجْرَيْتَ[1] إلى غاية خُسْر ، ومَحَلة كُفر ، فإن نفسك قد أوْلَجَتْك شرًّا ، وأقحَمَتْك غيًا ، وأوردتْك المَهالِكَ ، وأوعَرَتْ عليك المسالِكَ .

وإن للناس جماعةً يَدُ اللهِ عليها ، وغَضَبُ اللهِ على من خَالَفَها ، فنفسَك نفسَك قبل حُلول رَمْسِك[2] ، فإنك إلى الله راجع ، وإلى حَشْرِه مُهْطِع[3] ، وسَيَبْهَظُك كَرَبُه ، ويَحُلّ بك غَمُّه ، يوم لا يُغْنِي النادِمَ نَدَمُه ، ولا يُقْبَلُ من المعتذر عُذْرُه ، يوم لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٣ ، ونهج البلاغة ٢ : ٢٦)

٤٢٢ — كتاب على إلى معاوية

وكتب على عليه السلام إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإن الله سبحانَهُ جعل الدنيا لِمَا بَعْدها ، وابتلى[4] فيها أهلَها ، ليَعْلَمَ أيُّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً ، ولسنا للدنيا خُلِقْنا ، ولا بالسَّعى فيها أُمِرنا[5] ، وإنما وُضِعْنا فيها لِنُبْتَلَى بها ، وقد ابتلانى الله بك وابتلاك بى ، فجَعَلَ أحدنا

---

(١) أى أجريت مطيتك ، والمعنى سارعت ، والمحلة : المنزل ، وأولجتك : أدخلتك ، وأقحمتك : رمت بك . (٢) الرمس : القبر .

(٣) هطع كمنع وأهطع : أقبل مسرعا خائفاً ، لايكون إلا مع خوف ، وقيل المهطع من ينظر فى ذل وخضوع لايقلع بصره ، أو الساكت المنطلق إلى من هتف به ، وبهظه الأمر كمنعه : غلبه وثقل عليه وبلغ به مشقة ، ويعنى : يغيد ، والمولى : الصديق والنصير . (٤) أى اختبر .

(٥) أى لم نؤمر بالسعى فيها لها بل لغيرها وهو الآخرة .

حُجَّةً على الآخر ، فعدوتَ على طلب الدنيا بتأويل القرآن[١] ، وطلبْتَنى بما لم تَجْنِ يدى ولا لسانى ، وعَصَبْتَه[٢] أنت وأهل الشأم بى ، وألَّبَ عالِمُكم جاهِلَكم ، وقائمُكم قاعِدَكم ، فاتق الله فى نفسك ، ونازِع الشيطان قِيادَك ، واصرِف إلى الآخرة وجهك ، فهى طريقنا وطريقك ، واحذر أن يصيبَك الله منه بعاجِلِ قارِعةٍ[٣] تَمَسُّ الأصلَ ، وتَقْطع الدَّابِرَ ، فإنى أُولِى لك بالله أَلِيَّةً غيْرَ فاجرة : لئن جَمَعَتْنِى وإياك جوامِعُ الأقدار لا أزال بِباحَتِكَ حتى يَحْكُم اللهُ بيننا وهو خَيْرُ الحاكمين »

(نهج البلاغة ٢ : ٨١)

٤٢٣ — كتاب معاوية إلى علىّ

وكتب معاوية مع أبى مُسْلِم الخَوْلانى إلى علىّ قبل مَسِيره إلى صِفِّين[٤] :

« من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب :

سلام عليك فإنى أحمَد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، « أما بعد :

---

(١) وذلك أن معاوية كان يقول لأهل الشام ، أنا ولى عثمان ، وقد قتل عثمان مظلوما ، وقد قال تعالى « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا » (ومعنى التأويل هنا أنه يجعل الآية منطبقة عليه ويقيم نفسه وليا لعثمان مع وجود أبناء عثمان) ثم يعدهم الظفر والدولة على أهل العراق بقوله تعالى عقب ذلك « فَلَا يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً » .

(٢) أى ربطته بى وألزمتنيه ، وألب : حرّض ، والقياد : الزمام .

(٣) القارعة : الداهية ، وتمس : أى تقطع ، ومنه ماء مسوس كصبور أى يقطع الغلة « وهى حرارة العطش » والدابر : التابع وآخر كل شىء ، أى ويقطع العقب والفرع (والدابر أيضا : الأصل) وباحة الدار وساحتها : وسطها .

(٤) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربى ، كانت به وقعة صفين المشهورة بين على ومعاوية سنة ٣٧ هـ .

فإنَّ الله اصطفى محمداً بعلمه ، وجَعَلَه الأمين على وَحْيه ، والرسولَ إلى خَلْقه ، واجْتَبَى له من المسلمين أعواناً أيَّدَهُ بهم ، وكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام ، فكان أفضلَهم فى الإسلام ، وأنصحَهم لله ولرسوله ، الخليفةُ من بعده ، ثم خليفةُ الخليفة ، ثم الخليفة الثالث المظلوم عثمان ، فكلَّهم حسَدْت ، وعلى كلِّهم بغَيْتَ ، عرَفنا ذلك فى نظرك الشَّزْر[1] ، وقولك الهُجْر ، وتنفّسك الصُّعَداء ، وإبطائك عن الخلفاء ، وأنت فى كل ذلك تُقاد كما يقاد البعير المَخْشوش[2] حتى تبايعَ وأنت كارهٌ ، ولم تكن لأحد منهم أشدَّ حَسَداً منك لابن عمك عثمان ، وكان أحقَّهم ألَّا تفعلَ ذلك به ، فى قرابته وصِهْره[3] ، فقطعْتَ رَحِمَه ، وقبَّحتَ محاسِنه ، وألَّبتَ عليه الناس ، وبَطَنت وظهرتَ حتى ضُربَتْ إليه آباطُ[4] الإبل ، وشُهِر عليه السلاح فى حَرَم الرسول ، فقُتل معك فى المَحَلَّة وأنت تسمع فى داره الهائعةَ[5] ، لاتُؤَدِّى عن نفسك فى أمره بقول ، ولا فعل برّ[6] ، وأُقْسِم قَسَما صادقا : لو قمتَ فى أمره مَقاما واحداً تُنَهْنِه[7] الناس عنه ، ما عَدَل بك مَنْ قِبَلنا من الناس أحداً ، ولَمَحا ذلك عنك ما كانوا يعْرِفونك[8] به ، من المجانبة لعثمان والبغى عليه ،

---

(١) النظر الشزر: النظر بمؤخر العين . والهجر : القبيح من الكلام . والصعداء : تنفس طويل .

(٢) المخشوش من خششت البعير : إذا جعلت فى أنفه الخشاش (ككتاب) وهو مايدخل فى عظم أنفه من خشب ليتقاد .

(٣) أى ومصاهرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تزوج ابنتى الرسول رقية وأم كلثوم .

(٤) آباط جمع إبط كحمل وتكسر الباء : وهو باطن المنكب ، أى حتى سار النوار إليه .

(٥) الهائعة : الصوت تفزع منه .

(٦) فى ابن أبى الحديد « لاترد الظن والتهمة عن نفسك بقول ولاعمل » .

(٧) تنهنه : تكف ، وماعدل بك : أى ماسوّى بك .

(٨) هكذا فى الأصول ، والمعنى عليه صحيح ، وربما كان « تقرفونك به » أى تتهمونك به وبابه ضرب ، والظنين : المتهم .

وأُخْرَى أنت بها عند أولياء ابن عفان ظَنِين : إيواؤك قَتَلَةَ عثمان ، فهم بِطانتك وعَضُدك وأنصارك ، وقد بلغنى أنك تنتَفِى من دمه ، فإن كنت صادقا فادفع إلينا قتلته نَقْتُلهم به ، ثم نحن أسرعُ الناس إليك ، وإلاَّ فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف ، والذى نفسُ معاوية بيده : لأَطْلُبَنَّ قتلة عثمان فى الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم ، أو تَلْحَق أرواحُنا بالله »

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٣ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٨ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٤٠٧)

٤٢٤ — رد علىّ على معاوية

فكتب إليه على :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان .

أما بعدُ : فإن أخا خَوْلانَ قَدِم علىّ بكتاب منك تذكُر فيه محمداً صلى الله عليه وآله ، وما أنعم الله به عليه من الهُدَى والوَحْى ، فالحمدُ لله الذى صَدَقَه الوعدَ ، وأيَّده بالنصر ، ومكَّن له فى البلاد ، وأظهرَه على أهل العَدَاوَةِ والشَّنَآنِ[1] من قومه الذين وَثَبوا عليه ، وشَنِفُوا له[2] ، وأظهروا تكذيبَه ، ونابذُوه بالعداوة ، وظاهَروا على إخراجه وإخراج أصحابه وأهله ، وألَّبُوا عليه العرب ، وحزَّبوا الأحزاب[3] ، وجَهَدوا فى أمره كل الجَهْد ، وقلَبُوا له الأمور ، حتى جاء الحقُّ وظَهَر أمرُ الله وهم كارهون ، وكان أشدَّ الناس عليه تأليباً وتحريضاً أُسْرتُه ، والأَدْنَى فالأَدْنَى من قومه ، إلا مَن عصَمَ اللهُ .

---

(١) الشنآن : البغض والكراهية.

(٢) شنف له كفرح : أبغضه وتنكره ، ونابذوه : جاهروه ، وفى ابن أبى الحديد « ونابذوه » وظاهره : أعانه .

(٣) يعرض بمعاوية فقد كان أبوه رئيس الأحزاب فى غزوة الأحزاب « غزوة الخندق » كما تقدم

وذكرتَ أن الله تعالى اجتبَى له من المسلمين أعوانًا أيَّدَهُ بهم، فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام ، فكان أفضلَهم (زعَمْتَ) فى الإسلام، وأنصحَهم لله ولرسوله، الخليفةُ وخليفةُ الخليفة من بعده ، ولَعَمْرى إن كان مكانهما فى الإسلام لعظيمًا ، وإن المُصَابَ بهما لجُرْح فى الإسلام شديد ، فرحِمَهما الله وجزاهما أحسن ما عمِلاَ ، وذكرتَ أن عثمان كان فى الفضل تاليًا ، فإن يكُ عثمان محْسِنًا، فسيَلْقَى ربًّا شَكورًا يضاعِف له الحسنات ، ويَجْزيه الثوابَ العظيم ، وإن يك مسيئًا فسيَلْقَى رَبًّا غفورًا لا يتعاظَمُه[1] ذنْبٌ أنْ يغفِرَه .

ولعَمْرِى إنى لأرجو إذا أعطى اللهُ الناسَ على قدر فضائلهم فى الإسلام، ونصيحتِهم لله ولرسوله ، أن يكون سَهْمنا فى ذلك — أهلَ البيت — أوفر نصيب ، إن محمداً صلى الله عليه وآله لَمَّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له ، كنا أهلَ البيت أولَ مَن آمنَ به، وصدَّقه فيما جاء، فبِتْنا أحوالاً كاملة محرَّمة تامة ، وما يعبُدُ اللهَ فى رَبْعٍ[2] ساكنٌ من العرب غيرُنا .

فأراد قومنا قتلَ نبينا ، واجتياح[3] أصْلنا ، وهمُّوا بنا الهُمُومَ ، وفعَلوا بنا الأفاعيلَ[4] ، ومنعُونا المَسِيرةَ ، وأمسكُوا عنا العَذْبَ ، وأحْلَسُونا[5]

(١) تعاظمه : عظم عليه . (٢) الربع : المنزل .

(٣) الاجتياح : الاستئصال ، والهموم منصوب على المصدرية وأل فيه عهدية ، أى وهموا بنا الهموم التى تعرفونها .

(٤) الأفاعيل جمع أفعولة بالضم : أى فعلوا بنا الأفعال المنكرة ، والمسيرة : المسير ، والعذب : أى الغبس العذب أى الهنىء — وقد نقل أنهم منعوا من الماء العذب أيام الحصار فى شعب بنى هاشم .

(٥) أحلسونا الخوف : أى ألزموناه ، والحلس بالكسر وكتف . كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت الرحل ، وما يبسط فى البيت تحت حر المتاع ، وأحلس البعير : إذا جعل عليه الحلس ، ويقال : فلان حلس بيته إذا لم يبرحه ، على المثل ، فالمعنى : وجعلوا الخوف ملازما لنا كالحلس الملازم

الخوفَ ، وجعلوا علينا الأرصادَ والعيونَ ، واضْطَرُّونا إلى جَبَلٍ وَعْرٍ[١] ، وأوقَدوا لنا نار الحرب ، وكتبوا بينهم كتابًا[٢] : لا يُؤَاكِلونَنا ولا يُشَارِبوننا ولا يُنَاكِحوننا ولا يبايعوننا ، ولا نأمَن منهم حتى ندفعَ إليهم محمداً يقتلونه ويمثِّلون به ، فلم نكن نأمَن فيهم إلا من مَوْسِمٍ إلى مَوْسِم ، فعزَمَ[٣] الله لنا على مَنْعه ، والذَّبِّ عن حَوْزَته ، والرَّمْيِ من وراء حُرْمته[٤] ، والقيام بأسيافنا دونه ، فى ساعاتِ الخوف بالليل والنهار ، مُؤْمِنُنا يَبْغِي بذلك الأجْرَ ، وكَافِرُنا يحامى عن الأصل[٥] ، وأما من أسلَمَ من قريش فإنهم مما نحن فيه

لظهر البعير ، أو كالحلس الملازم للبيت ، والرصد بالتحريك : القوم يرصدون كالحرس ، يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث ، وربما قالوا أرصاد ، والعيون : الجواسيس جمع عين .

(١) مثل ضربه عليه السلام لخشونة مقامهم وشظف منزلهم إبان مضايقة قريش لهم ، ويجوز أن يكون حقيقة لامثلا ، لأن الشعب (بالكسر) الذى حصروهم فيه مضيق بين جبلين .

(٢) اشتد إيذاء قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين معه أول الإسلام ، وطال عليهم البلاء والعذاب كما هو مشهور ، ثم إن قريشا اجتمعوا وأتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب : على أن لاينكحوا إليهم ولاينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولايبتاعوا منهم ، فكتبوا ذلك فى صحيفة وتعاهدوا وتواثقوا عليه ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم — وكان كاتبها منصور بن عكرمه بن عامر بن هاشم بن عبد مناف — فلما فعلت ذلك قريش انحاز بنوهاشم وبنو المطلب (مسلمهم وكافرهم) إلى أبى طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه فى شعبه فاجتمعوا إليه ، وخرج منهم أبو لهب بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم على قومه ، وضاق الأمر ببنى هاشم ، وعدموا القوت إلا ما كان يحمل إليهم سرا وخفية ، وهو شىء قليل لايمسك أرماقهم ، وأخافتهم قريش فلم يكن يظهر منهم أحد ، ولا يدخل إليهم أحد ، وذلك أشد ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بمكة ، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى ائتمر خمسة نفر من قريش — وهم هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبى أمية بن المغيرة والمطعم بن عدى بن نوفل وأبو البخترى بن هشام بن الحارث وزمعة بن الأسود بن المطلب — وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، (وكان أولهم أحسنهم بلاء فى ذلك) وقام المطعم إليها فحطها وشقها — وذكروا أنهم وجدوا الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من باسمك اللهم ، وأن كاتبها شلت يده — فلما مزقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشعب — انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٥ — ٢٢٩ وشرح ابن أبى الحديد م ٣ ص ٣٠٨

(٣) أى قضى الله لنا ووفقنا له وجعلنا عازمين عليه ، والذب : الدفع ، والحوزة : الناحية وبيضة الملك . (٤) وفى رواية ابن أبى الحديد « من وراء حومته » وحومة الماء والرمل : معظمه ، والرمى عنها : المناضلة والمحاماة . (٥) أى يدافع عن محمد حمية ومحافظة على النسب .

خَلاء(١)، منهم الحَلِيفُ الممنوعُ ، ومنهم ذوالعَشِيرة التى تدافع عنه ، فلا يَبْغيه أحد بمثل ما بَغانا به قومُنا من التَّلَف ، فهم من القتل بمكانِ نَجْوَةٍ(٢) وأمْنٍ ، فكان ذلك ما شاء اللهُ أن يكون .

ثم أمَرَ الله تعالى رسوله بالهجرة ، وأذِنَ له بعد ذلك فى قتال المشركين ، فكان إذا احمَرَّ الباسُ(٣) ، وأحجم الناسُ ، ودُعِيَتْ نَزالِ ، أقام أهلَ بيته فاستقدَمُوا ، فوَقَى بهم أصحابَه حَدَّ الأسِنَّة والسيوف ، فقُتِل عُبَيْدَة(٤) ابن الحارث يوم بَدْر ، وقُتِل حمزة يوم أُحُدٍ ، وقُتِل جعفر وزيد يوم مُؤْتَةَ ، وأراد من لو شئتُ ذكرتُ اسمه(٥) مثلَ الذى أرادوا من الشهادة مع النبى صلى

---

(١) أى خالون منه ، وفى نهج البلاغة « ومن أسلم من قريش خلو مما نحن فيه ، بحلف يمنعه ، أو عشيرة تقوم دونه » والحلف بالكسر : العهد . (٢) النجو مصدر نجا ، كالنجاة والنجاء ، والنجوة بالتاء : المكان المرتفع الذى تظن أنه نجاؤك ، وهذه الكلمة زائدة فى رواية ابن أبى الحديد ، وهى هنا مستعملة بمعنى المصدر ، أو هى محرفة عن نحو .

(٣) أى اشتد القتال حتى احمرت الأرض من الدم ، وهو مجاز كقولهم الموت الأحمر ، وأحجم الناس : أى كفوا عن الحرب وجبنوا عن الإقدام ، يقال : حجمت فلانا عن كذا أحجمه بالضم فأحجم هو ، وهذه اللفظة من النوادر كقولهم كببته فأكب ، ونزال : اسم فعل بمعنى انزل بمعنى المنازلة ، ولذا أنث قال الشاعر :

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج فى الذعر

وقال آخر :

وقد علمت سلامة أن سيفى كريه كلما دعيت نزال

واستقدموا : تقدموا ، وفى نهج البلاغة « قدم أهل بيته » .

(٤) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، بارز يوم بدر عتبة بن ربيعة ، فاختلفا بينهما ضربتين ، كلاهما جرح صاحبه ، فحمل على وحمزة على عتبة فأجهزا عليه ، واحتملا عبيدة جريحا ، ثم مات من جراحته ، وحمزة بن عبد المطلب عم الرسول قتل يوم أحد ، قاتله وحشى — وهو مولى حبشى لجبير بن مطعم — وصرعه فقتله ، ومؤتة : قرية فى حدود الشأم ، وكان عليه السلام جهز جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الأزدى رسوله إلى أمير بصرى ، وأمر عليهم مولاه وحبه زيد ابن حارثة بن شراحيل الكلبى — وكان ذلك سنة ثمان للهجرة — وقال لهم : إن أصيب فالأمير جعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة ، وقد قاتل ثلاثتهم حتى استشهدوا فى تلك الغزوة

(٥) يعنى نفسه .

الله عليه وآله غير مرّة ، إلا أن آجالهم عُجّلت ، ومنيّته أُجِّلتْ ، والله وَلِيُّ الإحسان إليهم ، والمِنّة عليهم ، بما أسلفوا من أمر الصالحات ، فما سمعتُ بأحدٍ ولا رأيته هو أنصح فى طاعة الله ورسوله ، ولا أصْبَر على اللّأْواء(١) ، والسَّرّاء والضَّرّاء ، وحينَ البأس ، ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وآله ، من هؤلاء النَّفَر الذين سمَّيتُ لك ، وفى المهاجرين خير كثير يُعْرَف ، جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم .

فيا عَجَباً للدهر ! إذ صرتُ يُقْرَن بى من لم يَسْعَ بقَدَمى ، ولم تكن له كسابقتى التى لا يُدْلِى أحد بمثلها ، إلاّ أن يَدَّعِيَ مُدَّعٍ ما لا أعرِفه ، ولا أظنّ الله يعرِفه ، والحمد لله على كل حال .

وذكرتَ حَسَدى الخلفاء وإبطائى عنهم وبغيي عليهم ، فأما البغىُ فمعاذَ اللهِ أن يكون ، وأما الإبطاء عنهم والكراهية لأمرهم فلست أعتذر إلى الناس من ذلك ، إن الله تعالى ذِكرُهُ لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله ، قالت قريش : منا أمير ، وقالت الأنصار : منا أمير ، فقالت قريش : منا محمد ، فنحن أحقُّ بالأمر ، فعرَفَتْ ذلك الأنصارُ ، فسلَّمت لهم الولايةَ والسلطان ، فإذا استحقوها بمحمد صلى الله عليه وآله دون الأنصار ، فإن أَوْلَى الناس بمحمد أحقُّ به منهم ، وإلاّ فإن الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً ، فلا أدرِى : أصحابى سَلِمُوا من أن يكونوا حَقِّى أخذوا ، أو الأنصارَ ظَلَموا ؟ بل عرَفْتُ أن حقى هو المأخوذ ، وقد تركته لهم ، تجاوز الله عنهم .

وأما ما ذكرتَ من أمر عثمان ، وقطيعتى رَحِمَه ، وتأليبي عليه ، فإن عثمان

---

(١) اللأواء : الشدة .

عَمِل ما قد بلغك ، فَصَنَعَ الناس به ما رأيتَ ، وإنك لتعلم أنى قد كنت فى عُزْلة عنه ، إلا أن تتجنَّى ، فتَجَنَّ ما بدا لك ، وأما ما ذكرتَ من أمر قتلة عثمان ، فإنى نظرت فى هذا الأمر ، وضربْتُ أنْفَه وعَيْنَهُ[1] ، فلم أره يَسَعُنى دَفْعُهم إليك ولا إلى غيرك ، ولعمرى لَئِنْ لم تَنْزِ ع[2] عن غيِّك وشِقاقك ، لَتَعرفَنَّهم عمّا قليل يطلبونك ، لا يكلِّفونك أن تطلُبَهم فى برّ ولا بحر ، ولا جبل ولا سَهل ، إلا أنه طَلَبٌ يَسُوءكَ وِجْدانُه ، وزَوْر[3] لا يسُرّكَ لِقْيانُه .

وقد كان أبوك أبو سفيان أتانى حين قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : أنت أحقُّ بمَقام محمد ، وأوْلَى الناس بهذا الأمر ، وأنا زعيم[4] لك بذلك على مَنْ خالَف ، اُبْسُط يدك أبايعْك[5] ، فلم أفعل ، وأنت تعلم أن أباك قد قال ذلك وأراده ، حتى كنت أنا الذى أَبَيْتُ عليه ، مخافةَ الفُرقة بين أهل الإسلام ، لِقُرْب عَهْد الناس بالكفر ، فأبوك كان أعرَف بحقِّى منك فإن تعرِفْ مِن حقِّى ما كان أبوك يعرفُ ، تُصِبْ رُشْدك ، وإلاّ فنستعين الله عليك ، والسلام لأهله » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٤٠٨ ، ونهج البلاغة ٢ : ٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٣٤)

---

(١) جاء فى الأمثال « ضرب وجه الأمر وعينه » وهو مثل يضرب لمن يداور الشئون ويقلبها ظهرا لبطن من حسن التدبير . (٢) أى تكف . (٣) الزور : الزائرون .

(٤) أى كفيل . (٥) روى أنه لما بويع أبو بكر بالخلافة . قال أبو سفيان لعليّ : ما بال هذا الأمر فى أقل حى من قريش ؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا ، فقال علىّ : يا أبا سفيان طالما عادت الإسلام وأهله فلم تضره بذاك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا ، وروى أيضاً أنه لما اجتمع الناس على بيعة أبى بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول : والله إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ، يا آل عبد مناف ، فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ، أين الأذلان علىّ والعباس ؟ وقال : أبا حسن ابسط يدك حتى أبايعك ، فأبى علىّ عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به ... إلا الأذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف معكوس برمته ... وذا يشج فلا يبكى له أحد

فزجره على ، وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طالما بغيت الإسلام شرا ، لا حاجة لنا فى نصيحتك — انظر تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٢

٤٢٥ — كتاب معاوية إلى علىّ

وكتب معاوية إلى على كتابًا أنفذه إليه مع أبى أُمامة الباهلى ، ونسخته :

« من عبد الله معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب :

أما بعدُ : فإن الله تعالَى جَدُّه اصطفى محمداً عليه الصلاة والسلام لرسالته ، واختصَّه بوَحْيه وتأدية شريعته ، فأنقذَ به من العَمَاية[1] ، وهَدَى به من الغَواية ، ثم قبضَه إليه رشيداً حَمِيدًا ، قد بلَّغ الشرعَ ، ومَحَق الشِّرك ، وأخمَد نارَ الإفْك ، فأحسَنَ اللهُ جَزاءه ، وضاعَف عليه نِعَمه وآلاءه[2] ، ثم إن الله سبحانه اختص محمدًا عليه الصلاة والسلام بأصحاب أيَّدوه ونصروه وكانوا كما قال الله سبحانه لهم : « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » فكان أفضلَهم مَرتبةً ، وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلةً ، الخليفةُ الأول الذى جَمَع الكلمة ، ولَمَّ الدَّعوة وقاتل أهل الرِّدَّة ، ثم الخليفة الثانى الذى فتَح الفتوح ، ومَصَّر الأمصار ، وأذلَّ رقاب المشركين ، ثم الخليفة الثالث المظلوم الذى نَشَر المِلَّة ، وطبَّق[3] الآفاق بالكلمة الحنيفيَّة .

فلما استوثق الإسلام وضرب بجِرَانِه[4] ، عَدَوْتَ عليه ، فبغَيْتَه الغَوائِلَ ، ونَصَبْتَ له المكايدَ ، وضربت له بَطْنَ الأمر وظَهْرَه ، ودَسَسْتَ عليه وأغرَيْتَ به ، وقعدت حيث استنصرك عن نصره ، وسألك أن تُدْرِكه

(١) العماية : الغواية ، والإفك : الكذب. (٢) الآلاء : النعم ، واحدها إلى كحمل وألو وألى كشمس ، وألى كفتى ، وإلى كرضا . (٣) من طبق السحاب الجو : أى غشاه :

(٤) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره ، ومعنى ضرب الاسلام بجرانه . أى استقام وقرّ فى قراره كما أن البعير إذا برك واستراح مد جرانه على الأرض .

قبل أن يُمَزّق فما أدركته ، وما يومُ المسلمين منك بواحد ، لقد حَسَدْتَ أبا بكر والتَوَيْتَ عليه ، ورُمْتَ إفساد أمره ، وقَعَدتَ فى بيتك ، واستغويتَ عِصابةً من الناس حتى تأخَّروا عن بيعته ، ثم كرِهْتَ خلافة عُمَر وحَسَدته ، واستطلْتَ مدته وسُرِرْتَ بقتله ، وأظهرتَ الشماتة بمُصابه ، حتى إنك حاولْتَ قتْلَ ولده[1] لأنه قتَل قاتِلَ أبيه ، ثم لم تكن أشدَّ منك حسدًا لابن عمك

---

(١) يعنى عبيد الله بن عمر ، وذلك أنه لما قتل أبو لؤلؤة فيروز المجوسى أباه عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما قدمنا ، قال عبد الرحمن بن أبى بكر غداة طعن عمر : مررت عشىّ أمس على أبى لؤلؤة ، ومعه الهرمزان وجفينة (وجفينة رجل نصرانى من العباد — بكسر العين — من أهل الحيرة أقدمه إلى المدينة سعد بن أبى وقاص ليعلم بها الكتابة) وهم نجىّ (أى يتناجون ويتسارّون) فلما رهقتهم (بكسر الهاء أى غشيتهم) ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، فانظروا بأى شىء قتل ، فجىء بالخنجر الذى وصف ابن أبى بكر ، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر فأمسك حتى مات عمر ، ثم اشتمل على السيف فقتل الهرمزان وجفينة وابن فيروز ، فنهاه الناس فلم ينته وكان يقول : والله لأقتلن رجالا ممن شرك فى دم أبى — يعرض بالمهاجرين والأنصار — فأرسل إليه صهيب (وكان عمر أوصى أن يصلى صهيب بالناس إلى أن يقوم خليفة) عمرو بن العاص فأخذ السيف من يده ، فلما أخذ عمرو السيف وثب عليه سعد بن أبى وقاص فتناصيا (أى أخذ كل منهما بناصية صاحبه) وقال : قتلت جارى وأخفرتنى ! وحبسه صهيب فى دار سعد حتى سلمه إلى عثمان لما استخلف ، فقال عثمان : أشيروا علىّ فى هذا الرجل الذى فتق فى الإسلام مافتق ، فقال بعضهم ومنهم على : نرى أن تقتله ، وقال آخرون ومنهم عمرو بن العاص : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ! أبعد الله الهرمزان وجفينة ، وقال عمرو أيضا : ياأمير المؤمنين إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، فتركه عثمان وأعطى دية من قتل واحتملها فى ماله ، وقيل إنما تركه عثمان لأنه قال للمسلمين : من ولىّ الهرمزان ؟ قالوا : أنت ، قال : قد عفوت عن عبيد الله ، وقيل : إن عثمان سلم عبيد الله إلى القماذبان بن الهرمزان ليقتله بأبيه ، قال القماذبان : فأطاف بى الناس وكلمونى فى العفو عنه ، فقلت : هل لأحد أن يمنعنى منه ؟ قالوا : لا ، قلت : أليس إن شئت قتلته ؟ قالوا : بلى ، قلت : قد عفوت عنه ، وتركته لله ولهم ، فاحتملونى فوالله مابلغت المنزل إلا على رءوس الرجال وأكفهم (وفى هذا نظر : لأنه لو عفا عنه ابن الهرمزان لم يكن لعلى أن نقتله ، وقد أراد قتله لما ولى الخلافة) .

ولم يزل عبيد الله كذلك حيا حتى قتل عثمان وولى على الخلافة ، وكان رأيه أن يقتل عبيد الله فأراد قتله ، فهرب منه إلى معاوية ، وشهد معه صفين ، وكان على الخيل ، فقتل فى بعض أيام صفين — انظر أسد الغابة ج ٣ : ص ٣٤٢ وتاريخ الطبرى ج ٥ : ص ٤١ — ٤٤ — .

وجاء فى مروج الذهب أيضا (ج ٢ : ص ٢٠) : « كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من علىّ أن يقيده بالهرمزان ، وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة كان عمل قاتر فى أرض العجم غلاما

عثمان ، نَشَرْتَ مَقابِحَه ، وطوَيْتَ محاسِنَه ، وطَعَنْتَ فى فِقْهِه ، ثم فى دينه ، ثم فى سِيرته ، ثم فى عقله ، وأغرَيْتَ به السُّفهاء من أصحابك وشِيعتك ، حتى قتلوه بمَحْضَرٍ منك ، لا تدفع عنه بلسان ولا يد ، وما مِن هؤلاء إلا مَنْ بغيتَ عليه ، وتلكَّأتَ فى بَيْعَتِهِ حتى حُمِلْتَ إليه قَوْدًا تُساقُ بحزائم الاقتِسار[1] كما يساق الفَحْل المخشوش ، ثم نهضتَ الآن تطلبُ الخلافة ، وقتَلَةُ عثمان خُلَصَاؤكَ وسُجَراؤك[2] والمُحْدِقون بك ، وتلك من أمانِي النفوس وضَلالات الأهواء .

فدَعِ اللجاجَ والعبَثَ[3] جانباً ، وادفع إلينا قتلة عثمان ، وأعِدِ الأمر شُورَى بين المسلمين ، ليتَّفقوا على مَن هو لِلّهِ رِضاً ، فلا بيعةَ لك فى أعناقنا ، ولا طاعةَ لك علينا ، ولا عُتْبَى[4] لك عندنا ، وليس لك ولأصحابك عندى إلا السيف ، والذى لا إله إلا هو لأطْلُبَنّ قتلةَ عثمان أين كانوا وحيث كانوا حتى أقتلهم ، أو تَلْحَق رُوحِي بالله .

فأمَّا مالا تزال تَمُنُّ به مِن سابقتك وجهادك ، فإنى وجدت الله سبحانه

للهرمزان ، فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله ، وقال : لا أترك بالمدينة فارسيا ولا فى غيرها إلا قتلته ، وكان الهرمزان عليلا فى الوقت الذى قتل فيه عمر ، فلما صارت الخلافة إلى على أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله إياه ظلما من غير سبب استحقه ، فلجأ إلى معاوية اهـ » .

هذا ولا يفوتنا أن نقول إن أبا لؤلؤة لما طعن عمر فى الصلاة (وقد طعن فى المسجد معه ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة) أقبل رجل من بنى تميم يقال له حطان ، فألقى كساءه عليه ثم احتضنه ، فلما علم أبو لؤلؤة أنه مأخوذ طعن نفسه — انظر العقد الفريد ٢ : ٢٠٩ — .

(١) فى كتب اللغة : الحزام والحزامة بالكسر : ماحزم به ، والجمع حزم ككتب ، وقسره على الأمر واقتسره : قهره ، وقد تقدم معنى المخشوش .

(٢) الخلصاء جمع خلص بالكسر ، وهو الخدن بالكسر أيضا أى الصاحب ، والسجراء جمع سجير ككريم : وهو الخليل الصفى ، وفى الأصل « شجراؤك » وهو تصحيف .

(٣) ربما كان والعنت . (٤) العتبى : الرضا .

يقول : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » ولو نظرت فى حال نفسك لوجدتها أشد الأنفس امتنانا على الله بعملها ، وإذا كان الامتنان على السائل يُبْطِل أجر الصدقة ، فالامتنان على الله يُبْطل أجر الجهاد ، ويجعله كصفوانٍ[١] عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » (شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص٤٤٨)

٤٢٦ — رد علىّ على معاوية

فكتب إليه علىّ :

« أما بعدُ : فقد أتانى كتابك تذكُر فيه اصطفاء الله محمدًا صلى الله عليه وآله لدينه وتأييدَه إياه بمن أيَّده به من أصحابه ، فلقد خبَّأ لنا الدهر منك عَجَبا ، إذ طفِقْتَ تُخْبرنا ببلاء[٢] الله عندنا ، ونعمَتِه علينا فى نبيِّنا ، فكنتَ فى ذلك كناقِلِ التَّمْرِ إلى هَجَر[٣] ، أَوْ داعِى مُسَدِّدِه إلى النِّضال ، وزعمتَ أن أفضل الناس فى الإسلام فلان وفلان[٤] ، فذكرتَ أمرًا إن

(١) الصفوان واحدته صفوانة ، وهى الحجر الصلب الضخم .

(٢) أى إنعامه وإحسانه .

(٣) هجر : قاعدة البحرين وهى كثيرة النخل فهى معدن التمر ، وفى الأمثال « كمستبضع التمر إلى هجر » ويقال أيضا « كمستبضع التمر إلى خيبر » قال النابغة الجعدى :

وإن امرأ أهدى إليك قصيدة كمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا

ومسدده : أى معلمه الرمى وموفقه للسداد ، وفى صبح الأعشى ونهاية الأرب « أو داعى مدره » والمدره كمنبر : المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال .

(٤) أى أبو بكر وعمر ، ولمه : أى عيبه ، وفى صبح الأعشى ونهاية الأرب « قله » بالضم ، وهو القلة ، وفيهما أيضا « والسائل والمسئول » محل « والسائس والمسوس » والرواية التى أوردناها (وهى رواية نهج البلاغة) أنسب .

ثمَّ اعتزَلَكَ كلُّه ، وإنْ نَقَصَ لم يَلْحَقْكَ ثَلْمُه ، وما أنت والفاضلُ والمفضول، والسائس والمَسُوس ؟ وما لِلطُّلَقاء ، وأبناءِ الطلقاء ، والتمييزَ بين المهاجرين الأولين ، وترتيبَ درجاتهم ، وتعريفَ طَبَقاتهم ؟ هيهاتَ لقد حَنَّ قِدْحٌ ليس منها[1] ، وطَفِقَ يحكُم فيها[2] مَن عليه الحُكْمُ لها ! أَلاَ تَرْبَعُ أيها الإنسانُ على ظَلْعِك ، وتعرِفُ قُصورَ ذَرْعِك[3] ، وتتأَخَّر حيثُ أخَّرَكَ القَدَرُ ؟ فما عليك غَلَبةُ المغلوب ، ولا لك ظَفَرُ الظافر !

وإنك لَذَهَّابٌ فى التِّيهِ[4] ، رَوَّاغ عن القَصْدِ ، أَلاَ تَرَى ــ غيرَ مُخْبِرٍ لك ، ولكنْ بنعمة الله أُحدِّث ــ أن قوما استُشْهِدُوا فى سَبِيلِ اللهِ تعالى مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصارِ ــ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ــ حَتَّى إذَا استُشْهِد شَهِيدنا ، قيل : سيِّد الشهداء[5] ، وخَصَّه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرةً عند صَلاته عليه[6] ، أَوَلاَ تَرَى أن قومًا قُطِعَتْ أيديهم فى سبيل الله ــ ولكُلٍّ

---

(١) فى الأمثال «حن قدح ليس منها » حن : صوّت، والقدح أحد قداح الميسر ، وإذا كان أحد القداح من غير جوهر أخواته ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها ، فيعرف به أنه ليس من جملة القداح ، يضرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس هو منها ، أو يتمدح بما لا يوجد فيه ، وها فى منها راجعة إلى القداح ، وقد تمثل به عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قال له الوليد بن عقبة بن أبى معيط : أأقتل من بين قريش ؟ فقال عمر : حن قدح ليس منها (وقد ذكر جماعة من النسابين أن جد أبيه ذكوان بن أمية بن عبد شمس كان مولى لأمية ، وكان يلقب بالصفورىّ نسبة إلى صفورية بلد بالأردن ، فتبناه أمية ، فبنوه موال وليسوا من بنى أمية لصلبه ــ انظر شرح ابن أبى الحديد م ١ ص ١٥٤) .

(٢) أى فى الطبقات . (٣) ذرع الإنسان طاقته التى يبلغها .

(٤) التيه : الضلال والكبر ، وراغ عنه : مال وحاد ، والقصد : استقامة الطريق .

(٥) هو حمزة بن عبد المطلب ، قتل يوم أحد كما قدمنا وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء، وأشهد مجهولا واستشهد كذلك : قتل فى سبيل الله . (٦) روى أنه كان عليه السلام كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة ، لأن الشهداء فى أحد سبعون (ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٣٩٥) وجاء فى ترجمته فى أسد الغابة ج ٢ : ص ٤٩ : « عن أنس بن مالك قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا كبر على جنازة كبر عليها أربعا ، وأنه كبر على حمزة سبعين تكبيرة ، وعن ابن عباس قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة فكبر عليه سبع تكبيرات . ثم لم يؤت بقتيل إلا صلى عليه معه حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » ــ انظر قول ابن عباس أيضا فى سيرة ابن هشام ج ٢ : ص ٨٧ .

فضل - حتى إذا فُعِل بواحِدِنا[(١)] ما فُعِلَ بواحدهم ، قيل الطَّيَّارُ فى الجنة وذو الجَناحَيْن ، ولولا ما نَهَى الله عنه من تَزْكيةِ المرءِ نفسَه ، لَذَكَرَ ذاكِرٌ[(٢)] فضائِلَ جَمَّةً ، تَعرِفها قلوبُ المؤمنين ، ولا تمُجُّها آذانُ السامعين .

فدَعْ عنكَ مَنْ مالت به الرَّمِيَّةُ[(٣)] ، فإنا صنائِعُ ربنا[(٤)] ، والناسُ بعدُ صنائِعُ لنا ، لم يَمْنَعنا قديمُ عزِّنا ، ولا عادِيُّ طَوْلِنا[(٥)] على قومك ، أَنْ خَلَطْناكم

(١) يعنى جعفر بن أبى طالب قتل فى غزوة مؤتة كما تقدم ، وقد قطعت يداه ، أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل واللواء معه لم يلقه ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما فى الجنة ، ولذا سمى الطيار (ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٤٠٥ وأسد الغابة ١ : ٢٨٨ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٣) .

(٢) يعنى نفسه .

(٣) الرمية : الطريدة التى يرميها الصائد ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، وأنثت لأنها جعلت اسما لا نعتا والمراد بها الدنيا ، والمعنى : دع من مال إلى الدنيا ومالت به أى أمالته إليها : أى لا نستمع لهؤلاء الذين يغرونك بالمنىّ فيما تطمح إليه من الخلافة طلبا للدنيا وطمعا فيها، يعرّض بعمرو بن العاص فقد مالأ معاوية وشايعه على أن يجعل له مصر طعمة كما قدمنا ، وفى نهاية الأرب « الدنية » وهى الأمر الخسيس .

(٤) أى اصطفانا الله واختصنا بفضله ، وجعل النبوة فى بيتنا ، ومنه فاضت الهداية على الورى ، أى فنحن أحق بالخلافة .

(٥) الطول : الفضل ، وعادىّ : أى قديم ، نسبة إلى عاد إحدى قبائل العرب البائدة . فنكحنا وأنكحنا : أى تزوجنا منكم وزوجناكم منا ، قال ابن أبى الحديد : « وينبغى أن يحمل قوله « قديم » و « عادى » على مجازه لا على حقيقته لأن بنى هاشم وبنى أمية لم يفترقا فى الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبد مناف ، وعرف بأفعاله ومكارمه ، ونشأ حينئذ أخوه عبد شمس ، وعرف بمثل ذلك ، وصار لهذا بنون ، ولهذا بنون ، وادعى كل من الفريقين أنه أشرف بالفعال من الآخر ، ثم لم تكن المدة بين نشء هاشم وإظهار محمد صلى الله عليه وآله الدعوة إلا نحو تسعين سنة ، ومثل هذه المدة القصيرة لا يقال فيها « قديم عزنا ، وعادى طولنا » فيجب أن يحمل اللفظ على مجازه ، لأن الأفعال الجميلة كما تكون عادية بطول المدة تكون بكثرة المناقب والمآثر والمفاخر وإن كانت المدة قصيرة ، ولفظة قديم ترد ولا يراد بها قدم الزمان ، بل من قولهم لفلان قدم صدق وقديم أثر أى سابقة حسنة اهـ » وفسره الأستاذ الشيخ محمد عبده فقال : « العادى : الاعتيادى المعروف » والأول هو الصحيح بقرينة قوله قبل « قديم عزنا » وقال أيضا « قديم مفعول يمنع ، وأن خلطناكم فاعله » والصحيح العكس ، وفى رواية صبح الأعشى « ومديد طولنا » .

بأنفسنا ، فنكحْنا وأنْكَحْنا ، فِعلَ الأكْفاء ، ولستم هُناكَ ، وأنّى يكون ذلك كذلك(١) ؛ ومنا النبيُّ ، ومنكم المكذِّب(٢) ؛ ومنا أسَدُ الله(٣) ، ومنكم

---

(١) أى وكيف يكون شرفكم كشرفنا .

(٢) يعنى أبا سفيان بن حرب ، كان عدوّ رسول الله والمكذب له والمجلب عليه ، وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده فى تفسيره (ونقل عنه ذلك شارح نهاية الأرب) : « المكذب : أبو جهل » وهو خطأ ، أجل إن أبا جهل كان من ألدّ أعداء رسول الله ، والمكذبين له ، ولكنه ليس من بنى أمية ، بل هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى من بنى مخزوم بن مرة من قريش

(٣) يعنى حمزة بن عبد المطلب ، وأسد الأحلاف : يعنى عتبة بن ربيعة . وذلك أنه لما تدانى المسلمون والمشركون فى غزوة بدر ، خرج عتبة وشيبة والوليد حتى فصلوا من الصف ثم دعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فأخرج لهم صلى الله عليه وسلم حمزة وعليا وعبيدة بن الحارث ، فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، فقال عتبة : كفء كريم ، وأنا أسد الحلفاء ، من هذان معك ؟ قال : على بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، فقال : كفئان كريمان .

قال الواقدى : قال ابن أبى الزناد . حدثنى أبى قال : لم أسمع لعتبة كلمة قط أوهن من قوله « أنا أسد الحلفاء » يعنى بالحلفاء الأجمة (وعلى ذلك فهى بفتح الحاء وسكون اللام ، وهى نبت ينبت فى مغايض الماء ، أى أنا أسد الأجمة ، لأن مأوى الأسد الآجام ومنابت الحلفاء) .

قال ابن أبى الحديد : « قلت :قد روى هذه الكلمة على صيغة أخرى «وأنا أسد الحلفاء » يعنى (بضم ففتح) وروى « أنا أسد الأحلاف » (كما جاء فى كتاب الإمام على) قالوا فى تفسيرها : أراد أنا سيد أهل حلف المطيبين (وسنبينه بعد) وردّ قوم هذا التأويل ، فقالوا : إن المطيبين لم يكن يقال لهم الحلفاء ولا الأحلاف ، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأجلهم ، وقال قوم فى تفسيرها : إنما عنى حلف الفضول (وسنبينه بعد أيضا) وهذا التفسير أيضا غير صحيح لأن بنى عبد شمس لم يكونوا فى حلف الفضول ، فقد بان أن ماذكره الواقدى أصح وأثبت — (انظر شرح ابن الحديد م ٣ : ص ٣٣٣) .

غير أن ابن أبى الحديد مع ماذكره من تفنيد هذين التفسيرين ، لم يبين المراد بالأحلاف أو الحلفاء فى رواية من روى « أنا أسد الأحلاف » و « أنا أسد الحلفاء » جميعا ، وأقول : إننا إذا بحثنا عمن قتلوا من مشركى قريش يوم بدر وجدناهم : من بنى عبد شمس بن عبد مناف ، ومن بنى نوفل بن عبد مناف ، ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ، ومن بنى عبد الدار بن قصى ، ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة ، ومن بنى جمح بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى ، ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص ، ومن بنى عامر بن لؤى . (راجع كتب السيرة) أى أن هذه البطون من قريش كانت قد تآزرت واتفقت كلمتها على حرب محمد وإن شئت فقل إنهم قد تحالفوا على قتاله — وإن لم ينقل إلينا التاريخ أنهم قد عقدوا بينهم على ذلك حلفا يتعناه الأخص — ثم ولوا أمرهم عتبة بن ربيعة فكان قائدهم وصاحب حربهم ، فهو إذ يقول

. . . .

« أنا أسد الأحلاف » يعنى أن نقول إنه أسد هذه البطون القرشية المتناصرة على قتال المسلمين .
وفى تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده (وتابعه أيضا شارح نهاية الأرب) : « أسد الأحلاف : أبو سفيان ، لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبى فى غزوة الخندق » — وقد قدمنا لك خبر الأحزاب فى ص ٣١١ — وهو تفسير ملائم ، غير أن التنظير فى كتاب الإمام يقتضى حينئذ أن يكون « المكذب » شخصا آخر غير أبى سفيان .
وقال ابن أبى الحديد : « قال الراوندى : المكذب من كان يكذب رسول الله صلى الله عليه وآله عنادا من قريش ، وأسد الأحلاف : أسد بن عبد العزى ، قال : لأن بنى أسد بن عبد العزى كانوا أحد البطون الذين اجتمعوا فى حلف المطيبين ، وهذا كلام ظريف جدا ، لأنه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل بإزاء النبى صلى الله عليه وآله مكذب من بنى عبد شمس ، فقال : المكذب من كذب النبى من قريش عنادا ، وليس كل من كذبه عليه السلام من قريش يعير معاوية به ، ثم قال : أسد الأحلاف أسد بن عبد العزى ، وأى عار يلزم معاوية من ذلك ؟ ثم إن بنى عبد مناف كانوا فى هذا الحلف ، وعلى ومعاوية من بنى عبد مناف ، ولكن الراوندى يظلم نفسه بتعرضه لما لا يعلمه ا هـ » .
وهاك كلمة عن حلف المطيبين : كان قصىّ بن كلاب جعل إلى ابنه عبد الدار الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ثم إن بنى عبد مناف بن قصى (عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا) أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى من ذلك ، ورأوا أنهم أولى به منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم ، كان معهم بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحرث بن فهر بن مالك ، وكانت طائفة أخرى مع بنى عبد الدار ، يرون أن لا ينتزع منهم ما كان قصى جعل إليهم ، كان معهم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو جمح بن عمرو بن هصيص ، وبنو عدى بن كعب ، فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ، ما بلّ بحر صوفة ، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا «المطيبين» بفتح الياء المشددة — وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على أن لا تتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ، فسموا « الأحلاف » — انظر سيرة ابن هشام ١ : ٨٢ .
أما حلف الفضول فسببه أن رجلا من زبيد من أهل اليمن قدم مكة معتمرا ببضاعة ، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمى ومطله بالثمن ، فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه ، فأغلظوا له — وكان بنو سهم وبنو جمح أهل بغى وعدوان — فطوّف فى قبائل قريش يستصرخهم فتخاذلت القبائل عنه ، فلما رأى ذلك أشرف على أبى قبيس حين أخذت قريش مجالسها وناشدهم ظلامته ، فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم فى دار عبد الله بن جدعان التيمى ، فتحالفوا وغمسوا أيديهم فى ماء زمزم بعد أن غسلوا به أركان البيت وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته ، وأن يأخذوا على يد الظالم وينهوا عن كل منكر ، ما بلّ بحر صوفة ، ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل

أَسَدُ الأَحْلاف ؛ ومنا سيِّدا شَباب أهل الجنة[١] ، ومنكم صِبْيَةُ النار[٢] ؛ وما

فقالوا له: أدّ إلى هذا حقه فأدّى إليه حقه، فكانوا كذلك دهراً، لايظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه.
وكان حلف الفضول بعد حلف المطيبين بزمان ، وقد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة ، قال عليه الصلاة والسلام : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم (به أى بدله : أى مقابل نقضه) ولو دعيت به اليوم لأجبت ، ولا يزيده الإسلام إلا شدة » وإنما سمى حلف الفضول لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها (فالفضول : جمع فضل وهوالزيادة ، لأن الظالم بأخذ فضلا عن حقه) وقيل : إنه كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف « جرهم » فى الزمن الأول ، فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم : أحدهم الفضل بن فضالة ، والثانى الفضل بن وداعة ، والثالث فضيل بن الحارث ، فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمى حلف الفضول (فالفضول جمع فضل ، وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٨٣ و الروض الأنف ١ : ٩١ وشرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٣٣٤ و ص ٤٦٤ .

(١) يعنى الحسن والحسين عليهما السلام ، قال صلى الله عليه وآله : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » (أسد الغابة ٢ : ١١) .

(٢) كان عقبة بن أبى معيط أبان بن أبى عمرو ذكوان بن أمية بن عبدشمس من أشد المستهزئين برسول الله المؤذين له (وأخباره فى ذلك مشهورة فراجعها فى كتب السيرة) وكان من أسرى المشركين يوم بدر فقتله رسـول الله صبرا ، فقال له عقبة كالمستعطف له : من للصبية يامحمد ؟ قال : النار (سيرة ابن هشام ١ : ٣٩٣) .

قال ابن أبى الحديد : «ولم يعلم الراوندى ما المراد بهذه الكلمة فقال : صبية النار أولاد مروان ابن الحكم الذين صاروا من أهل النار عند البلوغ ، ولما أخبر النبى صلى الله عليه وآله عنهم بهذه الكلمة كانوا صبية ثم ترعرعوا واختاروا الكفر ، ولا شبهة أن الراوندى قد كان يفسر من خاطره فمهما خطر له قال : اهـ » ، وأقول : إن ماذكره الراوندى خطأ فاحش ، وتفصيل القول فى ذلك أن الحكم بن أبى العاص (أبامروان) كان قد قدم المدينة بعد الفتح ــ وكان قد أسلم يوم الفتح سنة ثمان للهجرة ــ فأخرجه رسول الله إلى الطائف ، وقال له : « لاتساكنى فى بلد أبدا » لوقيعته فيه (قيل : كان يتسمع سرّ رسول الله ويطلع عليه من باب بيته ، وهو الذى أراد رسول الله أن يفقأ عينه بمدرى فى يده لما اطلع عليه من الباب ، وقيل كان يحكى رسول الله فى مشيته وبعض حركاته ، وكان النبى عليه السلام تكفأ فى مشيته) فطرده رسول الله ولعنه وأبعده حتى صار مشهورا بأنه طريد رسول الله ، ولم ير ابنه مروان رسول الله لأنه خرج إلى الطائف طفلا لايعقل لما نفى النبى أباه ــ وقد ولد بمكة سنة اثنتين للهجرة ــ وقيل إنه ولد بالطائف إبان نفى أبيه بها « انظر أسد الغابة ج ٢ : ص ٣٤ و ج ٤ : ص ٣٤٨ » فكيف يقول الراوندى : « ولما أخبر النبى عن أولاد مروان بهذه الكلمة كانوا صبية » مع أن أباهم مروان نفسه كان على عهد الرسول صبيا ، على أن أولاده لما ترعرعوا لم يختاروا الكفر كما يقول ، وهو واضح ظاهر، وقد ذكر الجاحظ أن عبد الملك بن مروان كان عابد قريش قبل أن استخلف ، ورعا وزهدا « العقد الفريد ٣ : ٨ »

(نعم روى عنه عليه السلام أنه مرّ به الحكم بن أبى العاص فقال : و ل لأمتى مما فى صلب هذا)

خيرُ نساء العالَمين(١) ، ومنكم حَمَّالَةُ الحَطَب(٢) ، فى كثيرٍ مما لنا وعليكم .

فإسلامُنا ماقد سُمِع ، وجاهليّتُنا لا تُدْفَع ، وكتابُ اللهِ يجمع لنا ما شَذَّ عنا ، وهو قوله سبحانه وتعالى : « وَأُولُو الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فى كِتَابِ اللهِ » وقوله تعالى : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » فنحن مرةً أَوْلَى بالقَرَابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَى بالطاعة ، ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السَّقيفة(٣) برسول الله صلى الله عليه وآله فَلَجُوا عليهم ، فإن يكن الفَلْجُ به فالحقُّ لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم .

وزعمتَ أنّى لكل الخلفاء حَسَدتُ ، وعلى كلّهم بَغَيْتُ ، فإن يكن

وذكر الأستاذ الشيخ محمد عبده فى تفسيره ماذكره الراوندى فقال : « وصبية النار : قيل هم أولاد مروان بن الحكم ، أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم من أهل النار ، ومرقوا من الدين فى كبرهم اهـ » (وتابعه أيضا شارح نهاية الأرب) وقد بينا فساده .

(١) يعنى فاطمة عليها السلام ، جاء فى الإصابة ج ٨ : ص ١٥٨ (عن أبى هريرة مرفوعا : خير نساء العالمين أربع : مريم وآسية وخديجة وفاطمة) (وآسية هى امرأة فرعون ، نزل فيها وفى مريم قوله تعالى « وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ » .

(٢) هى أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبى لهب وعمة معاوية ، وقد ورد فيها التنزيل بذلك « وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ » وقيل لها حمالة الحطب ، لأنها كانت تحمل الشوك والسعدان وتلقيه فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم إيذاء له (وكانت جارته) أوهو النميمة ، إذ كانت تسعى عليه بالنمائم وتوقد بذلك نار الخصومة ، أو حطب جهنم ، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداته ، وتحمل زوجها على إيذائه

(٣) لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا : نولى هذا الأمر بعد محمد سعد بن عبادة ، وكان بينهم وبين المهاجرين حجاج انتهى باستخلاف أبى بكر كما هو معروف ، وفلج على خصمه كنصر : فاز عليه وظفر .

ذلك كذلك ، فليس الجنايةُ عليك ، فيكونَ العُذْرُ إليك :

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عنك عارُها[١] *

وقلتَ إنى كنت أُقادُ كما يقاد الجَمل المَخْشُوشُ حتى أبايعَ ، ولَعَمْرُ اللهِ لقد أردتَ أن تذُمَّ فمَدَحْتَ ، وأن تفضَحَ فافتضَحْتَ ، وما على المسلم من غَضَاضةٍ[٢] فى أن يكون مظلومًا ، ما لم يكن شاكًّا فى دينه ، ولا مُرْتَابًا بيقِينه ، وهذه حُجَّتِى إلى غيرك قَصْدُها[٣] ، ولكنى أطلَقْتُ لك منها بقدر ما سَنَح[٤] مِن ذكرها .

ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمرِ عثمان ، فلك أن تُجابَ عن هذه ، لِرَحِمِك[٥] منه ، فأيُّنا كان أعْدَى[٦] له ، وأهْدَى إلى مَقَاتِلِه ، أمَنْ بَذَل له نُصْرَته فاستقْعَدَهُ واستَكَفَّه[٧] ، أم من استنصَرَه

---

(١) هو شطر بيت لأبى ذؤيب الهذلى ، قال :

أبى القلب إلا أم عمرو فأصبحت — تحرق نارى بالشكاة ونارها
وعيرها الواشون أنى أحبها — وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

والشكاة فى الأصل : المرض ، وتوضع موضع العيب والذم كما فى هذا البيت ، فمعناها هنا العيب والنقيصة ، ويقال : ظهر عنى هذا العيب : إذا نبا عنك ولم يعلق بك منه شىء .

(٢) غض منه : نقص ووضع من قدره .

(٣) أى إنى إذا احتججت لحقى فى الخلافة فإنما أحتج إلى غيرك لا إليك ، إذ ليس لك فى الخلافة شأن

(٤) أى عرض . (٥) الرحم : القرابة . (٦) أى أشد عدوانا ، والمقاتل : وجوه القتل .

(٧) استقعده واستكفه: طلب قعوده وكفه، ويعنى « بمن بذل له نصرته » نفسه ، فقد كان للإمام على عليه السلام فى الدفاع عن عثمان موقف مجيد لا ينكره إلا كل مكابر ، وقد قال : « والله ما زلت أذب عنه حتى إنى لأستحى » وقال أيضاً : « والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما » وبعث إليه بالماء حين منعه عنه المحاصرون، كما بعث إليه بابنيه الحسن والحسين ومواليه للذب عن داره ، وقال لابنيه : اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه بمكروه ، وقد خضب الحسن بالدماء فى سبيل مدافعة الثوار وشج قنبر مولى على ، حتى قال عثمان للحسن : إن أباك الآن لفى أمر عظيم فأقسمت عليك لما خرجت ، وأبى وشاء الله أن ينفذ القضاء فى عثمان فجاء علىّ فقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين ، وقد فصلنا القول فى هذا الموضوع فى كتابنا « ترجمة على بن أبى طالب ــ باب مقتل عثمان » .

فَتَراخَى عنه[١]، وبَثَّ المَنُونَ إليه، حتى أتى قَدَرُه عليه؟ كَلّاَ واللهِ، لَقَدْ عَلِمَ اللهُ المُعَوِّقِينَ[٢] مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لِإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً.

وما كنتُ لِأعتذرَ مِنْ أنى كنتُ[٣] أنقِم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه إرشادى وهدايتى له، فرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ له[٤]:

* وقد يستفيد الظِّنَّةَ المتنصِّحُ[٥] * وما أردتُ إلاّ الإصْلاَحَ ما استَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

وذكرت أنه ليس لى ولأصحابى عندك إلا السيف، فلقد أضحكتَ بعد استِعْبار[٦]! متى ألفيتَ بنى عبد المطلب عن الأعداء ناكِلين[٧]، وبالسيوف مُخَوَّفين؟ «فَلَبِّثْ قليلاً يَلحقِ الهَيْجا حَمَل[٨]» فسيطلبك مَن تَطلُب،

---

(١) يعنى به معاوية، وقد كان عثمان كتب إليه يستنصره فتربص به (انظر ماقدمناه فى ص ٣١٤) والمنون: الموت، وبث المنون إليه: أى أنه تقاعس عن نصرته فأفضى ذلك إلى بلوغ الثوار مأربهم فيه فقتلوه. (٢) أى المثبطين عن النصرة.

(٣) نقم منه كضرب وعلم: عابه، والأحداث جمع حدث كسبب وهو البدعة

(٤) هو مثل، من قول أكثم بن صيفى، يقول: قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فهو يلام عليه.

(٥) الظنة: التهمة، والمتنصح هنا: المبالغ فى النصح لمن لا ينتصح، وهو شطر بيت، وصدره: وكم سقت فى آثاركم من نصيحة

(٦) استعبر: جرت عبرته، أى بكى، فقوله يبكى لأنه يطلب ما لا حق له فيه، ويشق عصا الجماعة ويضحك لتهديده من لا يهدد. (٧) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا: نكص وجبن.

(٨) لبث: من اللبث بالفتح وهو المكث أى انتظر، والهيجا يقصر ويمد: الحرب، وحمل اسم رجل (وستعرفه بعد)، وهو مثل يضرب للتهديد بالحرب، رواه أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ج ٢: ص ١٧٧، فقال: («لبث رويداً يلحق الهيجا حمل» أى انتظر حتى تتلاحق الشبان) وفى لسان العرب ج ١٣ ص ١٩٣ «ضحّ قليلا يدرك الهيجاء حمل» وفى مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ٢٨٣ «ضح رويداً يدرك الهيجا حمل» (ومعنى «ضح رويدا» لاتعجل فى الأمر وتأنّ وارفق، ضحى الإبل: غداها فى الضحى، فتضحت هى أى أكلت فى الضحى، وأصله أن العرب كانوا يسيرون فى البادية يوم ظعنهم، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلأ وعشب، قال قائلهم: ألا ضحوا رويداً، أى ارفقوا بالإبل حتى تتضحى، أى تنال من هذا المرعى، ثم وضعت التضحية مكان الرفق، لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبعت اهـ لسان العرب ج ١٩: ص ٢١٥).

وَيَقْرُب منك ما تستبعد ، وأنا مُرْقِلٌ[١] نحوك فى جَحْفَلٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، شديدٍ زِحامُهم ، ساطِعٍ قَتامُهم[٢] ، متسربلين سَرابيلَ الموت ، أحَبُّ اللّقاء إليهم لِقاءُ ربهم ، وقد صَحِبتهم ذُرِّيَّة بَدْرِيَّة[٣] ، وسيوف هاشمية ، قد عَرَفْتَ مواقعَ نِصالها فى أخيك وخالك وجدك وأهلك ، وما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ » .

(نهج البلاغة ٢ : ٢١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٩ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٣)

٤٢٧ — كتاب على إلى مخنف بن سليم

ولما أجمعَ علىّ عليه السلام أن يسير إلى الشأم لقتال معاوية ، كتب إلى عُمّاله يستنفِرّهم ، فكتب إلى مِخْنف بن سُلَيْم عامِلِه على أَصْبَهان وهَمَذَان :

أما حمل فهو حمل بن سعدانة (بالفتح) الصحابى ، جاء فى أسد الغابة ج ٢ : ص ٥٢ وفى شرح القاموس ج ٧ : ص ٢٩٠ : « حمل بن سعدانة الكلبى ، وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وعقد له لواء ، وشهد مع خالد بن الوليد مشاهده كلها ، وهو القائل :

لبث قليــــلا يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

وشهد صفين مع معاوية ، وقد تمثل بقوله سـعد بن معاذ يوم الخندق اهـ » وفى سيرة ابن هشام ج ٢ : ص ١٦٣ ، فى غزوة الخندق : « مر سعد بن معاذ وعليه درع له مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرقل بها (أى يسرع) يقول :

لبث قليــــلا يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

وفى لسان العرب : « حمل : إنمـا يعـنى به حمل بن بدر » وكذا فى مجمع الأمثال ، وقال شارح القاموس : « وفى المحكم : إنما يعنى به حمل بن بدر ، قلت : وفيه نظر » .

وقد جاء فى تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده أنه حمل بن بدر ، وكذا ذكر شارح نهاية الأرب مستنداً إلى ماورد فى لسان العرب ، وقد عرفت مافيه ، ولم يرد فى شرح ابن أبى الحديد تفسيره ، وأكبر ظنى أنه سقط فى أثناء الطبع، لأن شرح ذلك الكتاب واقع فى نهاية المجلد الثالث ، ولم يذكر تفسير الجزء الأخير منه . (١) مرقل : مسرع . والجحفل : الجيش العظيم .

(٢) القتام : الغبار . وساطع : أى منتشر . والسرابيل : جمع سربال بالكسر : وهو القميص أو الدرع أو كل مالبس ، وقد تسربل به : أى لبسه ، والمعنى : أنهم مستعدون للموت مرحبون به .

(٣) أى من ذرارىّ أهل بدر الذين قاتلوا أهلك يوم ذاك وقتلوا منهم .

« سلام عليك فإنى أحمَدُ إليك ٱللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإن جِهادَ مَن صَدَفَ[1] عن الحق رغبةً عنه ، وهَبَّ فى نُعاس العَمَى والضلال اختياراً له ، فريضةٌ على العارفين أنَّ الله يَرْضَى عمن أرضاه ، ويَسْخَطُ على من عصاه .

وإنا قد هَمَمْنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عمِلُوا فى عباد الله بغير ما أنزل الله ، واستأثروا بالفَىْء ، وعَطَّلوا الحدودَ ، وأماتوا الحقَّ ، وأظهروا فى الأرض الفسادَ ، واتخذوا الفاسقين وَلِيجَةً[2] من دون المؤمنين : فإذا ولىٌّ لله أعظَمَ أحداثَهم أبغَضوه وأقْصَوْه وحَرَموه ، وإذا ظالمٌ ساعدَهم على ظلمهم أَحبُّوه وأدْنَوه وبَرُّوه ، فقد أصَرُّوا على الظلم ، وأجمعوا على الخلاف ، وقديماً صدُّوا عن الحق ، وتعاوَنوا على الإثم وكانوا ظالمين .

فإذا أُتيت بكتابى هذا فاستخلِفْ على عملك أوثَقَ أصحابك فى نفسك ، وأقبِلْ إلينا لعلك تَلْقَى معنا هذا العدوّ المُحِلّ[3] ، فتأمر بالمعروف ، وتَنْهَى

---

(١) صدف عنه كضرب : أعرض .

(٢) الوليجة : خاصتك من الرجال ، أو من تتخذه معتمدا عليه من غير أهلك .

(٣) قال صاحب القاموس : (ورجل محل : منتهك للحرام ، أو لا يرى للشهر الحرام حرمة) . وجاء فى اللسان : (ويقال : المحل الذى يحل لنا قتاله ، والمحرم : الذى يحرم علينا قتاله ، ويقال : المحل : الذى لا عهد له ولا حرمة ، والمحرم : الذى له حرمة ، وجاء فى كتاب الإمام إلى أخيه عقيل (وسيورده بعد) (فإن رأيى قتال المحلين) وفسره ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٥٧ . قال : أى الخارجين من من الشقاق والبيعة يعنى البغاة ومخالفى الإمام ، ويقال لكل من خرج من إسلام ، أو حارب فى الحرم أو فى الأشهر الحرم محلّ ، وعلى هذا فسر قول زهير : (وكم بالقنان من محل ومحرم) أى من لا ذمة له ومن له ذمة ، وكذلك قول خالد بن يزيد بن معاوية فى زوجته رملة بنت الزبير بن العوام :

ألا من لقلب معنى غزل بحب المحلة أخت المحلّ

أى ناقضة العهد أخت المحارب فى الحرم أو أخت ناقض بيعة بنى أمية . وقال المبرد فى الكامل أيضا (ج ٢ : ص ١٦٨) (وكان عبد الله يدعى المحل لإحلاله القتال فى الحرم ، وفى ذلك يقول رجل فى رملة بنت الزبير . . . الخ) وكذا فى العقد الفريد ج ٢ : ص ٢٦٨ .

عن المنكر ، وتُجامع المُحِقّ ، وتباين المُبْطِل ، فإنه لاغنى بنا ولا بك عن أجر الجهاد ، وحَسْبُنَا اللهُ ونعم الوكيل » .

وكتبه عبيد الله بن أبي رافع في سنة سبع وثلاثين .

فاستخلف مخنف على أَصْبَهان الحرث بن أبي الحرث بن الربيع ، واستعمل على همذان سعيدَ بن وهب وكلاهما من قومه ، وأقبل حتى شهد مع عليّ عليه السلام صِفِّين » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص٢٨٢)

٤٢٨ — كتاب على إلى عبد الله بن عباس

وكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى عليّ عليه السلام يذكر له اختلاف أهل البصرة ، فكتب إليه عليّ عليه السلام :

« أما بعدُ : فقد قَدِم عليّ رسولك ، وقرَأت كتابك تذكر فيه حال أهل البصرة ، واختلافَهم بعد انصرافي عنهم ، وسأُخْبرك عن القوم :

هم بين مُقِيم لرغبةٍ يرجوها ، أو خائف مِن عقوبةٍ يخشاها ، فأَرْغِبْ راغِبَهم بالعدل عليه ، والإنصاف له ، والإحسان إليه ، واُحْلُلْ عُقْدَة الخوف عن قلوبهم ، وانتَهِ إلى أمري ولا تَعْدُهُ ، وأحسن إلى هذا الحيِّ من ربيعة وكلٌّ من قِبَلك فأحسنْ إليه ما استطعْتَ إن شاء الله » .

وكتب إلى أمراء عماله كلهم بنحو ما كتب به إلى مخنف بن سليم ، وأقام ينتظرهم (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص٢٨٢)

٤٢٩ — كتاب عليّ إلى عبد الله بن عباس

وكتب إلى ابن عباس أيضاً :

« أما بعدُ : فاشْخَصْ إلىّ بمن قِبَلك من المسلمين والمؤمنين ، وذكّرهم بلائى عندهم ، وعفوى عنهم فى الحرب ، وأَعْلِمْهم الذى لهم فى ذلك من الفضل ، والسلام » .

فقدِمَ عليه ابن عباس بأهل البصرة . (سرح ابن أبى الحديد ١ : ص ٢٨٣)

٤٣٠ — كتاب زياد بن النضر إلى عليّ

وأمر عليّ فنودى فى الناس أَنِ اخرجوا إلى مُعَسْكركم بالنُّخَيْلة ، واستخلف عَلَى الكوفةِ ، ثم خرج وخرج الناس معه ، ودعا زياد بن النَّضْر وشُرَيْح بن هانئ ، وكانا على مَذْحِج والأشعريين ، فأوصى زياداً وقال له : إنى قد وليتك هذا الجند ، ثم أمرهما أن يأخذا فى طريق واحد ولا يختلفا ، وبعثهما فى اثنى عشر ألفاً على مقدِّمته ، وكل واحد منهما على جماعة من ذلك الجيش ، فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حِدَة ، ولا يَقْرَبُ زيادًا فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام :

« لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من زياد بن النَّضر :

سلام عليك ، فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنك ولَّيتنى أمر الناس ، وإن شُرَيْحًا لا يرى لى عليه طاعةً ولا حقا ، وذلك من فِعْله بى استخفافٌ بأمرك ، وَتَرْكٌ لِعهْدك ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

٤٣١ — كتاب شريح بن هانئ إلى عليّ

وكتب شريح بن هانئ إلى عليّ عليه السلام :

« لعبد الله بن عليّ أمير المؤمنين من شريح بن هانئ :

سلام عليك ، فإنى أحمدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن زياد بن النَّضْر حين أشركتَه فى أمرك ، ووَلَّيْتَهُ جنداً من جندك ، طَغى واستكبر ، ومال به العُجْب والْخُيَلاء والزَّهْو إلى ما لا يَرْضَى الله تعالى به من القول والفعل ، فإن رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن يعزله عنا ، ويبعثَ مكانه مَن يُحِبُّ فليفعلْ ، فإنا له كارهون ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٨٥)

٤٣٢ — كتاب عليّ إلى زياد وشريح

فكتب عليّ عليه السلام إليهما :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر ، وشريح بن هانى :

سلام عليكما ، فإنى أحمَدُ إليكما الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنى قد وليتُ مقدّمتى زيادَ بن النضر وأمّرْتُه عليها ، وشريح بن هانئ على طائفة منها أمير ، فإن انتهى جَمْعكما إلى بأس فزياد بن النضر على الناس كلهم ، وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير الطائفة التى ولّيناه أمرها .

واعلما أن مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعهم ، فإذا أنتما

خرجتما من بلادكما فلا تَسْأَما من توجيه الطلائع ، ومن نَفْضِ الشِّعاب[1] والشجر والخَمَر في كل جانب ، كي لا يغترّكما[2] عدو ، أو يكون لهم كَمِين ، ولا تُسَيِّرُنَّ الكتائب والقبائل من لَدُن الصباح إلى المساء إلاّ على تَعبية[3] ، فإن دَهِمَكم عدوٌّ أو غشِيكم مكروهٌ كنتم قد تقدّمتم في التعبية ، فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن مُعَسْكركم في قُبُل الأشراف[4] ، وأسفاح الجبال ، وأثناء الأنهار ، كيما يكون ذلك لكم رِدْءا ، وتكون مُقاتَلتكم من وجهٍ واحد ، أو اثنين ، واجعلوا رُقَباء كما في صَيَاصِي[5] الجبال ، وبأعالي الأشراف ، ومَناكِبِ الأنهار . يَرَوْنَ لكم ، لا يأتيكم عدوّ من مكان مَخافة أو أَمْنٍ ، وإياكم والتفرقَ ، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً ، وإذا رَحَلْتم فارحَلُوا جميعاً ، فإذا غشِيكم الليلُ فنزلتم فحُفّوا عسكركم بالرِّماح والتِّرَسَة ، ولتكن رُمَاتكم من وراء تِرَاسِكم ، ورماحكم يَلُونهم ، وما أقمتم فكذلك فافعلوا ، كي لا يصابَ لكم غَفْلةٌ ، ولا يُلْفَى لكم غِرّة ، فما قومٌ يحُفّون عسكرهم برماحهم وتِرَستهم من ليل أو نهار ، إلا كانوا كأنهم في حصون ، واحرُسا عسكركما بأنفسكما ، وإياكما أن تذوقا نومًا حتى تُصْبِحا إلا غِراراً[6] أو مَضْمَضةً ، ثم ليكن ذلك

---

(١) الشعب بالكسر : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجبلين ، والجمع شعاب . والخمر : كل ما واراك من شجر أو بناء أو غيره ، ونفض المكان كنصر واستنفضه وتنفضه : إذا نظر جميع ما فيه حتى يعرفه ، وفي الأصل « نقض » بالقاف وهو تصحيف .

(٢) اعتررت الرجل : إذا طلبت غرته . والغرة بالكسر : الغفلة .

(٣) في الأصل « تقية » وهو تحريف

(٤) الأشراف : جمع شرف بالتحريك وهو المكان العالي . وقبل الجبل بضمة وضمتين : سفحه ، وهو أصله أو الحضيض الأسفل ، وقد ورد في كتب اللغة جمعه على سفوح ، والأثناء جمع ثِنْي بالكسر وثني النهر منعطفه ، والردء : العون .

(٥) الصياصي جمع صيصية : وهي كل ما امتنع به وتحصن . (٦) الغرار : القليل من النوم ، ومضمض النعاس في عينيه : دب ، وما مضمضت عيني بنوم : أي ما نامت .

شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكما ، وليكن كلّ يوم عندى خبرُكما ورسولٌ من قبلكما ، فإنى ـ ولا شيء إلا ما شاء الله ـ حَثِيثُ[1] السير فى إثرِكما ، وعليكما فى جريكما بالتؤدة ، وإياكما والعجلةَ إلا أن تُمْكِنكما فرصةٌ بعد الإعذار والحجة ، وإياكما أن تقاتلا حتى أَقْدَم عليكما ، إلا أن تُبدَأا ، أو يأتيكما أمرى إن شاء الله ». (شرح ابن أبى الحديد م ١ : ٢٨٥)

٤٣٣ — كتاب على إلى أمراء الأجناد

وكتب على عليه السلام إلى أمراء الأجناد :

«أما بعدُ فإنى أبرأ إليكم من مَعَرَّة الجنود ، فأَعْزِبوا[2] الناس عن الظلم والعُدْوان ،وخُذوا على أيدى سفهائكم ، واحترسوا أن تعملوا أعمالاً لا يَرْضَى الله بها عنا ، فيَرَدّ بها علينا وعليكم دعاءنا ، فإنه تعالى يقول : « مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ » وإن الله إذا مَقَتَ قومًا من السماء هلكوا فى الأرضِ ، فلا تَأْلُوا أنفسكم خيراً ، ولا الجندَ حُسْنَ سِيرة ، ولا الرعيَّةَ مَعُونةً ، ولا دين الله قوةً . وأَبْلُوا فى سبيله ما استوجَبَ عليكم ، فإن الله قد اصطنَعَ[3] عندنا وعندكم ما يجب علينا أن نشكره بجُهْدنا ، وأن ننصره ما بلغت قوتُنا ، ولا قوة إلا بالله » . (شرح ابن أبى الحديد م ١ . ص٢٨٥)

---

(١) أى سريع . (٢) أعزبه : أبعده . (٣) اصطنع عنده صنيعة : اتخذها

٤٣٤ — كتاب على إلى الأجناد

وكتب علىّ عليه السلام إلى جنوده يخبرهم بالذى لهم وعليهم :

« أما بعدُ : فإن الله جعلكم فى الحق جميعاً سواء : أسودَكم وأحمَركم(١) ، وجعلكم مِن الوالى منكم بمنزلة الولد من الوالد ، والوالد من الولد ، فحقُّكم عليه إنصافكم والتعديلُ بينكم والكفُّ عن فَيْئكم ، فاذا فعل معكم ذلك وجبت عليكم طاعته فيما وافق الحق ، ونُصرتُه والدفع عن سلطان الله ، فإنكم وَزَعة(٢) الله فى الأرض ، فكونوا له أعوانًا ، ولدينه أنصارًا ، وَلاَ تُفْسِدُوا فى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١ ، ص ٢٨٥

٤٣٥ — كتاب على إلى معاوية ومن قبله من قريش

وسار على عليه السلام حتى نزل الرَّقَّة(٣) ، فقالت له طائفة من أصحابه : يا أمير المؤمنين ، اكتب إلى معاوية ومَن قِبَله من قومك ، فإن الحُجّة لا تزداد عليهم بذلك إلا عِظَما ، فكتب إليهم :

« من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قِبَله من قريش :

سلام عليكم فإنى أَحْمَدُ إليكم اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإن لله

---

(١) جاء فى حديثه صلى الله عليه وسلم « أرسلت إلى الأسود والأحمر » يعنى العرب والعجم ، والغالب على ألوان العرب السمرة والادمة ، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة .

(٢) الوزعة : جمع وازع ، من وزعه كوضعه إذا كفه ، أى أنتم جنود الله الذين تكفون الناس عن الظلم والعدوان . (٣) بلد على الفرات مقابل صفين .

عِبادًا آمنوا بالتنزيل ، وعرَفوا التأويل ، وفَقِهُوا فى الدين ، وبَيَّن الله فضلَهم فى القرآن الحكيم ، وأنتم فى ذلك الزمان أعداء للرسول تكذّبون بالكتاب ، مُجْمِعون على حرب المسلمين ، مَن ثقِفْتم[1] منهم حبستموه أو عذَّبتموه أو قتلتموه ، حتى أراد الله تعالى إعزازَ دينه ، وإظهار أمره ، فدخلَتِ العربُ فى الدين أفواجًا ، وأسلَمَتْ له هذه الأمة طَوْعاً وكَرْهاً ، فكنتم فيمن دخل فى هذا الدين إمّا رغبةً وإمّا رهبةً ، على حينَ فاز أهلُ السَّبْق بسَبْقهم ، وفاز المهاجرُون الأولون بفَضْلهم ، ولا ينبغى لمن ليست له مِثلُ سوابقهم فى الدين ، ولا فضائلهم فى الإسلام ، أن ينازِعَهم الأمرَ الذى هم أهلُه وأَوْلَى به فيَحُوبَ[2] ويَظْلِمَ ، ولا ينبغى لمن كان له عقل أن يجهل قَدْرَه ، ويعدُوَ طَوْرَه ، ويُشْقِيَ نفسه بالتماس ما ليس بأهله ، فإن أولَى الناس بأمر هذه الأمة قديمًا وحديثًا أقرَبها من الرسول ، وأعلمها بالكتاب ، وأفقهها فى الدين ، أولهم إسلاما ، وأفضلهم جهاداً ، وأشدهم بما تحمله الأئمة من أمر الأمة اضطلاعا[3] ، فاتقوا الله الذى إليه ترجعون . ولا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، واعلموا أن خِيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون ، وإن شِرَارهم الجُهَّال الذين ينازعون بالجهل أهلَ العلم ، فإن للعالم بعلمه فضلا ، وإن الجاهل لا يزداد بمنازعته العالمَ إلا جهلا ، ألَا وإنى أدعوكم إلى كتاب الله وسُنة نبيه ، وحَقْن دماء هذه الأمة ، فإن قبلتم أصَبْتم رشدكم ، واهتديتم لحظّكم ، وإن أبَيْتم إلا الفُرقةَ وشَقَّ عصا

---

(١) ثقفه كسمعه : صادفه أو ظفر به وأدركه . (٢) حاب يحوب : أثم .

(٣) اضطلع بالأمر : قوى عليه .

هذه الأمة ، لم تزدادُوا من الله إلاَّ بُعْدًا ، ولا يزداد الرَّب عليكم إلا سُخْطا ، والسلام » . (شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٩٠)

٤٣٦ — رد معاوية على على

فكتب إليه معاوية جوابَ هذا الكتاب سطراً واحداً وهو :

« أما بعد : فإنه :

ليس بينى وبين قَيْس عِتابٌ غيرُ طَعْنِ الكُلَى وَضَرْبِ الرِّقاب[١]

فقال على عليه السلام لما أتاه هذا الجواب: «إِنَّكَ لاَتَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٩٠)

٤٣٧ — كتاب عمرو بن العاص إلى ابن عباس

ولم تُجْدِ الكتب بين على ومعاوية نفعاً ، فعَبَّأ كل منهما جيشه ، ودارت رَحَى الحرب بين الفريقين فى صِفِّين ، على ماهو مشهور .

فلما اشتد الأمر وعظُم على أهل الشأم ، بعث معاوية أخاه عُتْبة للقاء الأشعث بن قيس الكِنْدى[٢] ، فجعل يستهويه ويستكِفُّه ، وكان فيما قال له : إنا لا ندعوك إلى ترك على ونُصرة معاوية ، ولكنا ندعوك إلى البقيَّة التى فيها صلاحُك وصلاحنا ، فقال له الأشعث : لستم بأحوجَ إلى البقية منا ، ولم يَلْقَ عنده عُتبة ما يحبّ .

---

(١) انظر رواية ابن قتيبة التى قدمناها فى ص ٣٨٥ . (٢) وكان من رءوس جند علىّ .

فلما يئس معاوية من الأشعث قال لعمرو بن العاص : إن رأس أهل العراق بعد على هو عبد الله بن عباس ، فلو كتبت إليه كتابًا لعلك ترقّقه ، ولعله لو قال شيئًا لم يخرج علىّ منه ، وقد أكلتنا الحربُ ولا أرانا نصل إلى العراق إلا بهلاك أهل الشأم ، فقال عمرو : إن ابن عباس لا يُخْدَع ، ولو طمِعْتَ فيه لَطمِعْتَ فى على . قال معاوية : على ذلك فاكتب ، فكتب عمرو إلى ابن عباس :

« أما بعدُ : فإن الذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قادَه البلاء ، وأنت رأسُ هذا الجمع بعد علىّ ، فانظر فيما بقِيَ ودع مامضى ، فواللهِ ما أبْقَت هذه الحرب لنا ولا لكم حياةً ولاصبراً ، واعلم أن الشأم لاتهلِك إلا بهلاك العراق ، وأن العراق لا تهلِك إلا بهلاك الشأم ، فما خيرُنا بعد هلاك أعدادِنا منكم ؟ وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا ؟ ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ، ولكنا نقول : ليتها لم تكن ، وإن فينا مَن يكره اللّقاء كما أن فيكم من يكرهه ، وإنما هو : أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومؤتمَن مشاوَر وهو أنت ، فأما الأشتر[1] الغليظ الطبع القاسى القلب فليس بأهل أن يُدْعَى فى ثقات أهل الشُّورى ، ولا فى خواصِّ أهل النَّجْوَى » .

وكتب فى أسفل الكتاب :

طال البَلاء وما يُرْجَى له آسِى ... بعدَ الإله سوى رِفْقِ ابنِ عَبَّاسِ[2]

قُولاَ له قَوْلَ مَنْ يرجُو مَوَدَّتَه ... لاتَنْسَ حَظَّك ، إن الخاسِرَ النَّاسِى

(١) هو مالك بن الحارث ، وكان من رءوس جند على أيضا ، كان على الميمنة ، وابن عباس على الميسرة ، وعلى فى القلب . (٢) الآسى : الطبيب ، أسا الجرح يأسوه : داواه .

أنظر (تُفَدِّيك نفسى) قبلَ قاصِمَةٍ   للظهر ليس لها راقٍ ولا آسِي[1]
إن العراقَ وأهلَ الشأم لن يجدوا   طَعْمَ الحياة مع المُسْتَغْلِق القاسِى[2]
يا بْنَ الذى زَمْزَمٌ سُقْيا الحَجيجِ له   أَعْظِمْ بذلك من فخرٍ على الناس[3]
إنى أرى الخير فى سِلمِ الشآم لكم   والله يعلم ما بالسِّلمِ من بأسِ[4]
فيها التُّقَى وأمورٌ ليس يجهلها   إلا الجَهولُ، وما نَوْكَى كأكْيَاسِ[5]

(شرح أبى الحديد م ٢ : ص ٢٨٨، والإمامة والسياسة ١ : ٨٣)

٤٣٨ — رد ابن عباس على ابن العاص

فلما انتهى كتاب عمرو إلى ابن عباس أتى به إلى علىّ عليه السلام : فأقرأه إياه فضحك، وقال : قاتل الله[6] ابن العاص ! ما أغراه بك يا عبد الله أجبهُ، وليرُدَّ عليه شعره الفضل بن العباس فإنه شاعر، فكتب ابن عباس إلى عمرو :

---

(١) قصمه كضرب : كسره، والرقية بالضم : العوذة (بالضم أيضا) وقد رقاه يرقيه أى عوّذه.

(٢) المستغلق : استغلقنى فلان فى بيعه : إذا لم يجعل لى خيارا فى رده.

(٣) الحجيج جمع حاجّ، وزمزم بئر بمكة حفرها عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ابنه العباس فى الجاهلية رئيسا فى قريش، وإليه كانت السقاية فى الجاهلية (انظر أسد الغابة ج ٣ : ص ١٠٩) وجاء فى شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٤٦١ « وكانت السقاية فى الجاهلية بيد أبى طالب، ثم سلمها إلى أخيه العباس »، وزمزم مبتدأ خبره الجار والمجرور وسقيا الحجيج بدل من زمزم أو عطف بيان.

(٤) النسب إلى شأم ويمن : شأمىّ ويمنىّ بياء مشددة، وقد قالوا فيهما شآم ويمان (منقوصين) وأصلهما شأمىّ ويمنىّ، حذفوا إحدى ياءى النسب تخفيفا وعوضوا عنها الألف ففتحت همزة شأمى بعد سكونها فصارا شآمى ويمانى، ثم أعلا كقاض، وقالوا فيهما أيضا شآمىّ ويمانىّ بياء مشددة مع الألف، والبأس : الشدة والقوة، وفى الأصل « ناس » وهو تصحيف.

(٥) الضمير فى « فيها » يعود على السلم وهو يذكر ويؤنث، والنوكى : الحمقى، والنوك بالضم والفتح : الحمق، نوك كفرح فهو أنوك، والأكياس : العقلاء جمع كيس كجيد.

(٦) قاتله الله : لعنه، أو قتله، أو عاداه.

« أما بعد : فإنى لا أعلم أحداً من العرب أقلّ حياء منك ، إنك مال بك الهَوَى إلى معاوية ، فَبِعْتَهُ دينك بالثمن الأوكس[١] ، ثم خبطْتَ الناس فى عَشْواء[٢] طمعاً فى الدنيا فأعظمْتَها إعظام أهل الدنيا ، فلما ترامينا أعظمتَ الحربَ والدِّماء إعظامَ أهل الدين ، وأظهرت فيها كراهية أهل الوَرَع لا تريد بذلك إلا تمهيد الحرب ، وكَسْرَ أهل الدين ، فإن كنت تريد الله ، فارجِع إلى بيتك ، ودَعِ الطمعَ فى مصر ، والركونَ إلى الدنيا الفانية ، واعلم أن هذه الحرب ليس فيها معاوية كعلى ، بَدَأَها علىّ بالحق ، وانتهى فيها إلى العُذْر ، وبَدأها معاوية بالبغى ، وانتهى فيها إلى السَّرَف ، وليس أهل الشأم فيها كأهل العراق : بايَعَ أهل العراق عليًّا وهو خير منهم ، وبايع أهل الشأم معاوية وهم خير منه ، ولست أنا وأنت فيها سواء : أَردتُ الله ، وأنت أردت مصر ، وقد عرفت الشيء الذى باعدَك منى ، ولا أعرف الشيء الذى قربك من معاوية . فإن تُرِد شرا لا نَسْبِقك به ، وإن ترد خيراً لا تَسْبِقنا إليه ، والسلام » .

ثم دعا أخاه الفضل فقال : يابن أمِّ أجبْه ، فقال الفضل :

يا عمرُو : حَسْبُكَ من مَكرٍ ووِسْواسِ ... فاذهب فليس لداء الجَهل مِن آسِي[٣]
إلاَّ تَوَاتُرُ طَعْنٍ فى نحورِكمُ ... يُشْجِى النفوس ويَشفِى نخوة الراسِ[٤]

---

(١) أى الخسيس . (٢) يروى « فى عشوة » و « فى عشواء » والعشوة مثلثة : ركوب الأمر على غير بيان ، وبالفتح الظلمة كالعشواء .

(٣) وسوست إليه نفسه أو الشيطان : حدثته بما لا نفع فيه ولا خير ، والمصدر وسوسة ووسواس بكسر الواو فى الثانى ، والوسواس بالفتح اسم منه .

(٤) التواتر ، التتابع ، وشجاه حزنه وطربه كأشجاه فيهما ، ضد ، ويصح المعنيان فى البيت أى يحزن نفوسكم ، أو يسر نفوسنا ، والنخوة . الكبر والعظمة

أمّا عليٌّ فإنّ الله فَضَّــــله   بفضلِ ذى شَرَفٍ عالٍ على الناس[1]
إن تَعْقِلوا الحرب نَعْقِلْها مُخَيَّسَةً   أو تبعثوها فإنا غـــيرُ أنْكاسِ[2]
قَتْلَى العراق بِقَتْلَى الشام ذاهبة   هــذا بهذا ، وما بالحق من باسِ

ثم عَرَض الشعر والكتاب على عليّ عليه السلام ، فقال : لا أراهُ يجيبك بعدها أبداً بشىء إن كان يعقل ، وإن عاد عُدْت عليه ، فلما انتهى الكتاب إلى عمرو بن العاص عرضه على معاوية فقال : إن قلب ابن عباس وقلب على قلب واحد ، وكلاهما ولد عبد المطلب ، وإن كان قد خشُن فلقد لان ، وإن كان قد تعظّم وعظم صاحبه فلقد قارب وجَنَح إلى السّلم .

(شرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٨٨ والإمامة والسياسة ١ : ٨٤)

٤٣٩ — كتاب معاوية إلى ابن عباس

وقال معاوية لأكتبنّ إلى ابن عباس كتابًا أستعرض فيه عقله ، وأنظر ما فى نفسه ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فإنكم مَعْشَرَ بنى هاشم لستم إلى أحد أسرَعَ منكم بالمساءة إلى أنصار ابن عفان ، حتى إنكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما بدمه ، واستعظامهما ما نِيلَ منه ، فإن كان ذلك منافسةً لبنى أمية فى السلطان ، فقد وَلِيَها عَدِىٌّ وتَيْم[3] ، فلم تنافسوهم وأظهرتم لهم الطاعة .

(١) بفضل ذى شرف : أى بفضل بنى ذى شرف

(٢) من عقل الدابة إذا قيدها وحبسها ، والمعنى : إن تكفوا عن الحرب ، وخيسه تخييسا : ذلله والأنكاس جمع نكس بالكسر ، وهو الرجل الضعيف والمقصر عن غاية النجدة والكرم .

(٣) أى وليها عمــر وأبو بكر ، فالأول من عدى بن كعب بن لؤى ، والثانى من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى .

وقد وقع من الأمر ما قد ترى ، وأدالت[1] هذه الحربُ بعضَنا من بعض حتى استوينا فيها، فما يُطْمِعكم فينا يُطْمعنا فيكم، وما يُؤْيِسُنا منكم يؤيسكم منا ، ولقد رَجوْنا غير الذى كان ، وخشِينا دونَ ما وقع ، ولستُم ملاَقِينا اليوم بأَحَدَّ من حدِّكم أمس ، ولا غدًا بأحَدَّ من حدكم اليوم ، وقد قنِعْنا بما فى أيدينا من ملك الشأم ، فاْقنَعوا بما فى أيديكم من ملك العراق ، وأَبْقُوا على قريش ، فإنما بقى من رجالها ستة : رجلان بالشأم ، ورجلان بالعراق ، ورجلان بالحجاز ، فأما اللذان بالشأم فأنا وعمرو ، وأما اللذان بالعراق ، فأنت وعلى ، وأما اللذان بالحجاز فسَعْد وابن عُمر[2] ، فاثنان من الستة ناصبان[3] لك ، واثنان واقفان فيك ، وأنت رأس هذا الجمع ، ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا إليك أسرع منا إلى علىّ » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٨٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٥)

٤٤٠ — رد ابن عباس على معاوية

فلما أتى كتاب معاوية إلى ابن عباس ضحك ثم قال : حتى متى يخطب ابن هند إلىَّ عقلى ، وحتى متى أجمجم[4] عنه ما فى نفسى ؟ فكتب إليه :

« أما بعد : فقد جاءنى كتابك وقرأته ، فأما ما ذكرتَ من سُرْعتنا بالمساءة إلى أنصار عثمان وكراهتنا لسلطان بنى أمية ، فلعمرى لقد أدركت فى عثمان حاجَتَك حين استَنْصرَكَ فلم تنصره حتى صِرْتَ إلى ما صرت إليه ،

(١) أداله الله من عدوه : نصره عليه . (٢) يعنى سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر .
(٣) نصب له : عاداه . (٤) جمجم فى صدره شيئاً : أخفاه ولم يبده .

وبيني وبينك في ذلك ابنُ عمك وأخو عثمان الوليدُ بن عقبة ، وأما طلحة والزبير ، فإنهما أجْلَبا عليه وضيَّقا خِناقه[1] ، ثم خرجا ينقُضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النَّكْث كما قاتلناك على البغى ، وأما قولك إنه لم يبق من قريش غير ستة ، فما أكثر رجالها ، وأحسنَ بقيَّتها ! وقد قاتلك من خيارها مَن قاتلك ، ولم يخذُلنا إلا من خَذَلك ، وأما إغراؤك إيانا بعدِيّ وتَيْم فإن أبا بكر وعمر خير من عثمان كما أن عثمان خير منك ، وقد بقى لك منا ما يُنْسيك ما قبله وتخاف ما بعده ، وأما قولك : إنه لو بايعنى الناس استقمت ، فقد بايع الناس عليًّا ، وهو خير منى فلم تستقم له ، وما أنت وذكرُ الخلافة يا معاوية ؟ وإنما أنت طَليق وابن طليق ، والخلافة للمهاجرين الأولين وليس الطُّلَقاء منها فى شىء ، والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢٨٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٥)

٤٤١ — كتاب على إلى معاوية

وكتب معاوية إلى على عليه السلام يسأله إقراره على الشأم ، فكتب إليه علىّ :

« أما بعدُ : فإن الدنيا حُلْوة خَضِرة[2] ذات زينة وبَهْجة ، لَم يَصْبُ إليها أحد إلا شَغَلَتْه بزينتها عما هو أنفع له منها ، وبالآخرة أُمِرْنا ، وعليها حُثِثْنا ، فدع يامعاوية ما يَفْنَى ، واعمل لما يَبْقَى ، واحذر الموت الذى إليه

(١) الخناق : الحبل يخنق به .

(٢) أحدها من قوله صلى الله عليه وسلم فى إحدى خطبه « ألا إن الدنيا خضرة حلوة » انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٥٤ ، وخضرة : أى ناضرة من خضر الزرع كفرح فهو أخضر وخضر ، وصبا إليه : مال .

مَصِيرُكَ ، والحسابَ الذى إليه عاقبتُك ، واعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره ، ووفَّقه لطاعته ، وإذا أراد الله بعبد سوءاً أغراهُ بالدنيا وأنساه الآخرة ، وبَسَط له أمله ، وعاقَه عما فيه صلاحُه ، وقد وصلنى[(١)] كتابك فوجدتك تَرْمى غير غَرَضِك ، وتَنْشُد غير ضالّتك ، وتخبِطُ فى عَمايَة[(٢)] ، وتَتِيه فى ضَلالة ، وتعتصم بغير حُجَّة ، وتلوذُ بأضعف شُبْهة .

فأما سؤالك المتاركةَ والإقرارَ لك على الشأم ، فلو كنتُ فاعلا ذلك اليوم لفَعَلتُه أمس ، وأما قولُك إن عمر ولاَّكَه فقد عَزَلَ[(٣)] من كان وَلاَّه صاحِبُه ، وعزل عثمان مَن كان عمرُ ولاَّه[(٤)] ، ولم يُنْصَب للناس إمامٌ إلا ليَرَى مِن صلاح الأمة ما[(٥)] قد كان ظهر لمن قبله ، أو أُخفِيَ عنهم عيبُه ، والأمرُ يَحْدُثُ بعده الأمر ، ولكل والٍ رأيٌ واجتهاد .

فسبحانَ الله ! ما أشدَّ لزومَك للأهواء المبتَدَعة ، والحَيْرة المتَّبعة ، مع تضييع الحقائق ، واطِّراح الوثائق ، التى هى لله تعالى طِلبة ، وعلى عباده حُجَّة ، فأما إكثارك الحِجاج فى عثمان وقَتَلته ، فإنك إنما نصرتَ عثمان حيث كان النصرُ لك[(٦)] ، وخَذَلْتَه حيثُ كان النصر[(٧)] له ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٥٧ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٤)

---

(١) جاء فى القاموس المحيط : « وصل الشىء ووصل اليه : بلغه وانتهى اليه » — فهو بهذا المعنى يستعمل متعديا ولازما . (٢) العماية : الضلال .

(٣) يريد خالد بن الوليد ، فقد تقدم لك أن عمر لما ولى الخلافة عزله وولى أبا عبيدة قيادة جند الشأم بدله . (٤) أى من عمال الأمصار غير معاوية فقد استبقاه على الشام .

(٥) فى الأصل « أما ماقد كان . . الخ » وهو تحريف .

(٦) أى حيث كان فيه فائدة لك ، وأنت الآن تنهض للثأر به رجاء تحقيق مآربك .

(٧) أى حيث كان فيه فائدة له ، فقد استنصر بك حين حصر فتربصت به .

٤٤٢ — كتاب معاوية إلى ملك الروم

وبلغ معاويةَ أن صاحب الروم يريد قَصْد بلاد الشأم أيام صِفّين ، فكتب إليه :

« تاللهِ لئن تَمّمْت[١] على ما بَلَغَنى لأُصالِحَنّ صاحبي ، ولأَكونَنّ مقدِّمتَهُ إليك ، ولأَجْعلَنّ القُسْطَنْطِينِيّةِ الحمراء حُمَمَةً[٢] سوداء ، ولأَنْزِعَنّك من الملك نَزْعَ الإِصْطَفْلِينَةِ[٣] ، ولأَرُدَّنّك إرِّيساً[٤] من الأَرارِسَةِ تَرْعَى الدّوابِلَ[٥] » .

وفى رواية : « كما كنت تَرْعَى الخَنانِيصَ[٦] »

(لسان العرب ٧ : ٣٠٠)

٤٤٣ — كتاب معاوية إلى علىّ

وكتب معاوية إلى علىّ فى أواخر حرب صِفّين :

« من عبد الله معاوية بن أبى سفيان إلى علىّ بن أبى طالب :

أما بعد : فإن الله تعالى يقول فى محكم كتابه : « وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ[٧] وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ »

---

(١) تم على الأمر وتمم عليه بإظهار الإدغام : استمر عليه . (٢) الحممة : الفحمة والجمع حمم .

(٣) الإصطفلينة : الجزرة ، قال ابن الأثير : ليست اللفظة عربيـة محضة ، لأن الصاد والطاء لا يكادان يجتمعان إلا قليلا . (٤) الإريس : الأكار — انظر ص ٣٣ .

(٥) الدوابل جمع دوبل كجوهر : وهو الخنزير أو ذكره أو ولده .

(٦) الخنانيص جمع خنوص بكسر الخاء وتشديد النون مفتوحة : وهو ولد الخنزير .

(٧) أى ليفسدن .

وإنى أحذِّركَ اللهَ أن تُحْبِط عملَك وسابقَتَك بشَقِّ عَصَا[١] هذه الأمة ، وتفريق جماعتها ، فاتَّقِ اللهَ واذكُر موقِفَ القيامة ، وأَقْلِعْ عما أسرفْتَ فيه من الخَوض فى دماء المسلمين ، وإنى سمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو تمالَأَ[٢] أهلُ صَنْعاء وعَدَن على قتل رجل واحد من المسلمين لأَكَبَّهم الله على مَنَاخِرِهم فى النار » فكيف يكون حال مَن قتل أعلام المسلمين ، وسادات المهاجرين ، بَلْهَ[٣] ماطَحَنَتْ رَحَى حربه من أهل القرآن ، وذوى العبادة والإيمان ، من شيخ كبير ، وشابٍّ غَرِيرٍ[٤] ، كلُّهم بالله تعالى مؤمن ، وله مُخْلِص ، وبرسوله مُقِرٌّ عارفٌ ، فإن كنت ــ أبا حسن ــ إنما تحارب على الإمرة والخلافة ، فلعَمْرِى لو صَحَّت خلافتك لكنت قريباً من أن تُعْذَر فى حرب المسلمين ، ولكنها ما صَحَّتْ لك ، أَنَّى بصحَّتِها ، وأهلُ الشأم لم يدخلوا فيها ، ولم يرتضوها ؟ وخَفِ اللهَ وسَطَواتِه ، واتَّقِ بأسه ونَكالَه ، وأغمِدْ سيفَك عن الناس ، فقد واللهِ أكلتهم الحربُ ، فلم يبْقَ منهم إلا كالثَّمْدِ[٥] فى قَرارة الغَدِير ، والله المستعان » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٣٠٢)

---

(١) هو مثل . يقولون : شق عصاهم ، أى فرق جماعتهم : وأصل العصا : الاجتماع والائتلاف ، وذلك أنها لاتدعى عصا حتى تكون جميعا ، فإن انشقت لم تدع عصا ، فالمعنى : شق اجتماعهم وائتلافهم ، قالوا : وأصل هذا أن الحاديين يكونان فى رفقة ، فإذا فرقهم الطريق شقت العصا التى معهما ، فأخذ هذا نصفها وهذا نصفها ، يضرب مثلا لكل فرقة .

(٢) تمالئوا على الأمر اجتمعوا ، وكبه وأكبه وكبكبه : قلبه وصرعه ، والمناخر جمع منخر بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما وكمجلس : وهو الأنف .

(٣) قال جماعة من أهل اللغة : بله معناها على ، وقال الفراء : من خفض بها جعلها بمنزلة على وما أشبهها من حروف الخفض ، فالمعى : رد قتاله أعلام المسلمين على طحن رحى حربه أهل القرآن ، وضمه إليه ، وذكر النحويون أن بله تستعمل اسم فعل بمعى اترك فينصب مابعدها بالمفعولية (والمعنى حينئذ : دع واترك طحن رحى حربه أهل القرآن وذوى العبادة ، فإنه أشد وأفظع) ومصدرا بمعنى الترك فيجر مابعدها بالإضافة ، واسم استفهام بمعى كيف . فتكون خبرا مقدما ويرفع مابعدها على الابتداء .

(٤) الغرير والغر بالكسر : الشاب لا تجربة له .

(٥) الثمد كشمس وسبب وكتب : الماء القليل لامادة له .

٤٤٤ — رد عليّ على معاوية

فكتب عليّ عليه السلام إليه جوابًا عن كتابه :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما بعدُ : فقد أتتنى منك مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَة(١) ، ورسالة مُحَبَّرة ، نَمَّقْتَها بضلالك ، وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتابُ امرئٍ ليس له بَصَرٌ يَهديه ، ولا قائِدٌ يُرْشِده ، قد دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتَّبَعَه ، فهَجَرَ(٢) لاغِطًا ، وضَلّ خابطًا ، فأما أَمْرُك لى بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها ، وأستعيذُ بالله من أن أكون من الذين إذا أُمِروا بها أخذَتْهم العِزَّةُ بالإثم ، وأما تحذيرُك إياى أن يَحْبَطَ عملى وسابقتى فى الإسلام ، فلعمرى لو كنتُ الباغِيَ عليك ، لكان لك أن تحذِّرَنى ذلك ، ولكنى وجدت الله تعالى يقول: « فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ(٣) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » فنظَرْنا إلى الفئتين ، أما الفئة الباغية فوجدناها الفئة التى أنت فيها ، لأن بَيْعَتى بالمدينة لزِمَتك وأنت بالشأم ، كما لزِمَتْك بَيْعة عثمان بالمدينة ، وأنت أمير لعُمَر على الشأم ، وكما لزِمَتْ يزيدَ أخاك بيعةُ عمر ، وهو أميرٌ لأبى بكر على الشأم .

وأما شَقُّ عصا هذه الأمة ، فأنا أحق أن أنهاك عنه ، فأما تخويفك لى من قتل أهل البغى ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنى بقتالهم وقتلهم

---

(١) أى ملفقة من كلام مختلف جمع من هاهنا وهاهنا ووصل بعضه ببعض فبدا متكافا غير متسق ، ومحبرة : أى محسنة مزينة ونمق الكتاب : حسنه وزينه أيضا .

(٢) هجر فى نومه ومرضه هجرا بالضم : أى هذى ، واللاغط : ذو اللغط (كشمس وسبب) وهو الصوت والجلبة ، أو أصوات مبهمة لاتفهم ، وخبط البعير فهو خابط : إذا مشى ضالا فخبط بيديه كل ما يلقاه لايتوقى شيئاً .

(٣) أى ترجع .

وقال لأصحابه : « إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله» وأشار إلىّ ، وأنا أوْلَى من اتَّبعَ أمره ، وأما قولك إن بيعتى لم تصح ، لأن أهل الشأم لم يدخلوا فيها ، فكيف ؟ وإنما هى بيعة واحدة ، تَلْزَم الحاضرَ والغائبَ ، لا يُثَنَّى[1] فيها النظر ، ولا يُسْتَأنَفُ فيها الخِيار[2] ، الخارِجُ منها طاعِنٌ[3] ، والمُرَوِّى[4] فيها مُداهِنٌ ، فارْبَعْ على ظَلْعك ، وانْزِعْ سِرْبال غَيِّك ، واترك مالا جَدْوَى له عليك ، فليس لك عندى إلا السيف ، حتى تَفِئ إلى أمر الله صاغِرًا ، وتدخل فى البيعة راغمًا[5] ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٣٠٢ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥)

٤٤٥ — كتاب معاوية إلى علىّ

وكتب معاوية إلى على ثانية (قبل ليلة الهرير[6] بيومين أو ثلاثة)

---

(١) أى لاينظر فيها ثانية . (٢) أى لاخيار لمن عقدها ولا لغيرهم فيها بعد عقدها .

(٣) أى طاعن على الأمة التى ولت الإمام باختيارها .

(٤) روّى فى الأمر نظر وفكر ، أى الذى يفكر ويروّى فيها ويبطئ عن الطاعة مداهن أى منافق . (٥) أى ذليلا .

(٦) بدأ القتال بين على ومعاوية فى وقعة صفين يوم الأربعاء غرة صفر سنة ٣٧ هـ ، واستمر عشرة أيام إلى يوم الجمعة عاشر صفر ، وقد اقتتل الناس ليلة الجمعة كلها حتى الصباح ، حتى تقصفت الرماح ونفد النبل وصار الناس إلى السيوف ، وأصبح صباح الجمعة . والناس يقتتلون من كل جانب ، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها ، وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ثم كانت مكيدة عمرو بن العاص برفع المصاحف على رءوس الرماح على ماهو مشهور ، وقد سميت ليلة الجمعة المذكورة (ليلة عاشر صفر) بليلة الهرير — انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٢٦ ومروج الذهب ٢ : ٢٧ وليست هذه التسمية بالأولى فى بابها ، فقد سبق أن سميت ليلة من ليالى وقعة القادسية (وكانت سنة ١٤ هـ) بليلة الهرير ، جاء فى معجم البلدان لياقوت ٧ : ٧ « ذكر أصحاب الفتوح أن القادسية كانت أربعة أيام ، فسموا الأول يوم أرماث ، واليوم الثانى يوم أغواث ، واليوم الثالث يوم عماس (وضبطه ياقوت فى معجمه بالكسر) وليلة اليوم الرابع ليلة الهرير ، واليوم الرابع سموه يوم القادسية ، وفيه كان الفتح للمسلمين ، وقتل رستم ولم يقم للفرس بعده قائمة » وجاء فى تاريخ الطبرى ٤ : ١٣١ و ١٣٢ « واجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى الصباح لاينطقون ، كلامهم الهرير ،

يسأله إقراره على الشأم ، وذلك أن عليًّا عليه السلام قال: لأناجزنّهم (١) مُصْبحاً ، وتناقل الناس كلمته ، ففزع أهل الشأم لذلك ، فقال معاوية : قد رأيت أن أعاود عليًّا وأسأله إقرارى على الشأم ، فقد كنت كتبت إليه فى ذلك فلم يجب إليه ، ولأكتبنّ ثانية ، فألقى فى نفسه الشك والرّقة ، فكتب إليه :

فسميت ليلة الهرير » وجاء فيه أيضا « وأصبحوا ليلة القادسية وهى صبحه ليلة الهرير ، وهى تسمى ليلة القادسية من بين تلك الأيام ، والناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها .. » — ويطلق الهرير على صوت غير الكلب ، ومنه الحديث « إنى سمعت هريرا كهرير الرحى » أى صوت دورانها ، انظر لسان العرب مادة هرر — ومن قبل وقعة القادسية سمت العرب « يوم الهرير » أيضا ، جاء فى القاموس المحيط فى مادة هرر «ويوم الهرير :يوم بين بكر بن وائل وتميم ، قتل فيه الحرث بن بيبة سيد تميم» وجاء فى معجم ياقوت ٨ : ٤٦١ « والهرير من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهرّ السباع ، وهو صوت دون النباح ، ويوم الهرير من أيامهم ماأظنه سمى إلابذلك ، إلا أنه كان الأغلب على أيامهم أن يسمى بالمكان الذى يكون فيه ذلك ، وهو من أيامهم القديمة قبل يوم الهرير بصفين كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبين بنى تميم قتل فيه الحرث بن بيبة المجاشعى . . الخ » وورد فى مجمع الأمثال للميدانى فى باب أسماء أيام العرب ٢: ٢٦٩ « يوم الهزبر» مضبوطا بوزن اسم الأسد وهو تصحيف ، ولم يذكره صاحب العقد بين أيام العرب — راجع الجزء الثالث — ولا صاحب صبح الأعشى — راجع الجزء الأول —

وتتمة للفائدة أقول : قال ياقوت فى معجمه عند الكلام على أسماء أيام القادسية « أرماث وأغواث وعماس » : ولا أدرى : أهذه الأسماء مواضع ، أم هى من الرمث والغوث والعمس اه ج ١ : ص ٢٩٦ (والرمث كسبب : خشب يضم بعضه إلى بعض ويشد ثم يركب فى البحر ، وجمعه أرماث ، والعمس كسبب أيضا : الشدة ، وأمر عمس كشمس وعماس كسحاب : شديد مظلم لايدرى من أين يؤتى له) وأقول : لعل تسمية اليوم الأول بيوم أرماث أن رستم قائد الفرس لما أراد عبور نهر العتيق ، أمر بسكره (وسكر النهر كنصر سدّه) فباتوا ليلتهم يسكرونه حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع والأمتعة حتى جعلوه طريقا (انظر تاريخ الطبرى ٤ : ١١٢) وذلك أشبه بالأرماث ولعل تسمية اليوم الثانى بيوم أغواث : أنه قدم على المسلمين فيه مدد من الشام ، بعثه أبو عبيدة بأمر عمر ، وعليه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو (تاريخ الطبرى ٤ : ١٢٠) فكان ذلك المدد غوثا لهم ، ولعل تسمية اليوم الثالث بيوم عماس ، لما كان فيه من الشدة ، ولم يكن فى أيام القادسية مثله (تاريخ الطبرى ٤ : ١٢٦) .

(١) المناجزة : المعاجلة فى القتا ، وقد ذكروا أنه بعد انتهاء القتال يوم الثلاثاء سابع أيام صفين قال على : حتى متى لاتناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم خرج إليهم فى اليوم الثامن يوم الأربعاء بنفسه (انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٧ ومروج الذهب ٢ : ٢٠) .

« أما بعدُ : فإنك لو علِمتَ وعلمنا أن الحرب تبلُغُ بنا وبك ما بَلَغَتْ ، لم يَجْنِها بعضُنا على بعض ، ولئن كنا قد غُلِبْنا على عقولنا ، لقد بقي لنا منها ما نَنْدم[1] به على ما مَضَى ، ونُصْلِح به ما بَقِيَ ، وقد كنت سألتك الشأم على أن لا تلزمَنى لك بيْعة وطاعة ، فأبيْتَ ذلك علىّ ، فأعطانى الله مامَنعتَ ، وأنا أدعوكَ اليومَ إلى ما دعوتُك إليه أمسِ ، فإنى لا أرجُو من البقاء إلا ما ترجو ، ولا أخاف من الفناء[2] إلا ما تخاف ، وقد واللهِ رقَّتِ الأجنادُ ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مَنافٍ ليس لبعضنا على بعض فضلٌ ، إلاَّ فضلٌ لا يُستذَل به عزيزٌ ، ولا يُستَرَقُّ به حُرٌّ ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٤٢٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٠ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٨)

٤٤٦ — رد علىّ على معاوية

فأجابه علىّ :

« أما بعدُ : فقد جاءنى كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يَجْنِها بعضنا على بعض ، فإنى[3] لو قُتِلْتُ فى ذات اللهِ وحَيِيت ، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة ، لم أرجِع عن الشدة فى ذات الله ، والجهاد لأعداء الله ، وأما قولك إنه قد بقى من عقولنا ما نندم به على مامضى ، فإنى ما تنقَّصْت[4] عقلى ، ولا نَدِمْت على فعلى ، وأما طلبُك[5] إلىّ الشأم ،

(١) فى الإمامة والسياسة « مانقم به مامضى » وفى مروج الذهب « مانرد به مامضى » .
(٢) فى مروج الذهب « من القتال » وفى ابن أبى الحديد « من الموت » .
(٣) وفى الإمامة والسياسة « وأنا وإياك فى غاية لم نبلغها بعد » وفى مروج الذهب « وأنا وإياك نلتمس منها غاية لم نبلغها بعد » .
(٤) انتقصه وتنقصه واستنقصه : نسب إليه النقصان ، وفى الأصل « شرح ابن أبى الحديد » ماقصت ، وأراه محرفا لأن تنقص وانتقص أدل على المعنى المراد هنا . (٥) طلب إليه : رغب .

فإنى لم أكن لأُعطِيَك اليومَ ما منعتك أمس ، وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حُشاشات[1] أنفسٍ بقيَتْ ، ألاَ ومَن أكله الحقُّ فإلى الجنة[2] ، ومن أكله الباطل فإلى النار ، وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء ، فلست بأَمْضَى على الشك منى على اليقين ، وليس أهل الشأم بأَحْرَصَ على الدنيا من أهل العراق على الآخرة ، وأما قولك إنَّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل ، فلعمرى إنا بنو أب واحد ، ولكن ليس أُمَيَّة كهاشم[3] ، ولا حَرْب كعبد المطلب[4] ، ولا أبو سفيان كأَبى طالب ،

---

(١) جمع حشاشة : وهى بقية الروح فى المريض .

(٢) معناه : من هلك فى سبيل الحق والدفاع عنه فصيره إلى الجنة ، وكذا مابعده ، وقال ابن أبى الحديد : « وروى : ألا ومن أكله الحق فإلى النار ، وهذه الرواية أليق من الرواية المذكورة فى أكثر الكتب ، لأن الحق يأكل أهل الباطل ، ومن روى تلك الرواية أضمر مضافا تقديره أعداء الحق ومضافا آخر ، ويجوز أن يكون من أكله الحق فإلى الجنة أى من أفضى به الحق ونصرته والقيام دونه إلى القتل فإن مصيره إلى الجنة . . . » .

(٣) ولى هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة (والسقاية : إسقاء الحجيج الماء العذب ، والرفادة بالكسر : خرج كانت قريش تخرجه فى كل موسم من أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولازاد) فحسده أمية بن عبد شمس بن عبدمناف على رياسته وإطعامه ، وكان ذامال ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش ، فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره ، فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة سود الحدق ينحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضى بذلك أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى — وهو جد عمرو بن الحمق ، ومنزله بعسفان بالضم : موضع على مرحلتين من مكة — وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهرى ، وكانت ابنته عند أمية ، فقال الكاهن « والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر (والعلم بالتحريك : مانصب فى الطريق يهتدى به) من منجد وغائر (وأنجد : أتى نجدا ، وغار وأغار : أتى غورا) لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أول منه وآخر ، وأبو همهمة بذلك خابر » فقضى لهاشم بالغلبة ، وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشأم عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية — انظر تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ والسيرة الحلبية ١ : ٤ وتاريخ الطبرى ٢ : ١٨٠ .

(٢) حرب هو حرب بن أمية جد معاوية ، وعبد المطلب جد على ، وقد تنافرا أيضا . وسبب ذلك أن عبد المطلب كان لمجار يهودى يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فغاظ ذلك حرب بن أمية ، وكان

ولا المهاجِرِ كالطَّلِيق[١]، ولا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ[٢]، ولا المُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، ولا المؤمن كَالْمُدْغِلِ[٣]، ولَبِئْسَ الخَلَفُ خلف يتبع سَلَفاً هَوَى فى نار جهنم[٤].

نديم عبد المطلب، فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله، فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار، وصخر بن عمرو بن كعب التيمى جد أبى بكر، ولم يعرف عبد المطلب قاتله، فلم يزل يبحث حتى عرفهما، وإذاهما قد استجارا بحرب بن أمية، فأتى حربا ولامه، وطلبهما منه فأخفاهما، فتغالظا فى القول، حتى تنافرا إلى النجاشى ملك الحبشة فأبى أن ينفر بينهما (نفره عليه: قضى له عليه بالغلبة) فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح، فقال لحرب: «يا أبا عمرو: أتنافر رجلا هوأطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة (والوسامة بالفتح: الحسن والجمال) وأقل منك ملامة، وأكثر منك ولدا، وأجزل صفدا (والصفد بالتحريك: العطاء) وأطول منك مذودا (والمذود كمنبر: اللسان) وإنى لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت فى العرب، جلد المريرة (أى العزيمة) جليل العشيرة، ولكنك نافرت منفرا» فغضب حرب وقال: إن من انتكاس الزمان أن جعلت حكما، فترك عبد المطلب منادمة حرب، ونادم عبد الله بن جدعان، وأخذ من حرب مائة ناقة، فدفعها إلى ابن عم اليهودى، وارتجع ماله إلا شيئا هلك فغرمه من ماله — انظر تاريخ الطبرى ج ٢ : ١٨١ وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ .

فقد بان لك وجه التنظير فى قول الإمام، وقال ابن أبى الحديد: «وكان الترتيب يقتضى أن يجعل هاشما بإزاء عبد شمس لأنه أخوه فى قعدد (والقعدد كبرثن: القربى) وكلاهما ولد عبد مناف لصلبه، وأن يكون أمية بإزاء عبد المطلب وأن يكون حرب بإزاء أبى طالب وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام، لأن كل واحد من هؤلاء فى قعدد صاحبه، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان فى صفين بإزاء معاوية اضطر إلى أن جعل هاشما بإزاء أمية بن عبد شمس» وهذا القول ليس هناك لما قدمنا، ولأن سلسلتى نسب على ومعاوية إلى عبد مناف ليستا متكافئتين بطبيعتهما، فهى تزيد فى معاوية حلقة، فمعاوية هو ابن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وعلى هو ابن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فكيف يكون التنظير على قول ابن أبى الحديد؟

(١) يعنى بالمهاجر: نفسه، وبالطليق: معاوية، وقد تقدم ذلك، وفسره الأستاذ الشيخ محمد عبده فقال: «والمهاجر: من آمن فى المخافة وهاجر تخلصا منها» وأقول إن التنظير الذى تنطق به عبارة الإمام على يقتضى التخصيص لا التعميم .

(٢) أصل اللصيق: المدعى فى قوم الملصق بهم وليس منهم، والمراد به هنا اللصيق فى الإسلام، فالصريح فيه: من أسلم اعتقادا وإخلاصا، واللصيق فيه: من أسلم كرها أو رغبة فى الدنيا وقد صرح بذلك بعد فقال: كنتم ممن دخل فى هذا الدين إما رغبة وإما رهبة .

(٣) أدغل فى الأمر: أدخل فيه مايفسده، والدغل بالتحريك: الفساد .

(٤) لايعيب على معاوية بأن سلفه كانوا كفارا، بل بكونه متبعا لهم، فقد نهج فى معاداة على نهج أجداده فى معاداة أجداد على .

وفى أيدينا بعدُ فضلُ النبوّة التى أذلَلْنا بها العزيز ، ونَعَشْنا[1] بها الذليلَ ، ولما أدخل الله العربَ فى دينه أفواجا ، وأسلَمتْ له هذه الأمة طَوعا وكَرْها ، كنتم ممن دخل فى الدين إما رغبةً وإما رهبةً ، على حينَ فاز أهل السبق بسبقهم ، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً ، ولا على نفسك سبيلاً » .

(شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص ٤٢٤ ، ونهج البلاغة ٢ : ١٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٦١ ، والإمامة والسياسة ١ : ٨٨)

٤٤٧ — كتاب معاوية إلى على

واشتد القتال بين الفريقين ليلة الهَرِير ، واقتتل الناس تلك الليلةَ كلَّها حتى الصباح ، ولما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق اشتد ، وخاف فى ذلك الهلاك ، دعاهم إلى تحكيم كتاب الله ، فرفع أصحاب معاوية المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله عزّ وجل بيننا وبينكم ، فوقعت الفُرقة بين أصحاب على ، فريق يقول : نُجيب إلى كتاب الله ونُنِيبُ إليه ، وفريق يأبَى إلا القتال حتى يتم الأمر ، ويرَون أنّ رفع المصاحف خُدعة ، وعلىٌّ فى جانب هؤلاء ، ورَجَحت كِفّة الفريق الأول ، فأجاب علىّ إلى التحكيم على كُرْه منه .

---

(١) وفى رواية « وأعززنا » ونعشه كمنعه وأنعشه ونعشه : رفعه ، والأفواج : جمع فوج ، وهو الجماعة من الناس .

وكتب معاوية إلى على :

« أما بعدُ : فإن هذا الأمر قد طال بيننا وبينك ، وكل واحد منا يَرَى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يُعْطِىَ واحد منا الطاعة للآخر ، وقد قُتِل فيما بيننا بَشَر كثير ، وأنا أتخوّف أن يكون ما بَقِى أشدَّ مما مَضى ، وإنا سوف نُسْأل عن هذه المواطن ، ولا يُحاسَب غيرى وغيرك ، وقد دعوتك إلى أمر لنا ولك فيه حَياةٌ وعُذْر وبَراءةٌ وصلاح للأمة ، وحَقْن للدماء، وأُلْفَة للدين ، وذهاب للضغائن والفتن: أن نحكِّم بيني وبينكم حَكَمَين مَرْضِيَّيْن ، أحدهما من أصحابى ، والآخر من أصحابك ، فيحكُمان بيننا بما أنزَلَ الله ، فهو خير لى ولك ، وأقْطَع لهذه الفتن ، فاتّق الله فيما دُعِيتَ إليه ، وارضَ بحكم القرآن إن كنت من أهله ، والسلام » ،

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٨)

٤٤٨ — رد علىّ على معاوية

فكتب إليه على عليه السلام :

«من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان : أما بعد فإن أفضل ما شَغَل به المرء نفسَه اتباعُ ما حَسُن به فعلُه ، واستوجب فضلَه ، وسَلِم من عيبه ، وإن البغى والزُّورَ يُزْريان[1] بالمرء فى دينه ودنياه ، ويُبْديان خَلَلَه عند من يَعِيبه ، فاحذر الدنيا فإنه لا فَرَح بشىء وصلتَ إليه منها ، ولقد

(١) وفى رواية : يوتغان أى يهلكان ، والوتغ بالتحريك: الهلاك والإثم ، وفعله كوجل ، وأوتغه الله : أهلكه ، وأوتغ دينه بالإثم : أفسده ، وفى رواية أخرى « يذيعان ».

علمتَ أنك غيرُ مُدْرِكٍ ما قُضِي فَواتُه ، وقد رام قوم أمراً بغير الحق فتأوّلوا[1] على الله جل وعزّ فأكذبَهم وَمَتَّعهم قليلا ، ثم اضْطرّهم إلى عذاب غليظٍ ، فاحذَرْ يومًا يَغْتَبِطُ[2] فيه من أَحْمَدَ عاقبةَ عملِه، ويندم فيه من أمكَن الشيطانَ من قياده فلم يجاذِبْه ، وغرّته الدنيا ، واطمأن إليها .

ثم إنك قد دعوتني إلى حُكْم القرآن ، ولقد علِمْتُ أنك لست من أهل القرآن ، ولا حُكْمَه تريدُ ، والله المستعان ، ولسنا إياك أجَبْنَا ، ولكنا أجَبْنا القرآنَ في حُكمه ، ومن لم يَرْضَ بحكم القرآن فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٨ ، ونهج البلاغة ٢ : ٥٦)

٤٤٩ — رد معاوية على عليّ

فكتب معاوية إلى عليّ :

« أما بعدُ : عافانا الله وإياك ، فقد آنَ لك أن تُجيب إلى ما فيه صلاحُنا وأُلْفة بيننا ، وقد فعلتُ الذي فعلتُ ، وأنا أعرِف حق ، ولكني اشتريتُ بالعَفو صلاحَ الأمة ، ولم أُكْثِر فرَحا بشيء جاء ولا ذهب ، وإنما أدخلني في هذا الأمر ، القيامُ بالحق فيما بين الباغي والمبغيّ عليه ، والأمرُ بالمعروف ، والنهيُ عن المنكر ، فدعوتُ إلى كتاب الله فيما بيننا وبينك ، فإنه

---

(١) أي تعلقوا بشبهة في تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم وآرائهم ، فأكذبهم الله بأن أظهر للعقلاء فساد تأويلهم ، وفي رواية (فتألوا على الله) وتألى : أقسم كائتلي وآلى ، وفي الحديث « من تألى على الله أكذبه الله » ومعناه : من أقسم تجبرا واقتدارا لأفعلن كذا أكذبه الله ولم يبلغه أمله .

(٢) يغتبط أي يفرح ويسر ، والغبطة بالكسر : السرور ، وفي رواية « يغبط فيه » أي يتمنى مثل حاله ، وأحمد أمره : صار عنده محمودا .

لا يجمعنا وإياك إلا هو ، نُحْيِي ما أحيا القرآن ، ونُميت ما أمات القرآن ، والسلام» . (شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ١٨٩)

٤٥٠ — كتاب على إلى عمرو بن العاص

فكتب علىّ عليه السلام إلى عمرو بن العاص ـ وهو أول كتاب كتبه إليه ـ :

« أمّا بعدُ : فإن الدنيا مَشْغَلَة عن الآخرة ، وصاحِبها مَنْهوم عليها[1] ، لم يُصِبْ شيئاً منها قَطُّ إلا فتَحَتْ له حِرْصاً عليها ، ولَهَجاً بها[2] ، وأدخلَتْ عليه مُؤْنة تَزيده رغبةً فيها ، ولن يستغنِيَ صاحِبُها بما نال فيها عما لم يَبْلُغه منها ، ومن وراء ذلك فِراقُ ما جَمَع ، ونَقْضُ ما أبْرَمَ ، والسعيد مَن وُعِظ بغيره ، فلا تُحْبِط[3] أجْرَكَ أبا عبد الله ، ولا تَشْرَكْ معاويةَ فى باطله ، فإن معاوية غَمَصَ[4] الناسَ ، وسَفِه الحَقّ ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ١٨٩ ، وم ٤ ص ١١٤ ، ونهج البلاغة : ٢ : ٥٦)

٤٥١ — رد عمرو على علىّ

فكتب إليه عمرو جوابه :

« أما بعدُ : فإن الذى فيه صَلاحُنا ، وأُلْفَةَ ذاتِ بيننا الإنابة[5] إلى الحق

---

(١) من النهم بالتحريك ، وهو الشره وإفراط الشهوة فى الطعام .

(٢) لهج بالأمر كفرح : أغرى به فثابر عليه ، والمؤنة والمثونة . الثقل . (٣) أحبطه : أفسده .

(٤) غمصه كضرب وسمع وفرح : احتقره وعابه وتهاون بحقه ، وسفه الحق : جهله .

(٥) أى الرجوع ، وفى رواية أخرى «أن تنيب إلى الحق ، وأن تجيب إلى ما تدعوكم إليه من الشورى»

وقد جَعَلْنا القرآنَ بيننا حَكَماً ، وأجَبْنا إليه ، فصَبَرَ[1] الرجلُ منّا نفسَه على ما حكم عليه القرآن ، وعَذَرَه النّاس بعد المُحاجَزة ، والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩ ، وم ٤ : ص ١١٤)

٤٥٢ — رد عليّ على عمرو

فكتب إليه على :

« أما بعدُ : فإنّ الذى أعجَبَك من الدنيا مما نازَعْتك إليه نفسُك ، ووثِقْتَ به منها ، لمنقلِبٌ عنك ، ومفارق لك ، فلا تطمئِنَّ إلى الدنيا فإنها غرّارة ، ولو اعتبرتَ بما مَضَى لحفِظتَ ما بقى ، وانتفعتَ منها بما وُعِظْت به والسلام » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩)

٤٥٣ — رد عمرو على عليّ

فأجابه عمرو :

« أما بعدُ : فقد أنصفَ مَن جَعَلَ القرآنَ إمامًا ، ودعا الناس إلى أحكامه ، فاصبِرْ أبا حسن ، فإنا غير مُنِيليك إلاّ ما أنالك القرآنُ ، والسلام » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٨٩)

٤٥٤ — رد على على عمرو

وفى رواية أخرى أن عليًا كتب إلى عمرو كتابًا غليظًا جوابًا عن رده الأول ، وهو :

---

(١) أى أمسكها وحبسها عليه .

« أما بعد : فإنك قد جعلتَ دينَك تبعًا لدُنْيا أمرِىءٍ[1] ظاهرٍ غيُّه ، مهتوكٍ سِتْرُه[2] ، يَشِينُ الكريمَ بمجلِسه[3] ، ويُسَفِّه الحليم بخِلْطته ، فاتَّبعْتَ أثَرَه ، وطَلَبْتَ فضلَه ، اتّباعَ الكلب للضِّرْغام ، يلوذُ بمخالبه ، وينتظر ما يُلقِي إليه من فَضْل فريسته، فأذهبتَ دنياكَ وآخرتك ، ولو بالحق أخذتَ ، أدركتَ ما طلبتَ[4] ، فإن يُمْكِنِ الله منك ومن ابن أبى سفيان ، أَجْزِكما بما قدَّمتما ، وإن تُعْجِزا[5] وتَبْقيا فما أمامكما شرٌّ لكما ، والسلام » .

(نهج البلاغة ٢ : ٤٥)

صـــــورة أخرى

وقال ابن أبى الحديد فى شرح النهج :

ذكر نصر بن مُزاحِم فى كتاب صِفِّين هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرَّضِىّ . قال نصر :

كتب علىّ عليه السلام إلى عمرو بن العاص :

« من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى الأَبْتَر بن الأَبْتَر عمرو بن العاص

---

(١) انظر ما قدمناه فى ص ٣٨٩ .

(٢) فقد كان معاوية يعلن الملأ أن غضبته تلك إنما هى غضبة لمقتل عثمان ، وأن نهضته ليست إلا للثأر به ، ويخفى فى نفسه مايطمح إليه من التوثب إلى الخلافة والتربع فى دستها ، ولم يخف على علىّ أمره وتوهيمه .

(٣) فطالما شتم بنى هاشم وقذفهم فى مجلسه ، والخلطة بالكسر : العشرة ، والضرغام : الأسد .

(٤) كان عمرو يطلب ملك مصر ، وقد عاقد معاوية على نصرته على أن يجعل له مصر طعمة كما قدمنا ، ولم يكن علىّ لينيله مأربه ، فعنى أدركت ماطلبت أى فى الآخرة فإن ثواب الله فيها خير من عرض زائل بائد .

(٥) أى وإن تعجزانى أو تبقيا بعدى فما أمامكما من عقاب الله شر لكما من جزائى.

أبنِ وائل ، شانئ محمد وآل محمد فى الجاهلية والإسلام[1] .

سلام عَلَى من اتبع الهُدَى ، أما بعد : فإنك تركت مُرُوءتَك لأمرئٍ فاسقٍ مهتوكِ سِتْرُهُ ، يَشِين الكريم بمجلسه ، ويُسَفِّه الحَلِيمَ بخِلْطته ، فصار قلبك لقلبه تَبَعاً ، كما قيل : « وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَةَ[2] » ، فسلَبَك دينَك وأمانتك ، ودنياكَ وآخرتَك ، وكان عِلْم الله بالغاً فيك ، فصرتَ كالذئب يتبع الضِّرْغام إذا ما الليل دَجا[3] أو أتى الصبح ، يلتمس فاضِلَ سُؤْرِه ، وحَوايا فريسته ، ولكن لا نجاةَ من القدر ، ولو بالحق أخذتَ لأدركتَ ما رجوْتَ ، وقد

---

(١) الشانئ : المبغض ، ويسهل ، وذلك أن العاص بن وائل سمى النبي صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه القاسم فنزل فيه « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » أى المنقطع عن كل خير الذى لا يفوز بالذكر الحسن بعد موته ، وأما أنت يامحمد فسيبقى حسن ذكرك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ، فهو الأبتر لا أنت

(٢) هو مثل ، وذلك أنه كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شن ، فقال : والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلى أتزوجها ، فبينما هو فى بعض مسيره إذ وافقه رجل فى الطريق ، فسأله شن : أين تريد ، فقال : موضع كذا ، يريد القرية التى يقصدها شن فرافقه حتى أخذا فى مسيرهما ، قال له شن : أتحملنى أم أحملك ؟ فقال له الرجل : ياجاهل ، أنا راكب وأنت راكب فكيف أحملك أو تحملنى ؟ فسكت عنه شن ، وسارا حتى إذا قربا من القرية وإذا بزرع قد استحصد (أى آن له أن يحصد) ، فقال شن : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال له الرجل : ياجاهل ، ترى نبتا مستحصدا فتقول : أكل أم لا ! فسكت عنه شن ، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة ، فقال شن : أترى صاحب هذا النعش حيا أو ميتا ؟ فقال له الرجل : مارأيت أجهل منك ، ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حىّ ! فسكت عنه شن ، فأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله ، فمضى معه ، وكان للرجل بنت يقال لها طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه ، فأخبرها بمرافقته إياه ، وشكا إليها جهله وحدّثها بحديثه ، فقالت : يا أبت ماهذا بجاهل : أما قوله أتحملنى أم أحملك ، فأراد أتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع طريقنا ؟ وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ، فأراد : أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما قوله فى الجنازة ، فأراد أترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقعد مع شن فحادثه ساعة ، ثم قال : أتحب أن أفسر لك ماسألتنى عنه ؟ قال : نعم ، فسره ، قال شن : ماهذا من كلامك ، فأخبرنى من صاحبه ؟ قال : ابنة لى ، فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شنّ طبقة ، فذهبت مثلا يضرب للمتوافقين .

(٣) دجا الليل : أظلم ، والسؤر : البقية والفضلة ، والحوايا : جمع حوية كقضية ، وهى ماتحوى أى استدار من الأمعاء .

رشِد مَن كان الحق قائده ، فإنْ يُمكِنِ الله منك ومن ابن آكلة الأكباد[1] ألحقتكما بمَن قتَلَه الله مِن ظَلَمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن تُعجِزا وتبقَيا بعدى ، فالله حَسْبُكما ، وكفى بانتقامِهِ انتقاما ، وبعقابه عِقابًا ، والسلام » . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٦١)

٤٥٥ — كتاب الصلح بين عليّ ومعاوية

وتوافَق الفريقان على أن يُقيما حَكَمين بينهما ، ويعملا بما يتفقان عليه ، فأقام معاوية عمرو بن العاص حكما عنه ، وأقام على أبا موسى الأشعَرىّ حكما عنه ، — على كُرْه منه أيضاً — فاتفق الحكمان على أن يُكتب بينهما كتاب بعقد الصلح ، واجتمعا عند علىّ رضى الله عنه ، وكتب كتاب القضية بينهما بحَضْرته ، فكتب فيه بعد البسملة : « هذا ما تقاضى عليه علىّ أمير المؤمنين » . فقال عمرو : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم ، فأمّا أميرنا فلا ، فقال له الأحنف : لا تمحُ اسم إمارة المؤمنين ، فإنى أتخوف إن محوتَها أن لا ترجع إليك أبداً ، لا تمحُها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً ، فأبى ذلك علىّ مَلِيًّا من النهار ، ثم إن الأشعث بن قيس قال : امحُ هذا الاسم ، فأجاب علىّ ومحاه ، ثم قال علىّ : الله أكبرُ ! سُنّة بسُنّة ، ومَثَل بمَثَل ، واللهِ إنى لكاتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُدَيْبِية ، فكتبت محمد رسول الله ، فقالوا : لستَ برسول الله ولا نشهد لك به ، ولكن

---

(١) آكلة الأكباد : هى هند بنت عتبة أم معاوية ، وذلك أنها بعد انتهاء غزوة أحد — وكان قد قتل فيها حمزه عم النبى صلى الله عليه وسلم كما قدمنا — بقرت بطنه وأخرجت كبده لتأكلها ، تشفيا منه وانتقاما لقتلى بدر — فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

أكتب أسمك وأسم أبيك ، فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه ، فقلت : لا أستطيع أفعل ! فقال : إذن أرنيه ، فأريته فمحاه بيده وقال : إنك ستُدْعَى إلى مثلها فتجيب ، ثم كتب الكتاب :



« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضَى عليه علىُّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، قاضَى علىٌّ على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاضَى معاوية على أهل الشأم ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حُكْم الله عزّ وجل وكتابه ، ولا يجمع بيننا غَيْرُهُ ، وإن كتاب الله عزّوجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نُحْيِي ما أحيا ، ونُمِيت ما أمات ، فما وَجَد الحَكَمان فى كتاب الله عز وجل — وهما أبو موسى الأشعرىّ عبد الله بن قَيْس ، وعمرو بن العاص القرشىُّ — عَمِلا به ، وما لم يجدا فى كتاب الله عز وجل ، فالسُّنَّة العادِلَةُ الجامِعةُ غيرُ المُفَرِّقة ، وأَخَذَ الحَكَمان من علىّ ومعاوية ، ومن الجُنْدين من العهود والميثاق والثِّقة من النَّاس أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأمةُ لهما أنصارٌ على الذى يتقاضيان عليه .

وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عَهْدُ الله وميثاقه ، أنا على ما فى هذه الصحيفة ، وأَنْ قد وجَبَتْ قضيَّتهما على المؤمنين ، فإن الأَمن والاستقامة ، ووَضْعَ السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأَموالهم وشاهدهم وغائبهم .

وعلى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص عَهْدُ الله وميثاقُه أن يحكما بين هذه الأمة بالحق لا بالهوَى . ولا يَرُدَّاها فى حرب ولا فُرْقة حتى يقضِيا ، وأُجِّل القضاء إلى رمضان ، وإن أَحبَّا أن يؤخِّرا ذلك أخَّراه على تراضٍ منهما، وإن تُوُفِّىَ أحد الحَكَمين فلأمير شيعته أن يختار مكانه ، ولا يألُو من أهل المَعْدَلة[1] والقِسْط ، وإن مكان قضيَّتهما الذى يقضِيان فيه مكانٌ عَدْلٌ بين أهل الكوفه وأهل الشأم ، وإن رَضِيا وأحبا فلا يَحْضُرهما فيه إلا من أرادا ، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود . ثم يكتبان شهادتهما على ما فى هذه الصحيفة ، وهم أنصار على مَن تَرَكَ ما فى هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحادا وظلماً ، اللهم إنا نستنصرك على مَنْ تَرَكَ ما فى هذه الصحيفة » .

شَهِد من أصحاب علىّ : الأشعث بن قَيْس الكِندى ، وعبد الله بن عباس وسعيد بن قيس الهَمْدانى ، ووَرْقاء بن سُمَىّ البَجَلِىّ ، وعبد الله بن مُحِلّ العِجْلِىّ وحُجْر بن عَدِىّ الكِنْدى ، وعبد الله بن الطُّفَيل العامرىّ ، وعُقْبة بن زياد الحَضْرَمىّ . ويَزيد بن حُجَيّة التَّيْمِىّ ، ومالك بن كعب الهَمْدَانىّ .

ومن أصحاب معاوية : أبو الأعور السُّلَمِىّ عمرو بن سفيان ، وحَبيب ابن مَسْلَمة الفِهْرِىّ ، والمُخَارق بن الحارث الزُّبيدى ، وزِمْل بن عمرو العُذْرى وحمزة بن مالك الهَمْدانى ، وعبد الرحمن بن خالد المخزومى ، وسُبَيع بن يزيد الأنصارى ، وعَلْقَمة بن يزيد الأنصارى ، وعُتْبة بن أبى سفيان ، ويزيد ابن الحُرّ العَبْسِىّ » .

---

(١) المعدلة : العدل وكذا القسط .

وكتب كتاب القضية فيما قيل يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ٣٧ من الهجرة .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٢٩ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٧ ، والامامة والسياسة ١ : ٩٨ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص١٩١)

صورة أخرى

وفى رواية أخرى أن نسخة كتاب القضية بين علىّ ومعاوية كانت هكذا

« هذا ما تقاضَى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وشِيعتهما ، فيما تراضَيَا به من الحُكْمِ بكتاب الله وسُنَّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قضيَّةُ علىٍّ على أهل العراقِ ومن كان من شِيعته من شاهِدٍ أو غائب ، وقضيَّةُ معاوية على أهل الشأم ومن كان من شيعته مِن شاهِدٍ أو غائب ، إننا رَضِينا أنْ نَنْزِلَ عند حكم كتاب الله فيما حَكَم ، وأن نقِفَ عند أمْرِه فيما أمر، فإنه لايجمع بيننا إلا ذلك ، وإنا جعَلْنا كتاب الله سبحانه حَكَماً بيننا فيما اختلفنا فيه ، من فاتحته إلى خاتمته ، نُحْيِي ما أحيا ، ونُميت ما أمات ، على ذلك تقاضَيْنا ، وبه تراضَيْنا ، وإن عليّا وشِيعته رَضُوا أن يبعثوا عبد الله بن قيس ناظِرا ومُحاكِما ، ورضِيَ معاوية وشِيعتُه أن يبعثوا عمرو ابن العاص ناظرًا ومُحاكِما ، على أنهم أَخَذوا عليهما عَهْدَ اللهِ وميثاقَه وأعظمَ ما أَخَذ اللهُ عَلَى أحد من خلقه ، لَيَتَّخِذانِّ الكتاب إمامًا فيما بُعِثَا له ، لا يَعْدُوانه إلى غيره فى الحُكم بما وَجَدا فيه مسطوراً ، وما لم يجداه مُسَمًّى

فى الكتاب ردّاه إلى سنة رسول الله الجامعة ، لا يتعمّدان لها خِلافاً ولا يتّبعان فى ذلك لهما هوًى ، ولا يدخلان فى شُبْهة .

وقد أخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علىّ ومعاوية عَهْدَ الله وميثاقَه بالرِّضا بما حَكَما به من كتاب الله وسنة نبيه ، ليس لهما أن يَنْقُضا ذلك ولا يُخالفا إلى غيره ، وأنهما آمِنان فى حكومتهما عَلَى دمائهما وأموالهما وأهلِيهما ، مالم يَعْدُوَا الحق ، رضى بذلك راضٍ ، أو أنكرَ مُنكر ، وأن الأمة أنصار لهما على ما قَضَيَا به من العدل .

فإن تُوُفِّى أحدُ الحكَمين قبل انقضاء الحكومة ، فأميرُ شِيعته وأصحابُه يختارون مكانه رجلا ، لا يألُون عن أهل المَعْدِلة والإقساط[1] ، عَلَى ما كان عليه صاحِبُه من العهد والميثاق ، والحكم بكتاب الله وسنةِ رسوله وله مثلُ شرط صاحبه .

وإن مات واحد من الأميرين قبل انقضاء ، فلِشِيعته أن يُوَلُّوا مكانه رجلا يرضَون عدله .

وقد وقعت هذه القضيّةُ بيننا ومعها الأمنُ والتفاوُضُ ، ووَضْع السِّلاح والسلام والموادعة ، وعلى الحكمين عَهْدُ الله وميثاقه ، لَيَحْكُمان بكتاب الله وسنة نبيه ، لا يَدْخُلان فى شبهة ، ولا يألُوان اجتهاداً ، ولا يتعمَّدَان جَوْرًا . ولا يتّبعان هوًى ، ولا يَعْدُوَان ما فى كتاب الله تعالى ، وسُنَّة رسوله ، فإن لم يفعلا بَرِئت الأمة من حُكْمهما ، ولاعَهْدَ لهما ولاذمّة ، وقد وَجَبتِ القضيَّة على ما سمّيْنا فى هذا الكتاب من مَوقِع الشَّرْط على الأميرين والحكمين

---

(١) الإقساط : العدل .

والفريقين ، واللهُ أقربُ شهيداً ، وأدنى حَفِيظًا ، والناسُ آمِنون على أنفسهم وأهليهم وأموالهم إلى انقضاء مدة الأجل ، والسلاحُ موضوع ، والسبيل مُخَلًّى ، والشاهدُ والغائب من الفريقين سواء فى الأمر ، وللحكَمين أن ينزلا منزِلا عَدْلا بين أهل العراق وأهل الشأم ، ولا يَحْضُرهما فيه إلا مَن أحَبَّا عن مَلَأٍ[1] منهما وتراضٍ ، وأجّلَ القاضِيَيْن المسلمون إلى رمضان ، فإن رأى الحكمان تعجيلَ الحكومة فيما وُجِّها له عَجَّلاها ، وإن أرادا تأخيرها بعد رمضان إلى انقضاء الموسم ، فإن ذلك إليهما

فإن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الموسم ، فالمسلمون على أمرهم الأول فى الحرب ، ولا شَرْطَ بين الفريقين ، وعلى الأمة عهد الله وميثاقُه عَلَى الوفاء والتَّمام[2] عَلَى ما فى هذا الكتاب ، وهم يَدٌ على من أراد فى هذا الكتاب إلحاداً أو ظلماً ، أو أراد له نَقْضاً .

شهد على ما فى هذا الكتاب من أصحاب علىّ : الأشعث بن قيس ، وعبد الله بن عباس ، والأشْتَر بن الحارث ، وسعيد بن قيس الهَمْدانى ، والحُصَيْنُ والطُّفَيْلُ أبنا الحارث بن المطَّلب ، وأبو أَسِيد بن رَبيعة الأنصارى وخَبَّاب بن الأَرَتّ ، وسَهْل بن حُنَيف الأنصارى ، وأبو اليَسَر بن عمرو الأنصارى ، ورِفاعة بن رافع بن مالك الأنصارى ، وعَوْف بن الحارث ابن المطلب القرشى ، وبُرَيْدَة الأسلَمِىُّ ، وعُقْبة بن عامر الجُهَنِىّ ، ورافع ابن خَدِيج الأنصارى ، وعَمْرو بن الحَمِق الخُزَاعىّ ، والحسن والحسين ابنا على ، وعبدالله بن جعفر الهاشمى ، والْيَعْمَر بن عَجْلان الأنصارى ، وحُجْر بن عَدِىّ

(١) أى عن تشاور . (٢) يقال : تمّ على الأمر وتمم عليه بإظهار الإدغام أى استمر عليه .

الـكِنْدي ، ووَرْقاء بن سُمَىّ البَجَلِىّ ، وعبد الله بن الطُّفَيل الأنصارى ، ويزيد ابن حُجَيّة التيمىّ ، ومالك بن كعب الهَمْدانى ، وربيعة بن شُرَحبيل ، وأبو صُفْرة ، والحارث بن مالك ، وحُجْر بن يزيد ، وعُقْبة بن حُجَيّة .

ومن أصحاب معاوية : حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِىّ ، وأبو الأعور السُّلَمِىّ وبُسْر بن أرْطاة القُرشى ، ومعاوية بن حُدَيْج الـكِندى ، والمُخارِق بن الحارث الحِمْيرى ، وزِمل بن عمرو السَّكْسَكِىُّ ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى ، وحمزة بن مالك الهَمْدانى ، وسبع بن زيد الحميرى ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وعلقَمة بن مَرْثَد الـكلبى ، وخالد بن الحُصَيْن السَّكْسَكِىُّ ، وعلقمة بن يزيد الحَضْرمىّ ، ويزيد بن الحرّ العَبْسى ، ومسروق ابن حملة العَكّىّ ، ونُمَيْر بن يزيد الحِمْيرى . وعبد الله بن عامر القرشى ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عُقْبة القرشى ، وعُتْبة بن أبى سفيان ، ومحمد ابن أبى سفيان ، ومحمد بن عمرو بن العاص ، ويزيد بن عمرو الجُذَامىّ ، وعَمّار ابن الأخوص الـكلبى ، ومَسْعَدَة بن عمر القَيْنى ، وعاصم بن المستنير الجُذَامى وعبد الرحمن بن ذى كَلاَع الحِمْيَرى ، والصباح بن جُلْهُمة الحِمْيَرى ، وثُمَامَة ابن حَوْشَب ، وعَلْقَمة بن حكيم .

وإن بيننا على ما فى هذه الصحيفة عهد الله وميثاقه ، وكتب عُمَيْر يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلةً بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين » .

(صبح الأعشى ١٤ : ٨٠ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ ، ص ١٩١)

٤٥٦ — كتاب بين عمرو بن العاص وأبى موسى

ولما انقضى الأَجَل ، اجتمع الحكمان فى دُومة الجَنْدَل ، وخدع عمرو ابن العاص أبا موسى الأشعرىّ ، ففشِل التحكيم ، واشتدّت الفرقة بين المسلمين

وروى المسعودى فى مروج الذهب قال :

فلما التقى أبو موسى وعمرو ، قال عمرو لأبى موسى تكلَّمْ وقل خيراً ، فقال : أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو ، فقال عمرو : ما كنتُ لِأَفعلَ وأقدِّم نفسى قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة ، لِسِنِّك وصُحْبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ضيف ، فحمِد اللهَ أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر الْحَدَث الذى حَلّ بالإسلام ، والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو هَلُمَّ إلى أمر يجمع الله فيه الأُلْفَة ، وَيلُمّ الشَّعَث ، ويُصْلح ذات البَيْن ، فجزاه عمرو خيراً ، وقال : إن للكلام أولا وآخراً ، ومتى تنازَعنا الكلامَ خُطَباً ، لم نبلغ آخِرَه حتى تَنْسَى أوَّلَه ، فاجعل ما كان من كلام نتصادرعليه فى كتاب يصير إليه أمرُنا ، قال : فاكتب ، فدعا عمرو بصحيفة وكاتب ، وكان الكاتب غلاما لعمرو ، فتقدم إليه ليَبْدَأ به أوّلا دون أبى موسى ، لِما أراد من المكر به ثم قال له بحَضْرة الجماعة ، اكتب ، فإنك شاهد علينا ، ولا تكتب شيئاً يأمرك به أحدنا ، حتى تستأمِر الآخر فيه ، فإذا أمرَك فاكتب ، وَإذا نهاك فانتَهِ حتى يجتمَع رأيُنا ، اكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان » فكتب ويدأ بعمرو ، فقال له عمرو : لا أمَّ لك ، أتقدِّمنى قبله ؟ كأنك جاهل بحقه ! فبدأ باسم عبد الله بن قيس ، وكتب : تقاضيا على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله وَحْدَه لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَه على ٱلدِّين كلِّه ولو كره المشركون ، ثم قال عمرو : « نشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عَمِل بكتاب الله وسنة رسوله ، حتى قبَضه الله إليه ، وقد أدَّى الحق الذى عليه » قال أبو موسى : اكتب ، ثم قال فى عمر مثل ذلك ، ثم قال عمرو اكتب : « وأن عثمان وَلِىَ هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين ، وشُورَى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورِضاً منهم ، وأنه كان مؤمناً » فقال أبو موسى : ليس هذا مما قعدنا له ، قال عمرو . واللهِ لا بد من أن يكون مؤمناً أو كافراً ، قال أبو موسى : اُكتب ، قال عمرو . فظالما قُتِل عثمان أو مظلوما ؟ قال أبو موسى : بل قتل مظلومًا . قال عمرو : أفليس قد جعل الله لوَلىّ المظلوم سلطاناً يطلب بدمه ؟ قال أبو موسى : نعم ، قال عمرو : فهل تعلم لعثمان وليًا أولى من معاوية قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجِزَ ؟ قال أبو موسى : بَلَى . قال عمرو للكاتب : اُكتب ، وأمره أبو موسى فكتب . قال عمرو : فإنا نقيم البيِّنة أن عليًا قتل عثمان ، قال أبو موسى : هذا أمر قد حَدَث فى الإسلام ، وإنما اجتمعنا لله ، فهلُمَّ إلى أمر يُصْلح الله به أمة محمد . قال عمرو : وما هو ؟ قال أبو موسى : قد علمت أن أهل العراق لا يحبُّون معاوية أبداً ، وأن أهل الشأم لا يحبون عليًا أبداً ،

فهل نخلعهما جميعاً ، ونستخلفُ عبد الله بن عمر ؟ قال عمرو : أيفعل ذلك عبد الله بن عمر ؟ قال أبو موسى : نعم ، إذا حَمَله الناس على ذلك فعل ، فعَمَد عمرو إلى كل ما مال إليه أبو موسى فصوَّبه ، وقال له : هل لك فى سعد ابن أبى وقاص ؟ قال له أبو موسى : لا ، فعدّد له عمرو جماعة ، وأبو موسى يأبى ذلك إلا ابن عمر ، فأخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه ، بعد أن ختماها جميعاً ، وقال عمرو : أرأيتَ إن رَضِىَ أهل العراق بعبد الله ابن عمر ، وأبى أهلُ الشأم ، أيقاتل أهلَ الشأم ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : فإن رضى أهل الشأم وأبى أهل العراق ، أيقاتل أهل العراق ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أمَا إذ رأيت الصلاح فى هذا الأمر والخير للمسلمين ، فقم فاخطب الناس ، واخلع صاحبَيْنا ، وتكلم باسم هذا الرجل الذى تستخلِف ، فقال أبو موسى : بل أنت قم فاخطب ، فأنت أحق بذلك ، قال عمرو : ما أحب أن أتقدَّمك ، وَما قولى وقولك للناس إلا قول واحد ، فقم راشِداً .

فقام أبو موسى فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أيها الناس ، إنا قد نظرنا فى أمرنا فرأيْنا أقربَ مايَحْضُرنا من الأمن والصلاح ولمّ الشَّعَث ، وحَقْنِ الدماء ، وجمع الألفة ، خَلْعَنا عليًّا ومعاوية ، وقد خلعت عليًّا كما خلعت عمامتى هذه ـ وأهوَى إلى عمامته فخلعها ـ واستخلفْنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحِبَ

أبوه النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، فبرّز فى سابقته ، وهو عبد الله بن عمر[1] » وأطراه ورغّب الناس فيه ونزل .

فقام عمرو ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم ، ثم قال : « أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس خلع عليّا وأخرجه من هذا الأمر الذى يطلب ، وهو أعلم به ، ألاَ وإنى خلعتُ عليا معه ، وأثبتُّ معاوية علىّ وعليكم ، وإن أبا موسى قد كتب فى الصحيفة أن عثمان قد قتل مظلوما شهيداً ، وأن لوليِّهِ أن يطلُب بدمه حيث كان ، وقد صحب معاوية رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى اللّٰه عليه وسلم » وأطراه ورغّب الناس فيه ، وقال : هو الخليفة علينا ، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان .

فقال أبو موسى : كَذَب عمرو ، لم نستَخلف معاوية ، ولكنا خلعنا معاوية وعليّا معا ، فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس ، قد خلع عليًّا ولم يخلع معاوية . (مروج الذهب ٢ : ٣١)

---

(١) وفى غير هذه الرواية أنه لما التقى الحكمان جعل عمرو يحبب إلى أبى موسى أن يولى معاوية، ويعدد له محاسنه ، ثم عرض له بالسلطان فقال : إن ولى معاوية أكرمك كرامة لم يكرمكها خليفة ، فأبى عليه أبوموسى ، وكان فيما قال له : فوالله لوخرج لى من سلطانه كله ماوليته ، وما كنت لأرتشى فى حكم الله عز وجـــل ، ولـكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأراده أبو موسى على عبد الله بن عمر فأبى عليه ، وقال له : إن كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابنى وأنت تعرف فضله وصلاحه ؟ فقال : إن ابنك رجل صدق ولـكنك قد غمسته فى هذه الفتنة ، فقال له عمرو : خبرنى مارأيك ؟ قال : رأيى أن نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين فيختارون لأنفسهم من أحبوا ، فقال له عمرو : فإن الرأى مارأيت ، فقدم عمرو أبا موسى ، فقال أبو موسى إنى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ، ثم تنحى ، وقام عمرو فقال : إن هذا قد قال ماسمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبى معاوية ـــ انظر تاريخ الطبرى ج : ٦ ص ٣٨ ـــ ٤٠ ، ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٣ .

٤٥٧ — كتاب ابن عمر إلى أبي موسى

ولما بلغ عبدَ اللهِ بن عمر ما كان من رأى أبي موسى كتب إليه :

« أما بعد يا أبا موسى ، فإنك تقرّبْتَ إلىَّ بأمرٍ لم تعلم هَوَاىَ فيه ، أكنتَ تظن أنّى أبسُطُ يداً إلى أمرٍ نهانى عنه عمر ؟ أو كنتَ ترانى أتقدَّم على عليٍّ وهو خير منى ؟ لقد خِبْتُ إذَنْ وخَسرتُ وما أنا من المهتدين ، فأغضبتَ بقولك وفعلك عليّ عليّا ومعاوية ، ثم أعظَمُ من ذلك خديعةُ عمرو إياك ، وأنت حامِلُ القرآن ، ووافِدُ أهل اليمن إلى نبيّ الله ، وصاحبُ مَقَاسِمِ أبي بكر وعمر ، فقدّمك عمرو للقول مُخادِعًا ، حتى خلعتَ عليّا قبل أن تخلَعَ معاويةَ ، ولعمرِى ما يجوزُ لك على عليٍّ ما جاز لعمرو على معاوية ، ولا ما جاز لنا عليه[1] » . (الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

٤٥٨ — رد أبي موسى على ابن عمر

فلما أتى أبا موسى كتابُ ابن عمر كتب إليه :

« أما بعدُ : فإنى واللهِ ما أردت بتوليتى إياك وَبَيْعتى لك القُرْبةَ إليك ، ما أردت بذلك إلا اللهَ عز وجل ، وأما تقلُّدى أمرَ هذه الأمة غيرَ مُسْتكرَهٍ فإنهم كانوا على مِثل حَدِّ السيف ، فقلتُ : إلى سُنَّة مَحْيًا ومماتٍ ، إن

(١) جاء في الأصل بعد ذلك : « ولا كرهنا مارضيت ، وأردت أن الحاكم بما يحكم الله بين الناس ، ولم تبلغ من خطيئتك عنده ماغير أمرك في خلاف هواه » .

وقد راجعت ثلاث طبعات مختلفة من الإمامة والسياسة ، فوجدت ثلاثتها متفقة في إيرادها بتلك الصورة ، وهى عبارة مضطربة معتلة كما ترى ولابد أن يكون فيها سقط أخل بمعناها .

يصطلِحُوا فهو الذى أردتُ ، وإلاَّ لم يرجعوا إلى أعظَمَ مما كانوا عليهِ ، وأما إغضابِي عليك عليًّا ومعاوية فقد غَضِبا عليك قبل ذلك ، وأما خديعةُ عمرو إياى فوالله ماضَرَّ بخديعته عليًّا ، ولا نفَعَ معاويةَ ، وقدكان الشرطُ ما اجتمَعْنَا فيه ، لا ما اختلفنا فيه ، وأمّا نهيِي إليك فواللهِ لو تم الأمرُ لَا كَرِهْتَ عليه» .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٥٩ — كتاب معاوية إلى أبي موسى

ولما فشِل التحكيم خرج أبو موسى الأشعرى من فوره إلى مكة مستعيذاً بها من علىّ ، فأقام بها حينا حتى كتب إليه معاوية :

« سلام عليك ، أما بعد : فلو كانت النِّيَّة تَدْفَع الخَطَأ ، لَنَجا المجتهدُ ، وأَعْذَر الطالبُ ، والحقُّ لمن نَصَبَله فأصابه ، وليس لمن عَرَضَ له فأَخْطَأَه ، وقد كان الحَكَمَان إذ حَكَمَا على علىّ لم يكن له الخِيَارُ عليهما ، وقد اختاره القوم عليك ، فا كْرَه منهم ما كَرِهوا منك ، وأَقْبِلْ إلى الشأم ، فإنى خير لك من علىّ ، ولا قُوَّة إلا بالله » .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦٠ — رد أبي موسى على معاوية

فكتب إليه أبو موسى :

«سلام عليك ، أما بعد فإنى لم يكن منى فى علىّ إلا ما كان من عمرو فيك ، غير أنى أردتُ بما صنعتُ ما عند الله ، وأراد عمرو بما صنع ماعندك ،

وقد كان بيني وبينهُ شروطه وشُورى عن تراضٍ ، فلما رجع عمرو رجعتُ ، وأما قولك : إن الحكمين إذا حكما على رجل لم يكن له الخِيارُ عليهما ، فإنما ذلك فى الشاة والبعير والدينار والدرهم ، فأما أمر هذه الأمة فليس لأحد فيما تكره حُكْم(١) ، ولن يُذْهب الحقَّ عَجْزُ عاجز، ولا كيد كائد ، ولا خُدْعة فاجر ، وأما دعاؤك إياى إلى الشأم ، فليس لى رغبة عن حَرَم إبراهيم(٢) » .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦١ — كتاب علىّ إلى أبى موسى

فبلغ عليًّا كتابُ معاوية إلى أبى موسى الأشعرى ، فكتب إليه :

« سلام عليك ، أما بعد ، فإنك أمرؤ ضلّلك الهوى ، واستدرجَك الغُرورُ ، فإنه من استقال اللهَ أقاله ، حقَّق بك حسن الظن لزومَك بيتَ الله الحرام غيرَ حاجٍ ولا قاطِنٍ ، فاستقِلِ اللهَ يُقِلْك عَثرتَك ، إن الله يغفر ولا يغفُلُ ، وأحَبُّ عباده إليه التوابون » .

وكتبه سِمَاك بن حرب .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٣)

٤٦٢ — رد أبى موسى على علىّ

فكتب إليه أبو موسى :

« سلام عليك ، أما بعد فوالله لولا أنى خشِيتُ أن يَتُول مَنْع الجواب

---

(١) وفى الإمامة والسياسة « فايست تساق إلى ماتكره » .

(٢) وفيه أيضا : « فليس لى بدل ولا إيثار عن قبر ابن إبراهيم أبى الأنبياء » .

إلى أعظمَ مما فى نفسك ، لم أجِبْك ، لأنه ليس لى عندك عذرٌ ينفعنى ، ولا قوة تمنعنى ، وأما لزومى بيتَ الله الحرام غير حاجٍ ولا قاطِن ، فإنى أسلمت أهل الشأم ، وانقطعت عن أهل العراق ، وأصبتُ أقوامًا صَغَّروا من ذنبى ما عظَّمتم ، وعظَّموا من حقى ما صغرتم ، فأقمت بين أظهُرهم إذ لم يكن لى منكم ولىٌّ ولا نصير » .

(العقد الفريد ٢ : ٢٣٩ ، والإمامة والسياسه ١ :١٠٣)

٤٦٣ — كتاب أبى موسى إلى عامر بن عبد القيس

وكتب أبو موسى الأشعرى إلى عامر بن عبد القيس :

« أما بعدُ ، فإنى عاهدتك على أمر ، وبلغنى أنك تغيرتَ ، فإن كنتَ على ما عاهدتك فاتَّقِ الله ودُم ، وإن كنت على ما بلغنى فاتق الله وعُدْ » .

(العقد الفريد ٢ : ٣٠٠)

٤٦٤ — كتاب عبد الله بن وهب الراسبى إلى خوارج البصرة

ولقِيت الخوارجُ بعضُها بعضاً ، فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وَهْب الراسِبىِّ ، وأجمعوا على الخروج ، وولَّوا أمرهم عبدَ الله بن وهب ، فبايعوه لعشر خَلَون من شوال ، وأدارُوا رأيهم بينهم ، فاتفقوا أن ينزلوا جِسر النَّهْروان(١) ، ويكاتبوا إخوانهم من أهل البصرة فيَقْدَموا عليهم ، فكتب ابن وهب إلى من بالبصرة منهم :

---

(١) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى .

« أما بعد : فإن أهل دَعْوتنا حكَّموا الرجال فى أمر الله ، ورَضُوا بحكم القاسِطين[١] على عباده ، فخالفناهم ونابذْناهم ، نريدُ بذلك الوسيلةَ إلى الله ، وقد قَعَدنا بِجَسر النهروان وأحببْنا إعلامَكم، لتأخذوا بنصيبكم من الأجر، والسلام»

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٤٦٥ — ردّ خوارج البصرة

فكتبوا إليهم :

« أما بعدُ : فقد بلغَنا كتابكم ، وفهِمْنا ما ذكرتم ، وقد وهبنا لكم الرأىَ الذى جمعكم الله عليه من الطاعة وإخلاص الحكم لله ، وإعمالكم أنفسَكم فيما يجمع الله به كلمتكم ، وقد أجمعْنا على المسير إليكم عاجلاً » .

(الامامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٤٦٦ — كتاب علىّ إلى الخوارج بالنهر

وبلغ عليّا عليه السلام خروجُ الخوارج إلى النهر ، فكتب إليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى زيد ابن حُصَين ، وعبد الله بن وهب ، ومن معهما من الناس :

أما بعد : فإن هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين اللّذين ارتضيتم حَكَمين قد خالفا كتاب الله ، واتَّبعا أهواءهما بغير هدى من الله ، فلم يعملا بالسنة ، ولم يُنَفِّذا للقرآن حُكْما ، فبَرِئَ اللهُ ورسولُه منهما وصالحُ المؤمنين ، فإذا

---

(١) أى الجائرين ، قسط كجلس قسوطا : جار وعدل عن الحق .

بلغكم كتابى هذا فأقبِلوا إلينا ، فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذى كنا عليه والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤ ، والامامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٤٦٧ — ردّ الخوارج عليه

فكتبوا إليه :

« أما بعد : فإنك لم تَغْضَب لربك ، إنما غضبت لنفسك ، فإن شَهِدتَ على نفسك بالكفر ، واستقبلتَ التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلاَّ فقد نابَذْناك على سَوَاء ، إن الله لا يُحِبُّ الخائنين » .

فلما قرأ كتابهم أيِس منهم ، فرأى أن يَدَعَهُمْ ، ويمضى بالناس إلى أهل الشأم حتى يلقاهم فيناجِزهم .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤ ، والامامة والسياسة ١ : ١٠٦)

٤٦٨ — كتاب علىّ إلى ابن عباس

ونزل على عليه السلام النُّخَيلة ، ودعا الناس أن يتهيئوا للمسير إلى الشأم ، وكتب إلى ابن عباس ــ وكان قد رده إلى البصرة ــ :

« أمّا بعد : فإنا قد خرجنا إلى مُعَسْكرنا بالنخيلة ، وقد أجْمَعْنا على المسير إلى عدونا من أهل الشأم ، فأَشْخَصْ بالناس حتى يأتيك رسولى ، وأقِمْ حتى يأتِيَك أمرى ، والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤ : والامامة والسياسة ١ : ١٠٦)

٤٦٩ — كتاب علىّ إلى معاوية

وبينما علىٌّ يتأهب للقاء معاوية ، إذ بلغه ما أتاه الخوارج بالنهروان من الأحداث المنكَرة[١] ، فسار إليهم ، وجعل يَبْذُل لهم النصح ، وصَمُّوا عنه آذانهم، فحمل عليهم حملةً مزَّقهم فيها كل مُمَزَّق ، ولم يُفلت منهم إلا عشرة.

وكتب علىّ عليه السلام إلى معاوية جوابًا عن كتاب وصل من معاوية إليه بعد قتله الخوارج :

« أما بعد : فقد آنَ[٢] لك أن تنتفِعَ باللَّمْحِ الباصِرِ من عِيَان الأمور ، فلقد سلَكْتَ مَدارِجَ أسلافك بادِّعائك الأباطيل ، واقتحامِك غُرورَ المَيْنِ والأكاذيب ، من انتحالِك ما قد عَلاَ عنك[٣] ، وابتزازِك لما قد اُخْتُزِن دونَك ، فِرارًا من الحقّ[٤] ، وجُحُوداً لِمَا هو أَلْزَمُ لك من لَحْمك ودَمِك ،

---

(١) من ذلك أنهم لقوا عبد الله بن خباب بن الأرتّ ، ومعه امرأته حبلى متمّ ، فسألوه : ماتقول فى أبى بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرا ، قالوا : ماتقول فى عثمان فى أول خلافته وفى آخرها ؟ قال : إنه كان محقا فى أولها وفى آخرها ، قالوا : فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم ، وأشد توقيا على دينه ، وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها لاعلى أفعالها ، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه وسال دمه فى الماء ، وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأرسل إليهم علىّ رسولا ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، وأصابوا مسلما ونصرانيا ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصرانى فقالوا : احفظوا ذمة نبيكم ، وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له ، فقال : هى لكم ، فقالوا : ما كنا لنأخذها إلا بثمن ، قال : ما أعجب هذا ! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ، ولا تقبلون منى جنى نخلة ؟ — انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٤٦ والكامل المبرد ٢ : ١٤٣ —

(٢) آن يئين ، وأنى يأنى كرمى يرمى: أى حان وقرب ، ومما يجرى مجرى المثل قولهم لمن يرونه شيئا يبصره شديدا ولايتك فيه : قد رأيته لمحا باصرا، أى نظرا بتحديق شديد ، ومعنى باصر ذو بصر فهو مخرج مخرج لابن وتامر ، والعيان : المعاينة ، والمدرج : المذهب والمسلك وزنا ومعنى ، وكذا المدرجة ، والأباطيل جمع أبطولة بالضم ، أو إبطالة بالكسر ، أو هو جمع باطل على غير قياس ، والمين : الكذب . (٣) يعنى الخلافة ، والابتزاز : الاستلاب . (٤) أى من التمسك به .

مما قد وَعاه سَمْعُك ومُلِئَ به صدرُك ، فما ذا بعد الحق إلا الضلال المبين ، وبعد البيان إلا اللَّبْسُ ، فاحْذَر الشُّبْهة واشتمالَهَا على لُبْستها[١] ، فإن الفتنة طالما أغْدَفَتْ جلابيبَها ، وأغْشَتِ الأبصارَ ظُلمتها[٢] .

وقد أتاني كتاب منك ذو أفانينَ[٣] من القول ضَعُفت قُواها عن السِّلم ، وأساطيرَ لم يَحُكْها منك عِلم ولا حِلم ، أصبحتَ منها كالخائض فى الدَّهاس[٤] ، والخابِط فى الدِّيمَاس، وترقَّيت إلى مَرْقَبَةٍ[٥] بعيدة المَرام ، نازِحَة الأعلام ، تَقْصُر دونها الأنُوقُ[٦] ، ويُحاذَى بها العَيُّوقُ.

وحاشَ لِلّه أن تَلِيَ للمسلمين بعدى صَدَراً أو وِرْدًا ، أو أُجْرِيَ لك على أحد منهم عَقْدا أو عَهْدًا ، فمن الآنَ فَتدارَكْ نَفسَك ، وانظر لها ، فإنك إن فرَّطْتَ حتى يَنْهَدَ[٧] إليك عبادُ الله ، أُرْتِجَتْ عليك الأمورُ ، ومُنِعْتَ أمراً هو منك اليومَ مقبولٌ ، والسلام » . (نهج البلاغة ٢ : ٩٠)

---

(١) اللبسة : الاشتباه والاشكال وأغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها ، وأغدف الليل : أرخى سدوله . (٢) أى وجعلت ظلمتها غشاء للأبصار ، ويروى « وأعشت » فظلمتها فاعل .

(٣) أى أساليب وطرائق ، وحاكه : نسجه ، وسح الكلام : تأليفه ، والأساطير : الأباطيل ، جمع أسطورة بالضم أو إسطارة بالكسر .

(٤) الدهاس بالفتح : المكان السهل اللين لايبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولاطين ، والديماس بالفتح والكسر : السرب المظلم، وأصله من دمس الليل فهو دامس:أى اشتدت ظلمته ، وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته .

(٥) المرقبة : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب ، ونازحة : بعيدة ، والأعلام: جمع علم بالتحريك : هو ماينصب فى الطرق ليهتدى به .

(٦) الأنوق : الرخمة ، وفى المثل « أعز من بيض الأنوق » لأنها تحرزه ولا يكاد أحد يظفر به ، لأن أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ، والعيوق : نجم أحمر مضيء يتلو الثريا .

(٧) ينهد : ينهض ، وأرتجت : أى أغلقت

خروج الخِرِّيت بن راشد الناجيّ

وكان من الخوارج الذين خرجوا على عليّ عليه السلام بعد وَقْعة النَّهروان الخِرِّيت بن راشد الناجيّ ، فارقه فى جماعة من بنى ناجِيَة ، وظَعَنوا عن الكوفة (سنة ٣٨ هـ) فبعث عليّ فى إثْرهم زِياد بن خَصَفَة ، وقال له : أُخرج رَحِمَك الله حتى تنزل دَيْر أبى موسى ، ثم لا تتوجَّهْ حتى يأتيك أمرى ، فخرج زياد فيمن معه إلى دير أبى موسى ، فنزله وأقام فيه ينتظر أمر أمير المومنين .

٤٧٠ — كتاب عليّ إلى عماله

وكتب عليٌّ إلى عُمَّاله فيهم نسخةً واحدة :

« أما بعدُ : فإن رجالا خرجوا هُرَّابا ، ونظنهم تَوَجَّهوا نحو بلاد البصرة ، فسَلْ عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العُيُون فى كل ناحية من أرضك ، واكتب إلىّ بما ينتهى إليك عنهم ، والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٦٧ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٥)

٤٧١ — كتاب قرظة بن كعب إلى عليّ

فوَرَدَ عليه كتاب من قِبَل قَرَظَة بن كعب الأنصارى أحد عماله ، وفيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من قَرَظَة ابن كعب ، سلام عليك فإنى أحمَد إليك اللهَ الذى لا إلهَ إلا هو ، أما بعدُ :

فإنى أُخْبِر أمير المؤمنين أن خَيْلا مَرّت بنا من قِبَل الكوفة ، متوجهةً نحو « نِفَّر[١] » وأن رجلا من دَهَاقِين أسْفَل الفُرات قد صَلَّى[٢] ، يقال له « زَاذَان فَرُّوخ » أقبلَ من قِبَل أخواله بناحية نفّر ، فعَرَضُوا له ، فقالوا : أمُسْلِم أنت أم كافر ؟ فقال : بل أنا مسلم ، قالوا : فما قولُك فى علىّ ؟ قال : أقول فيه خيراً : أقول إنه أمير المؤمنين ، وسيد البَشَر ، ووصِىّ رسول الله ، فقالوا له : كفرتَ يا عدوّ الله ، ثم حَمَلت عليه عِصابة منهم فقطّعوه بأسيافهم ، ووجدوا معه رجلا من أهل الذّمة يهوديًّا ، فقالوا : ما أنت ؟ قال : رجل من أهل الذمّة ، قالوا : أمّا هذا فلا سبيلَ لكم عليه ، فأقْبَلَ إلينا ذلك الذمىّ ، فأخْبَرنا هذا الخبر ، وقد سألتُ عنهم ، فلم يُخبرنى أحد عنهم بشىء ، فليكتب إلىّ أمير المؤمنين برأيه فيهم أنْتَهِ إليه ، والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٦٧ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٦)

٤٧٢ — رد علىّ على قرظة بن كعب

فكتب إليه علىّ :

« أما بعدُ : فقد فهِمت ما ذكرتَ من أمر العصابة التى مَرّت بك ، فقتَلَتِ البَرَّ المسلمَ ، وأَمِن عندهم المخالِفُ الكافر ، وإن أولئك قوم استَهْوَاهم[٣] الشيطان فضَلُّوا ، وكانوا كالذين حَسِبوا أنْ لاَ تكونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ، فأَسْمِعْ بهم وأبصِرْ يوم تُخْبَرُ أعمالهم ، فالزَم عمَلَك ، وأقْبِل على خَراجك ، فإنك كما ذكرتَ فى طاعتك و نصيحتك ، والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٦٨ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٦)

---

(١) نفر : بلد أو قرية على نهر النرس من نواحى بابل من أعمال الكوفة ، والدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم : وهو زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم ، معرب .

(٢) أى أسلم . وفى ابن أبى الحديد « قد أسلم وصلى » . (٣) استهواه : استماله .

٤٧٣ — كتاب علىّ إلى زياد بن خصفة

وكتب على عليه السلام إلى زياد بن خَصَفَة :

« أما بعد : فإنى كنت أمرتك أن تنزل دَيْرَ أبى موسى حتى يأتيك أمرى ، وذلك لأنى لم أكن علمتُ إلى أىّ وجه توجّه القوم ، وقد بلغنى أنهم أخذوا نحو قرية يقال لها « نِفّر » ، فاتْبَع آثارهم وسَلْ عنهم ، فإنهم قد قتلوا رجلا من أهل السَّواد مُصَلِّيا ، فإذا أنت لَحِقتهم فارددهم إلىّ ، فإن أَبَوا فناجِزهم ، واستعِنْ بالله عليهم ، فإنهم قد فارقوا الحقّ ، وسَفَكوا الدم الحرام ، وأخافوا السبيلَ ، والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٦٨ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٦)

٤٧٤ — كتاب زياد بن خصفة إلى علىّ

فخرج زياد فتَبِعهم حتى لِحقهم بالمَذَار[١] ، ودعا الخِرِّيت إلى الدخول فيما خرج منه فأَبَى ، وسأله أن يدفع إليه قَتَلة الدّهْقان ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ، فنا جَزَه واقتتل قتالا شديداً ، وقتل من أصحاب زياد رجلان ، وصُرع من أصحاب الخِرّيت خمسة ، وحَجَز الليل بين الفريقين ، فهرب الخريت بمن معه فأتَوا الأهواز ، وسار زياد إلى البصرة لمداواة الجرحى ، وكتب إلى على :

« أما بعدُ : فإنا لقِينا عدوّ الله الناجِىّ وأصحابه بالمَذَار ، فدعوناهم إلى

---

(١) فى ميسان ، بين واسط والبصرة .

الهدى والحق وإلى كلمة السَّواء ، فلم ينزلوا على الحق ، وأخذتهم العِزَّة بالإثم ، وزَيَّن لهم الشيطانُ أعمالَهم فصدَّهم عن السبيل ، فقصَدوا لنا ، وصَمَدْنا صَمْدَهم[1] ، فاقتتلْنا قتالا شديداً ما بين قائم الظهيرة إلى دُلُوك[2] الشمس ، فاستُشْهِد منا رجلان صالحان ، وأصيبَ منهم خمسة نفَر ، وخلَّوا لنا المعركة ، وقد فشَتْ فينا وفيهم الجراح .

ثم إن القوم لما لَبِسهم الليل خرجوا من تحته متنكِّبين[3] إلى أرض الأهواز ، فبَلَغنا أنهم نزلوا منها جانباً ، ونحن بالبصرة نُداوى جِراحنا ، وننتظر أمرك ، رحمك الله ، والسلام عليك » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٧)

٤٧٥ — كتاب علىّ إلى ابن عباس

فسيَّر على عليه السلام إلى الخِرِّيت مَعْقِلَ بن قيس ، ونَدَبَ معه ألفين من أهل الكوفة ، وكتب إلى ابن عباس ـ أمير البصرة ـ :

« أما بعدُ : فابعث رجلاً من قِبَلك صَلِيباً شُجاعا معروفاً بالصَّلاح فى ألفى رجل ، فليَتْبَع مَعْقِلاً ، فإذا مرَّ ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يَلْقَى مَعْقِلا ، فإذا لقِىَ معقلا فَمَعْقِلٌ أمير الفريقين ، ولْيَسْمَع من معقل ولْيُطِعه ولا يخالفه ، ومُرْ زياد بن خَصَفَة فليُقْبِل إلينا ، فنعم المرء زِيادٌ ، ونعم الْقَبِيلُ قبيله ، والسلام » . (تاريخ الطبرى ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٧)

---

(١) صمد ، صمد الأمر : قصده واعتمده .

(٢) أى غروبها . (٣) تنكب عن الطريق : عدل ، وفى ابن أبى الحديد « متنكرين » .

٤٧٦ — رد عليّ على زياد بن خصفة

وكتب عليّ إلى زياد بن خصفة :

« أما بعدُ : فقد بَلَغنى كتابك ، وفَهِمْتُ ما ذكرت من أمر الناجىّ وإخوانه ، الذين طَبَع الله على قلوبهم ، وزَيَّن لهم الشيطان فهم يَعْمَهون[1] ، ويحسَبُون أنهم يُحْسِنُون صُنْعاً ، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر ، فأما أنت وأصحابك فلله سعيكم ، وعلى الله تعالى جزاؤكم ، وأَيْسَرُ ثواب اللهِ للمؤمنين خير له من الدنيا[2] التى يقتُلُ الجُهَّال أنفسَهم عليها ، فإن ما عندكم يَنْفَدُ ، وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ ، ولَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

وأما عدوكم الذين لقِيتموهم فَحَسْبُهم خروجُهم من الهُدى إلى الضلال ، وارتكاسُهم[3] فيه ، وردُّهم الحقَّ ، وجِمَاحُهم فى الفتنة[4] ، فذَرْهُمْ وما يَفْتَرُونَ ، ودَعْهم فى طغيانهم يَعْمَهُونَ ، فأسمِع بهم وأبْصِرْ فكأنّك بهم عن قليل ، بين أسير وقتيل .

أقبِلْ إلينا أنت وأصحابك مأجُورِين ، فقد أطعتم وسمِعْتم وأحسَنتم البَلاَء ، والسلام » . (تاريخ الطبرى ٦ : ٧٠ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ ، ص ٢٦٧)

---

(١) العمه بالتحريك : التردد فى الضلال .

(٢) وفى الطبرى « فأبشر بثواب الله خير من الدنيا التى . . » أى فثوابه خير .

(٣) أركسه : نكسه ، وارتكس : انتكس .

(٤) وفى ابن أبى الحديد : « وجماحهم فى التيه » والتيه بالكسر : الضلال .

٤٧٧ — كتاب ابن عباس إلى معقل بن قيس

ونزل الخِرِّيتُ جانباً من الأهواز ، واجتمع إليه عُلُوجٌ[1] من أهلها كثير ، أرادوا كَسْرَ الخراج ، ولصوص كثيرة ، وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه .

وخرج مَعْقِلُ بن قيس حتى نزل الأهواز ، وأقام ينتظر أهل البصرة ، فلما أبطئوا عليه أخذ فى المسير إلى الخريت ، فما لبث أن أدركه رسول ابن عباس بكتاب فيه :

«أما بعدُ، فإن أدركك رسولى بالمكان الذى كنتَ فيه مقيما، أو أدركك وقد شَخَصْتَ منه ، فلا تَبْرَح المكان الذى ينتهى فيه إليك رسولى ، وأثبتْ فيه حتى يَقْدَم عليك بَعْثُنا الذى وجَّهناه إليك ، فإنى قد بعثتُ إليك خالد بن مَعْدَان الطائىّ ، وهو من أهل الدين والصلاح والبأس والنجدة ، فاسمع منه ، واعرف ذلك له ، والسلام» .

فقرأ معقل الكتاب على الناس ، وحَمِدَ اللهُ ـ وقد كان ذلك الوجه هالَهم ـ فأقام حتى قَدِم عليه الطائى ، واجتمعا جميعاً فى عسكر واحد .

تاريخ الطبرى ٦ : ٧١ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٨

(١) علوج : جمع علج بالكسر : وهو الرجل من كفار العجم .

٤٧٨ — كتاب معقل بن قيس إلى على

وسار مَعْقِل إليهم ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رَامَهُرْمُز ، يريدون قلعةً بها حَصينة ، فلحقهم وقد دنَوْا من الجبل ، وقاتلهم فما صَبَروا له ساعةً حتى ولَّوْا ، وشُدِخ منهم سبعون عربيًّا من بنى ناجية ، وقتل نحو من ثلثمائة من العُلُوج والأكراد ، وخرج الخريت منهزمًا ، حتى لَحِق بسِيف(١) من أسيافِ البحر ، وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال بهم يدعوهم إلى خلاف علىّ حتى اتبعه منهم ناس كثير .

وأقام مَعْقِل بأرض الأهواز ، وكتب إلى علىّ بالفتح :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله على أمير المؤمنين من معقل ابن قيس :

سلام عليك فإنى أحمَدُ إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنا لَقِينا المارقين ، وقد استظهروا علينا بالمشركين ، فقتلناهم قتلَ عادٍ وإرَم(٢) ، مع أنا لم نَعْدُ فيهم سِيرتك ، ولم نَقتل من المارقين مُدْبِراً ولا أسيراً ، ولم نُذَفِّف(٣) منهم على جريح ، وقد نصَرك الله والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين » : (تاريخ الطبرى ٦ : ٧٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٦٨)

---

(١) السيف بالكسر : ساحل البحر .

(٢) أى أبدناهم كما أبيد هؤلاء . وإرم : والد عاد الأولى أو الأخيرة ، وقيل : اسم بلدتهم ، وقيل : اسم أمهم . (٣) ذفف على الجريح : أجهز عليه .

٤٧٩ — كتاب على إلى معقل بن قيس

فقرأ على عليه السلام كتاب مَعْقِل على أصحابه ، واستشارهم فاجتمع رأى عامّتهم على قول واحد ، قالوا : نرى أن تكتب إلى معقل فيتبع أثر الفاسق ، فلا يزالَ فى طلبه ، حتى يقتلَه أو ينفِيَه ، فإنا لا نأمَنُ أن يُفْسِد عليك الناس ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فالحمد لله على تأييد أوليائه ، وخِذْلان أعدائه ، جزاك الله والمسلمين خيراً ، فقد أحسنتم البلاء ، وقضَيْتم ما عليكم ، وسَلْ عن أخى بنى ناجية ، فإن بلغَك أنه قد استقر ببلد من البُلْدان ، فسِرْ إليه حتى تقتلَه أو تَنفِيَه ، فإنه لن يزال للمسلمين عدُوّا ، وللقاسِطِين[1] وَلِيًّا ، ما بَقِى ، والسلام عليك » .

فسأل معقل عن مستقرّه ، فنُبِّئَ بمكانه بالأسياف ، وأنه قد ردّ قومه عن طاعة علىّ ، وأفسد من قبلَه من عبد القيس ومن والاهم من سائر العرب ، وكَان قومُه قد منعوا الصدقة عام صِفِّين (سنة ٣٧ هـ) ومنعوها فى ذلك العام أيضاً ، فسار إليهم معقل ، فلما سمع الخريت بسيره إليه ، احتال فاستمال إليه الناس[2] كما استمال إليه قوما من النصارى كانوا أسلموا ، ثم ارتدوا إلى النّصرانية ، وتبعه خلق كثير .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٢ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٨)

---

(١) أى الجائرين .

(٢) وذلك أنه أقبل على من كان معه من أصحابه ممن يرى رأى الخوارج ، فأسرّ لهم أنى أرى رأيكم ، فإن عليا لن ينبغى له أن يحكم الرجال فى أمر الله ، وقال للآخرين منددا لهم : إن عليا حكم حكما ورضى به ، فخلعه حكمه الذى ارتضاه لنفسه ، فقد رضيت أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه

٤٨٠ — كتاب عليّ إلى أشياع الخريت

ولما انتهى إليهم معقل بن قيس بالأسياف قرأ عليهم كتابا من عليّ ، فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى من يُقْرأ عليه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين والمارقِين والنصارى والمرتدين :

سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت ، وأوْفَى بعهد الله ، ولم يكن من الخائنين .

أما بعد : فإنى أدعوكم إلى كتاب الله ، وسُنة نبيه ، والعمل بالحق ، وبما أمر الله فى كتابه ، فمن رَجَع إلى أهله منكم ، وكفَّ يده ، واعتزَلَ هذا المارق الهالك الحارِبَ(١) الذى جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين ، وسعى فى الأرض فساداً ، فله الأمان على ماله ودمه ، ومن تابَعَه على حربنا ، والخروج من طاعتنا ، استَعنا بالله عليه ، وجَعَلْنا اُلله بيننا وبينه ، وكفى بالله نصيرًا » .

وأخرج معقل راية أمان فنَصَبها وقال : من أتاها من الناس فهو آمن ، إلا الخِرّيتَ وأصحابه الذين حاربونا وبدءونا أول مرة ، فتفرّق عن الخريت جُلّ من كان معه من غير قومه .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٣ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٦٩)

ـ وهذا كان الرأى الذى خرج عليه من الكوفة ـ وقال سرّا لمن يرى رأى عثمان : أنا والله على رأيكم ، قد والله قتل عثمان مظلوما ، فأرضى كل صنف منهم ، وأراهم أنه معهم ، وقال لمن منع الصدقة : شدوا أيديكم على صدقاتكم ، وصلوا بها أرحامكم ، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم ، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا ، فلما اختلف الناس بينهم ، قالوا : والله لديننا الذى خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذى هم عليه ، ماينهاهم دينهم عن سفك الدماء ، وإخافة السبيل ، وأخذ الأموال ، فرجعوا إلى دينهم ، فلقى الخريت أولئك فقال لهم : ويحكم ! أتدرون حكم عليّ فيمن أسلم من النصارى ، ثم رجع إلى نصرانيته ؟ لا والله مايسمع لهم قولا ، ولا يرى لهم عذرا ، ولايقبل منهم توبة ، وإن حكمه فيهم لضرب العنق ساعة يستمكن منهم ، فما زال حتى جمعهم وخدعهم ، وجاء من كان من بنى ناجية ومن كان فى تلك الناحية من غيرهم ، واجتمع إليهم ناس كثير .

(١) أى السالب الناهب ، حربه يحربه حربا كطلبه يطلبه طلبا : إذا أخذ ماله وتركه بلا شئ ، وفى ابن أبى الحديد « المحارب » .

٤٨١ — كتاب معقل بن قيس إلى على

وعبّأ مَعْقِل بن قيس أصحابه، ثم زحف بهم نحو الخِرِّيت، وقد حضر معه قومه مسلموهم ونصاراهم وما نِعَةُ الصَّدَقة منهم، واقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل الخريت وقتل معه فى المعركة سبعون ومائة، وذهب الباقون يميناً وشمالاً.

وسَبَى معقل رجالاً كثيراً ونساء وصبياناً، ثم نظر فيهم: فأما من كان مسلماً خلاه وأخذ بيعته وترك له عياله، وأما من كان أرتدّ فعرَض عليهم الإسلام فرجَعوا وخلّى سبيلهم، إلا شيخاً منهم نصرانيًا أبَى فقدّمه فضرب عنقه، وأخذ من المسلمين عِقالَيْن[1]، وعَمَد إلى النصارى وعيالهم فاحتملهم مُقْبِلاً بهم، وكتب إلى علىّ:

«أما بعدُ: فإنى أُخبِر أمير المؤمنين عن جنده وعن عدوه: إنا دفَعْنا إلى عدوّنا بالأسياف، فوجدنا بها قبائل ذات عِدّة وحِدّة وجدّ، وقد جمعَتْ لنا، وتحزَّبَتْ علينا، فدعوناهم إلى الطّاعة والجماعة، وإلى حكم الكتاب والسنة. وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين، ورفَعْنا لهم راية أمان، فمالت إلينا منهم طائفة، وبقيت طائفة أخرى مُنابِذة، فقبِلْنا من التى أقبلت، وصَمَدْنا[2] صَمْدًا للتى أدبَرَتْ، فضرب الله وجوههم، ونَصرنا عليهم».

فأما من كان مسلماً فإنا مَنَنَّا عليه، وأخذنا بَيْعته لأمير المؤمنين، وأخذنا منهم الصَّدَقة التى كانت عليهم، وأما من ارتدّ فإنا عرضْنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلاّ قتلناه، فرجَعوا غيرَ رجل واحد فقتلناه؛ وأما النصارى فإنا

---

(١) العقال: زكاة عام من الإبل والغنم. (٢) صمده وصمد إليه: قصد.

سبَيْناهم، وقد أقبلنا بهم، ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذِّمّة، لكيلا يمنعوا الجِزية، ولكيلا يجترئوا على قتال أهل القِبْلة، وهم أهل الصَّغار والذل، رحمك الله يا أمير المؤمنين، وأوجب لك جنَّاتِ النعيم، والسلام عليك».

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٥، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٧٠)

٤٨٢ — كتاب على إلى مصقلة بن هبيرة

ثم أقبل بالأسارى حتى مر على مَصْقلة بن هُبَيْرة الشَّيْبانى ـ وهو عامل علىّ على أَرْدَشِير[1] خُرَّة، وهم خمسمائة إنسان ـ فبكى إليه النساء والصبيان، وتصايحَ الرجال: يا أبا الفضل، يا حامِىَ الرجال، وفكَّاكَ العُناةِ[2]، امنُن علينا فاشْتَرِنا وأعتِقْنا، فقال مصقلة: أُقسم بالله لَأَتَصَدّقن عليهم، إن الله يَجْزِى المتصدقين، وبعث إلى معقل فقال له: بِعنى نَصارى بنى ناجية، فقال: نعم أبيعُكَهُمْ بألف ألف درهم، فأبَى عليه، فلم يزل يراوده حتى باعه إياهم بخمسمائة ألف درهم، ودفَعَهم إليهِ، وقال له: عَجِّل بالمال إلى أمير المؤمنين، فقال: أنا باعِثٌ الآن بصَدْر[3] منه، ثم أبعث بصَدْر آخر كذلك، حتى لا يبقى منه شىء، إن شاء الله تعالى.

وأقبل معقل إلى أمير المؤمنين علىّ، وأخبره بما كان منه فى ذلك، وانتظر علىّ مصقلة أن يبعث إليه بالمال فأبطأ به، وبلغ عليًّا أن مصقلة خلَّى سبيل الأسارى ولم يسألهم أن يُعينوه فى فِكاك أنفسهم بشىء، فقال:

---

(١) كورة من كور فارس.

(٢) العناة: جمع العانى، وهو الأسير. (٣) الصدر: الطائفة من الشئ.

ما أرى مصقلة إلا قد تحمل حَمَالة[1] ، ولا أراكم إلا ستَرَونه عن قريب مُبَلِّدِحا[2] ، ثم إنه كتب إليه :

« أما بعدُ : فإن من أعظم الخيانة خيانةَ الأمة ، وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف درهم ، فابعث بها إلىّ ساعةَ يأتيك رسولى ، وإلاّ فأقبل إلىّ حين تنظر فى كتابى ، فإنى قد تقدّمت إلى رسولى إليك ألاّ يَدَعك أن تُقيم ساعةً واحدة بعد قدومه عليك إلاّ أن تبعَثَ بالمال ، والسلام عليك » .

فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة فمكث بها أياما ، ثم إن ابن عباس سأله المال ـ وكان عمال البصرة يحملون المال من كُوَر البصرة إلى ابن عباس ويكون ابن عباس هو الذى يبعث به إلى علىّ ـ فقال له : أَنْظِرنى[3] أياما ، ثم أقبل حتى أتى عليًّا بالكوفة فأقرّه أياما ، ثم سأله المال ، فأدّى إليه مائتى ألف درهم ، ثم إنه عجز عن الباقى فلم يقدر عليه ، وما لبث أن لحق بمعاوية .

وبلغ ذلك عليا فقال : ماله ـ ترّحه الله[4] ـ فَعَلَ فِعلَ السيد ، وفرّ فِرَارَ العبد ، وخان خيانة الفاجر ! أَمَا واللهِ لو أنه أقام فعجز ما زِدْنا على حبسه ، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه ، وإن لم نجد له مالاً تركناه .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٥ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٧٠)

(١) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . (٢) ملدح : وعد ولم ينجز العدة ، وأعيا وبلد .
(٣) أى أمهلنى . (٤) ترّحه : أى أحزنه ، من الترح بالتحريك ضد الفرح .

٤٨٣ — كتاب مصقلة إلى أخيه نعيم

وكان أخوه نُعَيم بن هُبَيْرة شيعيًا، ولعليّ مُناصِحاً، فكتب إليه مصقلة من الشأم مع رجل من النصارى، من بنى تغلب يقال له حُلوان:

« أما بعدُ: فإنى كلمت معاوية فيك، فوعدك الإمارة، ومنّاك الكرامةَ، فأقبل إلىّ ساعةَ يلقاك رسولى إن شاء الله والسلام ».

فأخذه مالك بن كعب الأرحبىّ فسرّح به إلى علىّ، فقطع يد النصرانى فمات

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٦، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٧٠)

٤٨٤ — رد نعيم على مصقلة

وكتب نعيم إلى أخيه مصقلة:

لا ترْمِيَنِّى (هَدَاكَ اللهُ) مُعْتَرِضاً ... بالظَّنِّ منك، فما بالِى وحُلْوانا؟

ذاك الحريصُ على ما نال من طَمَعٍ ... وهو البعيد فلا يَحْزُنْك إذخانا(١)

ما ذا أردتَ إلى إرسالِهِ سَفَهاً ... ترجو سِقاطَ امْرِئٍ لم يُلفَ وَسْنانا(٢)

عرَّضْتَه لِعَلِيٍّ، إنه أَسَـــدٌ ... يمشى العِرَضْنَةَ من آسادِ خَفّانا(٣)

قد كنتَ فى خيرِ مُصْطافٍ ومُرْتبَعٍ ... تَحمِى العراق وتُدْعَى خيرَ شَيْبانا(٤)

حتَّى تقحّمتَ أمراً كنتَ تكرَهُه ... للراكبين له سِرًّا وإعـــلانا

(١) وفى ابن أبى الحديد « فلا يورثك أحزانا ».

(٢) السقاط: الخطأ فى القول والحساب والكتاب، والوسنان النائم.

(٣) من قولهم: فلان يمشى العرضنة والعرضى بالقصر: أى فى مشيته بغى من نشاطه. وخفان: مأسدة قرب الكوفة.

(٤) ارتبعنا بموضع كذا: أقمنا به فى الربيع، واسم المكان مرتبع، واصطفنا به: أقمنا به فى الصيف، والموضع مصطاف، وفى الطبرى: « قد كنت فى منظر عن ذا ومستمع ».

لو كنتَ أدَّيتَ مالَ الله مُصْطَبِرًا ... للحقِّ ، أحيَيْتَ أحْيَانا وموْتانا
لكن لَحِقْتَ بأهل الشأم مُلتمِسًا ... فضلَ ابْنِ هندٍ،وذاك الرأيُ أشجانا[1]
فاليومَ تقْرعُ سِنَّ الغُرْمِ من نَدَمٍ ... ما ذا تقول ، وقد كان الذى كَانا ؟[2]
أصبحتَ تُبغِضك الأحياء قاطِبَةً ... لم يَرْفعِ اللهُ بالعِصْيانِ إنسانا[3]

فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك ، فوَدَاه[4] .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٦ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٧١)

٤٨٥ — كتاب قوم مصقلة إليه

وذكروا أنه قام إلى علىّ وُجوهُ بكر بن وائل ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن نُعَياً أخا مَصْقَلة يستحِي منك ، لِمَا صَنَع مصقلةُ ، وقد أتانا اليقين أنه لا يمنع مصقلةَ من الرجوع إليك إلا الحياء ، ولم يَبْسُط منذ فارقَنا لسانه ولا يده ، فلو كتبنا إليه كتابًا ، وبعثنا من قبلِنا رسولاً ! فإنا نستحى أن يكون فارقَنا مثلُ مصقلةَ من أهل العراق إلى معاوية ، فقال علىّ : اكتبوا ، فكتبوا :

« أما بعدُ ، فقد علِمنا أنك لم تَلْحَق بمعاوية رِضاً بدينه ، ولا رغبةً فى دنياه ، ولم يَعطِفك عن علىّ طعنٌ فيه ، ولا رغبة عنه ، ولكن توسَّطتَ أمراً فقوَّيت فيه الظنَّ ، وأضعفتَ فيه الرجاء ، فكان أَوْلاهما عندك أن قلتَ : أفوز بالمال ، وألحَقُ بمعاوية ، ولعمرُنا ما اُستبدلت الشأمَ بالعراق ، ولا

---

(١) أشجانا : أحزننا . (٢) وفى ابن أبى الحديد « سن العجز » .

(٣) قاطبة : جميعا ، وفى الطبرى « لم يرفع الله بالبغضاء » . (٤) أى دفع ديته .

السَّكاسِكَ[1] بِرَبيعة ، ولا معاويةَ بعلىّ ، ولا أصبْتَ دُنْيا تُهنَّأُ بها ، ولا حَظًّا تُحْسَد عليه ، وإن أقْرَبَ ما تكون مع الله أبْعَد ما تكون مع معاوية ، فارجع إلى مصرك ، فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنبَ ، واحتمل الثِّقل[2] .

واعلم أن رَجْعَتك اليوم خير منها غدا ، وكانت أمس خيراً منها اليومَ ، وإن كان عليك حياء من أبى الحسن ، فما أنت فيه أعظمُ ، فقبَّح الله أمرًا ليس فيه دنيا ولا آخرة » . (الإمامة والسياسة ١ : ٦٧)

٤٨٦ — رد مصقلة على قومه

فكتب مصقلة إلى قومه :

« أما بعدُ : فقد جاءنى كتابكم ، وإنى أخبركم أنه من لم ينفعه القليلُ لم ينفعه الكثير ، وقد علمتم الأمر الذى قَطَعنى من على ، وأضافنى إلى معاوية ، وقد علمتُ أنى لو رجعتُ إلى على وإليكم لكان ذنبى مغفورًا ، ولكنى أذنبتُ إلى علىّ وَصَحِبتُ مُعاويةَ ، فلو رجعت إلى علىّ أحدثتُ عيباً ، وأحْيَيْتُ عاراً ، وكنتُ بين لائمَتَيْن : أولهما خيانة وآخرهما غدر ، ولكنى أقيم بالشأم ، فإن غلب معاوية فدارى العراقُ ، وإن غَلَب علىٌّ فدارى أرضُ الروم ، فأما الهَوَى فإليكم طائرٌ ، وكانت فُرْقتى عليًّا — على بعض العذر — ، أحبَّ إلىّ من فرقتى معاوية ، ولا عذر لى » .

فرجع الرسول بالكتاب فأقرأه عليا ، فقال : كُفُّوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت ، فقال حصين : أَمَا وَاللهِ مابه إلا الحياء !

(الامامة والسياسة ١ : ٦٧)

---

(١) حى من اليمن . (٢) الثقل : الحمل الثقيل .

٤٨٧ — كتاب على إلى أهل مصر

وولى الإمام علىّ كرم الله وجهه بَدْء خلافته قيسَ بن سعد بن عُبادة الأنصارى على مصر ، فلما دخلها صَعِد المنبر فجلس عليه ، وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين فقرئ على أهلها ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين إلى مَن بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين .

سلام عليكم فإنى أَحْمَدُ إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعدُ : فإن الله عزّ وجل بحسن صُنْعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرُّسُلَ عليهم السلام إلى عباده ، وخَصَّ به مَن انتخَبَ من خلقه ، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة ، وخَصَّهم به من الفضيلة ، أَنْ بَعَثَ إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فعلَّمهم الكتابَ والحِكْمة والفرائض والسُّنَّة لكيما يهتدوا ، وجَمَعَهم لكيْما لا يتفرقوا ، وزكَّاهم لكيما يتطهَّروا ، ورفَّهم[1] لكيما لا يَجُورُوا ، فلما قَضَى من ذلك ما عليه ، قبَضَه الله عز وجل ، صلواتُ الله عليه ورحمته وبركاته .

ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا به أميرين صالحين ، عَمِلا بالكتاب والسنة ، وأحسَنَا السيرةَ ، ولم يَعْدُوا السُّنَّةَ ، ثم توفَّاهما الله عز وجل رضى الله عنهما ، ثم وَلِى بعدهما والٍ ، فأَحْدَثَ أحداثاً ، فوَجدت الأمة عليه مقالا

---

(١) رفه : أحسن إليه .

فقالوا ، ثم نقَموا عليه فغيّروا ، ثم جاءونى فبايعونى ، فأستهْدِى اللهَ عز وجل بالهدى ، وأستعينه على التقوى .

ألَا وإنَّ لكم علينا العملَ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقيامَ عليكم بحقه ، والتنفيذ لسُنَّته ، والنُّصح لكم بالغيْبِ ، والله المستعانُ ، وحَسْبُنا الله ، ونعم الوكيل .

وقد بعثتُ إليكم قيس بن سعد بن عبادة أميراً ، فوَازِرُوهُ[1] وكانِفُوه وأَعِينُوه على الحق ، وقد أمرته بالإحسان إلى مُحْسِنِكم ، والشّدةِ على مُرِيبكم ، والرِّفق بعَوامِّكم وخواصِّكم ، وهو ممن أرضى هَدْيَه ، وأرجو صلاحه ونصيحته ، أسأل الله عز وجل لنا ولكم عملا زَاكِيا[2] ، وثوابًا جزيلاً ، ورحمةً واسعة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وكتب عُبَيْد بن أبى رافع[3] فى صفر سنة ٣٦ هـ .

ثم قام قيس بن سعد خطيباً وأمر الناس بالبيعة فبايعوا ، وأستقامت له مصر ، وبعث عليها عماله إلا قريةً منها يقال لها خَرِبْتَا[4] فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان ، فبعثوا إليه : إنا لا نقاتلك فابعث عمالك فالأرض أرضك ، ولكن أقِرَّنا على حالنا حتى ننظر إلامَ يصير أمر الناس[5] ، فبعث إليهم : إنى لا أُكْرِهكم على البَيْعة ، وأنا أدَعُكم وأَكُفُّ عنكم ، فهادَنَهم وجَبَى الخراج ليس أحد من الناس ينازعه .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٧ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٧)

---

(١) وازره وكانفه : عاونه . (٢) زاكيا : أى صالحا ، وفى النجوم الزاهرة «عملا صالحا» .
(٣) وفى النجوم الزاهرة « وكتبه عبد الله بن أبى طالب » وفى ابن أبى الحديد « وكتبه عبد الله ابن أبى رافع » . (٤) قرية بمديرية البحيرة مركز كوم حماده .
(٥) وفيهم مسلمة بن مخلد الأنصارى من رهط قيس بن سعد ، فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه ، فأرسل إليه قيس : ويحك ! علىّ تثب ؟ فوالله ما أحب أن لى ملك الشأم إلى مصر ، وأنى قتلتك ، فبعث إليه مسلمة إنى كافّ عنك مادمت أنت والى مصر .

٤٨٨ — كتاب معاوية إلى قيس بن سعد

وخرج أمير المؤمنين عليٌّ إلى أهل الجمل ، وقيسٌ على مصر ، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه ، فكان أثقلَ خَلْقِ الله على معاوية ، لقربه من الشأم ، مخافةَ أن يُقبِل إليه علي فى أهل العراق ، ويُقبل إليه قيس ابن سعد فى أهل مصر ، فيقع بينهما ، فكتب معاوية إلى قيس — وعليٌّ يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صِفِّين — :

« من معاوية بن أبى سفيان إلى قيس بن سعد :

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإنكم إن كنتم نقِمتم على عثمان بن عفان رضى الله عنه فى أَثَرَةٍ[1] رأيتموها ، أو ضَرْبَةِ سَوْطٍ ضَرَبَها ، أو شَتِيمة رجل ، أو فى تسييرِهِ آخَر أو فى استعمالِهِ الفُتِيَّ من أهله[2] ، فإنكم قد علمتم — إن كنتم تعلمون — أنَّ دمَه

---

(١) وفى النجوم الزاهرة « فى أمور » .

(٢) الفتىّ جمع فتى ، وفى النجوم الزاهرة « أو شتمة شتمها ، أو فى سير سيرّه ، أو فى استعماله النىء ، فقد علمتم . . . الخ » وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا كتابا ذكروا فيه ماخالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه ، وكان مما ضمنوه كتابهم هبته خمس إفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله وذوى القربى واليتامى والمساكين ، وما كان من إفشائه العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أمية وهم أحداث لاصحبة لهم من الرسول ولاتجربة لهم بالأمور ، وتركه المهاجرين والأنصار لايستعملهم على شىء ولا يستشيرهم ، ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان ، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة فلما خرجوا به ليدفعوه إلى عثمان والكتاب فى يد عمار ، جعلوا يتسللون عنه حتى بقى وحده ، فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بنى أمية فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال : أنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : ومن كان معك ؟ قال : معى نفر تفرّقوا فرقا منك ، قال : ومن هم ؟ قال : لا أخبرك بهم ، قال : فلم اجترأت علىّ من بينهم ؟ فقال مروان ، إن هذا العبد الأسود (يعنى عمارا) قد جرأ الناس عليك ، وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه ، فقال عثمان : اضربوه ، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه ، فغشى عليه ، فجروه

لم يكن يَحِلّ لكم بذلك ، فقد رَكِبتم عظيمًا من الأمر ، وجئتم شيئًا إدًّا[1] ، فتُبْ إلى الله عزّ وجل يا قيسُ بنَ سعد ، فإنك كنت فى المُجْلِبين[2] على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، إن كانت التوبةُ مِن قَتْل المؤمن تُغْنِى شيئًا .

فأمّا صاحِبُك فإنا استَيْقَنّا أنه الذى أَغْرَى به الناس ، وحَمَلَهم على قتله حتى قتلوه ، وأنه لم يَسْلم من دمه عُظْم قومك ، فإن استطعتَ يا قيسُ أن تكون ممن يطلُب بدم عثمان فافعل ، تابِعْنا على أمرنا ، ولك سلطانُ العِراقَيْن إذا ظهرتُ ما بقيتُ ، ولِمَن أحببتَ من أهل بيتك سلطانُ الحجاز ما دام لى سلطانٌ ، وسَلْنى غيرَ هذا مما تحبّ ، فإنك لا تسألنى شيئًا إلا أُوتِيتَه ، واكتبْ إلىّ برأيك فيما كتبتُ به إليك ، والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٨ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٣ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٩)

٤٨٩ — رد قيس بن سعد على معاوية

فلما جاءه كتاب معاوية أحبَّ أن يُدافعه ولا يُبْدِىَ له أمره ، ولا يتعجّل حربَه ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد بلغنى كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من قتل عثمان

حتى طرحوه على باب الدار ، فأمرت به أم سلمة زوج النبى عليه السلام فأدخل منزلها — انظر الإمامة والسياسة ١ : ٢٦ — ومما طعنوا به على عثمان تسييره أبا ذر الغفارى إلى الربذة — وقدمنا لك خبره فى ص ٢٩٧ وقد فصل ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة الكلام فى المطاعن التى طعن بها على عثمان ، انظر م ١ : من ص ٢٢٦ إلى ص ٢٤٥ ، وانظر أيضا العقد الفريد ج ٢ : ص ٢١٤ وتاريخ الطبرى ج ٥ : ص ١٠١ ومروج الذهب ج ١ : ص ٤٣٧ وغيره .

(١) الإدّ : الأمر الفظيع المنكر.

(٢) الجلبة بالتحريك : اختلاط الأصوات ، وقد جلبوا كضرب ونصر وأجلبوا وجلبوا ، وفى النجوم الزاهرة « فإنك ممن أعان على قتل عثمان » .

رضى الله عنه ، وذلك أمرٌ لم أُقارِفه ولم أُطِفْ به[1] ، وذكرت أن صاحبي هو الذى أغرَى الناس بعثمان ، ودَسَّهم إليه حتى قتلوه ، وهذا مالم أطَّلِعْ عليه ، وذكرتَ أن عُظْم عشيرتى لم تَسْلَمْ من دم عثمان، فلعمرى إن أول الناس كان فيه قِيامًا عشيرتى ، ولهم أُسْوَة[2] غيرهم ، وأما ما سألتنى من متابعتك على الطلب بدمه ، وما عرَضْتَ علىَّ من الجزاء به فقد فهِمتُه ، وهذا أمر لى فيه نظر وفِكرة ، وليس هذا مما يُسْرَع إليه ، وأنا كافٌّ عنك ، ولن يأتيك مِن قِبَلى شىء تكرهُه حتى تَرَى ، ونَرَى إن شاء الله ، والمستخارُ الله عز وجل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٩٩)

٤٩٠ — رد معاوية على قيس

فلما قرأ معاوية كتابه لم يَرَه إلا مُقارِبا مُباعِدا ، ولم يأمن أن يكون له فى ذلك مُخادعا مُكايِدا ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد قرأتُ كتابك ، فلم أرك تدنو فأعُدَّك سِلْمًا ، ولم أرك تُباعِد فأعُدَّك حرْبا ، أنت فيما هاهنا كحبل الجَرُور[3] وليس مثلى يصانَع بالخِداع ، ولا يخدع بالمكايد ، ومعه عَدَد الرجال ، وبيده أعِنَّة الخيل[4] ،

---

(١) قارف الذنب واقترفه : أتاه وفعله ، وأطاف به : ألمّ به وقاربه ، وفى النجوم الزاهرة « فأما ماذكرت من أمر عثمان فذلك أمر لم أقاربه ولم أتطف به » — وتطف بالأمر : تلطخ به واتهم —

(٢) الأسوة بالكسر والضم : القدوة .

(٣) الجرور البئر البعيدة القعر: يعنى بذلك بعد غوره، وفى الطبرى « كحبك الجرور » وهو تحريف .

(٤) وفى النجوم الزاهرة « وليس مثلى من يخدع وبيده أعنة الخيل ومعه أعداد الرجال » وفى الطبرى « وليس مثلى يصانع المخادع ، ولا ينتزع للمكايد » .

فإن قبلتَ الذى عرَضْتُ عليك فلك ما أعطيتك ، وإن أنت لم تفعل ملأتُ مصر عليك خيلا ورَجلا ، والسلام عليك » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٠)

٤٩١ — رد قيس على معاوية

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ، ورأى أنه لا يقبل منه المدافعة والمطاولة ، أظهر له ذاتَ نفسه ، فكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبى سفيان

أما بعد : فإن العَجَب من اغترارك بى ، وطَمَعِك فىّ ، واستسقاطِك[1] رأيى ، أتَسُومنى الخروج عن طاعة أولَى الناس بالإمْرة ، وأقربهم للخلافة ، وأقولِهم للحق ، وأهداهم سبيلا ، وأقْربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلةً ، وأوفرهم فضيلة ، وتأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعةِ أبْعَدِ الناس من هذا الأمر ، وأقولهم للزُّور ، وأضلِّهم سبيلا ، وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وسيلةً ، وَلَدِ ضالِّين مُضِلِّين ، طاغوتٍ[2] من طواغيتِ إبليس .

وأما قولك[3] إنك تملأ علىّ مصرَ خَيْلا ورَجْلا ، فوالله إن لم أشْغَلْك بنفسك ، حتى تكون نفسُك أهَمَّ إليك ، إنك لذو جَدّ[4] ، والسلام » .

فلما بلغ معاوية كتابُ قيس أَيِسَ منه ، وثَقُل عليه مكانُه .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٩ ، وشرح ابن أبى الحديد ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٠)

---

(١) استسقطه وتسقطه : عالجه على أن يسقط فيخطئ أو يكذب أو يبوح بما عنده .

(٢) الطاغوت : الشيطان ، وكل رأس ضلال ، وفى ابن أبى الحديد : «ولديك قوم ضالون مضلون طواغيت من طواغيت إبليس» . (٣) فى النجوم الزاهرة «وأما قولك : معك أعنة الخيل وأعداد الرجال ، لتشغلن بنفسك حتى العدم» (٤) الجد : الحظ .

٤٩٢ — كتاب معاوية إلى قيس بن سعد

وكتب معاوية إلى قيس حين يئس منه :

« أما بعد ، فإنما أنت يهودى ابن يهودى[١]، تُشْقِى نفسَك وتقتلها فيما ليس لك ، إن ظفر أحبُّ الفريقين إليك عَزَلك واستبدَلَ بك[٢] ، وإن ظفِرَ أبغَضُهما إليك قتَلك ونكَّل بك[٣] ، وقد كان أبوك وتَّر قوسَه[٤] ، ورَمَى غرَضَه ، فأكثر الحَزَّ وأخطأ المَفْصِل[٥] ، حتى خذله قومه ، وأدركه يومُه ، ثم مات طَرِيداً غريبا بحَوْران[٦] ، والسلام » .

٤٩٣ — رد قيس بن سعد على معاوية

فكتب إليه قيس بن سعد :

« أما بعد ، فإنما أنت وَثَنِىّ ابن وثنى[٧] دخلت فى الإسلام كُرْهاً ،

---

(١) عنى معاوية بذلك أن يشبه قيسا وأباه باليهود ، وقد كانت اليهود تساكن الأنصار بالمدينة — انظر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود وقد قدمناه فى ص ٢٥ .

(٢) وفى رواية ابن أبى الحديد « نبذك وغدرك » . (٣) وفى رواية الكامل «ومثل بك» .

(٤) أوتر القوس : جعل لها وترا ، ووترها توتيرا : شد وترها ، ووترها يترها : علق عليها وترها ، وفى رواية الكامل « فوّق سهمه » وفوّق السهم : جعل له فوقا بالضم وهو موضع الوتر من السهم .

(٥) عكس هذا فى المدح قولهم للرجل إذا أصاب الحجة : إنه يطبق المفصل ، وقولهم للبليغ من الرجال : قد طبق المفصل ، من طبق السيف بالتشديد إذا أصاب المفصل فأبان العضو .

(٦) حوران بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وذلك أنه لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم طمع سعد بن عبادة فى الخلافة وجلس فى سقيفة بنى ساعدة ليبايع لنفسه ، وتمت البيعة لأبى بكر فبايعه الناس وعدلوا عن سعد ، فلم يبايع سعد أبابكر ولا عمر ، وسار إلى الشام فأقام به بحوران إلى أن مات سنة ١٥ وقيل سنة ١٤ وقيل ١١ — انظر أسد الغابة ٢ : ٢٨٣ —

(٧) وثنى : أى عابد وثن وهو الصنم ، وهذا باعتبار ما كان ، وإنما أراد قيس أن يرد به على قول معاوية له : إنما أنت يهودى ابن يهودى .

وأقمت فيه فَرَقا ، وخرجت منه طَوعا ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ، لم يقْدُم إيمانُك ، ولم يَحْدُث نفاقك ، ولم تزل حَرْبا لله ولرسوله ، وحِزْبا من أحزاب المشركين ، وعدوا لله و لنبيه وللمؤمنين من عباده ، وقد كان أبى وَتَّرَ قوسَه ، ورَمَى غَرضَه ، فشغَب عليه[1] من لم يبلُغ كَعْبَه ، ولم يَشُقّ غُباره ، ونحن أنصار الدين الذى منه خرجت ، وأعداء الدين الذى فيه دخلت ، والسلام » .

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته ، فقال له عمرو : مَهْلاً ، فإنك إن كَاتبته أجابك بأشد من هذا ، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فأمسَك عنه .

(مروج الذهب ٢ : ٦٢ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٣ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٣٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٢ ، والكامل للمبرد ١ : ٢٥١ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص١٥)

٤٩٤ — كتاب اختلقه معاوية على قيس بن سعد

ولما أَيِس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره ، شَقّ عليه ذلك ، لما يعرِف من حزمه وبأسه ، وأظهر للناس قِبله إن قيس بن سعد قد تابعكم فادعوا الله له ، وقرأ عليهم كتابه الذى لان له فيه وقارَبَه .

واختلق معاوية كتابا من قيس بن سعد ، فقرأه على أهل الشأم ، وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم : للأمير معاوية بن أبى سفيان من قيس

(١) شغبهم وبهم وعليهم كنع وفرح : هيج الشر عليهم ، ويقولون : طاب فلانا فما شق غباره أى لم يدركه ، وفى رواية الكامل « وقد كان أبى فوّق سهمه ، ورمى غرضه ، فشغبت (والظاهر أنه فشغبت) عليه أنت وأبوك ونظراؤك ، فلم تشقوا غباره ، ولم تدركوا شأوه » .

ابن سعد : سلام عليك ، فإنى أحمَدُ إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فَإِنَّ قتْلَ عُثْمانَ كَانَ حَدَثاً فى الْإِسْلاَمِ عَظِيماً ، وَقَد نَظَرْتُ لِنَفْسِي وَدِينِي فَلَمْ أَرَ يَسَعُنى مظاهرةُ[1] قوم قتلوا إمامَهم مُسْلِماً مُحْرِماً[2] بَرّاً تقِيّاً ، فنستغفر الله عز وجل لذنوبنا ، ونسأله العِصْمة لديننا ، أَلاَ وإنى قد ألقيتُ إليكم بالسَّلَمِ[3] ، وإنى أجبتك إلى قتال قَتَلة عثمان رضى الله عنه ، إمام الهدى المظلوم ، فعوِّلْ عَلَيَّ فيما أحببتَ من الأموال والرجال أُعَجِّلْهُ إليك إن شاء الله ، والسلام على الأمير ورحمة الله وبركاته » .

فشاع فى أهل الشأم أن قيس بن سعد قد بايع معاوية ، وسَرَّحَت عيون علىّ إليه بذلك ، فأعظمه وأكبره وتعجّب له ، ودعا بنيه ودعا عبد الله ابن جعفر ، فقال : ما رأيكم ؟ فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، دع ما يَرِيبكَ إلى مالا يَريبك ، اعزِل قيساً عن مصر ، قال لهم علىّ : إنى والله ما أصدق بهذا على قيس » !

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠١)

٤٩٥ — كتاب قيس بن سعد إلى على

فإنهم لكذلك إذ جاء كتاب من قيس بن سعد ، فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإنى أُخبر أمير المؤمنين أكْرَمَه الله أن قِبَلى رجالا معتزلين قد سألونى أن أكُفَّ عنهم ، وأنْ أَدَعَهم على

(١) ظاهره : عاونه . (٢) المحرم : الذى له حرمة ، والذى يحرم علينا قتاله .
(٣) السلم : الاستسلام .

حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنَرى وَيرَوا رأيهم ، فقد رأيتُ أن أكفّ عَنْهُمْ وألاّ أتعجّلَ حرْبهم ، وأن أتألّفَهم فيما بين ذلك ، لعل الله عز وجل أن يُقْبِلَ بقلوبهم ، ويفرّقهم عن ضلالتهم ، إن شاء الله ، والسلام » .

فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، ما أخوَفَنى أن يكون هذا مُمالأةً لهم منه ، فمُرْه يا أمير المؤمنين بقتالهم .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٤)

٤٩٦ — رد علىّ على قيس بن سعد

فكتب إليه علىّ :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ : فسِرْ إلى القوم الذين ذكرتَ ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون ، وإلاّ فناجِزْهُمْ إن شاء الله والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٠ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٤)

٤٩٧ — رد قيس بن سعد على علىّ

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب ، لم يتمالَكْ أن كتب إلى علىّ :

« أما بعدُ يا أمير المؤمنين : فقد عجِبتُ لأمرك ! أتأمرنى بقتال قوم كافّين عنك ، مُفرّغيك لقتال عدوك ، لم يمُدّوا يداً للفتنة ، ولا أَرْصَدُوا لها ؟ وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوّك ، فأطِعْنى يا أمير المؤمنين واكفُفْ عنهم ، فإن الرأى ترْكهم ، والسلام » .

فلما أتاه هذا الكتاب ، قال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر يَكْفِك أمرها ، واعزِل قيساً ، فبعث عليّ محمد ابن أبي بكر(١) على مصر، وعَزَل عنها قيساً .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٤)

٤٩٨ — عهد على إلى محمد بن أبي بكر

فلما قَدِم محمد بن أبي بكر مصرَ ، قرأ على أهلها عهدَه ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عَهِدَ عبدُ الله عليّ أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر ، حين وَلاَّه مصرَ :

أمرَه بتقْوى الله والطاعةِ فى السّرِّ والعَلانية ، وخوفِ الله عزّ وجل فى المَغِيبِ والمَشْهَد ، وباللِّين على المسلم ، وبالغِلْظة على الفاجر ، وبالعَدْل على أهل الذِّمَّة ، وبالإنصافِ للمظلوم ، وبالشدّة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ، وبالإحسان ما استطاعَ والله يَجْزِى المحسنين ، ويُعَذّب المجرمين ، وأَمَرَه أن يدعُوَ مَن قِبَلَه إلى الطاعة والجماعة ، فإن لهم فى ذلك من العاقبة وعظيم المَثُوبَةِ مالا يَقْدُرُونَ قَدْرَه ، ولا يَعْرِفون كُنْهَه ، وَأَمَرَه أن يَجْبِيَ خَراج الأرض على ما كانت تُجْبَى عليه من قبلُ ، لا يَنْتَقِص منه ولا يَبْتَدِع فيه ، ثم يَقْسِمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يُلِينَ لهم

---

(١) أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، وهى أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة وهى إذ ذاك تحت جعفر بن أبى طالب ، ثم هاجرت معه إلى المدينة ، فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها أبو بكر فولدت له محمد بن أبى بكر هذا عام حجة الوداع (سنة ١٠ هـ) ثم مات عنها فتزوجها عليّ عليه السلام ، ونشأ محمد فى حجره وكان على يثنى عليه ويقرظه ويفضله ، وكان لمحمد رحمه الله عبادة واجتهاد — انظر شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٥٣ .

جَنَاحَه ، وأن يُوَاسِيَ بينهم فى مَجْلِسه ووَجْهه ، وليكن القريبُ والبعيد عنده فى الحق سَواء ، وأمَره أن يحكم بين الناس بالحقّ ، وأن يقوم بالقِسْط ، ولا يتّبِـعِ الهَوَى . ولا يَخَفْ فى الله عزّ وجل لَوْمَةَ لائم ، فإن الله جَلّ ثناؤه مع من اتّقاه وآثَرَ طاعتَه وأمْرَه على ما سواه » .

وكتب عبد الله بن أبى رافع مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم لغُرَّة شهر رمضان سنة ٣٦ هـ » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٥)

صورة أخرى

وروى الشريف الرَّضِىُّ فى نهج البلاغة قال :

ومن عهده عليه السلام إلى محمد بن أبى بكر حين قلّده مصرَ :

« فاخْفِضْ لهم جَناحَك ، وأَلِنْ لهم جانبَك ، وابْسُطْ لهم وَجْهَك ، وآسِ بينهم(١) فى اللَّحْظة والنَّظْرة ، حتى لا يطمعَ العُظَماء فى حَيْفِك لهم(٢) ، ولا ييأسَ الضُّعفاء مِن عَدْلك عليهم ، فإن الله تعالى يُسائلكم مَعْشَرَ عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة ، والظاهرةِ والمستورة ، فإن يُعذِّبْ فأنتم أظْلَمُ(٣) ، وإن يَعْفُ فهو أكرمُ .

واعلموا عبادَ الله أنّ المتقين ذَهَبوا بعاجِلِ الدنيا وآجِلِ الآخرة ، فشارَكُوا أهلَ الدنيا فى دنياهم ، ولم يشارِكْهم أهلُ الدنيا فى آخرتهم ، سَكَنوا

---

(١) آس بينهم : أى سوّ بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة بعض .
(٢) أى فى جورك لأجلهم .   (٣) أفعل هنا بمعنى الصفة ، أى فأنتم الظالمون .

الدنيا بأفضَلِ ما سُكِنَت ، وأَكَلُوها بأفضلِ ما أُكِلَتْ ، حَظُوا من الدنيا بما حَظِيَ بِهِ المُتْرَفُون ، وأخذوا منها ما أَخَذَ الجَبابرةُ المتكبِّرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المُبَلِّغ ، والمَتْجَر الرَّابح ، أصابوا لذة زُهْد الدنيا فى دنياهم ، وتيقّنوا أنهم جيرانُ اللهِ غدًا فى آخرتهم ، لا تُرَدُّ لهم دَعوة ، ولا ينقُصُ لهم نصيبٌ من لذّة ، فاحذَروا عبادَ الله الموتَ وقُرْبه ، وأَعِدُّوا له عُدّتَه ، فإنه يأتى بأمر عظيم ، وخَطْبٍ جليل : بخيرٍ لا يكون معه شَرٌّ أبداً ، أو شرٍّ لا يكون معه خيرٌ أبداً ، فَمَن أقربُ إلى الجنة مِن عامِلها[1] ؟ ومَن أقربُ إلى النار مِن عاملها ؟ وأنتم طُرَداءُ[2] الموت ، إن أقمتُم له أخذكم ، وإن فَرَرْتم منه أدرككم ، وهو ألزَمُ لكم من ظِلّكم ، الموتُ معقودٌ بنَواصِيكم ، والدنيا تُطْوَى مِن خَلفكم ، فاحذَروا نارًا قَعْرُها بعيد ، وحَرُّها شديد ، وعذابُها جديد ، دار ليس فيها رحمة ، ولا تُسْمَع فيها دَعْوة ، ولا تُفَرَّج فيها كُرْبة ، وإن استطعتم أن يشتدَّ خوفُكم من الله ، وأن يَحْسُن ظنكم به ، فاجمعوا بينهما ، فإن العبد إنما يكون حُسْنُ ظنه بربِّه ، على قَدْر خوفه من ربه ، وإن أحسنَ الناس ظنا بالله أشَدُّهم خوْفا لله .

واعلم يا محمدُ بنَ أبى بكر أنّى قد وليَّتك أعظمَ أجنادى فى نفسى : أهلَ مصر ، فأنت مَحْقُوقٌ[3] أن تخالِفَ على نفسك ، وأن تُنافِحَ عن دينك ولو لم يكن لك إلا ساعةٌ من الدهر ، ولا تُسْخِطِ الله برِضا أحدٍ من خلقه فإن فى الله خَلَفاً من غيره ، وليس من الله خَلَفٌ فى غيره .

---

(١) أى من العامل لها . (٢) طرداء : جمع طريد ، أى يطردكم عن أوطانكم ويخرجكم منها
(٣) أى حقيق وجدير وخليق ، ونافحه : كافحه ودافعه .

صَلِّ الصلاة لوقتها المُوَقَّتِ لها ، ولا تعجِّل وقتها لِفَرَاغ ، ولا تؤخِّرْها عن وقتها لاشتغال ، واعلم أن كل شيء من عَمَلك تَبَعٌ لصلاتك .

ومنه : فإنه لاسَواءٌ إمامُ الهُدَى ، وإمام الرَّدَى[1] ، ووليُّ النبي ، وعدوُّ النبي ، ولقد قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنى لا أخاف على أمتى مؤمناً ولا مُشْرِكا ، أما المؤمن فيَمْنَعُه اللهُ بإيمانه ، وأما المُشْرِكُ فَيَقْمَعُه الله بِشركه[2] ، ولـكنى أخاف عليكم كلَّ منافِقِ الْجَنَان ، عالِم اللسان ، يقول ما تَعْرِفون ، ويفعل ما تُنْـكِرون » (نهج البلاغه ٢ : ١٩)

٤٩٩ — كتاب علىّ إلى محمد بن أبى بكر وأهل مصر[3]

وروى ابن أبى الحديد قال :

كتب على إلى محمد بن أبى بكر وأهل مصر :

« أما بعدُ ، فإنى أُوصِيكم بتَقْوَى الله والْعَمَلِ بمـا أنتم عنه مسئولون ، فأنتم به رُهُنٌ ، وإليه صائرون ، فإن الله عزّ وجل قال : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » وقال : « وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ » وقال: « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » فاعلموا عبادَ الله أن الله سائِلُـكُمْ عن الصغير من أعمالـكم والـكبير ، فإن يُعَذِّبْ فنحن الظالمون ،

---

(١) يعنى بإمام الهدى نفسه ، وبإمام الردى معاوية كما سيرد عليك بعد .

(٢) أى إن مظهر الشرك يخذله الله ويصرف قلوب الناس عن اتباعه ، لإظهاره كلمة الـكفر فلا تطمئن قلوبهم إليه .

(٣) أرجح أن هذا الـكتاب أصل للـكتاب السابق له ، لاحتوائه على جل عباراته وزيادته عليه ، وقد آثرت أن أورد الـكتابين جميعا كما رويا .

وإن يَغْفِرْ وَيَرْحَمْ فهو أرحم الراحمين ، واعلموا أن أقربَ ما يكون العبدُ إلى الرحمة والمغفرة حينما يعمل بطاعة الله ومناصَحَته فى التوبة ، فعليكم بتقوى الله عزّ وجلّ فإنها تَجْمَعُ من الخير مالا يَجْمَعُ غَيْرُهَا ، وَيُدْرَكُ بها من الخير مالا يُدْرَكُ بغيرها : خيرُ الدنيا وخيرُ الآخرة ، يقول الله سبحانه : « وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ » واعلموا عبادَ الله أن المؤمنين المتّقين قد ذهبوا بعاجِلِ الخير وآجِلِهِ ، شَرِكوا أهلَ الدنيا فى دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم ، يقول الله عزّ وجل : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » سَكَنُوا الدنيا بأفضلِ ما سُكِنَتْ ، وأكلوها بأفضلِ ما أُكِلَتْ ، شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون ، وشَرِبوا من أفضل ما يشربون ، ولبسوا من أفضل ما يَلْبَسُون ، وسكنوا من أفضل ما يسكنون ، أصابوا لذة أهل الدنيا مع أنهم غداً من جيران الله عزّ وجل ، يتمنّون عليه لا يَرُدُّ لهم دَعْوَةً ، ولا يَنْقُصُ لهم لَذَّةً ، أَمَا فى هذا ما يشتاقُ إليه مَن كان له عقلٌ ؟

واعلموا عبادَ الله أنكم إذا اتقيتم ربكم ، وحفِظتم نبيَّكم فى أهل بيته ، فقد عبدتموه بأفضلِ ما عُبِدَ ، وذكرتموه بأفضلِ ما ذُكِر ، وشكرتموه بأفضل ما شُكر ، وأخذتم بأفضَلِ الصبر ، وجاهدتم بأفضل الجهاد ، وإن كان غيركم أطولَ صلاةً منكم ، وأكثر صياما ، إذ كنتم أتقىَ لله ، وأنصحَ لأولياء الله من آل محمد صلى الله عليه وآله وأخشعَ ، واحذروا عبادَ الله الموتَ ونزولَه،

وخذوا له عُدَّته ، فإنه يدخل بأمر عظيم : خير لا يكون معه شرٌ أبداً ، أو شر لا يكون معه خير أبداً ، وليس أحد من الناس يُفارق رُوحُه جَسَدَه حتى يعلمَ إلى أى المنزلتين يصير : إلى الجنة أم إلى النار ؟ أعدوٌ هو لله أم وَلِيٌ له ؟ فإن كان وَلِيًّا فُتِحت له أبوابُ الجنة ، وشُرِع له طريقُها ، ونَظَر إلى ما أعدَّ اللهُ عز وجل لأوليائه فيها ، وفُرِّغ من كل شُغل ، ووُضِع عنه كل ثِقل(١) ، وإن كان عدوا لله فُتِحَت له أبوابُ النار ، وسُهِّلَ له طريقها ، ونَظَر إلى ما أعدَّ الله فيها لأهلها ، واستقبل كل مكروه ، وفارق كل سرور ، قال الله تعالى : « الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ » .

واعلموا عبادَ اللهِ أن الموت ليس منه فَوْتٌ ، فاحذروه وأعِدُّوا له عُدَّته ، فإنكم طُرَداء الموت ، إن أقمتم أخذَكم ، وإن هَرَبتم أدرككم ، وهو ألزَمُ لكم من ظِلِّكم ، مَعقودٌ بنَواصيكم ، والدنيا تُطْوَى من خَلْفِكم ، فأَكْثِرُوا ذِكرَ الموت عند ما تُنازِعُكم إليه أنفسُكم من الشَّهَوات ، فإنه كَفَى بالموت واعِظًا ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أَكْثِروا ذِكْرَ الموت فإنه هادِمُ اللَّذاتِ » واعلموا عبادَ اللهِ أن ما بعد الموت أشَدُّ من الموت لمن لم يغفر الله له ويَرْحمه ، واحذروا القبرَ وضَمَّتَه ، وضِيقَه وظُلْمَته ، فإنه الذى يتكلم كل يوم يقول : « أنا بيت التراب ، وأنا بيت الغُرْبةُ ، وأنا بيت الدُّودِ » والقبر رَوْضَة من رِياض الجنة ، أو حُفْرة من حُفَر النارِ ، وأن المسلم إذا مات

---

(١) الثقل : الحمل الثقيل .

قالت له الأرض : مَرْحَبا وأهلاً ، قد كنتَ ممن أُحِبُّ أن تمشِيَ على ظهرى ، فإذ وَلِيتُك فستعلمُ كيف صُنْعِي بك ، فتتَّسِع له مَدَّ بَصَرِه(١) ، وإذا دُفن الكافر . قالت له الأرض : لا مَرْحَبًا ولا أهلاً ، قد كنتَ ممن أُبْغِضُ أن تمشيَ على ظهرى ، فإذ وَلِيتُك فستعلم كيف صُنْعى بك ، فتنضمُّ عليه حتى تلتقِيَ أضلاعُه ، واعلموا أن المعيشة الضَّنْكَ التى قال سبحانه : « فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا(٢) » هى عذاب القبر ، وأنه يُسَلَّط على الكافر فى قبره حيَّاتٌ عِظام تَنْهَشُ لحمه حتى يُبْعَث ، لو أن تِنِّينًا(٣) منها نفخَ الأرضَ ما أنْبَتَ الزرعُ أبداً .

واعلموا عبادَ الله أن أنفسكم وأجسادكم الرقيقة الناعمة التى يكفيها اليسيرُ من العقاب ضعيفةٌ عن هذا ، فإن استطعتم أن تَرْحَموا أنفسكم وأجسادكم مما لا طاقةَ لكم به ، ولا صَبْرَ لكم عليه ، فتعملوا بما أحَبَّ الله سبحانه ، وتتركوا ما كَرِهَ فافعلوا ، ولا حوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله .

واعلموا عبادَ الله أن ما بعد القبر أشَدُّ من القبر ، يوم يَشِيب فيه الصغير ، ويَسْكَر فيه الكبير ، وتَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عمَّا أرضعَتْ ، واحذروا يومًا عَبُوساً قَمْطَرِيرا(٤) ، كان شَرُّه مُسْتَطِيرا(٥) ، أمَا إن شرَّ ذلك اليومِ وفزَعه استطار حتى فَزِعَتْ منه الملائكة الذين ليست لهم ذنوب ، والسَّبْعُ الشِّداد ، والجبالُ الأوتادُ ، والأَرَضُون المِهادُ(٦) ، وانْشقَّتِ السَّماء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ،

---

(١) أى : قدر مد بصره . (٢) الضنك : الضيق فى كل شىء ، للذكر والأنثى .
(٣) أى حية عظيمة . (٤) أى شديد العبوس . (٥) أى منتشراً .
(٦) يشير إلى قوله تعالى « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا » وإلى قوله « وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا » .

وتغيَّرت ، فكانت وردةً كالدِّهان(١) ، وكانت الجبال سَرَابًا بعد ما كانت صُمًّا صِلاَبًا ، يقول اللهُ سبحانه . « وَنُفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ » فكيف بمن يَعْصِيه بالسَّمع والبَصَر واللسان ، واليد ، والرجل ، والفَرْج ، والبطن ، إن لم يَغْفِرِ الله ويَرْحَم؟

واعلموا عِبادَ الله أنَّ ما بعد ذلك اليوم أشَدُّ وأَدْهَى : نارٌ قَعْرُها بعيد ، وحَرُّها شديد ، وعذابُها جَديد ، ومَقَامِعُها(٢) حديد ، وشَرابُها صَديد ، لا يفتُرُ عذابُها ، ولا يموت ساكِنُها ، دار ليست لله سبحانَه فيها رحمةٌ ، ولا يَسْمَع فيها دَعوةً ، ومع هذا رحمةُ الله التى وَسِعَت كُلَّ شىء لا تعجز عن العباد ، وجَنَّة عَرْضُها كَعَرْض السماء والأرض خير لا يكون معه شَرٌّ أبداً ، وشهوة لا تنفَدُ أبدا ، ولذَّة لا تَفْنَى أبدا ، ومَجْمَعٌ لا يتفرَّق أبداً ، قوم قد جاوروا الرحمن ، وقام بين أيديهم الغِلْمان ، بصِحَافٍ مِن ذَهَب فيها الفاكهةُ والرَّيحان ، وأن أهل الجنة يزورون الجَبَّارَ سبحانَه فى كل جُمُعة فيكون أقْرَبُهم منه على منابرَ من نور ، والذين يلُونهم على مَنَابِرَمِنْ ياقوت ، والذين يلونهم على منابِرَ من مِسْك ، فبَيْناهم كذلك ينظرون نور الله جَلَّ جَلالُهُ ، وينظر الله فى وجوههم ، إذ أقبلَتْ سحابة تَغْشَاهم فتُمْطِر عليهم من النِّعْمة واللَّذَّة والسرور والبهجة مالا يَعْلَمُه إلا الله سبحانَه ، ومع هذا ماهو أفضلُ منه : رِضوانُ الله الأكبر ، أَمَا إنّا لو لم نُخوَّف إلا ببعض ما خُوِّفنا به لكنا مَحْقُوقين أن يشتدَّ خوفُنا مما لا طاقةَ لنا به ، ولا صَبْرلقُوَّتنا عليه ، وأن

---

(١) أى حمراء كالوردة مذابة كالدهن ، وهو اسم لما يدهن به وجمعه أدهان ودهان ، والدهان أيضا : الأديم الأحمر . (٢) المقامع : جمع مقمعة ككناسة ، وهى عمود من حديد .

يشتدَّ شوقنا إلى مالا غِنى لنا عنه ، ولا بُدَّ لنا منه ، فإن استطعتم عباد الله أن يشتدَّ خوفكم من ربكم فافعلوا ، فإن العبد إنما تكون طاعته على قدر خوفه ، وإنّ أحْسَنَ الناس لله طاعةً أشدُّهم له خَوفا .

وانظر يا محمدُ : صَلاتك كيف تصلّيها ، فإنما أنت إمام ينبغى لك أن تُتِمَّها ، وأن تحفظها بالأركَان ، وأن تصلّيَها لوقتها ، فإنه ليس من إمام يُصَلِّى بقوم فيكون فى صلاته وصَلاَتِهم نَقْصٌ ، إلا كَان إثْمُ ذلك عليه ، ولا يَنْقُص من صلاتهم شىء .

واعلم أن كل شىء من عملك يَتْبَع صلاتك ، فمن ضَيَّع الصلاة فهو لغيرها أشدُّ تضييعاً ، وَوُضُوءك من تمام الصلاة فأْتِ به على وجهه ، فالوضوء نصف الإيمان ، أسْأَلُ الله الذى يَرَى ولا يُرَى ، وهو بالمنظر الأعلى ، أن يجعلَنا وإياك ممن يحبُّه ويرضاه ، حتى يَبْعَثنا على شكره وذِكْره وحُسْنِ عبادته وأداء حقه ، وعلى كل شىء اختاره لنا فى دُنيانا ودِيننا ، وأُولانا وأُخْرانا ، وأن يجعلَنا من المتقين الذين لا خَوْفٌ عليهم وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ .

فإن استطعتم يَاأَهْلَ مصر أن تَصْدُقَ أقوالكم وأفعالكم ، وأن يتوافق سِرُّكم وعَلاَنِيتكم ، ولا تخالف ألسنتكُم قلوبكم فافعلوا ، رَحِمَكم الله وعَصَمَنا وإياكم ، وسَلَك بنا وبكم المَحَجَّةَ(١) البيضاء ، وإياكم ودعوةَ الكذَّاب ابن هند ، وتأمَّلوا واعلموا أنه لا سواءٌ إمامُ الهُدَى وإمام الرَّدَى ، ووَصِيُّ النبى ، وعدوُّ النبى ، جعَلَنا الله وإياكم ممن يُحِبّ ويرضى ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إنى لا أخاف على أمتى مؤمناً ولا مشركاً ، أمّا

---

(١) المحجة : جدة الطريق

المؤمنُ فيَمْنَعُه الله بإيمانه ، وأما المشرك فيُخْزِيه اللهُ بشركه ، ولكنى أخاف عليكم كل منافق اللسان يقولُ ما تعرِفون ، ويفعل ما تنكرون » .

واعلم يا محمدُ أن أفضل الفِقْهِ الورَعُ فى دين الله ، والعمل بطاعته ،فعليك بتقوى الله فى سِرّ أمرك وعلانيتك ، وأُوصيك بسبع هُنّ جوامِعُ الإسلام : أَخْشَ الله ولا تَخْشَ الناس فى الله ، وخَيْرُ القول ما صَدَّقه العملُ ، ولا تقْضِ فى أمرٍ واحد بقضاءين مختلفين فيتناقَضَ أمرُك ، وتَزِيغَ عن الحق ، وأحِبَّ لعامَّة رعيتك ما تُحِبُّه لنفسك ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَه لنفسك ، وأصْلِح أحوال رعيتك ، وخُضِ الغمَرَاتِ إلى الحق ، ولا تَخَفْ لَوْمَةَ لائم ، وانْصَحْ لمن استشارك ، واجعل نفسك أُسْوَةً لقريب المسلمين وبعيدهم ، جعل الله خُلَّتنا[1] ووُدَّنا خُلَّة المتقين ووُدَّ المُخْلِصين ، وَجَمَعَ بيننا وبينكم فى دار الرِّضوان إخْوانا على سُرُرٍ متقابلين ، إن شاء الله » . (سرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٦)

٥٠٠ — كتاب علىّ إلى أهل مصر

وروى ابن أبى الحديد قال :

كتب على عليه السلام إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبى بكر إليهم كتابا يخاطبهم فيه ويخاطب محمدا أيضاً فيه :

« أما بعدُ ، فإنى أُوصِيكم بتَقْوَى الله فى سِرِّ أمركم وعَلاَنِيته ، وعلى أى حال كنتم عليها ، ولْيَعْلَمِ المرء منكم أن الدنيا دار بَلاء وفَناء ، والآخرة دار جَزَاء وبَقاء ، فمن استطاع أن يُؤْثِر ما يَبْقَى على ما يَفْنَى فلْيَفْعَلْ ، فإن

---

(١) الخلة : الصداقة المختصة لاخلل فيها .

الآخرة تَبْقَى والدنيا تَفْنَى ، رَزَقَنا اللهُ وإياكم بَصَرا لما بَصَّرَنا وفَهْما لما فَهَّمنا ، حتى لا نُقَصِّرَ عما أمَرَنا ، ولا نتعدَّى إلى ما نهانا .

واعلم يا محمدُ : أنك وإن كنت محتاجاً إلى نصيبك من الدنيا ، إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحْوَجُ ، فإنْ عَرَضَ لك أمران : أحدهما للآخرة ، والآخَرُ للدنيا ، فابْدَأْ بأمرِ الآخرة ، ولْتَعْظُمْ رغبتُك فى الخير ، ولْتَحْسُنْ فيه نِيَّتُك ، فإنَّ الله عزّ وجل يُعْطِى العبدَ على قدر نيَّته ، وإذا أحَبَّ الخيرَ وأهلَه ولم يعمَلْه كان إن شاء اللهُ كمن عَمِلَه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين رَجَع من تبُوك ، « إن بالمدينة لَأقواما : ما سِرْتم من مَسِيرٍ ، ولا هَبَطْتُم من وادٍ إلا كانوا معكم ، ما حَبَسَهم إلا المرضُ ، يقول : كانت لهم نيةٌ » .

ثم اعلم يا محمدُ أنِّى قد ولَّيتُك أعظمَ أجنادى : أهلَ مصر ، ووليّتك ما ولّيتُك من أمرِ الناس ، فأنت محقوقٌ أن تخاف فيه على نفسك ، وتَحْذَرَ فيه على دينك ، ولو كان ساعةً من نهار ، فإن استطعتَ أن لا تُسْخِطَ ربَّك لِرِضا أحدٍ من خَلْقه فافعل ، فإن فى الله خَلَفاً من غيره ، وليس فى شىءٍ خَلَفٌ منه ، فاشْتَدَّ على الظالم ، ولِنْ لأهل الخير ، وقَرِّبْهم إليك ، واجعلهم بِطانَتَك وإخوانك ، والسلام » .   (شرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٦)

٥٠١ — كتاب محمد بن أبى بكر إلى معاوية

وروى أن محمد بن أبى بكر لما وصل إلى مصر كتب إلى معاوية كتابا فيه :

« من محمد بن أبى بكر إلى الغاوِى(١) معاوية بن صَخْر : سلام على أهل

---

(١) أى الضال ، وصف من الغواية بالفتح .

طاعة الله ممن هو سِلْم لأهل ولاية الله ، أما بعد ، فإن الله بجلاله وعَظَمته وسُلطانه وقدرته ، خَلَق خَلْقَه بلا عَبَث منه . ولا ضعف فى قوته ، ولا حاجَةَ به إلى خَلْقهم ، لـكنه خَلَقهم عَبيداً ، وجعل منهم غَوِيًّا ورشيداً ، وشَقِيًّا وسعيداً ، ثم اختار على عِلْم فاصطفى وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فاختصه برسالته ، واختاره لوَحْيه ، وأْتَمنه على أمْره ، وبعثه رسولا ومُبَشِّراً ونذيراً مصدِّقا لمـا بين يَدَيْه من الـكتب ، ودليلا على الشرائع ، فدعا إلى سبيل أمره بالحـكمة والموعظة الحسنة فـكان أوّلَ من أجاب وأنابَ وآمَنَ وصَدَّق وأسلم وسَلَّم ، أخوه وابن عمه على بن أبى طالب صَدَّقه بالْغَيْب المـكتوم ، وآثَرَه على كل حَمِيم ، وَوَقَاه بنفسه كلَّ هول ، وَواسَاه بنفسه فى كل خوف ، وحارب حَرْبَه ، وسالَمَ سِلْمَه ، فلم يَبْرَح مُبْتَذِلاً لنفسه فى ساعات الأَزْلِ[1] وَمقامات الرَّوع ، حتى برَّز سابقاً لانظيرَ له فى جهاده . ولا مُقَارِبَ له فى فعله .

وقد رأيتُك تُساميه ، وأنت أنت ، وهو هو السابق المبرِّز فى كل خير ، أول الناس إسلاما ، وأصدقُ الناس نيةً ، وأفضل الناس ذُرِّية ، وخير الناس زوجةً ، وأفضل الناس ابنَ عم ، أخوه الشارى[2] لنفسه يوم مُؤْتة ، وعمه سيِّد الشُّهداء يومَ أُحُد ، وأبوه الذابُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن

---

(١) الأزل : الضيق والشدة ، والروع : الفزع . وفى مروج الذهب « فى ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع ، حتى برّز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه » وبرّز : فاق على أصحابه .

(٢) سراه يشريه : اشتراه وباعه ضد ، والمراد هنا الثانى ، قال تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ ٱللَّهِ » أى يبيعها ، وقال « وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ » أى باعوه ، وأخوه : هو جعفر بن أبى طالب ، قاتل يوم مؤتة حتى استشهد ـــ انظر ص ٤٤٩ .

حَوْزته ، وأنت اللعين ابن اللعين[١] ، لم تزَلْ أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائلَ[٢] ، وتجهَدان فى إطفاء نور الله ، تجْمَعان على ذلك الجموعَ ، وتبذُلان فيه المال ، وتؤلِّبان عليه القبائل ، على هذا مات أبوك وعلى ذلك خَلَفْتَه ، والشاهِد عليك بذلك من تُدْنِى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشاهد لعلىّ مع فضله المُبين وسابقتهِ القديمة أنصارُه الذين معه ، الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، فهم معه كتائب وعصَائِب يجالدون حوله بأسيافهم ، ويُهرِيقون دماءهم دونه ، يرَون الحق فى اتّباعه ، والشقاء[٣] فى خِلافه ، فكيف يالَكَ الوَيْلُ تَعْدِل[٤] نفسَك بعلىّ وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووَصِيُّه وأبو ولده ، وأول الناس له اتّباعا ، وأقربهم به عهداً ، يُخبره بسرّه ، ويُطْلِعه[٥] على أمره ، وأنت عدوه وابن عدوه .

فتمتّعْ فى دنياك ما استطعتَ بباطلك ، ولْيُمْدِدْك ابن العاص فى غَوايتك ، فكأنّ أجَلَك قد انقضى ، وكَيْدَك قد وهَى ، وسوف يتبيَّن لك لمن تكون العاقبةُ العليا ! واعلم أنك إنما تكايد ربَّك الذى قد أمِنْت كيده ، وأيِستَ من رَوْحِهِ ، وهو لك بالمِرْصاد ، وأنت منه فى غرور ، والسلام على من اتبع الهدى (مروج الذهب ٢ : ٥٩ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٨٣)

---

(١) جاء فى مقال خاطب به الحسن بن على عليه السلام معاوية : « وأنشدك الله يا معاوية : أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا تقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق؟ » انظر شرح ابن أبى الحديد م٢ : ص١٠٢

(٢) الغوائل : الدواهى ، وفى ابن أبى الحديد « وتحالفان فى ذلك القبائل » .

(٣) وفيه « يرون الفضل فى اتباعه ، والشقاق والعصيان فى خلافه » .

(٤) أى تسوى . (٥) وفى ابن أبى الحديد « ويشركه فى أمره » .

٥٠٢ — رد معاوية على محمد بن أبى بكر

فكتب إليه معاوية :

« من معاوية بن صَخْر إلى الزَّارى[1] على أبيه محمد بن أبى بكر : سلام على أهل طاعة الله ،

أما بعد : فقد أتانى كتابك تذكُرُ فيه ما الله أهْلُه فى عَظَمته وقدرته وسلطانه ، وما أَصْفَى[2] به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعلى آلِه مع كلام كثير أَلَّفْتَه ووضعتَه ، لِرَأْيك فيه تضعيفٌ ، ولأبيك فيه تعنيفٌ ، ذكرت فيه فضلَ ابن أبى طالب ، وقديمَ سوابقه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصرته له ، ومُواساته إياه فى كل هَوْل وخوف ، فكان احتجاجُك علىّ وفخرُك بفضل غيرِك لا بفضلك ، فأَحْمَدُ ربًّا صَرَفَ هذا الفضلَ عنك وجعله لغيرك ، فقد كنا وأبوك معنا فى حياة نبيِّنا نعرِف حَقّ ابن أبى طالب لازمًا لنا ، وفضله مبرِّزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عِنْده ، وأتَمَّ له ما وَعَده ، وأظهر دعوته ، وأفلج[3] حُجَّته ، وقبضَه الله إليه صلوات الله عليه ، كان أبوك وفارُوقُهُ أولَ من ابتزَّه حقَّه[4] ، وخالفَه على أمره ، على ذلك اتَّفقا واتَّسَقا ، ثم إنهما دعَوَاه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكَّأ عليهما ، فهَمَّا به الهُمُومَ ، وأرادا به العظيمَ ، ثم إنه بايعهما وسَلَّم

---

(١) زرى عليه : عابه . (٢) أصفاه بكذا : آثره .
(٣) أى نصرها . (٤) أى سلبه إياه .

لهما ، وأقاما لا يُشْرِكانه فى أمرهما[1] ، ولا يُطْلِعانه على سِرهما ، حتى قبضَهما الله ، وانقضى أمرهما ، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما ، وسار بسيرتهما ، فعِبْتَه أنت وصاحبك حتى طَمِع فيه الأقاصِى ، من أهل المعاصِى ، فطلبتما له الغوائلَ ، حتى بلغتما فيه مُناكما .

فخذ حِذْرَكَ يابن أبى بكر ، فسترى وَبَالَ أمرك ، وقِسْ شِبْرَكَ بِفتْرِكَ تَقْصُر عن أن تُوازِىَ أو تُساوِىَ مَن يَزِنُ الجبال حِلْمُه ، ولا تَلِين عَلَى قَسْر[2] قناتُه ، ولا يُدْرِكُ ذو مَدًى[3] أَنَاتَه ، أبوك مهّد له مهاده ، وبنى مُلْكه وشادَه ، فإن يك ما نحن فيه صَوابا فأبوك أوّله ، وإن يكن جَوْرًا فأبوك أُسُّه[4] ، ونحن شركاؤه ، فبهديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، ولولا ما فعل أبوك من قبلُ ما خالفْنا ابن أبى طالب ، ولَسَلَّمْنا إليه ، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا ، فاحْتَذينا مِثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعِبْ أباك بما بدا لك ، أو دَعْ ، والسلام على من أناب ، ورجع من غَوايته وتاب » .

(مروج الذهب ٢ : ٦٠ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٢٨٤)

---

(١) أقول : وكيف يتفق هذا مع ماعرف من أن عمر رضى الله عنه كان يستشيره فى مهامّ أموره، فيشير عليه بالرأى السديد والفكر الناضج ، من ذلك استشارته إياه حين أزمع أن يتوجه لغزو الفرس بنفسه وأشار عليه الإمام برأى حكيم حصيف ــ انظر نهج البلاغة ١ : ١٥٥ ــ

(٢) القسر : القهر والإكراه . (٣) وفى مروج الذهب « ذو مقال » .

(٤) وفيه : « فإن يك ما نحن فيه صوابا فأبوك استبد به ونحن شركاؤه » .

٥٠٣ — كتاب عليّ إلى الأشتر

وفَسَدت مصر على محمد بن أبي بكر ، وبلغ عليا وثوبُ أهلها عليه[١] ، وكان عليّ حين انصرف من صفين رد مالك بن الحارث الأَشْتَر على عمله بالجزيرة ، فلما انقضى أمر الحكومة كتب عليّ إلى الأشتر — وهو يومئذ بنَصِيبين[٢] :

« السلام عليك يا مالك ، أما بعد : فإنك ممن أَسْتَظْهِر به على إقامة الدين ، وأَقْمَعُ به نَخْوة[٣] الأثيم ، وأَسُدُّ به الثّغرَ المَخُوف ، وكنت قد وليت محمد بن أبي بكر مصرَ ، فخرجت عليه بها خوارجُ ، وهو غلام حَدَثُ السِّن غِرّ ليس بذى تَجْرِبة للحرب ، ولا بمجرِّب للأشياء ، فاقْدَم عليّ لِنَنظرَ فيما ينبغى ، واستخلِفْ على عملك أهلَ الثِّقة والنصيحة من أصحابك ، والسلام » .

---

(١) وذلك أن محمد بن أبي بكر لم يلبث بعد توليه مصر شهراً كاملا ، حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين بخربتا — الذين كان قيس وادعهم — فقال : يا هؤلاء ، إما أن تدخلوا فى طاعتنا ، وإما أن تخرجوا من بلادنا ، فبعثوا إليه : إنا لا نفعل ، دعنا حتى ننظر إلام تصير إليه أمورنا ؟ ولا تعجل بحربنا ، فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم ، فكانت وقعة صفين ، وهم لمحمد هائبون ، فلما أتاهم صبر معاوية وأهل الشأم لعلى ، وأن علياً وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشأم ، وصار أمرهم إلى الحكومة ، اجترءوا على محمد بن أبي بكر ، وأظهروا له المبارزة ، فبعث إليهم الحارث بن جهمان الجعفى فقاتلهم فقتلوه ، ثم بعث إليهم رجلا من كلب يدعى ابن مضاهم فقتلوه ، ثم خرج معاوية ابن حديج الكندى فدعا إلى الطلب بدم عثمان ، فأجابه ناس آخرون ، وفسدت مصر على ابن أبي بكر — انظر تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٢ و ٦ : ٥٤ — .

(٢) مدينــة من بلاد الجزيرة . (٣) النخوة : الكبر والعظمة ، وقمعه كمنعه : قهره وذلله ، والثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .

فأقبل إليه ، فقال له : ليس لها غيرك ، وولاه إياه ، فخرج الأشتر إلى مصر ، ولكنه مات بالعريش مسموما[١] .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٢٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٣)

٥٠٤ — كتاب علىّ إلى أهل مصر

عن مَوْلًى للأشتر قال : لما هلك الأشتر وجدنا فى ثَقَله[٢] رسالة علىّ إلى أهل مصر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غَضِبوا لله حين عُصِىَ فى أرضه[٣] ، وذُهِب بحقّه ، فضرب الجَوْر سُرادِقه على البَرّ والفاجر ، والمُقيم والظاعِن ، فلا معروف يُستَرَاح إليه ، ولا مُنْكَرَ يُتَنَاهى عنه .

(١) وذلك أن الأشتر لما تهيأ للخروج إلى مصر ، أتت معاوية عيونه ، فأخبروه الخبر ، فعظم ذلك عليه ، وكان قد طمع فى مصر ، وعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشد عليه من محمد بن أبى بكر ، وسار الأشتر بجيش إلى مصر ، فبعث معاوية إلى دهقان بالعريش ، فقال له : إن الأشتر قد ولى مصر ، فإن أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجا مابقيت ، فاحتل له بما قدرت عليه ، فلما نزل الأشتر العريش ، سأل الدهقان : أىّ الطعام والشراب أحب إليه ؟ فقيل : العسل ، فاستقبله ، وقال : أنا رجل من أهل الخراج ، وأتاه بعلف وطعام ، حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سما ، فسقاه إياها ، فما استقرت فى جوفه حتى تلف ، وبلغ ذلك معاوية فقال : إن لله جنوداً منها العسل . انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤ ومروج الذهب ٢ : ٢٩ — .

(٢) الثقل : متاع المسافر . (٣) قال ابن أبى الحديد فى شرحه : هذا الفصل يشكل علىّ تأويله ، لأن أهل مصرهم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنهم غضبوا لله حين عصى فى الأرض فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر ، ويمكن أن يقال — وإن كان متعسفاً — إن الله تعالى عصى فى الأرض لامن عثمان ، بل من ولاته وأمرائه وأهله ، وذهب بينهم بحق الله ، وضرب الجور سرادقه بولايتهم وأمرهم على البر والفاجر والمقيم والظاعن ، فشاع المنكر وفقد المعروف الخ » .

سلام عليكم فإنى أحمَد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينام أيام الخوف ، ولا ينْكُلُ عن الأعداء ساعات الرَّوْع حِذارَ الدَّوائر[١] ، أشدَّ على الفُجَّار ، من حريق النار ، وأبعد الناس من دَنَس أو عار ، وهو مالك بن الحارث أخو مَذْحِج ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابَقَ الحقَّ ، فإنه سيف من سيوف الله ، لا كَلِيل الظُّبَة[٢] ولا نابِى الضَّريبة ، حَكيمٌ فى السِّلم ، رَزِينٌ فى الحرْبِ ، ذُو رأىٍ أَصِيلٍ ، وَصبْرٍ جَمِيلٍ ، فَإِنْ أَمَرَكم أن تَنْفِرُوا فانْفِرُوا ، وإن أَمَرَكم أن تُقيموا فأقيموا ، فإنه لا يُقْدِم ، ولا يُحْجِم ، ولا يُؤَخِّر ، ولا يُقَدِّم إلا عن أمرى ، وقد آثَرتكم به على نفسى لنصيحته لكم ، وشدة شَكِيمَته[٣] على عدوكم ، عَصَمَكم الله بالهُدَى ، وثَبَّتكم على اليقين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٥ ، وشرح ابن أبى الحديد م٢ : ص ٢٩ وص ٣٠)

٥٠٥ — كتاب آخر إلى أهل مصر

وروى الشريف الرضى فى نهج البلاغة أيضاً أن عليًّا عليه السلام كتب إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها :

« أما بعد ، فإن الله سبحانه بَعَثَ محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ، ومُهَيْمِناً[٤] على المرسلين ، فلما مضى عليه السلام تنازَعَ المسلمون

---

(١) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا : نكص وجبن ، والروع : الفزع ، والدوائر : جمع دائرة وهى الهزيمة . (٢) الظبة : حد السيف ، والضريبة : ما يضرب بالسيف ، ونبا السيف عن الضريبة : كلّ ولم يقطع ، والمعنى ولا ناب عن الضريبة .

(٣) الشكيمة فى الأصل : حديدة اللجام المعترضة فى فم الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبىّ لا ينقاد .

(٤) المهيمن : الشاهد ، والنبى عليه الصلاة والسلام شاهد برسالة المرسلين قبله ، قال تعالى « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » أى تشهد بصحة نبوة الأنبياء قبلك .

الأمر من بعده ، فوالله ما كان يُلْقَى فى رُوعِى[١] ، ولا يَخْطُر ببالى أن العرب تُزْعِج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ، ولا أنهم مُنَحُّوه[٢] عنى من بعده ، فما راعنى إلا انْثِيالُ الناس على فلان[٣] يبايعونه فأمسكتُ يَدِى ، حتى رأيت راجِعةَ الناس[٤] قد رَجَعَتْ عن الإسلام ، يدعون إلى مَحْقِ دين محمد صلى الله عليه وآله ، فَخَشِيتُ إن لَمْ أَنْصُرِ الإسلام وأهله أَنْ أرى فيه ثَلْماً أو هَدْماً ، تكون المصيبةُ به علىَّ أعظمَ من فَوْتِ ولايتكم التى إنما هى مَتاعُ أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزولُ السرابُ ، أو كما يتقشّعُ[٥] السحاب ، فنهضْتُ فى تلك الأحداث ، حتى زَاحَ[٦] الباطل وزَهَق ، واطمأنَّ الدِّينُ وتَنَهْنَهَ[٧] » . ومنه :

« إنى وَاللهِ لو لَقِيتهم واحداً ، وهم طِلاعُ[٨] الأرض كلها ، ما باليتُ ولا استوحَشْتُ ، وإنى من ضَلاَلهم الذى هم فيه ، والهُدَى الذى أنا عليه ، لعَلَى بصيرة من نفسى ، ويقينٍ من ربى ، وإنى إلى لقاء الله لمشتاق ، ولحُسْنِ ثوابه لَمُنْتَظِرٌ راجٍ ، ولكنى آسَى[٩] أن يَلِىَ أمرَ هذه الأمة سُفَهاؤها وفُجَّارها ، فيتخذوا مالَ الله دُوَلاً[١٠] وعبادَه خَوَلاً ، والصالحين حَرْبا ، والفاسقين

---

(١) الروع : القلب . (٢) أى مبعدوه . (٣) أى انصبابهم على أبى بكر من كل وجه .

(٤) يعنى أهل الردة . (٥) أى يتكشف . (٦) زاح يزيح : بعد وذهب كانزاح .

(٧) تنهنه : سكن ؛ وأصله الكفّ ، تقول : نهنهت السبع فتنهنه : أى كف عن حركته ، فكأن الدين كان متحركا مضطربا فسكن وكف عن ذلك الاضطراب .

(٨) طلاع الشىء : ملؤه .

(٩) أسى يأسى كفرح : حزن . (١٠) دولا : جمع دولة بالضم ، يقال : صار الفىء دولة بينهم : أى يتداولونه ، يكون مرة لهؤلاء ، ومرة لهؤلاء ، والخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، وحربا : أى أعداء .

حِزْبا ، فإن منهم الذى قد شرِب فيكم الحرامَ ، وجُلِد حَدًّا فى الإسلام[1] ، وإن منهم من لم يُسْلِم حتى رُضِخَتْ له على الإسلام الرَّضائخ[2] ، فلولا ذلك ما أكثرتُ تأليبكم[3] وتأنيبكم ، وجَمْعَكم وتحريضكم ، ولتركتكم إذ أبَيْتم وَوَنَيْتم .

ألا تَرَوْن إلى أطرافكم قد انتُقِصَت ، وإلى أمصاركم قد افتُتِحت ، وإلى ممالككم تُزْوى[4] وإلى بلادكم تُغْزَى ؟ انفِروا رَحِمَكم الله إلى قتال

---

(١) يعنى الوليد بن عقبة بن أبى معيط — انظر ما قدمناه فى ص ٢٩٤ —

(٢) رضخ له من ماله كمنع : أعطاه ، والرضيخة : العطية المقاربة ، والجمع رضائخ ، وقوله « من لم يسلم » يصح أن يكون على حقيقته أو أن يكون معناه من لم يثبت على إسلامه ، يعنى أن من أنصار معاوية وأشياعه قوما من المؤلفة قلوبهم الذين استمالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبهم فى الإسلام بما أعطاهم من غنائم حنين (وكانت غزوة حنين سنة ثمان بعد فتح مكة) وكان معاوية وأبوه أبو سفيان من المؤلفة قلوبهم الذين نالوا عطاء الرسول، روى الطبرى قال : « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير . . . . إلى آخر الخبر » — انظر تاريخ الطبرى ج ٣ : ص ١٣٦ ، وانظر أيضاً سيرة ابن هشام ج ٢ : ص ٣٢٠ ، وقال ابن أبى الحديد : « فأما الذى رضخت له على الاسلام الرضائخ فمعاوية . . . » .

وقال أيضاً : « وقال الراوندى : عنى بقوله رضخت لهم الرضائخ عمرو بن العاص ، وليس بصحيح ، لأن عمرا لم يسلم بعد الفتح ، وأصحاب الرضائخ كلهم بعد الفتح صونعوا على الإسلام بغنائم حنين ، ولعمرى إن إسلام عمرو كان مدخولا أيضاً ، إلا أنه لم يكن عن رضيخة . . . » وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده فى تفسيره : « قالوا إن عمرو بن العاص لم يسلم حتى طلب عطاء من النبى فلما أعطاه أسلم » وقد عرفت ما فيه وتعقب ابن أبى الحديد الراوندى أيضاً فقال : « فأما الذى شرب الحرام فقد قال الراوندى هو المغيرة بن شعبة ، وأخطأ فيما قال ، لأن المغيرة إنما اتهم بالزنا ولم يحد ، ولم يجر للمغيرة ذكر فى شرب الخمر ، وأيضاً فإن المغيرة لم يشهد صفين مع معاوية ولا مع على عليه السلام ، وما للراوندى ولهذا ؟ إنما يعرف هذا الفن أربابه اهـ » وقد ذكر فى مقدمة شرحه أن الراوندى (وقد شرح نهج البلاغة قبل ابن أبى الحديد) كان من فقهاء الإمامية ، وأنه اقتصر مدة عمره على الاشتغال بعلم الفقه وحده . (٣) التأليب : التحريض والاغراء .

(٤) أى تقبض .

عدوكم ، ولا تثّاقلوا إلى الأرض ، فتَقَروا[1] بالخَسْفِ ، وتبوءوا بالذل ، ويكونَ نصيبكم الأخَسّ ، وإنّ أخا الحرب الأَرِقُ ، ومن نام لم يُنَمْ عنه ، والسلام » . (نهج البلاغة ٢ : ٨٦)

٥٠٦ — كتاب على إلى محمد بن أبى بكر

ولما بلغ محمد بن أبى بكر أن عليًّا قد بعث الأشتر شقّ عليه ، فكتب علىّ إليه حين بلغه مَوْجِدَته لقدوم الأشتر عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى محمد ابن أبى بكر :

سلام عليك ، أما بعدُ : فقد بلغنى مَوْجِدتُك[2] من تسريحى الأشترَ إلى عملك ، وإنى لم أفعل ذلك استبطاء لك فى الجهاد ، ولا استزادة لك منى فى الجِدّ ، ولو نزعتُ ما تحت يدك من سلطانك ، لولَّيْتُك ما هو أيسرُ عليك مئونةً ، وأعجبُ إليك منه ولايةً :

ألاَ إن الرجل الذى كنت ولّيتُه أمرَ مصر ، كان لنا رجلاً مناصحاً ، وعلى عدونا شديداً ناقما ، فرحمه الله ، فلقد استكملَ أيّامَهُ ، ولاقَى حِمَامَهُ[3] ونحن عنه راضون ، أولاه الله رضوانَه ، وضاعف له الثوابَ ، وأحسَنَ له المآبَ ،

---

(١) يصح أن يكون « فتقروا » بفتح التاء والقاف أى تقيموا ، وأن يكون بضم التاء وكسر القاف أى تعترفوا ، والخسف : الذل ، والأرق : الساهر هذا وقد أورد الشريف الرضى فى نهج البلاغة (ج ٢ : ص ٥٩ — ٨٠) عهداً مطولا كتبه علىّ عليه السلام للأشتر النخعى لما ولاه على مصر وأعمالها ، وقد كتبت كلمة عن هذا العهد فى كتابى « ترجمة على بن أبى طالب » ص ١٢٨ فارجع إليه .

(٢) أى من غضبك ، والتسريح : الإرسال . (٣) الحمام : الموت .

فأْصحِر[1] لعدوك ، وامض على بصيرتك ، وشمِّر لحرب من حاربك ، وادْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والمَوْعِظة الحَسَنَة ، وأكْثِرْ ذكرَ اللّه ، والاستعانةَ به ، والخوفَ منه ، يَكْفِك ما أهمَّك ، ويُعِنْك على ماولاَّك ، أعاننا اللّه وإياك على مالا يُنال إلا برحمته ، والسلام عليك » .

(نهج البلاغة ٢ : ٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٥ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣٠)

٥٠٧ — رد محمد بن أبى بكر على علىّ

فكتب إليه محمد بن أبى بكر جواب كتابه :

« بسم اللّه الرحمن الرحيم ، لعبد اللّه علىٍّ أمير المؤمنين من محمد بن أبى بكر ، سلام عليك ، فإنى أحمَد إليك اللّهَ الذى لا إله غيرهُ ، أما بعد : فإنى قد انتهى إلىّ كتابُ أمير المؤمنين : وفهمتُه وعرَفْتُ ما فيه ، وليس أحد من الناس بأَرْضَى منى برَأْيِ أمير المؤمنين ، ولا أَجْهَدَ على عدوه ، ولا أرأَف بوليِّه منى .

وقد خرجتُ فعسكرتُ ، وآمنتُ الناس ، إلا من نَصَبَ لنا حرباً ، وأظهر لنا خِلافاً ، وأنا متَّبعٌ أمرَ أمير المؤمنين ، وحافِظُه ، وملتجئٌ إليه ، وقائم به ، واللّه المستعان على كل حال ، والسلام عليك » :

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣٠)

---

(١) أى كن من أمره على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، وفى رواية الطبرى « اصبر لعدوك » .

٥٠٨ — كتاب معاوية إلى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج

وكتب معاوية إلى مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصارى ، وإلى معاوية بن حُدَيْج الكِندى ـ وكانا بمصر قد خالفا عليًّا كما قدمنا ـ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن الله عز وجل قد ابْتَعَثكما[1] لأمر عظيم ، أعظَمَ به أجْرَكما ، ورفَعَ به ذكركما ، وزيّنكما به فى المسلمين[2] ، طَلَبْتما بدم الخليفة المظلوم ، وغضِبْتما لله إذ تُرِك حُكْم الكتاب ، وجاهدتما أهلَ البغى والعدوان ، فأبْشِرُوا برضوان الله ، وعاجِلِ نُصرة أولياء الله ، والمُواساةِ لكما فى الدنيا وسلطاننا ، حتى يَنْتَهِيَ ذلك إلى ما يُرضيكما ، ونؤدِّىَ به حقكما ، فالْزَما أمركما ، وجاهِدا عَدُوكما ، وادعُوا المُدْبِرَ إلى هداكما ، فكأنَّ الجيش قد أطَلَّ عليكما ، فانقشَعَ كل ما تَكْرَهان ، وكان كل ما تَهْوَيان ، والسلام عليكما ، ورحمة الله » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٥ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣١)

٥٠٩ — رد مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج على معاوية

فكتب مسلمة عن نفسه ، وعن معاوية بن حُدَيْج :

« أما بعد : فإن هذا الأمر الذى بَذَلْنا[3] له أنفسنا ، واتَّبَعْنا أمر الله فيه ، أمْرٌ نرجو به ثوابَ ربِّنا ، والنصر على من خالَفنا ، وتعجيل النِّقمة لمن

(١) أى بعثكما . (٢) وفى ابن أبى الحديد « ورفع درجتكما ومرتبتكما فى المسلمين » .
(٣) وفيه « فإن هذا الأمر الذى قد ندبنا له أنفسنا ، وابتغينا الله به على عدونا » .

سَعَى على إمامنا ، وطأطأ[١] الرَّكْضَ فى مهادنا ، ونحن بهذا الحيِّز من الأرض قد نفَيْنا مَن كان به من أهل البغى ، وأنهَضنا من كان به من أهل القِسْط والعدل .

وقد ذكرتَ المواساةَ فى سلطانك ودنياك ، وتاللّٰه إن ذلك لَأَمْرٌ ماله نَهَضْنا ، ولا إياه أرَدْنا ، فإن يجمع الله لنا ما نطلب ، ويُؤْتِنا ما تمنَّيْنا ، فإن الدنيا والآخرة لله رب العالمين ، وقد يُؤْتيهما الله جميعاً عالَماً من خلْقه ، كما قال فى كتابه ـ ولا خُلْفَ لموعوده ـ : « فَآتَاهُمُ ٱللّٰهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَٱللّٰهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ » .

عَجِّلْ علينا خَيْلَك ورَجْلَك ، فإن عدونا قد كان علينا حَرْباً ، وكنافيهم قليلا ، فقد أصبحوا لنا هائبين ، وأصبحْنا لهم مُقْرِنين[٢] ، فإن يأتِنا الله بمَدَد من قِبَلك ، يفتح اللّٰه عليكم ، ولا حَوْلَ ولا قوّة إلا بالله ، وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل ، والسلام عليك » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٨ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣١)

٥١٠ — كتاب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبى بكر

فبعث معاوية عمرو بن العاص إلى مصر فى ستة آلاف ، (سنة ٣٨ هـ) وسار عمرو حتى نزل أدانِيَ أرض مصر ، فاجتمعت العثمانيّة إليه ، فأقام بهم ، وكتب إلى محمد بن أبى بكر :

---

(١) طأطأ فرسه : نخزه بفخذيه وحرّكه للعدو ، وركض الدابة كنصر : ضرب جنبيها برجله واستحثها للعدو ، وفى الطبرى « فى جهادنا » .

(٢) أقرن للأمر : أطاقه وقوى عليه ، وفى ابن أبى الحديد « منابذين » .

« أما بعدُ : فتَنَحَّ عنّى بدَمِك يابن أبى بكر ، فإنى لا أُحِبُّ أن يُصيبَك منى ظُفْرٌ[1] ، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خِلافك ورَفْض أمرك ، ونَدِموا على اتّباعك ، فهم مُسْلِمُوك[2] لو قد الْتَقَتْ حَلْقَتا البِطانِ[3] ، فاخْرُجْ منها فإنى لك من الناصِحين ، والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ١٤٢ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٩ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣٢)

٥١١ — كتاب معاوية إلى محمد بن أبى بكر

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه ، وهو :

« أما بعدُ : فإنّ غِبَّ[4] البغى والظلم عَظيمُ الوَبَال ، وإن سَفْك الدم الحرام لا يَسْلَمُ صاحبُه من النِّقْمة فى الدنيا ، ومن التَّبِعَةِ المُوبِقَةِ[5] فى الآخرة ، وإنا لا نَعْلَمُ أحداً كان أعظمَ على عثمانَ بَغْياً ، ولا أَسْوَأَ له عَيْباً ، ولا أشَدَّ عليه خِلافاً منك ، سَعَيتَ عليه فى الساعِين ، وساعدتَ عليه مع المساعدين ، وسَفَكتَ دمه مع السافكين ، ثم أنت تظن أنى عنك نائم ، أو ناسٍ لك ، حتى تأتِىَ فتأَمَّرَ على بلاد أنتَ فيها جارِى ، وجُلُّ أهلها أنصارى ، يَرَوْن رأيى ، ويَرْقُبُون قولى[6] ، ويَسْتَصْرِخونَنى[7] عليك ، وقد بعثتُ إليك قوما حِنَاقاً عليك ، يَسْتَسْقُون[8] دمك ، ويتقربون إلى الله بجهادك ، وقد أعطَوُا اللهَ

---

(١) وفى النجوم الزاهرة « قلامة ظفر » وقلم الظفر : قطع ما طال منه ، والقلامة بالضم : ماسقط منه . (٢) أسلمه : خذله . (٣) البطان : حزام القتب ، ومن أمثال العرب « التقت حلقتا البطان » وهو مثل يضرب للأمر إذا اشتد ، كقولهم : بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين
(٤) أى عاقبة . (٥) أى المهلكة . (٦) وفى ابن أبى الحديد « ويرفضون قولك »
(٧) استصرخه : استغاثه .
(٨) وفى ابن أبى الحديد « يسفكون .

عَهْدا لَيُمَثِّلُنَّ بك، ولو لم يكن منهم[1] إليك ما عدا قتلك، ما حذَّرتُك ولا أنذرتُك، ولأَحبَبْتُ أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعَدْوك على عثمان، يوم يُطْعَن بمَشَاقِصِك[2] بين خُشَشَائه وأَوْداجه، ولكن أَكرَهُ أن أُمثِّلَ بقرشيّ، ولن يُسَلِّمك اللهُ من القِصاص أبدا أينما كنت، والسلام».

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨، والنجوم الزاهرة ١ : ١٠٩، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣٢)

٥١٢ — كتاب محمد بن أبى بكر إلى على

فطوى محمد بن أبى بكر كتابيهما، وبعث بهما إلى علىّ، وكتب معهما:

«أما بعد يا أمير المؤمنين: فإن ابن العاص نزل أدانِىَ أرض مصر، واجتمع إليه من أهل البلد من كان يرى رأيهم، وقد جاء فى جيش لَجِبٍ[3] جرّارٍ[4]، وقد رأيتُ ممن قِبَلى بعض الفَشَل، فإن كان لك فى أرض مصر حاجةٌ، فأمِدَّنى بالرجال والأموال، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»:

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣٢)

---

(١) وفى ابن أبى الحديد: «ولو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدى غيرهم من أوليائه، وأنا أحذرك وأنذرك فإن الله مقيد منك ومقتص لوليه وخليفته، بظلمك له وبغيك عليه، ووقيعتك فيه، وعدوانك يوم الدار عليه، تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه، ومع هذا فإنى أكره قتلك، ولا أحب أن أتولى ذلك منك، ولن يسلمك الله من النقمة أين كنت أبدا، فتنح وانج بنفسك والسلام».

(٢) المشاقص: جمع مشقص كمنبر: وهو نصل عريض أوسهم فيه ذلك، والخششاء: العظم الدقيق العارى من الشعر الناتئ خلف الأذن، والأوداج: جمع ودج بالتحريك: وهو عرق فى العنق.

(٣) جيش لجب: ذو لجب، واللجب بالتحريك: الجلبة والصياح.

(٤) وفى الطبرى «خرّاب» بضم الخاء وتشديد الراء، وهو تحريف، والخراب: جمع خارب: وهو اللص.

٥١٣ — رد عليّ على محمد بن أبي بكر

فكتب إليه عليّ :

« أما بعد : فقد جاء فى كتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل أدانى أرض مصر فى لَجَب من جيشه جرّارٍ ، وأن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه ، وخروجُ من يرى رأيه إليه خيرلك من إقامتهم عندك ، وذكرتَ أنك قد رأيت فى بعض من قِبلك فشَلا ، فلا تفشَل وإن فشِلوا ، حَصِّنْ قريتك ، واُضمُم إليك شيعتك ، وأذكِ[1] الحَرَسَ فى عسكرك ، واندُبْ إلى القوم كِنانة بن بِشر المعروف بالنصيحة والنَّجدة[2] والبأس ، فإنى نادِبٌ إليك الناس على الصَّعب والذَّلول ، فاصْبِر لعدوك ، وامْضِ على بصيرتك ، وقاتلهم على نيَّتك ، وجاهِدهم صابراً محتَسِباً ، وإن كانت فِئَتُك أقلَّ الفئتين ، فإن الله قد يُعِز القليل ، ويَخْذُل الكثير .

وقد قرأتُ كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عمرو ، المتحابَّيْن فى عمل المعصية ، والمتوافِقَين المرتَشِيَيْن فى الحكومة ، المُنْكَرَيْن فى الدنيا[3] ، قد استمتَعُوا بِخَلاَقِهم[4] كما اسْتَمْتَعَ الذين من قبلهم بخَلاَقِهم ، فلا يهُلْكَ إرعادُهما وإبراقُهما ، وأجِبْهما إن كنت لم تُجِبْهما بما هما أهْلُه ، فإنك تجد مقالاً ما شئتَ والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣٢)

---

(١) أى بث وأرسل . (٢) وفى ابن أبى الحديد « والتجربة » .
(٣) وفى ابن أبى الحديد « والمتكبرين على أهل الدين » : (٤) أى تمتعوا بنصيبهم من الدنيا

٥١٤ — رد محمد بن أبي بكر على معاوية

فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه :

« أما بعد : فقد أتاني كتابك تُذَكِّرني من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه ، وتأمرني بالتَّنَحِّي عنك ، كأنك لي ناصح ، وتُخوِّفني المُثْلَة ، كأنك عليّ شفيق ، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرةُ عليكم ، فأجْتاحَكم(١) في الوَقْعة ، وإن تُؤْتَوا النصرَ ويكن لكم الأمر في الدنيا ، فكم لَعَمْرِي من ظالم قد نصرتم ، وكم من مؤمن قد قتلتم ومثّلتم به ، وإلى الله مَصيركم ومصيرهم ، وإلى الله مَرَدُّ الأمور وهو أرحم الراحمين ، والله المستعانُ على ما تَصِفُونَ ، والسلام » . (تاريخ الطبري ٦ : ٥٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ٣٢)

٥١٥ — رد محمد بن أبي بكر على عمرو بن العاص

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص جواب كتابه :

« أما بعد : فقد فهِمتُ ما ذكرتَ في كتابك يابن العاص ، زعمتَ أنك تكره أن يُصيبني منك ظُفْر ، فأشهد بالله إنك لمن المُبْطلين ، وتزعم أنك لي نصيح ، وأُقْسِم إنك عندي ظَنِينٌ(٢) ، وتزعم أن أهل البلد قد رَفَضُوا رأيي وأمري وندموا على اتباعي ، فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء ، فَحَسْبُنا الله رب العالمين ، وتوكَّلْنا على الله العزيز الرحيم ، رب العرش العظيم ، والسلام » .

---

(١) اجتاحه : أهلكه واستأصله ، وفي ابن أبي الحديد : « وأن يهلككم الله في الوقعة ، وأن ينزل بكم الذل ، وأن تولوا الدبر » . (٢) أي متهم .

ثم نشِبَ القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش محمد بن أبي بكر ، وأسلمَهُ أصحابه وتفرقوا عنه حين بلغهم قتلُ كِنانة بن بشر ، حتى بقى محمد وما معه أحد منهم ، فلما رأى ذلك خرج يمشى فى الطريق ، حتى انتهى إلى خَرِبة فأَوَى إليها ، وخرج معاوية بن حُدَيْج فى طلبه حتى اهتدى إليه فاستخرجه وقتله ، ثم ألقاه فى جِيفة حمار ، ثم أحرقه بالنار .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٢)

٥١٦ — كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية

وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإنا لَقِينا محمد بن أبي بكر ، وكِنانة بن بشر فى جموع جَمّة من أهل مصر ، فدعوناهم إلى الهدى والسنة وحكم الكتاب ، فرفضوا الحقَّ وتورَّكوا(١) فى الضلال ، فجاهَدْناهم واستنصرنا الله عليهم ، فضَرَب الله وجوههم وأدبارهم ، ومَنَحُونا أكتافهم ، فقتل الله محمد بن أَبي بكر وكنانة بن بشر وأماثِل القوم ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليك » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٣٤)

٥١٧ — كتاب علىّ إلى ابن عباس

وكتب علىّ عليه السلام : إلى عبد اللّه بن عباس ـ وهو بالبصرة ـ بعد مقتل محمد بن أَبي بكر بمصر :

(١) تورك : اعتمد على وركه ، وتورك على الدابة : ثنى رجله ووضع إحدى وركيه فى السرج ليستريح ، والمعنى تمادوا فى الضلال واسترسلوا فيه .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن عباس ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد: فإن مصر قد افتُتحت ، ومحمد بن أبى بكر رحمه الله قد استُشْهِد ، فعند الله نحْتَسِبه وندَّخره وَلَدا[١] ناصحا ، وعامِلاً كادِحًا وسيفاً قاطِعاً ، ورُكنا دافِعاً ، وقد كنتُ حَثَثْتُ الناس على لَحَاقه ، وأمرتهم بِغِياثه قبل الوَقْعة ، ودعوتهم سِرًّا وجَهْرا ، وعَوْدًا وبَدْءا ، فنهم الآتى كارها ، ومنهم المعتلُّ كاذبا ، ومنهم القاعِد خاذِلاً ، أسأل الله أن يجعل لى منهم فَرَجا ومَخْرَجا ، وأن يُرِيحنى منهم عاجِلاً ، فوالله لَوْلا طَمَعى عند لقائى عدوِّى فى الشهادة ، وتَوْطينى نفسى على المنيّة ، لَأَحْبَبْتُ أن لا أبْقَى مع هؤلاء يومًا واحداً ، ولا أَلْتَقِىَ بهم أبداً ، عَزَمَ الله لنا ولك على الرُّشد ، وعلى تقْواه وهداه ، إنه على كل شىء قدير ، والسلام » .

(نهج البلاغة ٢ : ٤٣ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٦٣ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣٥)

٥١٨ — رد ابن عباس على علىّ

فكتب إليه ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس ، سلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعدُ: فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اُفتتاحَ مصرَ ، وهلاكَ محمد بن أبى بكر ، فالله

(١) احتسب فلان ابنا : إذا مات كبيرا ، فإن مات صغيراً قيل : افترطه ، وسماه ولداً لأنه كان ربيبه — انظر ما قدمناه فى ص ٥٣٢ ، وكدح كمنع : سعى وكدّ .

المستعانُ على كل حال ، ورَحِم الله محمدَ بن أبى بكر ، وأجَركَ يا أمير المؤمنين ، وقد سألتَ الله أن يجعل لك من رعِيّتك التى أُبْتُليتَ بها فَرَجا ومَخْرَجا ، وأنا أسأل اللهَ أن يُعْلِيَ كلمتك ، وأن يُعزّكَ بالملائكة عاجلا بالنُّصرة ، واعلم أن اللهَ صانعٌ لك ، ومُعزُّك . ومجيبٌ دعوتك ، وكابتٌ[1] ، عدوك .

وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تَثَاقَلُوا ثم ينْشَطون ، فارفُقْ بهم يا أمير المؤمنين ، وداجِنْهم[2] ومَنِّهم ، واُستعِنْ بالله عليهم ، كفاكَ الله أَلَهم[3] ، والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٦٣ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٢ : ص ٣٥)

٥١٩ — كتاب علىّ إلى أهل العراق

ودخل على علىّ عليه السلام بعض أهل العراق ، فسألوه عن أبى بكر وعُمَرَ ، وقالُوا : بيِّن لنا قولك فيهما ، وفى عثمان ، فقال لهم : أَوَ قد تفرغتم لهذا ، وهذه مصر قد افتُتِحَت ، وشِيعتى فيها قد قتلت ؟ إنى مخرج إليكم كتابا أُنبئكم فيه ما سألتمونى عنه ، فاقرءوه على شيعتى ، فأخرجَ إليهم كتابا فيه[4] :

« أما بعدُ : فإن اللهَ بعث محمداً صلى اللهُ عليه وسلم نَذِيرا للعالمين ، وأمينا على التنزيل ، وشَهِيداً على هذه الأمة ، وأنتم معاشِرَ العرب يومئذ على شرِّ

---

(١) كبته كضربه : صرعه وأخزاه وكسره وأذله . (٢) داجنه : داهنه ، وفى ابن أبى الحديد « ودارهم » . (٣) وفيه « كفاك الله الهم » .

(٤) هكذا روى ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة ، ومنه ترى أنه كتاب ، وروى ابن أبى الحديد قال : « خطب على عليه السلام بعد فتح مصر وقتل محمد بن أبى بكر فقال . . . . » ومنه ترى أنه خطبة — هذا ولتتنبه إلى أنه يحتوى على جلّ الكتاب الذى أورده الشريف الرضى فى نهج البلاغة ، وذكر أن علياً كتبه إلى أهل مصر مع الأشتر ، وقد قدمناه فى ص ٥٣٣ .

دِين ، وفى شَرٍّ دارٍ ، مُنِيخُون على حجارة خَشِنة صُمٍّ[١] ، وشَوْكٍ مَبثوث فى البلاد ، تشربون الماء الخبيث ، وتأكلون الطعام الخبيث ، تَسْفِكون دماءكم ، وتقتُلون أولادكم ، وتقطَعُون أرحامكم ، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطلِ ، سُبُلُكم خائِفَةٌ ، والأصنامُ فيكم منصوبة ، ولا يُؤْمِن أكثرُهم بالله إلا وهم مُشْرِكون ، فَمَنَّ اللهُ عز وجلَّ عليكم بمحمد فبعثه إليكم رسولا من أنفسكم تَعرِفون وجْهَه ونَسَبه ، فعلّمكم الكتابَ ، والحكمة ، والفرائض ، والسُّنَن ، وأمَرَكم بِصلة أرحامكم ، وحقْن دمائكم ، وإصلاح ذاتِ بينكم ، وأن تُؤدّوا الأماناتِ إلى أهلها ، وأن تُوَفّوا بالعهد ، ولا تنقُضوا الأَيْمانَ بعد توكيدها ، وأن تعاطَفُوا ، وتبَارُّوا ، وتبَاذَلُوا ، وترَاحَمُوا ، ونهاكم عن التناهُب والتظالُم ، والتحاسُد ، والتباغِي ، والتقاذُف ، وعن شرب الخمر ، وعن بَخْس المِكْيال ، ونَقْصِ الميزان ، وتقدَّمَ إليكم فيما أُنزِلَ عليكم أن لا تَزْنُوا ، ولا تُرْبُوا ، ولا تأكُلوا أموالَ اليتامى ظُلماً ، ولا تعثَوْا فى الأرض مُفْسدين ، ولا تعتَدُوا إن اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِين ، فكلُّ خير يُدنى إلى الجنةِ ويُباعِدُ عَنِ النارِ أمرَكم به ، وكلُّ شرٍّ يُدنِى إلَى النَّار ، ويباعِدُ عن الجنة نهاكم عنه .

فلما استكملَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مُدَّته من الدنيا ، توفّاه الله ، وهو مشكورٌ سَعْيُه ، مَرْضِيٌّ عملُه ، مغفورٌ له ذَنْبُه ، شريفٌ عند الله نُزُلُه ، فيا لَها مصيبةً خصَّت الأقربين ، وعمّت المسلمين ، ما أُصيبوا قبلها بمثلها ، ولن يعاينوا بعدها أختَها ، فلما مضى لسبيله تنازَعَ المسلمون الأمر بعده ، فوالله ما كان يُلْقَى فى رُوعِي ، ولا يَخطُر على بالى أن العرب تَعدِل هذا الأمر بعد محمد عن أهل بيته ، ولا أنهم مُنَحّوه عنى من بعده ، فما رَاعَنى إلا

(١) فى الأصل (ابن أبى الحديد) « وحياق صم » والكلمة الأولى محرفة ، ولعلها « جبال » أو « صخور » وصم جمع أصم وصماء ، حجر أصم : أى صلب مصمت ، وصخرة صماء .

أُنثِيالُ الناسِ على أبي بكر ، وإجْفالُهم[1] إليه ليبايعوه ، فأمسكتُ يدي ، ورأيت أني أحقُّ بمقام محمد في الناس ممن تولَّى الأمرَ من بعده ، فلبثتُ بذاك ما شاء اللهُ حتى رأيتُ راجعةً من الناس رَجَعَتْ عن الإسلام يدعُون إلى مَحْقِ دين الله ، وملة محمد صلى الله عليه وسلم ، فخشِيتُ إنْ لم أنصر الإسلامَ وأهلَه أن أرَى فيه ثَلْماً وهدما ، يكون المصابُ بهما علىَّ أعظمَ من فَواتِ ولاية أموركم ، التي إنما هي مَتاعُ أيام قلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول السَّرابُ ، وكما يتقشَّعُ السحابُ ، فمشيْتُ عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ، ونهضتُ معه في تلك الأحداث حتى زَاغَ الباطلُ وزَهَق ، وكانت كَلِمة الله هي العُلْيا ، ولو كَرِه الكافرون .

فتولَّى أبو بكر رضي الله عنه تلك الأمور ، فيَسَّر ، وسَدَّدَ ، وقارَبَ ، واقتَصَدَ ، وصحِبْتُه مُناصِحا ، وأطَعْتُه فيما أطاع اللهَ فيه جاهِداً ، وما طمِعْتُ أنْ لو حَدَثَ به حادث ، وأنا حيٌّ ، أنْ يَرُدَّ إلىَّ الأمرَ الذي نازعتُه فيه طَمَعَ مُسْتَيْقِنٍ ، ولا يئستُ منه يأسَ مَن لا يرجوه ، ولولا خاصَّةُ ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني .

فلما احْتُضِر بعث إلى عمر ، فولَّاه ، فسمِعْنا وأطَعْنا ، وبايَعْنا وناصَحْنا ، وتولَّى عمر الأمر ، فكان مَرْضِيَّ السِّيرة ، مَيْمُونَ النَّقِيبة[2] أيامَ حياته ، حتى إذا احْتُضِرَ قلت في نفسي : لن يَعْدِلَها عني ، ليس يُدافعني عنها ، فجعلها عمر شَورَى ، وجعلني سادسَ سِتَّةٍ ، فما كانوا لولاية أحدٍ منهم أشدَّ كراهةً لولايتي عليهم ، لأنهم كانوا يسمعونني عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الانثيال : الانصباب ، والإجفال : الإسراع . (٢) النقيبة : النفس والطبيعة .

وأنا أحاجُّ أبا بكر فأقول : يا معشر قريش ، إنا أهلَ البيتِ أحقُّ بهذا الأمر منكم ، ما كان فينا مَن يقرأ القرآن ، ويعرِف السُّنَّةَ ، ويَدِين بدين الحق ، فخشِيَ القوم إنْ أنا وَلِيتُ عليهم أن لا يكون لهم فى هذا الأمر نَصِيبٌ ما بَقُوا ، فأجمعوا إجماعاً واحداً ، فصَرَفوا الوِلايةَ عنى إلى عثمان ، وأَخرجونى منها ، رجاءَ أن ينالوها ويتداولوها ، إذ يئسوا أن ينالوها من قبلى ، ثم قالوا لى : هَلُمَّ فبايعْ عثمان وإلاَّ جاهَدْناك ، فبايعت مُسْتَكرِها[1] ، وصَبَرْت مُحْتَسِبا ، فقال قائلهم : إنك يابن أبى طالب على هذا الأمر لَحَرِيص ، فقلت لهم : أنتم أحرص منى وأبعد ، أينا أحْرَصُ ، أنا الذى طلبت ميراث ابن أبى وحقى الذى جعلنى الله ورسولُه أَوْلَى به ، أم أنتم إذ تضرِبون وَجْهى دونه ، وتحُولُونَ بينى وبينه ؟ فَبُهِتُوا ، واللهُ لا يَهْدِى القوم الظالمين ، اللهم إنى أَسْتَعْدِيك[2] على قريش ، فإنهم قَطَعوا رَحِمى ، وأضاعونى ، وصغَّروا عظيمَ منزلتى وفضلى ، واجتمعوا على منازعتى حَقًّا كنت أَوْلَى به منهم فسلبُونيه ، ثم قالوا : أَلاَ إن فى الحق أن تأخذه ، وفى الحق أن تُمْنَعَه ، فاصبِر كَمِداً ، أو مت أَسِفاً حَنِقا[3] ، فنظرت فإذا ليس معى رافِدٌ[4] ، ولا ذابٌّ ، ولا ناصر ، ولامساعد إلا أهل بيتى ، فضَنِنْتُ بهم عن المنيّة ، فأغضَيْتُ عينى على الْقَذَى[5] ، وتجرّعْتُ رِيقى على الشَّجَى ، وصبرت من كَظْم الغيظ على

---

(١) يقال : امرأة مستكرهة بكسر الراء : أى غصبت نفسها (بالبناء للمجهول) فأكرهت على ذلك . (٢) استعداه : استعانه واستنصره . (٣) الحنق بالتحريك : شدة الاغتياظ ، حنق عليه كفرح فهو حنق كفرح وحنيق ، وفى ابن أبى الحديد « جيعا » وهو تحريف .

(٤) الرافد : الواصل ، من الرفد بالكسر وهو الصلة ، والذاب : الدافع.

(٥) القذى : ما يقع فى العين وفى الشراب ، والشجى : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

أمَرّ من العَلْقَم طَعْمًا ، وآلَمَ للقلب من حَزّ الشِّفَار[1] ، حتى إذا نقِمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ، ثم جئتمونى لتبايعونى فأبَيْتُ عليكم وأبيتم علىّ ، وأمسكت يدى فنازعتمونى ودافعتمونى وبَسَطتم يدى فكفَفْتها ،ومددتموها فقبضتها ، وازدحمتم علىّ حتى ظننت أن بعضكم قاتلُ بعض ، أو أنكم قاتِلِىّ ، فقلتم : بايِعْنا ، لا نجد غيرك ولا نَرْضَى إلا بك ، بايِعْنا لا نفترقْ ولا تختلِفْ كلتنا ، فبايعتكم ، ودعوتم الناس إلى بيعتى ، فمن بايع طوْعا قبلته ، ومن أبى لم أُكْرِهه وتركته ، فأول من بايعنى طَلْحة والزبير ، ولو أبيَا ما أكرهتهما كما لم أُكْره غيرهما ، فما لبثا إلا يسيراً حتى بلغنى أنهما قد خرجا من مكة متوجِّهَين إلى البصرة ، فى جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطانى الطاعة ، وسَمَح لى بالبيعة ، فقَدِما على عامِلى وخُزَّان بيت مالى ، وعلى أهل مصرى الذين كلهم على بيعتى وفى طاعتى ، فشتَّتوا كلتهم ، وأفسدوا علىّ جماعتَهم ، ثم وثبوا على شِيعتى ، فقتلوا طائفة منهم غَدْرًا ، وطائفة صَبْرا[2] . ومنهم طائفة غضِبوا لِلّه ولِى ، فشَهَروا سيوفهم وضربوا بها ، حتى لَقُوا اللّهَ عز وجل صابرين محتسبين ، فواللّهِ لولم يُصيبوا منهم إلا رجلا واحداً متعمِّدين لِقتله ، لَحَلّ لى بذلك قتلُ الجيش بأسْرِه ، فدَعْ ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين أكثرَ من العِدَّة التى دخلوا بها عليهم ، وقد أَدَالَ[3] اللّهُ منهم ، فبُعْداً للقوم الظالمين .

ثم إنى نظرت فى أمر أهل الشأم ، فإذا هم أعراب وأحزاب ، وأهل

---

(١) الشفار : جمع شفرة بالفتح ، وهى السكين العظم .

(٢) صبر الإنسان على القتل : أن يحبس ويرمى حتى يموت . (٣) أى نصرنا عليهم .

طمع جُفاة طُغاة[1] ، تجمعوا من كل أوْب ، ممن ينبغى أن يؤدَّب ، وأن يُوَلَّى عليه ، ويؤخذ على يديه ، ليسوا من الأنصار ، ولا المهاجرين ، ولا التابعين بإحسان ، فسِرْت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة ، فأبَوْا إلا شقاقاً ونفاقاً ، ونهضوا فى وجوه المهاجرين والأنصار ، يَنْضَحونهم[2] بالنَّبْل، ويَشْجُرُونهم بالرماح ، فهنالك نَهَدْت[3] إليهم فقاتلتُهم ، فلما عَضَّهم السلاحُ ، ووجدوا ألم الجِراح ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، فنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن ، وإنما رفعوها مَكيدةً ، وخديعةً ، ووَهْنا وضعفا ، فامضُوا على حقكم وقتالكم ، فأَبَيْتم علىّ واتهمتمونى ، وقلتم : اقبل منهم ، فإنهم إن أجابوا إلى ما فى الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق ، وإن أبَوا كان أعظم لِحُجَّتنا عليهم ، فقبِلتُ منهم ، وكففتُ عنهم إذ وَنَيْتم وأبيتم ، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين حَكَمين يُحيِيان ما أحيا القرآن ، ويُميتان ما أمات القرآن ، فاختلف رأيهما ، وتفرّق حُكمهما ، ونَبَذا حكم القرآن ، وخالفا ما فى الكتاب ، واتّبعا هواهما بغير هدى من الله فجنّبهما الله السَّدادَ ، وأهوى بهما فى غَمرة الضلال[4] ، وكانا أهل ذلك ، فانخذلَتْ عنا فرقة منا ، فتركناهم ما تركونا ، حتى إذا عاثُوا فى الأرض مفسدين ، وقتلوا المؤمنين ، أتيناهم فقلنا لهم : ادفعوا إلينا قتَلة إخواننا ، ثم كتاب الله بيننا وبينكم ، فقالوا : كلنا قتَلَهم ، وكلنا استحلَلْنا

---

(١) وفى الإمامة والسياسة : « طغام » والطغام كسحاب : أوغاد الناس ، والأوب : الطريق والجهة

(٢) نضحه بالنبل كنفع : رماه ورشقه ، وشجره بالرمح كقتل : طعنه به .

(٣) نهد إلى العدو كنفع وقتل : نهض

(٤) وفى ابن أبى الحديد « ودلاهما فى الضلالة » . وفيه : « حتى إذا عثوا فى الأرض يقتلون ويفسدون » وعاث وعثا : أفسد .

دمائِهم ودماءِكم ، وشَدَّت علينا خيلهم ورجالهم ، فصَرَعهم الله مَصارِعَ القوم الظالمين .

فلما كان ذلك من شأنهم ، أمرتكم أن تَمْضُوا من فَوْرِكم ذلك إلى عدوكم ، فإنه أفزَعُ لقلوبهم ، وأنهَكُ لقواهم ، وأهتك لكيدهم ، فقلتم : كَلَّت أذرعنا وسيوفنا ، ونَفِدَت نِبالنا ، ونَصَلَت[1] أسِنَّة رماحنا ، وعاد أكثرها قَصِدا ، فأْذَن لنا فلنرجِع إلى مِصْرنا حتى نستعدَّ بأحسن عُدَّتنا ، وإذا رجَعْت زِدْتَ فى مُقَاتِلتنا عِدَّة مَن هَلَك منا ومَن قد فارَقَنا . فإن ذلك أقوى لنا على عدونا ، فأقبلتُ بكم حتى إذا أطلَلْتم على الكوفة ، أمرتكم أن تنزلوا بالنُّخَيْلة ، وأن تلزَموا مُعَسْكركم ، وأن تضُمُّوا قواصِيَكم ، وأن توطِّنوا على الجهاد أنفسكم ، ولا تُكثروا زيارة أبنائكم ونسائكم ، فإن ذلك يُرِقّ قلوبكم ويَلْوِيكم ، وإن أهل الحرب المصابِروها ، وأهل التشمير فيها الذين لا يتوجّدون[2] سهرَ ليلهم ، ولا يتوجّعون ، ولا يسأمون من ظَمَإِ نهارهم ، ولا من خَمَصِ[3] بطونهم ، ولا من نَصَبِ أبدانهم ، حتى يُدْركوا ثأرهم ، وينالوا بُغْيتهم ومطلَبهم ، فنزلت طائفة منكم معى مُعْذِرَةً ، ودخلت طائفة منكم المصرَ عاصيةً ، فلا مَن نَزَل معى صَبَرَ فثَبَت ، ولا من دخل المصر عاد إلىّ ورجع .

ولقد نظرت إلى عسكرى ، وما فيه معى منكم إلا خمسون رجلا ، فلما رأيت ما أتيتم دخلتُ إليكم فما قدَرتم أن تخرجوا معى إلى يومكم هذا

---

(١) نصل السهم : فهو ناصل خرج منه النصل (والنصل : حديدة السهم والرمح) ورمح قصد ككتف وقصيد وأقصاد : متكسر .

(٢) توجد سهر ليله : شكا ماسه من مشقته. (٣) الخمص بالسكون وبالتحريك والمخمصة : الجوع

لِلّٰهِ آباؤكم ! فما تنتظرون ؟ أَمَا تَرَون إلى أطرافكم قد انتُقِصَت ، وإلى مصركم قد افتُتِحت[1] ، وإلى شيعتي بها قد قتلت ، وإلى مَسَالِحِكم[2] تُعْرَى ، وإلى بلادكم تُغْزَى ، وأنتم ذوُو عدد كثير ، وشَوكة ، وبأس شديد ، فما بالكم ؟ لِلّٰهِ أنتم ! من أين تُؤْتَوْن ؟ وما لكم تُؤْفَكون[3] ؟ وأنَّى تُسْحَرون ، ولو أنكم عزمتم وأجمعتم لم تُرامُوا ، ألاَ إن القوم قد اجتمعوا ، وجَدُّوا وتناصحوا ، وإنكم قد وَنَيْتم وتفرقتم ، واختلفتم ، وتغاشَشْتم ، فأنتم إن اجتمعتم تَسْعَدون.

فأَيْقِظوا رحمكم الله نائمكم ، وأجْمِعوا على حقكم ، وتجرَّدوا لحرب عدوكم ، قد أبْدت الرَّغْوة عن الصَّريح[4] ، وبان الصُّبح لِذِي عَيْنين ، إنما تقاتلون الطُّلَقاء ، وأبناء الطلقاء ، وأُولي الجَفَاء ، ومن أسلم كَرْها ، وكَان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْفَ[5] الإسلام كلّه حَرْبا ، أعداء الله والسنة

(١) المصر : كل كورة يقسم فيها الفيء والصدقات ، وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف ، والتأنيث فتمنع ، وروى في الإمامة والسياسة « قد افتتح » بالتذكير ، وفي ابن أبي الحديد بالتأنيث .

(٢) المسالح جمع مسلحة بالفتح : وهي الثغر .

(٣) أفكه كضربه : صرفه عن الشيء وقلب رأيه .

(٤) رغوة اللبن مثلثة : زبده (بالتحريك) ، والصريح : اللبن الخالص الذي ذهبت رغوته ، وأبداه : أظهره ، وهو هنا بمعنى كشف عنه : أي كشفت الرغوة عن الصريح وأظهرته ، وهو مثل يضرب عند انكشاف الأمر وظهوره ، وقد رواه الميداني في مجمع الأمثال « أبدى الصريح عن الرغوة » وقال في شرحه : « أبدى لازم ومتعد ، يقال : أبديت في منطقك أي جرت ، فعلى هذا يكون المعنى بدا الصريح عن الرغوة ، وإن جعلته متعديا فالمفعول محذوف أي أبدى الصريح نفسه » وأقول نعم قد ورد أبدى لازما بمعنى جار كما ذكر ، لكن ذلك المعنى ليس مما نحن فيه ، ثم قال : « وهذا المثل لعبيد الله بن زياد قاله لهانئ بن عروة المرادي ، وكان مسلم بن عقيل بن أبي طالب رحمه الله قد استخفى عنده أيام بعثه الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما ، فلما عرف مكانه عبيد الله أرسل إلى هانئ فسأله فكتمه فتوعده وخوفه ، فقال هانئ : هو عندي ، فعندها قال عبيد الله : « أبدى الصريح عن الرغوة » أي وضح الأمر وبان ، ومن كتاب الإمام الذي نحن بصدد شرحه تعرف أن عبيد الله قد تمثل بهذا المثل وليس بصاحبه ، ومن أمثالهم في هذا المعنى أيضاً « صرّح المحض عن الزبد » بضم الزاي أي انكشف الأمر وتبين . (٥) أنف كل شيء : أوله .

والقرآن ، وأهل الأحزاب ، والبدع ، والأحداث ، ومن كانت بَوائِقُه[1] تُتَّقَى ، وكان على الإسلام مَخُوفاً[2] ، أَكَلَة الرُّشا ، وعَبَدة الدنيا ، لقد أُنْهِيَ[3] إلىَّ أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه ، وشرط عليه أن يُعطيَه إتاوةً هى أعظم مما فى يديه من سلطانه ، ألاَ صَفِرَت[4] يدُ هذا البائع دينَه بالدنيا ، وتَرِبَتْ يدُ هذا المشترى نُصْرةَ غادر فاسق بأموال المسلمين ، وإن منهم لمن قد شَرِب فيكم الخمر ، وجُلِد حَدًّا فى الإسلام ، يُعْرَف بالفساد فى الدين والفعل السيئ ، وإن فيهم من لم يُسْلِم حتى رُضِخَ له على الإسلام رَضيخة[5] . فهؤلاء قادة القوم ، ومن تركتُ ذِكر مساوئه مِن قادتهم مثل مَن ذكرتُ منهم ، بل هو شَرّ وأضرّ ، وهؤلاء الذين ذكرت لو وَلُوا عليكم لأظهروا فيكم الكبر ، والفخر ، والفجور ، والتسلط بجَبْرِيَة[6] ، والتطاول بالغضب ، والفساد فى الأرض ، ولاتّبعوا الهَوَى ، وما حكموا بالرشاد ، ولَأَنتم على ما فيكم من تَخاذُل وتَواكُل خير منهم وأهْدَى سبيلاً ، فيكم الحكماء ، والعلماء ، والفقهاء ، والنجباء ، وحملة القرآن والمتهجّدون بالأسحار ، والعُبّاد ، والزُّهّاد فى الدنيا ، وعُمّار المساجد بتِلاوة القرآن ، أفلا تَسْخَطون وتَنْقِمون[7] أن يُنازِعكم الولايةَ عليكم سفهاؤكم والأشرار الأراذل منكم ؟

فاسمعوا قولى إذا قلت ، وأطيعوا أمرى إذا أمرت ، واعرفوا نصيحتى

---

(١) البوائق جمع بائقة : وهى الداهية ، والرشا بالضم والكسر جمع رشوة مثلثة وهى الجعل بالضم.
(٢) وفى الإمامة والسياسة « وكان عن الدين منحرفا » .
(٣) أنهى الشىء : أبلغه ، وفى الإمامة والسياسة « لقد نمى إلىّ » أى أبلغت أيضاً ، وابن النابغة هو عمرو بن العاص وقد تقدم . (٤) صفر كفرح : خلا ، ويقال : تربت يداه ، أى لا أصاب خيراً ، وفى ابن أبى الحديد « وخزيت أمانة هذا المشترى ... » . (٥) انظر ص ٥٥١ .
(٦) وفى الإمامة والسياسة « بالجبروت » وهما واحد . (٧) وفى ابن أبى الحديد « وتهتمون »

إذا نصحت ، واعتقدوا حزمى إذا حَزَمت ، والتزموا عزمى إذا عَزَمت ، وأنهضوا لنهوضى ، وقارعوا من قارعتُ ، فوالله لئن أطعتمونى لا تَغوُون : ولئن عصيتمونى لا تَرْشَدُون ، ولا تجتمعون خُذُوا للحرب أُهْبَتَها ، وأعِدُّوا لها عُدَّتها ، فإنها قد شُبَّت نارها ، وعَلاسَناها[١] ، وتجرّد لكم فيها الفاسقون ، كى يعذِّبوا عباد الله ، ويُطفئوا نور الله .

عبادَ الله : ألاَ إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجَفاء ، بأوْلَى فى الجِدّ فى غَيّهم وضلالهم وباطلهم ، من أهل النزاهة والبر ، والحق والإخبات[٢] ، بالجِدّ فى حقهم ، وطَاعةِ ربهم ، ومُناصحة إمامهم .

إنى والله لو لَقِيتهم وحيداً منفرداً ، وهم مِلْءُ الأرض ما باليتُ بهم ولا أُستوحشت منهم ، وإنى من ضلالهم الذى هم فيه ، والهدى الذى نحن عليه ، لَعَلَى ثِقَة وبيّنة ، ويقين وبصيرة من ربى ، وإنى إلى لِقاء ربى لَمشتاق ، ولِحُسن ثوابه لمنتظر راج . ولكن أسَفاً يعترينى ، وحزنا يُخامِرنى ، أن يَلِيَ أمرَ هذه الأمة سُفَهاؤها وفجّارها ، فيتخذوا مال الله دُوَلا ، وعِبادَ الله خوَلا ، والصالحين حَرْبا ، والقاسِطين حِزْبا .

وأيمُ الله لولا ذلك لَمَا أكثرْت تأنيبكم ، وتأليبكم ، وتحريضكم ، ولتركتكم إذ وَنَيْتُم وأَبَيْتم ، حتى ألقاهم بنفسى متى حُمَّ[٣] لى لِقاؤهم ، فوالله إنى لعلى الحق ، وإنى للشهادة لمحِبّ ، أنا نافرٌ بكم إن شاء الله ، فانْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، ولا تثاقلوا إلى الأرض ، فتقَرّوا بالخسف ، وتبوءوا بالذل ،

---

(١) السنا : الضوء الساطع . (٢) أخبت : خشع وتواضع . (٣) أى قدر .

ويكن نصيبكم الخُسْر، إن أخا الحرب اليَقْظان، ومن ضَعُف أَوْدَى(١)، ومن ترك الجهاد كان كالمغبون المَهين، اللهم أَجمعنا وإياهم على الهُدَى، وزهِّدنا وإياهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولَى».

(شرح ابن أبي الحديد م ٢: ص ٣٥، والإمامة والسياسة ١: ١١٣)

فتنـــــة البصرة

٥٢٠ — كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

ولما ظهر معاوية على مصر، ولَّى عليها عمرو بن العاص، ثم بدا له أن يحتاز البصرة، فكتب إلى عمرو يستطلع رأيه في ذلك.

«من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص:

سلام عليك: أما بعدُ، فإنى قد رأيتُ رأيا هَمَمْتُ بإمضائه، ولم يَخْذُلْنى عنه إلا استطلاعُ رأيك، فإن توافِقْنى أَحْمَدِ الله وأُمْضِه، وإن تخالفنى فإنى أَسْتَخِير اللهَ وأَسْتَهْديه.

إنى نظرت في أَمْرِ أهل البصرة فوجدتُ معظم أهلها لنا وَلِيًّا، ولعلىٍّ وشيعته عدوًّا، وقد أوقع بهم علىٌّ الوَقْعَةَ التى علِمْتَ، فأحقادُ تلك الدماء ثابتة في صدورهم لا تَبْرَح ولا تَرِيم(٢)، وقد علمتَ أن قتْلَنا ابن أبى بكر، ووَقْعَتنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب علىٍّ في الآفاق، ورفعَتْ رءوس أشياعنا أينما كانوا من البلاد، وقد بلغ مَن كان بالبصرة على مثل

---

(١) هلك. (٢) لا تريم: أى لا تبرح، يقال: ما رمت المكان ومنه: أى ما برحت.

رأينا من ذلك ما بلغ الناسَ ، وليس أحد ممن يرى رأينا أكثر عَدَداً ، ولا أضرّ خلافا على عليّ من أولئك .

فقد رأيتُ أن أبعثَ إليهم عبد الله بن عامر الحَضْرَمِيّ ، فينزِلَ فى مُضَر ، ويتودَّد الازْدَ ، ويَحْذَر ربيعة ، ويبتغى دم ابن عفان ، ويذكرهم وقعة عليّ بهم التى أهلكتْ صالِحِى إخوانهم وآبائهم وأبنائهم ، فقد رجوت عند ذلك أن يُفْسد على عليّ وشيعته ذلك الفَرْجَ من الأرض ، ومتى يُؤْتَوا من خلفهم وأمامهم يَضِلّ سعيُهم ، ويبطُلْ كيدهم ، فهذا رأيى ، فما رأيك ؟

فلا تحبِسْ رسولى إلا قدرَ مُضِيّ الساعة التى ينتظر فيها جوابَ كتابى هذا ، أرشَدَنا الله وإياك ، والسلامُ عليك ، ورحمة الله وبركاته » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٣٤٩)

٥٢١ — رد عمرو على معاوية

فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية :

« أما بعد : فقد بلغنى رسولك وكتابك ، فقرأته وفهِمتُ رأيك الذى رأيتَه ، فعجِبْتُ له ، وقلتُ : إن الذى ألقاه فى رُوعِك ، وجعله فى نفسك هو الثائرُ بابن عفان والطالب بدمه ، وإنه لم يك منك ولا منا منذ نَهَضْنا فى هذه الحروب ، ونادَيْنا أهلها ، ولا رَأى الناس رَأْيا أضَرَّ على عدوك ، ولا أسَرَّ لوليِّك من هذا الأمر الذى أُلهِمْتَه ، فأمْضِ رأيك مُسَدَّداً ، فقد وجهتَ الصَّلِيبَ الأَرِيبَ[1] ، الناصحَ غير الظَّنِين ، والسلام » .

(شرح ابن أبى الحديد م١ : ص٣٤٢)

---

(١) الصليب : الشديد ، صلب ككرم وسمع صلابة فهو صلب كقفل وصلب كسكر وصليب كأمير . والأريب : العاقل ، أرب إربا كصغر صغراً وأرابة ككرامة : عقل فهو أريب .

٥٢٢ — كتاب معاوية إلى أهل البصرة

فلما جاء معاوية كتابُ عمرو ، دعا عبد الله بن عامر الحَضْرَمِىّ ، وقال له : سر على بَرَكة الله إلى أهل البصرة ، فانزِل فى مُضر ، واحْذَر ربيعةَ ، وتودَّد الأَزْدَ ، وانعَ ابن عَفّان ، وذكِّرهم الوَقْعة التى أهلكتهم ، ومَنِّ مَن سمِع وأطاع دنيا لا تَفْنَى ، وأثَرَةً لا يَفقِدها حتى يَفقِدَنا أو نَفْقِدَه ، ودفع إليه كتابًا ، وأمره إذا قَدِم أن يقرأه على الناس .

فسار ابن الحضرمى حتى نزل البصرة فى بنى تميم ، وسمع بقدومه أهلُها ، فاجتمع إليه رءوسهم ، فخطَبَهم بما أمره به معاوية ، وقام بعضهم فسفَّه رأيه ، وتُبُودلت الخطب فى هذا المقام ، ففضَّ ابن الحضرمى كتاب معاوية وقرأه عليهم ، فإذا فيه :

« من عبد اللّٰه معاوية أمير المؤمنين ، إلى من قُرِئ كتابى هذا عليه من المؤمنين والمسلمين من أهل البصرة :

سلام عليكم ، أما بعدُ : فإن سَفْكَ الدماء بغير حِلِّها ، وقَتْلَ النفوس التى حرَّم اللّٰه قَتْلَها ، هلاكٌ مُوبِق[١] ، وخُسران مُبين ، لا يَقبَل اللّٰه ممن سَفَكها صَرْفًا ولا عَدْلا[٢] ، وقد رأيتم رَحِمكم اللّٰه آثار ابن عفان ، وسِيرته ، وحُبَّه للعافية ومَعْدِلته ، وسَدَّه للثُّغور ، وإعطاءه فى الحقوق ، وإنصافه للمظلوم ، وحُبَّه للضعيف ، حتى تَوثَّب عليه المتوثِّبون ، وتظاهَر[٣] عليه الظّالمون ، فقتلوه مُسْلِما مُحْرِما[٤] ، ظمآنَ صائمًا ، لم يَسفِك فيهم دما ، ولم يقتل منهم

---

(١) أوبقه : أهلكه . (٢) انظر ص ٢٨ . (٣) أى تعاونوا عليه .
(٤) المحرم : الذى له حرمة ، والذى يحرم علينا قتاله .

أحداً ، ولا يطلبونه بضربة سيف ولا سَوْطٍ ، وإنما ندعوكم أيها المسلمون إلى الطلب بدمه ، وإلى قتال مَن قتَله ، فإنا وإياكم على أمْر هُدًى واضح، وسبيل مستقيم، إنكم إن جامَعْتُمونا طَفِئَتِ النَّائِرة[1] ، واجتمعتِ الكلمة ، واستقام أمرُ هذه الأمة ، وأقرّ الظالمون المتوثبون الذين قتلوا إمامهم بغير حق ، فأُخِذوا بجَرائرِهم[2] ، وما قدّمت أيديهم .

إن لكم أن أعملَ فيكم بالكتاب ، وأن أُعْطِيَكم في السَّنَة عطاءيْن ، ولا أحتمل فَضْلا من فيئكم عنكم أبدا ، فسارِعوا إلى ما تُدْعَوْن إليه ـ رحمكم الله ـ .

وقد بعثت إليكم رجلا من الصالحين ، كان من أمناء خليفتكم المظلوم ابن عفان وعُمّاله وأعوانه على الهدى والحق ، جعلنا الله وإياكم ممن يُجيب إلى الحق ويعرِفه ، ويُنكر الباطل ويَجْحَده ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

فلما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : سمعنا وأطعنا .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٥٠)

٥٢٣ — كتاب عباس بن صحار العبدى إلى معاوية

وكان الذى سدّد لمعاوية رأيه فى تسريح ابن الحضرمىّ كتاب كتبه إليه عباس بن صُحَار[3] العَبْدى ، وممن كان يرى رَأْىَ عثمان ، ويخالف قومه فى حبهم عليّا عليه السلام ونصرتهم إياه ، وكان الكتاب :

---

(١) النائرة : العداوة والشحناء ، وطفئت النار : انطفأت .

(٢) الجرائر جمع جريرة : وهى الجريمة .

(٣) فى الأصل « صحار » بالحاء المعجمة وهو تصحيف .

أما بعدُ ، فقد بلغَنا وقعتُك بأهل مصر الذين بَغَوا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم طمعاً وبغْيا ، فقرّتْ بذلك العيون ، وشُفِيت بذلك النفوس ، وبَرُدت أفئدة أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين ، ولعدوّه مفارقين ، ولكم ، مُوالين ، وبك راضين ، فإن رأيت أن تبعث إلينا أميراً طيباً ذكيّا ذا عفاف ودِين للطلب بدم عثمان فعلت ، فإنى لا إخال الناس إلا مُجْمعين عليك ، وإن ابن عباس غائب عن المصر والسلام » .

وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد بن عُبَيد قد استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علىّ عليه السلام يعزيه عن محمد بن أبى بكر.

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٣٥٠)

٥٢٤ — رد معاوية على عباس بن صحار

فلما قرأ معاوية كتابه ، قال : لا عزمتُ رأيا سوى ما كتب به إلىّ هذا ، وكتب إليه جوابه :

« أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فعرَفْتُ نصيحتك ، وقبلت مَشورتك ، رَحِمك الله وسَدَّدك ، اُثبت هَدَاك اللهُ على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل الذى سألتَ قد أتاك ، وكأنك بالجيش قد أطلّ عليك ، فسُرِرتَ وَحييتَ ، والسلام » . (شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٣٠٠)

٥٢٥ — كتاب زياد إلى ابن عباس

وأقبل الناس إلى ابن الحضرمى ، وكثر تبَعه ، ففزِعَ لذلك زياد وهالَه ، وبعث إلى صَبِرة بن شَيْمان الأزدىّ ، فقال : يابن شيمان ، أنت سيد قومك ، وأحد عظماء هذا المصر ، أفلا تُجيرنى وتمنعنى وتمنع بيت مال المسلمين ، فإنما أنا أمين عليه ؟ فقال : بَلَى إن تحمَّلت حتى تنزل فى دارى منعتك ، فقال : إنى فاعل ، فارتحل ليلاً حتى نزل دار صَبِرة ، وكتب إلى عبد الله بن عباس :

« للأمير عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد :

سلام عليك ، أما بعد : فإن عبد الله بن عامر الحضرمى أقبل من قبَل معاوية حتى نزل فى بنى تميم ، ونَعَى ابن عفان ، ودعا إلى الحرب ، فبايعه تميم وجُلّ أهل البصرة ، ولم يبق معى من أمتنع به ، فلما رأيت ذلك استجرْتُ بالأزد بصَبِرة بن شيمان وقومه لنفسى ولبيت مال المسلمين ، وَرَحَلت من قصر الإمارة فنزلت فيهم ، وإن الأزد معى ، وشيعة أمير المؤمنين من فُرسان القبائل تختلف إلىّ ، وشيعة عثمان تختلف إلى ابن الحضرمى ، والقصرُ خالٍ منا ومنهم ، فارفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليَرَى فيه رأيه ، واعجَلْ إلىّ بالذى ترى أن يكون منه فيه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ،

فرفع ذلك ابن عباس إلى على عليه السلام .

وغلب ابن الحضرمى على ما يليه من البصرة وجَبَاها ، وأجمعت الأزدُ على زياد ، وأعدُّوا له مِنبرا وسَرِيرا وشُرَطا .

(شرح ابن أبى الحديد ١ : ص ٣٥١ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٦٤)

٥٢٦ — كتاب على إلى زياد

وبعث على عليه السلام أَعْيَنَ بن ضُبَيْعة المُجَاشِعِيّ إلى البصرة وكتب إلى زياد :

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد :

سلام عليك ، أما بعد ، فإنى قد بعثت أعْيَنَ بن ضُبَيْعة ليفرّق قومه عن ابن الحضرمى ، فارقُبْ ما يكون منه ، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يُظَنّ به ، وكان فى ذلك تفريقُ تلك الأوباش فهو مانحبّ ، وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والتمادى فى العصيان، فانْبِذْ من أطاعك إلى من عصاك ، فجاهدم ، فإن ظهرت فهو ما ظننت ، وإن رأيتَ ممن قِبَلك تثاقلا ، وخِفْت ألاّ تبلغ ما تُريد ، فطاوِلْهم وماطلهم ، ثم تسمَّعْ وأبصر ، فكأن كتائب المسلمين قد أطلّت عليك ، فقتل الله المفسدين الظالمين ، ونصر المؤمنين المُحِقّين ، والسلام » . (شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٣٥٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٦٤)

٥٢٧ — كتاب زياد إلى على

وقدم أعْيَن بن ضُبَيْعة البصرة ، فجمع إليه رجالا من قومه ، وحثهم على الطاعة ، ولزوم الجماعة ، وحذرهم الخلاف والفرقة ، فسمعوا له وأطاعوا ، فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمى ، وواقفهم عامَّةَ يومه يناشِدهم الله ألاّ ينكُثوا بيعتهم ولا يخالفوا إمامهم ، فكفوا عنه ، فانصرف عنهم ، فلما أَوَى

إلى رحله تبعه عشرة نَفَر ، يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام :

« أما بعدُ يا أمير المؤمنين : فإن أَعْيَن بن ضُبَيْعة قَدِم علينا من قبلك بجِدّ ومناصحة ، وصدق ويقين ، فجمع إليه من أطاعه من عشيرته ، فحثهم على الطاعة والجماعة ، وحذَّرهم الخلاف والفرقة ، ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه ، فواقَفَهم عامَّةَ النهار ، فهال أهل الخلاف تقدُّمُه ، وتصدَّع عن ابن الحضرمى كثير ممن كان يريد نصرته ، فكان كذلك حتى أمسَى ، فأتى فى رحله ، فبيَّته نفَرٌ من هذه الخارجة المارقة ، فأصيب رحمه الله تعالى ، فأردت أن أناهض ابن الحضرمى عند ذلك ، فحدَثَ أمر قد أمرتُ صاحب كتابى هذا أن يذكره لأمير المؤمنين[1] ، وقد رأيتُ — إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت — أن يبعث إليهم جارية بن قُدَامَة ، فإنه نافِذُ البصيرة ، مُطاعٌ فى العشيرة ، شديد على عدوّ أمير المؤمنين ، فإن يَقْدَم يُفَرِّق بينهم بإذن الله ، والسلام على أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١: ص ٣٥٣ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٦٤)

٥٢٨ — كتاب على إلى أهل البصرة

فبعث إليهم على عليه السلام جارِيَة بن قُدامة ، وكتب معه كتابا إلى أهل البصرة ، وفيه :

(١) أراد زياد أن يناهض ابن الحضرمى — حين قتل أعين — بجماعة من معه من الأزد وغيرهم من شيعة على عليه السلام ، فأرسل بنو تميم إلى الأزد : والله ما عرضنا لجاركم إذ أجرتموه ، ولا لمال هوله ، ولا لأحد ليس على رأينا ، فما تريدون إلى حربنا وإلى جارنا ؟ فكأن الأزد عند ذلك كرهت قتالهم .

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قُرِئَ عليه كتابى هذا من ساكنى البصرة من المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، أما بعدُ : فإن الله حليم ذو أناةٍ لا يَعْجَل بالعقوبة قبل البيِّنة ، ولا يأخذُ المذنبَ عند أول وَهْلَة ، ولكنه يقبل التوبة ، ويستديم الأناة ، ويَرضَى بالإنابة ، ليكون أعظمَ للحُجَّة ، وأبلَغ فى المَعذِرة ،

وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تَغْبَوْا[1] عنه ، فعفوتُ عن مجرمكم ، ورفعت السيف عن مُدْبِركم ، وقبلت من مُقْبلكم ، وأخذت بيعتكم فإن تفُوا بيبعتى ، وتقبلوا نصيحتى ، وتستقيموا على طاعتى ، أعمَلْ فيكم بالكتاب والسنة ، وقصْد الحق ، وَأقيمَ فيكم سبيل الهدى ، فوالله ما أعلم أن واليًا بعد محمد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك منى ، ولا أعمل بقولى ، أقول قولى هذا صادقًا غير ذامٍّ لمن مضى ، ولا متنقصٍ لأعمالهم .

وإن خطَت بكم الأهواءُ المُرْدية ، وسَفَهُ الآراء الجائرة إلى مُنابذتى تريدون خلافى ، فهأنذا قد قرَّبتُ جيادى ، ورَحَلْتُ رِكَابى ، وأيمُ الله لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم ، لأوقِعَنَّ بكم وَقْعةً ، لا يكون يومُ الجَمَل إليها إلا كلَعْقَة لاعق ، مع أنى عارف لِذِى الطاعة منكم فضلَه ، ولذى النصيحة حقَّه ، غير متجاوزٍ مُتَّهما إلى برىء ، ولا ناكثًا إلى وَفِىّ .

وإنى لظانٌّ أن لا تجعلوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلا ، وقد قدَّمت هذا الكتاب إليكم حُجَّة عليكم ، ولن أكتب إليكم من بعده كتابًا ،

---

(١) غبى عن الشىء وغبيه كفرح : إذا لم يفطن له .

إن أنتم استغشَشْتم نصيحتى ، ونابذتم رسولى ، حتى أكونَ أنا الشاخِص نحوكم إن شاء الله تعالى والسلام » :

(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٣٥٣ ، ونهج البلاغة ٢ : ٢٥)

٥٢٩ — كتاب زياد إلى على

وشَخَص جارية بن قُدامة إلى البصرة ، وكلَّم قومه فلم يُجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباشٌ فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمى ، فاقتتلوا ساعة ، فما لبِّثوا بنى تميم أن هزموهم ، وحصروا ابن الحضرمى فى إحدى دور البصرة ، فى عِدّة من أصحابه ، وحرق جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمى فى سبعين رجلا.

وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقى علينا من جوارك شىء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه .

وكتب زياد إلى على عليه السلام :

« أما بعد : فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قَدِمَ من عندك ، فناهض جمع ابن الحضرمى ، بمن نصرَه وأعانه من الأزد ، ففَضَّه واضطرَّه إلى دار من دور البصرة فى عدد كثير من أصحابه ، فلم يخرج حتى حَكَمَ اللهُ تعالى بينهما ، فقُتل ابن الحضرمى وأصحابه ، منهم من أُحْرِق بالنار ، ومنهم من أُلقى عليه جِدار ، ومنهم من هُدِم عليه البيت من أعلاه ، ومنهم من قُتل بالسيف ، وسلم منهم نفَر أنابوا وتابوا ، فصفَح عنهم ، وبُعْداً لمن عَصَى وغَوَى ، والسلام على أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته » .

(شرح ابن أبى الحديد م ١ ص : ٣٥٤)

٥٣٠ — كتاب عليّ إلى زياد

وكان على عليه السلام أخرج إلى زياد سعداً مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة ، وكان بين سعد وزياد مُلاحاة[١] ومنازعة ، وعاد سعد فشكاه إلى على وعابه ، فكتب عليّ إليه :

« أما بعدُ : فإن سعدا ذكر أنك شتمته ظلما ، وهدَّدته وجَبَهته[٢] تجبُّراً وتكبُّرا ، فما دعاك إلى التكبر ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الكِبر رِداء الله ، فمن نازَعَ اللهَ رِداءه قصَمه » وقد أخبرنى أنك تُكثر من الألوان المختلفة فى الطعام فى اليوم الواحد ، وتَدَّهِن كل يوم ، فما عليك لو صُمْت لله أيامًا ، وتصدَّقت ببعض ما عندك محتسِباً ، وأكلْتَ طعامك مِراراً قفارًا[٣] ؟ فإن ذلك شِعارُ الصالحين ، أفتطمعُ وأنت متمرِّغٌ فى النعيم تستأثرُ به على الجار ، والمسكين ، والضعيف ، والفقير ، والأرْمَلَة ، واليتيم أن يُحْسَب لك أجرُ المتصدقين ؟ وأخْبَرَنى أنك تتكلم بكلام الأبرار ، وتعمل عمل الخاطئين ، فإن كنت تفعل ذلك فنفسَك ظلمتَ ، وعملَك أحْبَطتَ[٤] فتُب إلى ربك ، يُصْلِح لك عملَك ، واقتصد فى أمرك ، وقدِّم إلى ربك الفضلَ ليوم حاجتك ، وادَّهِن غِبّا[٥] ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ادَّهِنوا غِبًّا ولا تَدَّهِنُوا رَقْمًا[٦] » (شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٧٣)

---

(١) لاحاه : نازعه . (٢) جبهه كنعه : لقيه بما يكره .

(٣) أى غير مأدوم . (٤) أى أفسدت . (٥) أى ادّهانا متقطعاً لامتتاليا .

(٦) الرقم : النقش والوشى ـ والأصل فيه الكتابة ـ والمعنى : ولا تدهنوا لأجل التزين .

٥٣١ — رد زياد عليه

فكتب إليه زياد :

« أما بعدُ يا أمير المؤمنين : فإن سَعْدا قَدِم علىّ فأساء القولَ والعملَ ، فانتهَرْتُه وزجرتُه ، وكان أهلا لأكثرَ من ذلك ، وأما ما ذكر من الإسراف واتخاذ الألوان من الطعام والنعم ، فإن كان صادقًا فأثابه الله ثواب الصالحين ، وإن كان كاذبا فوَقَاه الله أشدَّ عقوبة الكاذبين ، وأما قوله : إنى أصِفُ العدل وأخالفه إلى غيره ، فإنى إذَنْ من الأخْسَرين ، فخذ يا أمير المؤمنين بمقالٍ قُلْتَه فى مَقامٍ قمْتُه : « الدَّعْوَى بلا بيِّنة كالسَّهْم بلا نَصْل » فإن أتاك بشاهِدَى عَدْل ، وإلاَّ تبيَّنَ لك كَذِبه وظُلمه » . (شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص٧٣)

٥٣٢ — كتاب معاوية إلى زياد بن أبيه

وروى ابن أبى الحديد عن المدائنى قال :

لما كان زمنُ علىّ عليه السلام — وَلّى زيادا فارسَ[1] — أو بعض أعمال

---

(١) روى الطبرى. قال : قال الشعبى : « لما قتل علىّ عليه السلام أهل النهروان خالفه قوم كثير ، وانتقضت عليه أطرافه ، وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمى البصرة ، وانتقض أهل الأهواز ، وطمع أهل الخراج فى كسره ، ثم أخرجوا سهل بن حنيف من فارس — وكان عامل علىّ عليها — فقال ابن عباس لعلى : أكفيك فارس بزياد ، فأمره علىّ أن يوجهه إليها ، فقدم ابن عباس البصرة ، ووجهه إلى فارس سنة ٣٩ فى جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس فأدوا الخراج » — انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٧١ — .

وروى أيضاً أنه لما قتل ابن الحضرمى ، واختلف الناس على على ، طمع أهل فارس وأهل كرمان فى كسر الخراج ، فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم وأخرجوا عمالهم ، فاستشار علىّ الناس فى رجل يوليه فارس ، فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأى عالم بالسياسة كاف لما ولى ؟ قال : من هو ؟ قال : زياد ، قال : هو لها ، فولاه فارس وكرمان ، ووجهه فى

فارس ــ فضبطها ضبطاً صالحًا ، وجَبَى خراجها وحَمَاها ، وعرَف ذلك معاوية فكتب إليه :

« أما بعد : فإنه غرّتك قلاعٌ تأوى إليها ليلا ، كما تأوى الطير إلى وَكرها ، وأيمُ اللهِ لولا انتظارى بك ما اللهُ أعلَمُ به ، لكان لك منى ما قاله العبد الصالح[1] : « فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ » وكتب فى أسفل الكتاب شعرا من جملته :

تنسَى أباك وقد شالت نَعامَتُه ... إذ تخطُب الناس والوالى لهم عُمَرُ[2]

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٦٧)

أربعة آلاف ، فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا . وذكروا أنه لما قدم فارس بعث إلى رؤسائها ، فوعد من نصره ومناه ، وخوّف قوما وتوعدهم ، وضرب بعضهم ببعض ، ودل بعضهم على عورة بعض ، وهربت طائفة ، وأقامت طائفة ، فقتل بعضهم بعضاً . وصفت له فارس ، فلم يلق فيها جمعاً ولا حربا ، وفعل مثل ذلك بكرمان ، ثم رجع إلى فارس فسار فى كورها ومناهم ، فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد ، وأتى اصطخر فنزلها وحصن قلعة بهاما بين بيضاء اصطخر واصطخر فكانت تسمى قلعة زياد وحدّث رجل من أهل اصطخر قال : أدركت زياداً وهو أمير على فارس وهى تضرم ناراً ، فلم يزل بالمداراة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة ، لم يقف موقفاً للحرب ، وكان أهل فارس يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربى فى اللين والمداراة والعلم بما يأتى ــ انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٧٩ ــ .

(١) يعنى سليمان عليه السلام ، قال ذلك لرسول بلقيس ملكة سبأ باليمن وقد بعثت إليه بهدية.

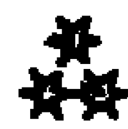
(٢) روى الطبرى أنه لما فتحت جلولاء ــ من بلاد الفرس سنة ١٦ هـ ــ بعث سعد بن أبى وقاص بأخماس الغنائم مع قضاعى بن عمرو الدؤلى ، وبعث بالسبى مع أبى مفرز الأسود ، وبعث الحساب مع زياد ــ وكان زياد الذى يكتب للناس ويدونهم ــ فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء له ووصف له، فقال عمر : هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل الذى كلمتنى به ؟ فقال : والله ما على الأرض شخص أهيب فى صدرى منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ؟ فقام فى الناس بما أصابوا وبما صنعوا وبما يستأذنون فيه من الانسياح فى البلاد ، فقال عمر : هذا الخطيب المصقع ! فقال : إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا ــ انظر تاريخ الطبرى ٤ : ١٨٣ .

وفى رواية ابن أبى الحديد أن عمر بعث زياداً فى إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب ــ وهو حدث ــ عند عمر خطبة لم يسمع مثلها ، وأبو سفيان حاضر وعلى عليه السلام وعمرو ابن العاص ، فقال عمرو : لله أبو هذا الغلام ، لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : أما والله إنه لقرشى ، ولو عرفت أباه لعرفت أنه من خير أهلك ، فقال : ومن أبوه ؟ قال : أنا والله

٥٣٣ — كتاب علىّ إلى زياد

فكتب زياد إلى علىّ عليه السلام ، وبعث بكتاب معاوية فى كتابه ، فكتب إليه علىّ :

« أما بعدُ : فإنى قد ولَّيتك ما وليتك ، وأنا أراك لذلك أهلا ، وإنه قد كانت من أبى سفيان فَلْتة فى أيام عمر من أمانِىِّ التِّيه[1] ، وكَذِب النفس ، لم تستوجب بها مِيراثا ، ولم تستحِقَّ بها نسباً ، وإن معاوية كالشيطان الرَّجيم يأتى المرء من بين يديه ومِن خَلْفه ، وعن يمينه وعن شِماله ، فاحْذَره ، ثم احذره ، ثم احذره ، والسلام » . (شرح ابن أبى الحديد م٤ : ص ٦٨)



وروى الشريف الرضى رحمه الله فى نهج البلاغة قال :

« من كتاب لعلى عليه السلام إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه :

« وقد عَرَفْتُ أن معاوية كتب إليك يَستَزِلّ[2] لُبَّك ، ويَستفِلُّ غَرْبك ، فاحْذَره فإنما هو الشيطانُ يأتى المرء من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شِماله[3] ،

وضعته فى رحم أمه ، فقال على : فما يمنعك من استلحاقه ؟ قال : أخاف هذا العير الجالس أن يخرق علىّ إهابي — انظر شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٦٧ و م ١ : ص ٥٨ ، والعقد الفريد ٣ : ٣ — وشالت نعامتهم : إذا ماتوا وتفرقوا . (١) التيه : الصلف والكبر

(٢) أى يطلب زلله وخطأه : أى يحاول أن تزل ، واللب : العقل ، والغرب : الحد ، ويستفله : أى يحاول أن يفله . (٣) مأخوذ من قوله تعالى « ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ » .

لِيقتحِم غَفْلَتَه ، ويستلِبَ غِرّته[١] ، وقد كان من أبى سفيان فى زمن عمر ابن الخطاب فَلْتة من حديث النفس ، ونَزْغَة من نَزَغات الشيطان ، لا يثبُتُ بها نسَب[٢] ، ولا يُستحقُّ بها إرْث ، والمتعلق بها كالواغِلِ[٣] المُدَفَّع ، وَالنَّوْط المُذَبْذَب » .

فلما قرأ زياد الكتاب ، قال : شَهِد بها وَربِّ الكعبة ، ولم تزل فى نفسه حتى أدّعاه معاوية : (نهج البلاغة ٢ : ٤٩)

٥٣٤ — كتاب على إلى ابن عباس

وكتب علىّ إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإن المرء قد يَسُرُّه دَرْكُ مالم يكن لِيفُوتَه[٤]، ويسوءه فَوْتُ مالم يكن لِيُدْرِكَه ، فما نالك من دنياك فلا تُكْثِر به فرَحا ، وما فاتك منها فلا تَأْسَ عليه جَزَعا[٥]، وليكن سرورك بما نِلْت من آخِرتك ، وليكن أسَفُك على ما فاتك منها[٦] ، وليكن همُّك فيما بعد الموت » .

(نهج البلاغة ٢ : ١٤ ، والأمالى ٢ : ٩٦ ، وإعجاز القرآن ص ١٢١)

---

(١) الغرة : الغفلة . (٢) لقوله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » والعاهر الزانى ، أى لاحق له فى النسب ولا حظ له فى الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش ، أى لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب » أى لا شىء له .

(٣) الواغل : هو الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه إليه أو ينفق معهم مثل ما أنفقوا فلا يزال مدفعاً محاجزاً ، والنوط المذبذب : هو ما يناط أى يعلق برحل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك ، فهو أبدا يتقلقل إذا حث ظهره واستعجل سيره .

(٤) وفى إعجاز القرآن « يسر بدرك مالم يكن ليحرمه » . (٥) وفى الأمالى « فلا تتبعه أسفاً » وفى إعجاز القرآن « وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزعا ، وما نلته فلا تنعم به فرحا » .

(٦) فى الأمالى « فليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلفت » وفى إعجاز القرآن « فليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطق ، وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك » .

وكان ابن عباس يقول : ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعى بهذا الكلام .



وقد روى هذا الكتاب فى نهج البلاغة أيضاً بصورة أخرى ، وهى :

« أما بعدُ : فإن المرء ليَفْرَحُ بالشيء الذى لم يكن ليفوتَه ، ويحزَن على الشيء الذى لم يكن ليُصيبَه ، فلا يكن أفضلَ ما نِلت فى نفسك من دنياك بُلُوغُ لذة ، أوشفاء غيظ ، ولكن إطفاء باطلٍ أو إحياء حق ، وليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلفت ، وهمك فيما بعد الموت » .

(نهج البلاغة ٢ : ٩٢)

٣٥ — كتاب أبى الأسود الدؤلى إلى على

وروى أن عبد الله بن عباس كان من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب وكان يقدّمه على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يستعمله قطُّ ، فقال له يومًا : كدت أستعملك ، ولكن أخشى أن تستحلَّ الفَيْء ، على التأويل ، فلما صار الأمر إلى على ، استعمله على البصرة — بعد وقعة الجمل كما قدّمنا — فاستحلّ الفَيْء على تأويل قول الله تعالى : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى . . . . » واستحلَّه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وَمَرَّ ابن عباس يومًا على أبى الأسود الدؤلى ، فقال له : لو كُنتَ مِنَ البهائم لكنت جملا ، ولو كنت راعياً ما بلغت المرعَى ، ولا أحسنت مهنتَه فى المشى ، فكتب أبو الأسود إلى علىّ :

« أما بعدُ : فإن الله جل وعلا جعلك والياً مُؤْتَمنًا ، وراعياً مَسْئُولاً ، وقد بَلَوْناك[1] رَحِمك الله ، فوجدناك عظيمَ الأمانة ، ناصِحًا للأمة ، توفِّر لهم

---

(١) أى اختبرناك .

فَيْئِهِمْ ، وتَظْلِفُ[1] نفسَك عن دنياهم ، فلا تأكُلُ أموالهم ، ولا ترتَشِي بشيء في أحكامهم .

وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، فلم يَسَعْنِي كتمانك ذلك ، فانظر رَحِمك الله فيما هنالك ، واكتب إليّ برأيك ، فما أحْبَبْتَ أتَّبِعْهُ إن شاء الله ، والسلام » .

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٨١)

٥٣٦ — رد عليّ على أبي الأسود

فكتب إليه علي :

« أما بعدُ : فمِثْلُك نَصَح الإمام والأمة ، وأدَّى الأمانة ، ووَالَى على الحق وفارق الجَوْر ، وقد كتبتَ إلى صاحبك بما كتبتَ إليّ فيه من أمره ، ولم أُعْلِمه بكتابك إليّ ، فلا تَدَعْ إعلامي بما يكون بحَضْرتك ، مما النظرُ فيه للأمة صَلاحٌ ، فإنك بذلك جَدير ،وهو حق واجبٌ لِلّٰهِ عليك ، والسلام » .

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٨١)

٥٣٧ — كتاب علي إلى ابن عباس

وكتب عليّ إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإنه قد بلغني عنك أمر ، إن كنت فعلتَه فقد أسخَطْتَ ربك ، وعَصَيْتَ إمامك ، وأخزَيْتَ أمانتك ، وخُنْتَ المسلمين .

---

(١) ظلف نفسه عنه كضرب ، منعها من أن تفعله وكفها عنه ، وفي العقدالفريد « وتكف » .

بلغني أنك جَرَدْتَ[1] الأرض ، فأخذت ما تحت قدمَيْك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفَعْ إليّ حسابَك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس ، والسلام » . (العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٦)

٥٣٨ — رد ابن عباس على عليّ

فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعد : فإن كل الذى بَلَغَك باطل ، وإنى لما تحت يدىّ ضابِط قائم له ، وعليه حافِظٌ ، فلا تصدِّقْ علىّ الضَّنِينَ[2] ، والسلام » .

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٨٢)

٥٣٩ — رد علىّ على ابن عباس

فكتب إليه علىّ :

« أما بعدُ : فإنه لا يَسَعُنى تركُك حتى تُعلِمَنى ما أخذتَ من الجزية ، من أينَ أخذتَه ؟ وما وضعتَ منها ، فيمَ وضعْته ؟ فاتّقِ الله فيما اُئتمنتُك عليه

---

(١) أى قشرتها ، والمعنى : أخربتها . (٢) وفى الطبرى « فلا تصدّق الظنون » والضنين : البخيل . وكان أبو الأسود معروفا بالبخل ، ومن طريف ما يروى عنه أن رجلا قال له : « أنت والله ظرف لفظ ، وظرف علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل » فقال : « وما خير ظرف لا يمسك ما فيه ؟ » وسلم عليه أعرابى يوما ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال له : أتأذن فى الدخول ؟ قال : وراءك أوسع لك ، قال : فهل عندك شىء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمنى ، قال : عيالى أحق منك ، قال : ما رأيت ألأم منك ؟ قال : نسيت نفسك . « أمالى المرتضى ١ : ٢١٤ » وسمع أبو الأسود رجلا يقول : من يعشى الجائع ؟ فعشاه ، ثم قام الرجل ليخرج ، فقال : هيهات ! تخرج فتؤذى الناس كما آذيتنى ! ووضع رجله فى الأدهم حتى أصبح . « المحاسن والأضداد ١ ص ٦٩ » .

واسترعَيْتُك إياه ، فإن المتاعَ بما أنت رَازِمُه[١] قليل ، وتِباعَتَه وَبيلَةٌ لاتَبِيدُ ، والسلام » .
(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٨٢)

٥٤٠ — رد ابن عباس على علىّ

فلما رأى أن عليًّا غير مُقْلِع عنه ، كتب إليه :

« أما بعد : فقد فهمت تعظيمَك علىّ مَرْزِئَة[٢] مال ، بَلَغَك أنى رَزَأْتُه أهلَ هذه البلاد ، وايمُ اللهِ لأَن ألْقَى اللهَ بما فى بطن هذه الأرض من عِقْيانها[٣] ومُخَبَّئها ، وبما على ظهرها من طِلاَعِها ذَهَبًا ، أحبُّ إلىّ من أن ألْقَى اللهَ ، وقد سفكتُ دِماء هذه الأمة ، لأنالَ بذلك المُلْك والإِمْرَة .

ابعث إلى عملك مَن أحْبَبْتَ ، فإنى ظاعنٌ عنه ، والسلام » .

ورحل ابن عباس عن البصرة ، وقد حمل ما كان فى بيت مالها ، حتى قَدِم الحجاز ، فنزل مكة ، واشترى من عطاء بن جُبَيْر ثلاثَ مُوَلَّدات حِجَازِيات بثلاثة آلاف دينار .

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٨٢ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٦٤)

---

(١) رزم الشىء كضرب ونصر : جمعه فى ثوب ، والتباعة : التبعة .

(٢) رزأه ماله كفتح وفرح : أصاب من ماله شيئاً ، ويقال : ما رزأته ماله وما رزئته ماله : أى ما نقصته . (٣) العقيان : الذهب ، وطلاع الشىء : ملؤه ، وفى ابن أبى الحديد « أما بعد : فإنك قد أكثرت علىّ ، ووالله لأن ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها وذهبها وعقيانها ولجينها ، أحب إلىّ من أن ألقاه بدم امرئ مسلم » — واللجين بالضم : الفضة .

٥٤١ — كتاب عليّ إلى ابن عباس

ثم كتب عليّ إلى ابن عباس :

« أما بعد : فإنى كنت أشركتُك فى أمانتى ، وجعلتك شِعارِى(١) وبِطانتى ولم يكن من أهل بيتى رجلٌ أوثق منك فى نفسى ، لمُواساتى ومُوازرتى ، وأداء الأمانة إلىّ ، فلما رأيتَ الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ(٢) ، والعدوّ قد حَرِبَ ، وأمانةَ الناس قد خَزِيَت(٣) ، وهذه الأمة قد فنَكَت(٤) وشَغَرَتْ ، قلَبْتَ لابن عمك ظَهْرَ المِجَنّ(٥) ، ففارقتَه مع المفارقين ، وخَذَلْته أسوأ خِذْلان ، وخُنْتَه مع من خان(٦) ، فلا ابنَ عمِّك آسَيْتَ(٧) ، ولا الأمانةَ إليه أدّيْت ، وكأنك لم تكن اللهَ تُريد بجهادك ، وكأنك لم تكن على بيِّنَةٍ من ربك ، وكأنك إنما كنت تَكيد هذه الأمة عن دنياهم ، وتَنْوِى غِرّتهم(٨) عن

---

(١) الشعار : الثوب يلى شعر الجسد . (٢) كلب الزمان : اشتد ، وحرب العدو . استأسد واشتد غضبه ، وفى العقد الفريد « قد حرد » وحرد كسمع وضرب : غضب .

(٣) أى زلت وهانت . (٤) فنك فى الأمر كنصر : لج فيه ، وفك : كذب ، وفنك فى الكذب : مضى ولج فيه ، وفنكت الجارية : مجنت ، وكل هذه المعانى صالحة هنا ، وفى العقد الفريد « قد فتنت » وشغرت (كمنع) أى خلت من الخير ، من شغرت الأرض : إذا لم يبق بها أحد يحميها ويضبطها فهى شاغرة .

(٥) المجنّ : الترس ، وهذا مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد ، قال ابن أبى الحديد : « وأصل ذلك أن الجيش إذا لقوا العدو كانت ظهور مجانهم إلى وجه العدو ، وبطونها إلى وجه عسكرهم ، فإذا فارقوا رئيسهم وصاروا مع العدو كان وضع مجانهم بدلا من الوضع الذى كان من قبل ، وذلك أن ظهور الترسة لا يمكن أن تكون إلا فى وجوه الأعداء لأنها مرمى سهامهم اهـ » .

(٦) وفى نهج البلاغة « وخذلته مع الخاذلين ، وخنته مع الخائنين » .

(٧) آساه : شاركه وأصابه بخير ، وفى الحديث : « ما أحد عندى أعظم يداً من أبى بكر ، آسانى بنفسه ، وماله » . (٨) الغرة : الغفلة .

فَيْئهم ، فلما أمكنَتْك الشِّدَّة[١] فى خيانة الأمة ، أسْرعْتَ الكَرَّةَ ، وعاجَلْت الوَثْبة ، فاختطفْتَ ما قدَرت عليه من أموالهم المَصُونَة لأَرَامِلِهم وأيتامهم ، اختطاف الذئب الأَزَلِّ[٢] دامِيةَ المِعْزَى الكَسِيرةِ ، فحملْته إلى الحجاز ، رَحِيبَ الصَّدرِ بحَمْله ، غير متأثِّمٍ من أخذه ، كأنك ـ لا أبا لِغَيرك[٣] ـ حَدَرْتَ إلى أهلك تُراثَك من أبيك وأمِّك ، فسبحان اللهِ ! أَمَا تُؤْمِن بالمَعاد ؟ أَوَ ما تخافُ نِقَاشَ الحِساب ؟

أيها المعدودُ ـ كان ـ عندنا من أُولِى الألباب ، كيف تُسِيغ[٤] شَرابًا وطعاما ؟ وأنت تعلمُ أنك تأكلُ حرامًا ، وتشرب حرامًا ، وتبتاع الإماء ، وتنكِحُ النِّسَاء ، من مال اليتامى ، والمساكين ، والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء اللهُ عليهم هذه الأموالَ ، وأَحْرَزَ بهم هذه البلادَ .

فاتَّقِ اللهَ واردُدْ إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فإنك إن لم تفعل ، ثم أمْكَنَنى اللهُ منك ، لَأُعْذِرَنَّ[٥] إلى الله فيك ، ولَأَضْرِبَنَّك بسيفى الذى ما ضربتُ به أحداً إلا دخل النار ، ووَاللهِ لو أن الحَسَنَ والحسين فعلا مثل الذى فعلت ، ما كانت لهما عندى هَوَادَةٌ ، ولا ظَفِرا منى بإرادة ، حتى آخُذَ الحقَّ منهما ، وأُزِيلَ الباطل عن مَظْلِمَتهما ، وإنى أُقْسِم بالله ربى وربك

---

(١) الحلية ، وفى العقد « فلما أمكنتك الفرصة فى خيانة الأمة أسرعت الغدرة » .

(٢) الذئب الأزلّ : الخفيف الوركين ، وذلك أشد لعدوه وأسرع لوثبه ، والدامية : المجروحة ، والكسيرة : المكسورة ، والرحيب : الواسع .

(٣) كلمة تقال للتوبيخ مع تحامى الدعاء عليه ، وحدره : حطه من علو إلى سفل ، والمعنى : جلبت ، والنقاش مصدر ناقش كالمناقشة . (٤) ساغ الشراب يسوغ : سهل مدخله فى الحلق ، وأساغه هو وساغه يسوغه وساغه يسيغه سوغا وسيغاً ، ومن الرباعى قوله تعالى « يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ »

(٥) أعذر : ثبت له عذر .

ربِّ العزة ما يَسُرُّني أن ما أخذت من أموالهم حلال لى أَدَعُه ميراثًا لعَقِبى ، فما بالُ اغتباطِك به تأكله حرامًا ؟

فَضَحِّ رُوَيْدًا[1] ، فكأنك قد بلغْتَ المَدَى ، ودُفِنتَ تحت الثَّرَى ، وعُرِضَت عليك أعمالك بالمحلِّ الذى ينادى فيه المغترُّ بالحَسْرَة ، ويتمنى المضيِّعُ التوبةَ ، والظالِمُ الرَّجْعة ، ولات حِينَ مَناصٍ » ، والسلام .

(نهج البلاغة ٢ : ٤٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٤٣ ، ومجمع الأمثال للميدانى ٢ : ٣٢)

٥٤٢ — رد ابن عباس على علىّ

فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعد : فقد أتانى كتابك تعظِّم علىَّ أمانةَ المـال الذى أصبتُ من بيت مال البصرة ، ولعَمْرِى إن حقى فى بيت مال الله أكثر من الذى أخذتُ والسلام » .   (العقد الفريد ٢ : ٢٤٣ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٦٤)

٥٤٣ — رد علىّ على ابن عباس

فكتب إليه علىٌّ :

« أما بعد : فإن العَجَب كل العَجَب منك أن تُزَيِّن لك نفسُك أن لك فى بيت مال الله من الحق أكثر مِمَّا لرجل من المسلمين ، قد أفلحتَ إن كان تَمَنِّيك الباطلَ وادِّعاؤك مالا يكون ، يُنْجِيك من الإثم ، ويُحِلّ لك ما حرَّم

---

(١) انظر ص ٤٥٥

الله عليك ، عَمْرَكَ الله(١) ! إنك لأنت البعيد البعيد(٢) ، وقد بلغنى أنك اتخذتَ مكة وَطَناً ، وضَرَبْتَ بها عطَناً(٣) ، تَشترى المُوَلَّداتِ من مكة والمدينة والطائف ، وتختارهُنَّ على عَيْنِك ، وتُعْطِى فيهن مال غيرك(٤) ، فارجِعْ هَدَاكَ الله إلى رُشْدك ، وتُبْ إلى الله ربِّك ، وأَخرج إلى المسلمين من أموالهم ، فعمّا قليلٍ تفارق من أَلِفْتَ ، وتترك ما جَمَعتَ ، وتُغَيَّب فى صَدْعٍ(٥) من الأرض ، غيرَ مُوَسَّد ولا مُمَهَّدٍ ، قد فارقتَ الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجَهْتَ الحِسابَ ، غنِيا عما خَلَّفْتَ ، فقيراً إلى ماقدّمت ، والسلام »

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٣ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ٦٤)

٥٤٤ — رد ابن عباس على علىّ

فكتب إليه ابن عباس :

« واللهِ لئن لم تَدَعْنى من أساطيرك لَأَحْمِلَنَّه إلى معاوية يقاتِلك به » .

فكفّ عنه على . (العقد الفريد ٢ : ٢٤٤)

---

(١) عمرك الله : عمر اسم بمعنى التعمير ، نصب على معنى عمرتك الله : أى سألت الله تعميرك أى أن يطيل عمرك ، فعمرك مفعول ثان لفعل محذوف ولفظ الجلالة مفعول أول ، أو هو من الأسماء الموضوعة موضع المصادر المنصوبة على إضمار الفعل ، وأصله من عمرتك الله تعميراً فحذفت زيادته ، فعمرك مصدر نائب عن فعله والله مفعوله ، أو هو على معنى بتعميرك الله أى باقرارك له بالبقاء ، فعمرك منصوب بنزع الباء القسمية مضاف إلى فاعله والله مفعوله .

(٢) وفى شرح ابن أبى الحديد « إنك لأنت المهتدى السعيد إذن » . (٣) العطن : مبرك الإبل

(٤) روى صاحب العقد عقب ذلك : « وإنى أقسم بالله ربى وربك ورب العزة ... الخ » وقد تقدم

(٥) فى شق : أى فى قبر .

٥٤٥ — كتاب عقيل بن أبى طالب إلى علىّ

وكتب عقيل بن أبى طالب إلى أخيه الإمام على عليه السلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله علىّ أمير المؤمنين من عقيل ابن أبى طالب .

سلام عليك ، فإنى أحمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعدُ : فإن الله حارسُكَ من كل سوء[1] ، وعاصِمُك من كل مكروه ، وعلى كل حال ، إنى قد خرجت إلى مكّة مُعْتَمِرًا[2] ، فلقِيت عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح فى نحو من أربعين شابّا من أبناء الطُّلقاء ، فقلتُ لهم — وعَرَفْتُ المنْكر فى وجوههم — إلى أين يا أبناء الشَّانِئين[3] ؟ أبمعاوية تَلْحَقون ؟ العداوةُ واللهِ لنا منكم ظاهِرة غيرُ مستنكَرة قديمًا ، تُريدون بها إطفاء نور الله ، وتغييرَ أمرِه ، فأسْمَعَنى القومُ وأسمعتهم .

ثم قدِمْت مكة فسمِعْتُ أهلها يتحدثون أن الضَّحّاك بن قيس أغار على

---

(١) فى الأغانى « فإن الله جارك من كل سوء » وفى الإمامة والسياسة « أما بعد يا أخى ، كلأك الله ، والله جارك من كل سوء . . . الخ »

(٢) فى الإمامة والسياسة أيضا « إنى خرجت معتمرا فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجهون إلى البصرة قد أظهروا الخلاف ، ونكثوا البيعة ، وركبوا عليك قتل عثمان ، وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغامهم وأوباشهم ، ثم مر عبد الله بن أبى سرح . . . الخ » وإنى أستبعد جدا أن يكتب اليه فى هذا الكتاب شيئا بشأن خروج عائشة ومتابعيها إلى البصرة ، إذ قد ذكر بعد أنه قدم مكة فسمع بغارة الضحاك على الحيرة ، وكان خروج عائشة بدء خلافة الإمام فى أوائل سنة ٣٦ كما قدمنا ، أما غارة الضحاك فكانت سنة ٣٩ كما سيأتى ، فكيف يتفق هذا وذاك .

(٣) الشانئ : المبغض .

الحِيرة[1] فاحتَمَل مَن أموال أهلها ما شاء ، ثم أنكفأ راجعاً سالمًا ، فأفٍّ لحياة في دهرٍ جرَّأ عليك الضّحّاكَ ! وما الضّحّاكُ ؟ وهل هو إلا فَقْعٌ بِقَرْقَرَةٍ[2] وقد وُطِئَتْ ؟

وبلغني أن أنصارك قد خذلوك ، فاكتب إليّ يابن أمِّ برأيك ، فإن كنتَ الموتَ تُريد ، تحمّلْتُ إليك ببنى أخيك وولد أبيك ، فعِشنا معك ما عشتَ ، ومُتْنا معك إذا مُتَّ ، فوالله ما أحبّ أن أبْقى في الدنيا بعدك فُوَاقًا[3] ، وأُقْسِمُ بالله الأعزّ الأجل ، إن عيشاً أعيشهُ في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هَنِيء ولا مَرِيء ولا نجيع[4] ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٥ ، والأغاني ١٥ : ٤٤ ، والإمامة والسياسة ١ : ٤٣)

٥٤٦ — ردّ عليّ على عقيل

فكتب إليه عليّ عليه السلام :

« من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عَقيل بن أبي طالب :

---

(١) وكان ذلك سنة ٣٩ هـ ، دعاه معاوية فقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليها ، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، فأقبل الضحاك فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب ، ومر بالثعلبية ، فأغار على مسالح عليّ وأخذ أمتعتهم ، ومضى حتى انتهى إلى القطقطانة ، فأتى عمرو بن عميس بن مسعود — وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود — وكان في خيل لعلي وأمامه أهله ، وهو يريد الحج ، فقتله وقتل ناسا من أصحابه ، فلما بلغ ذلك عليا سرح حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف ، فلم يزل مغذًّا في أثر الضحاك ، حتى لقيه بناحية تدمر ، فواقعه فاقتتلوا ساعة ، فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلا ، وقتل من أصحاب حجر رجلان ، وحجز الليل بينهم ، فهرب الضحاك وأصحابه ، فلما أصبحوا لم يجدوا لهم أثرا — انظر شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٤ وتاريخ الطبري ٦ : ٧٨ —

(٢) انظر ص ٤٠٩ .

(٣) الفواق : بالضم ويفتح ما بين الحلبتين من الوقت ، يقال : ما أقام عنده إلا فواقا .

(٤) نجع الطعام كمنع نجوعا : هنأ آكله .

سلامُ اللهِ عليك ، فإنى أحمَد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : كَلأنا[١] اللهُ وإياك كِلاءةَ مَن يخشاه بالغيب إنه حَميد مَجيد ، فقد قَدِمَ علىّ عبد الرحمن بن عُبَيْد الأزدىّ بكتابك تذكر فيه أنك لَقِيتَ عبد اللهِ بن سَعْد ابن أبى سَرْح مُقبلا من قُدَيْد[٢] فى نحوٍ من أربعين شابًّا من أبناء الطُّلَقاء ، متوجّهين إلى جهة المغرب ، وإنك تُنبئُ عن ابن أبى سَرْح ! طالما كاد اللهَ ورسولَه وكتابَه ، وصَدّ عن سبيله ، وبغاها عِوَجا[٣] ، فدَعْ ابنَ أبى سَرْح عنك ، ودع قريشاً وخَلّهم وتَرْكاضَهم فى الضلال ، وتَجْوالَهم فى الشِّقاق ، وجِماحَهم فى التِّيه ، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك اليومَ إجماعَها على حرب رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قبل اليوم ، فأصبحوا قد جَهِلوا حقّه ، وجَحَدُوا فضلَه ، وكادوه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجَهَدوا عليه كل الجَهْدِ ، وجَرُّوا إليه جيش الأحزاب ، وجَدُّوا فى إطفاء نور اللهِ ، اللهم فاجْزِ عنى قريشاً الجَوَازِىَ[٤] ، فقد قطعَتْ رَحِمى ، وتظاهَرَت[٥] علىّ ، ودفعتنى عن حقى ،

(١) كلأه كمنعه : حرسه . (٢) قديد : اسم موضع قرب مكة .

(٣) من خبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة الفتح قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقتلوا أحدا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم ، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخو بنى عامر بن لؤى وإنما أمر رسول الله بقتله ، لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله الوحى ، فارتد مشركا راجعا إلى قريش — ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاع ، فغيبه حتى أتى به رسول الله بعد أن اطمأن أهل مكة ، فاستأمنه له ، فصمت رسول الله طويلا ثم قال : نعم ، فلما انصرف به عثمان ، قال رسول الله لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه ، فقال رجل من الأنصار فهلا أومأت إلىّ يا رسول الله ! قال : إن النبي لا يقتل بالإشارة — انظر تاريخ الطبرى ٣ : ١١٩ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧١ .

(٤) الجوازى جمع جازية ، والجازية : الجزاء ، مصدر على فاعلة كالعافية ، ويجوز أن يكون الجوازى جمع جزاء لمشابهة اسم الفاعل المصدر ، فكما جمع سيل على سوائل كذلك يجوز أن يكون الجوازى جمع جزاء ، والمعنى : اللهم اجز قريشا عنى ماتستحقه من الجزاء لما صنعت بى .

(٥) أى تعاونت .

وسَلَبَتْنى سلطانَ ابن أمى(١) ، وسلِّمت ذلك إلى من ليس مثلى فى قرابتى من الرسول ، وسابقتى فى الإسلام ، إلاَّ أن يدَّعِىَ مُدَّعٍ مالاَ أعرِفُه ، ولا أظن اللهَ يَعرِفُه ، والحمد لله على كل حال .

وأما ما ذكرتَ من غارة الضحَّاك بن قيس على أهل الحِيرة ، فهو أقلُّ وأذلُّ من أن يُلِمَّ(٢) بها أو يدنوَ منها ، فضلا عن الغارة ، ولكنه قد كان أقبل فى جريدة خيل ، فأخذ على السَّماوة ، حتى مرَّ بواقِصَةَ وشَراف ، والقُطْقُطانة وما والَى ذلك الصُّقْعَ ، فسرَّحْتُ إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك شمَّرَ هاربا ، ونكَصَ نادمًا ، فاتَّبعوه فلحِقُوه ببعض الطريق ، وقد أمعَنَ فى السير، وقد طَفَّلَتِ(٣) الشمسُ للإياب ، فاقتتلوا شيئاً كَلاَ وَلاَ(٤)، فما كان إلا كمَوْقِف ساعة ، حتى ولَّى هاربا ولم يصبِرْ لوَقْع المَشْرَفِيّة(٥) ، وقُتِل من

---

(١) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم على هى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وقد أسلمت بعد عشر من المسلمين فكانت الحادى عشر ، وكان رسول الله يكرمها ويعظمها ويدعوها « أمى » وقد قال : لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرَّ بى منها — انظر شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٥ وقال ابن أبى الحديد فى تعليل التعبير « بابن أمى » : لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم أم عبد الله وأبى طالب ، ولم يقل سلطان ابن أبى ، لأن غير أبى طالب من الأعمام يشركه فى النسب إلى عبد المطلب» وأرى أن الوجه الذى ذهبت أنا إليه فى ذلك أقرب وأرجح ، ومن طريف ماعقب به ابن أبى الحديد الراوندى هنا مايأتى : قال الراوندى : « قوله سلطان ابن أمى يعنى نفسه أى سلطانه لأنه ابن أم نفسه ، وهذا من أحسن الكلام » قال ابن أبى الحديد : « ولا شبهة أنه على تفسير الراوندى لو قال «وسلبونى سلطان ابن أخت خالتى أو ابن أخت عمتى» لكان أحسن وأحسن ، وهذا الرجل قد كان يجب أن يحجر عليه ولا يمكن من تفسير هذا الكتاب ، ويؤخذ عليه أيمان البيعة أن لا يتعرض له » .

(٢) أى يقرب ، والجريدة : خيل لارجلة فيها . (٣) طفلت الشمس : مالت للغروب .

(٤) وفى ابن أبى الحديد « فتناوشوا القتال قليلا كلا ولا » ، والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شئ خفى . قالوا : كان فعله كلا . وربما كرروا فقالوا : كلا ولا ، قال الشاعر :

* يكون نزول القوم فيها كلا ولا *

(٥) المشرفية : السيوف ، نسبة إلى مشارف الشام : وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف .

أصحابه بِضْعَةَ عَشَرَ رجلا ، ونجا جَرِيضاً[١] بعد ما أُخِذَ منه بالمُخَنَّق[٢] ، ولم يبقَ منه غيرُ الرَّمَق ، فلأْيًا بِلأْيٍ[٣] ما نجا .

فأمّا ما سألتنى أن أكتب إليك برأيى فيما أنا فيه ، فإنّ رأيى قتالُ المُحِلِّين[٤] حتى ألقَى الله ، لا يَزِيدنى كثرةُ الناس حوْلى عِزّةً ، ولا تفرُّقهم عني وَحْشةً ، لأنى مُحِقّ ، واللهُ مع المُحِقّ ، وواللهِ ما أكْرَه الموت على الحق ، وما الخيرُ كلُّه إلا بعد الموت لمن كان مُحِقًّا .

وأمّا ما عرَضْتَه علىّ من مَسيرك إلىّ ببنيك وبنى أبيك ، فلا حاجَةَ لى فى ذلك ، فأقِمْ راشداً محموداً ، فواللهِ ما أُحِبُّ أن تَهْلِكوا معى إن هَلَكتُ ، ولا تحسَبَنّ ابن أبيك ولو أسْلَمه[٥] الزمانُ والناسُ متضرِّعا مُتَخَشِّعاً ، ولا مُقِرًّا

---

(١) جريضا : أى مجهودا يكاد يقضى ، من جرض بريقه كفرح (لا ككسر) إذا ابتلع ريقه على هم وحزن بالجهد (والجريض أيضا : الغصة) وفى المثل : « حال الجريض دون القريض » أى دون الشعر ، يضرب لأمر يعوق دونه عائق ، قاله جوشن الكلابى حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزنا ، فرق له وقد أشرف ، فقال : انطق بما أحببت ، فقاله ، والحريض بالحاء : الساقط لا يقدر على النهوض .

(٢) يقال أخذه بخناقه بالكسر والضم ومخنقه أى بحلقه : محل ما يوضع الخناق بالكسر وهو الحبل يخنق به ، ومن أمثالهم « بلغ منه المخنق » وهو مثل يضرب لمن يحمل عليه حتى يبلغ منتهاه ، والرمق : بقية الروح .

(٣) اللأى : المشقة والشدة والجهد ، وأصله البطء والاحتباس وفعله كسعى ، يقولون لأيا عرفت وبعد لأى فعلت : أى بعد جهد ومشقة ، قال زهير فى معلقته :

وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأيا عرفت الدار بعد توهم

وفى حديث أم أيمن « فبلأى ما استغفر لهم رسول الله » أى بعد مشقة وجهد وإبطاء ، وقال الشاعر : « فلأيا بلأى ما حملنا غلامنا » أى جهدا بعد جهد قدرنا على حمله على الفرس فهو منصوب على المصدر القائم مقام الحال كطلع بغتة وجاء ركضا وقتلته صبرا ولقيته التقاطا ورأيته عيانا والعامل فى المصدر محذوف أى نجا مبطئا مجهودا والباء فى الثانى بمعنى البعدية ، وما زائدة أو مصدرية ، وفى الإمامة والسياسة « فلولا الليل ما نجا » .

(٤) انظر ص ٤٥٧ .

(٥) أسلمه : خذله ، واهنا : ضعيفا ، وسلس : أى لين سهل الانقياد ، وطىء الظهر : أى لينه

للضَّيْم وَاهِناً ، ولا سَلِسَ الزِّمام للقائد ، ولا وَطِيء الظَّهر للراكب المُقْتَعِدِ ، ولكنه كما قال أخو بنى سُلَيْم :

فإن تسأليني كيف أنت ، فإنني صَبُورٌ على رَيْب الزمان صَلِيبُ(١)
يَعِزّ علىّ أنْ تُرَى بِى كآبة فيَشمتَ عادٍ أو يُساء حبيبُ

والسلام »

(الأغانى ١٥ : ٤٤ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ١٥٥ ، ونهج البلاغة ٢ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ٤٤)

٥٤٧ — كتاب صعصعة بن صوحان إلى عقيل بن أبى طالب

ثم غاضَبَ عَقيل أخاه ففارقه ولِحَق بمعاوية(٢) ، وقد قال له معاوية يومًا :

(١) الصليب : الشديد ، والشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمىّ .

(٢) روى أن عقيلا لزمه دين فقدم على علىّ الكوفة ، فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه ، فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل ، فقال عقيل : ماهو إلا ما أرى ؟ قال : لا ، قال : فتقضى دينى ؟ قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفا ، قال : ماهى عندى ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائى فإنه أربعة آلاف ، فأدفعه إليك ، فقال : بيوت المال بيدك ، وأنت تسوفنى بعطائك ؟ قال : أتأمرنى أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنونى عليها ؟ قال : فإنى آت معاوية ، فأذن له ، فأتى معاوية فأكرمه وقرّبه وقضى حوائجه وأدى عنه دينه ، وكان معاوية زوج خالته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة — انظر أسد الغابة ج ٣ : ص٤٢٣ والفخرى لابن طباطبا ص ٧٦ والعقد الفريد ٢ : ١٠٩

وسأل معاوية عقيلا يوما عن قصة الحديدة المحماة ، فبكى وقال : أنا أحدثك يا معاوية عنه ، ثم أحدثك عما سألت :

«نزل بالحسين ابنه ضيف فاستسلف درهما اشترى به خبزا ، واحتاج إلى الإدام فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن ، فأخذ منه رطلا ، فلما طلبها عليه السلام ليقسمها قال : ياقنبر ، أظن أنه حدث بهذا الزق حدث ، فأخبره ، فغضب وقال : علىّ بحسين فرفع عليه الدِّرّة ، فقال : بحق عمى جعفر — وكان إذا سئل بحق جعفر سكن — فقال له : ماحملك أن أخذت منه قبل القسمة ؟ قال : إن لنا فيه حقا ، فاذا أعطيناه رددناه — قال : فداك أبوك ، إن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم ، أما لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل ثنيتك لأوجعتك ضربا ، ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا فى ردائه ، وقال : اشتر به خير عسل تقدر عليه ، قال عقيل : والله لكأنى أنظر إلى يد علىّ وهى على فم الزق ، وقنبر يقلب العسل فيه ، ثم شده وجعل يبكى ويقول : اللهم اغفر لحسين فإنه لم يعلم . فقال معاوية : ذكرت من لاينكر فضله ، رحم الله أبا حسن ، فلقد سبق من كان قبله ، وأعجز من يأتى بعده ، هلم حديث

مَيِّز لى أصحاب علىّ ، وابدأ بآل صُوحان، فإنهم مَخاريق(١) الكلام، فوصفهم له وصفاً امتدحهم فيه بما هم أهْلُه(٢)، فاتصل كلام عقيل بصَعْصَعَة بن صُوحان، فكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ذِكْرُ الله أكبرُ ، وبه يَسْتَفْتِح المستفتِحون وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة :

الحديدة ، قال : نعم ، أقويت وأصابتنى مخمصة شديدة ، فسألته فلم تند صفاته ، فجمعت صبيانى وجئته بهم ، والبؤس والضر ظاهران عليهم ، فقال : ائتنى عشية لأدفع إليك شيئاً ، فجئته يقودنى أحد ولدى — وكان عقيل قد كف بصره — فأمره بالتنحى ، ثم قال : ألا فدونك ، فأهويت حريصاً قد غلبنى الجشع ، أظنها صرة فوضعت يدى على حديدة تلتهب ناراً ، فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره ، فقال لى : ثكلتك أمك ، هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا ، فكيف بك وبى غداً إن سلكنا فى سلاسل جهنم ؟ ثم قرأ : «إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ » ثم قال : ليس لك عندى فوق حقك الذى فرضه الله لك إلا ما ترى ، فانصرف إلى أهلك : فجعل معاوية يتعجب ويقول: هيهات هيهات ! عقمت النساء أن يلدن مثله — انظر شرح ابن أبى الحديد م ٣ : ص٨٢

وقد أورد الشريف الرضى كلمة الإمام رضى الله عنه فى هذا الصدد : « والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً ، أو أجر فى الأغلال مصفداً ، أحب إلىّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشىء من الحطام ، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ، ويطول فى الثرى حلولها ؟ والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحنى من بركم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم ، كأنما سودت وجوههم بالعظلم (العظلم بالكسر : سواد يصبغ به) وعاودنى مؤكداً ، وكرر علىّ القول مردداً ، فأصغيت إليه سمعى ، فظن أنى أبيعه دينى ، وأتبع قياده ، مفارقاً طريقتى ، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضج ضجيج ذى دنف من ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها ، فقلت له : ثكلتك الثواكل ياعقيل ، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرنى إلى نار سجرها (أى أضرمها) جبارها لغضبه ؟ أتئن من الأذى ولا أئن من لظى ؟ » انظر نهج البلاغة ج ١ : ص ٢٨٣ .

(١) مخاريق: جمع مخراق بالكسر، وهو السيف ، والسيد ، والمتصرف فى الأمور الذى لايقطع فى أمر إلا خرج منه (والثور البرى يسمى مخراقاً لأن الكلاب تطلبه فيفلت منها) وفلان مخراق حرب : أى صاحب حروب يخف فيها .

(٢) قال فيهم : « أما صعصعة فعظيم الشأن ، عضب اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أقران ، يرتق مافتق ، ويفتق مارتق ، قليل النظير ، وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان ، يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان ، رجلا جد لالعب معه ، وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر :

إذا نزل العدو فإن عندى   أسوداً تخلس الأسد النفوسا

أما بعد : فقد بلغ مَوْلاكَ[١] كلامُك لِعَدُوِّ الله وعدوه ، فحمِدْتُ الله على ذلك وسألتُه أن يَفِيء[٢] بك إلى الدرجة العُلْيا ، والقَضِيب الأحمر ، والعمود الأسود ، فإنه عمودٌ مَنْ فارَقَه فارَقَ الدِّينَ الأَزْهَرَ ، ولئن نَزَعَت[٣] بك نفسُك إلى معاوية طلباً لمـاله ، إنك لذو عِلم بجميع خصاله ، فاحْذَرْ أن تَعْلَق بك نارُه ، فيُضِلَّك عن المحجَّة[٤] ، فإن الله قد رفع عنكم أهلَ البيت ما وَضَعَه فى غيركم ، فما كان من فضل أو إحسان فيكم وَصَلَ إلينا ، فأَجَلَّ اللهُ أقداركم ، وحَمَى أخطاركم[٥] ، وكتب آثاركم ، فإن أقداركم مَرْضِيَّة ، وأخطاركم مَحْمِيَّة ، وآثاركم بَدْرِيَّة ، وأنتم سُلَّم الله إلى خَلْقه ، ووسِيلة إلى طُرُقِه ، أيْدٍ عَلِيَّة ، ووجُوهٌ جلِيَّة : وأنتم كما قال الشاعر[٦] :

فما كان مِن خيرٍ أَتَوْهُ فإنما ... تَوارَثَه آباءُ آبائهم قبلُ

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشِيجُه ... وَتُغْرَسُ إلا فى مَنابِتِها النخلُ ؟

(مروج الذهب ٢ : ٧٦)

---

(١) مولاك هنا ، معناه عبدك : يعنى نفسه . (٢) فاء يفيء : رجع .

(٣) نزعت : مالت واشتاقت . (٤) المحجة : جادة الطريق .

(٥) أى أقداركم : جمع خطر بالتحريك .

(٦) هو زهير بن أبى سلمى والبيتان من أبيات قالها فى مدح هرم بن سنان ، والخطى : الرمح نسبة إلى الخط : وهو مرفأ السفن بالبحرين ، نسبت إليه الرماح لأنها كانت تباع به لا أنه منبتها ، والوشيج : شجر الرماح .

٥٤٨ — كتاب علىّ إلى كعب بن مالك

وكتب علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى كعب بن مالك أحد عماله :

« أما بعد : فاستَخْلِفْ على عملك ، وأخرُج فى طائفة من أصحابك حتى تمرَّ بأرض السَّواد كُورةً كُورةً ، فتسألَهم عن عُمَّالهم ، وتنظرَ فى سِيرتهم ، حتى تمرَّ بمن كان منهم فيما بين دِجْلة والفُرات ، ثم أرجع إلى البِهْقُبا ذَات[1] فتَوَلَّ معونتها ، واعمَلْ بطاعة الله فيما ولَّاك منها ، وأعلم أن الدنيا فانية ، وأن الآخرةَ آتية ، وأن عَمَلَ ابن آدم محفوظ عليه ، وأنك مَجْزِيٌّ بما أسلفْتَ ، وقادِمٌ على ما قدَّمتَ من خير ، فاصنع خيرًا تجِدْ خيرًا » . (كتاب الخراج ص ١٤١)

٥٤٩ — كتاب على إلى بعض عماله

وروى الشريف الرضى رحمه الله فى نهج البلاغة قال :

وكتب علىّ عليه السلام إلى بعض عماله :

« أما بعدُ : فإنك[2] ممن أستَظْهِر به على إقامة الدين ، وأَقْمَع به نَخْوةَ الأثيم وأَسُدُّ به لَهَاةَ[3] الثَّغْرِ المَخُوف ، فاستعِنْ بالله على ما أهَمَّك ، واخلِطِ الشدة

---

(١) اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سى الفرات منسوبة إلى قباذ بن فيروز .

(٢) الفقر الثلاث الأولى رواها الطبرى فى صدر الكتاب الذى كتبه علىّ إلى الأشتر (انظر ص ٥٤٧) والفقر الأربع التى بعدها رواها الطبرى من وصية وصى بها علىّ الأشتر أيضا حين ولاه مصر إذ قال له : « ليس لها غيرك ، اخرج رحمك الله فإنى إن لم أوصك اكتفيت برأيك ، واستعن بالله على ما أهمك . . . » (انظر تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤) وبقيه الكتاب واردة فى عهد على لمحمد بن أبى بكر (انظر ص ٥٣٣) .

(٣) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق .

بضِغْثٍ[1] من اللين ، وارفُق ما كان الرفقُ أرفَقَ ، واعتزم بالشدة حين لا يُغْني عنك إلا الشدة ، واخفِض للرعية جَناحَك ، وألِنْ لهم جانِبَك ، وآسِ بينهم فى اللَّحظة والنَّظْرة والإشارة والتحيَّة ، حتى لا يطمعَ العُظماء فى حَيْفِك ، ولا ييأس الضُّعَفاء من عدلك ، والسلام » . (نهج البلاغة ٢ : ٥٤)

٥٥٠ — كتاب على إلى سهل بن حنيف

وكتب على عليه السلام إلى سهل بن حُنَيف الأنصارى عامله على المدينة ، وقد لَحِق قوم من أهلها بمعاوية :

« أما بعد ، فقد بلغنى أن رجالاً ممن قِبَلك يتسلَّلون[2] إلى معاوية ، فلا تأسَفْ على ما يفوتك من عَدَدهم ، ويذهبُ عنك من مَدَدهم ، فكَفَى لهم غَيًّا ولك منهم شافِياً ، فرارُهم من الهُدَى والحق ، وإيضاعُهم[3] إلى العَمَى والجهل ، وإنما هم أهل دنيا مُقْبِلون عليها ، ومُهْطِعون[4] إليها ، وقد عرَفوا العدل ورَأَوْه ، وسَمِعُوه وَوَعَوْه ، وعلِموا أن الناس عندنا فى الحق أُسْوَة ، فهَرَبوا إلى الأَثَرَة[5] ، فبُعْدًا لهم وسُحْقاً ، إنهم واللهِ لم يَنْفِرُوا[6] من جَوْر ، ولم يَلْحَقوا بعدل ، وإنا لنَطْمع فى هذا الأمر أن يُذَلِّل اللهُ لنا صَعْبَه ، ويسهِّل لنا حَزْنَه ، إن شاء الله ، والسلام » . (نهج البلاغة ٢ : ٩٥)

---

(١) الضغث : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس .

(٢) أى يخرجون فى خفية واستتار . (٣) وضع البعير وأوضع : أسرع فى سيره ، والعمى : الضلال . (٤) أهطع : أسرع ، ووعاه : حفظه .

(٥) استأثر على أصحابه استئثارا : اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم منه الأثرة بالتحريك والأثرة بالضم وبالكسر وكالحسنى ، والسحق : البعد .

(٦) وفى رواية « لم يفرّوا » والحزن : ما غلظ من الأرض ، ضد السهل .

٥٥١ — كتاب عليّ إلى المنذر بن الجارود العبدى

وكتب عليّ عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العَبْديّ ، وقد كان استعمله على بعض النواحى فخان الأمانة :

« أما بعد : فإن صَلاَحَ أبيك[١] غرّنى منك ، وظننت أنك تتّبع هَدْيَه ، وتسلُكُ سبيله ، فإذا أنت فيما رُقِّىَ[٢] إلىّ عنك لا تَدَعُ لهواك انقياداً ، ولا تُبْقِى لآخرتك عَتَاداً[٣] ، تَعْمُرُ دنياك بخراب آخرتك ، وتَصِل عشيرتك بقطيعة دينك[٤] ، ولئن كان ما بَلَغَنى عنك حقّا ، لَجَمَلُ[٥] أهلك ، وشِسْعُ نَعْلك ، خيرٌ منك ، ومن كان بصِفَتك فليس بأهل أن يُسَدَّ به ثَغْرٌ ، أو يُنْفَذَ به أمر ، أو يُعْلَى له قدر ، أو يُشْرَك فى أمانة ، أو يُؤْمَن على جِبَايَةٍ ، فأَقْبِلْ إلىّ حين يصِلُ إليك كتابى هذا إن شاء الله » . (نهج البلاغة ٢ : ٩٦)

---

(١) هو الجارود بشر بن خنيس بن المعلى ، وبيتهم بيت الشرف فى عبد القيس ، كان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه ، وكان قد وفد مع المنذر بن ساوى فى جماعة من عبد القيس ، وكان يقال : أطوع الناس فى قومه الجارود ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب خطب قومه فقال : « أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حى لا يموت ، فاستمسكوا بدينكم ، ومن ذهب له فى هذه الفتنة دينار أو درهم أو بقرة أو شاة فعلىّ مثلاه » فما خالفه من عبد القيس أحد .

(٢) أى فيما رفع إلىّ . (٣) العتاد : العدّة .

(٤) كان فيما رقى إليه عنه أنه يقتطع المال ، ويفيضه على رهطه وقومه ، ويخرج بعضه فى لذاته ومآربه . (٥) العرب تضرب بالجمل المثل فى الذلة والهوان ، قال العباس بن مرداس :

لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
يصرّفه الصبى بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير

(انظر ديوان الحماسة ٢ : ١٦) وكذلك ضربوا المثل فى الذلة بشسع النعل ، (وهو سير تشد به) قالوا : « لا أذل من الشسع » كما قالوا : « أذل من النعل » وكان الحرث بن عباد البكرى حين نشبت حرب البسوس بين بكر وتغلب قد اعتزل القوم ، فلما استحر القتل فى بكر بعث ابنه بجيرا إلى مهلهل بن ربيعة فى طلب الصلح ، فقتله مهلهل وقال له : « بؤ بشسع نعل كليب » .

٥٥٢ — كتاب وقف للإمام على كرم الله وجهه

ووَقَفَ الإمام علىّ كرم اللهُ وجهه لسنتين من خلافته : « عَيْنَ أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبِغَة[1] » وكتب بذلك كتابا نصه :

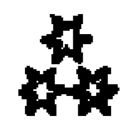
« بسم اللهِ الرحمن الرحيم ، هذا ما تَصَدَّقَ به عبد اللهِ على أمير المؤمنين، تصدَّق بالضَّيْعَتين المعروفتين بعَين أَبِى نَيْزَرَ ، والبُغَيْبِغة ، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، لِيَقِىَ اللهُ بهما وَجْهَه حَرَّ النار يوم القيامة ، لا تُباعا ولا تُوهَبا حتى يَرِثَهُما اللهُ وهو خير الوارثين ، إلا أَنْ يحتاج إليهما الحَسَنُ أو الحُسَيْن ، فهما طِلْقٌ[2] لهما ، وليس لأحد غيرهما » .

(الكامل للمبرد ٢ : ١٤١ ، ومعجم البلدان ٦ : ٢٥٢)

توقيعات الخلفاء الراشدين

كتب خالد بن الوليد إلى أبى بكر الصِّديق رضى الله عنهما من دُومَة الجَنْدَل يستأمره فى أمر العدو ، فوقّع إليه :

« أُدْنُ من الموت تُوهَبْ لك الحياةُ[3] »



وكتب سعد بن أبى وَقَّاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما من

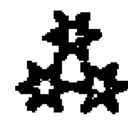
(١) ضيعتان بالمدينة . (٢) أى حلال .

(٣) وجاء فى مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ : ص ٢٧٦ وفى نهاية الأرب ج ٣ : ص ٤ « ومن كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « احرص على الموت ، توهب لك الحياة » قاله لخالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الردة .

الكوفة يستأذنه فى بناء دار الإمارة ، فوقّع إليه :

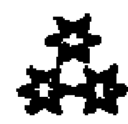
« أَبْنِ ما يَسْتُرمن الشمس ، ويُكِنّ[1] من المَطَر »

وفى رواية : « أَبْنِ ما يكنّك من الهَوَاجر[2] وأذى المطر »



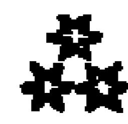
ووقّع عمر إلى عمرو بن العاص :

« كن لرعيّتك كما تحبّ أن يكون لكَ أميرك »



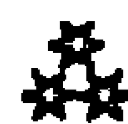
ووقع عثمان فى قِصّة قوم تظلّموا من مَرْوان بن الحَكَم ، وذكروا أنه أَمَرَ بوَجْء[3] أعناقهم :

« فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ »



ووقع عثمان فى قصة رجل شكا عَيْلَةً[4] :

« قد أَمَرْنا لك بما يُقيمك ، وليس فى مال ٱللّه فَضْلٌ للمُسْرِف »



ووقع علىّ كرم ٱللّه وجهه إلى طلحة بن عُبَيد ٱللّه :

« فى بيته يُؤْتَى الحَكَمُ »

---

(١) كنه كردّه وأكنه : ستره وصانه . (٢) الهواجر: جمع هاجرة : وهى شدّة الحر .
(٣) وجأه بالسكين كوضعه: ضربه ، وجاء فى خاص الخاص : « وكتب إلى عمر نفر من أهل مصر يشكون مروان بن الحكم ، فوقع فى كتابهم : فإن عصوك . . . . الخ » . (٤) العيلة : الفقر.

✻

وكتب الحسين بن علىّ إلى أبيه رضى ٱللّٰه عنهما فى شىء من أمر عثمان رضى ٱللّٰه عنه، فوقع إليه:

« رأىُ الشّيخ خيرٌ من مَشْهَد الغُلام »

✻

ووقع فى كتاب سَلْمان الفارسى — وسأله كيف يحاسَب الناسُ يوم القيامة — ؟ :

« يحاسَبُون كما يُرْزَقون »

✻

وكتب إليه الحُضَيْن بن المُنْذِر بصِفّين: « يا أمير المؤمنين، قد أسرع السيف فى « رَبيعة » وخاصّةً فى أَسْرَى منهم » فوقع إليه:

« بَقيّة السيفِ أَنْمَى[1] عَدَدًا »

✻

ووقع فى كتاب جاءه من الأشتر النَّخَعىّ، فيه بعض ما يَكْرَه:

« مَنْ لك بأَخِيك كلِّه؟ »

✻

ووقع فى كتاب صَعْصَعة بن صُوحان يسأله فى شىء.

« قيمةُ كل امرئ ما يُحْسِن »

(العقد الفريد ٢ : ١٨٥ وخاص الخاص ص ٦٧)

تم الجزء الأوّل بحمد الله وتوفيقه، ويليه: الجزء الثانى، وأوله: الرسائل فى العصر الأموى

---

(١) أى أكثر، من نما ينمو ونمى ينمى: إذا زاد وكثر، وفى العقد وخاص الخاص « أنهى » وهو تحريف، وفيهما أيضا « الحصين » بالصاد المهملة وهو تصحيف.